

(١١٥٩)

كِتَابُ

﴿لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية﴾

اشرح

﴿الدرة الماضية في عقد الفرقة المرضية﴾

تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب العروة الوثقى
الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الاثري المحمدي
رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

طبع عن نسخة يظهر انها كتبت عن نسخة المؤلف في عصره وعلى
هوامشها تصحيح لبعض العلماء وقد ذهب وورقات من آخرها
فاكملت حديثاً بخط جديد

وقد وقف هذا الكتاب طابعه على أهل العلم والدين
فلا يجوز لمن وقع في يده شيء من نسخة أن يبيعه

﴿الطبعة الاولى﴾

﴿مطبعة مجلة المنار الاسلامية بمصر سنة ١٣٢٤ هجرية﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الرابع

﴿ في ذكر بعض السمعات من ذكر البرزخ والقبر
واشراط الساعة والحشر والنشور ﴾

اعلم ان المراد بالسمعات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب والسنة والآثار مما ليس للعقل فيه محال ويقابله ما يتبث بالعقل وان وافق العقل فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والطرديات ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن النظار وقد أشار الى ذكر المفصود من ذلك بقوله

﴿ وكل ما صح من الاخبار أو جاء في التنزيل والآثار ﴾

﴿ من فتنة البرزخ والقبر وما أتى في ذا من الامور ﴾

﴿ وكل ما ﴾ أي حكم من الاحكام أو خبر عن خير الامام صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ﴿ صح من الاخبار ﴾ أي ثبت من الاخبار البوية وقدمه لمزيد الاهتمام به ولئلا يظن طائفة ان ما لم يثبت في التنزيل ليس عليه مزيد تعويل ﴿ أو جاء في التنزيل ﴾ أي القرآن المرسل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ﴿ وكل ما صح ﴾ والآثار السلفية عن الصحابة الكرام مما ليس للعقل فيه مرام فانه يشعر بأنهم إنما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من فتنة ﴾ الفتنة الامتحان والاختبار قال في القاموس الفتنة بالكسر الحيرة والعائن الدرهم والديار ومسكر وسكير والفتان الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين وفتان من ابنة المبالغة من الفتنة وفي حديث الكسوف وانكم تنفضون في القبور يريد مسائلة

منكر ونكير وقد كثرت لاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم باستعاذته من فتنة القبر وفتنة الدجال وفتنة الحيا والممات وغير ذلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «فبي تفتنون وعني نسالون» أي تمتحنون بي في قبوركم ويتعرف ايمانكم بنبوتي ﴿البرزخ﴾ قال في القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين من وقت الموت الى القيامة من مات دخله وفي النهاية البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز ومنه حديث عبد الله وسئل عن الرجل يجمد الوسوسة فقال تلك برازخ الايمان يريد ما بين أوله وآخره فأولها الايمان بالله ورسوله وادناها ماطة الاذى عن الطريق وقيل أراد ما بين اليقين والشك والبرازخ جمع برزخ وفي الآية الكريمة (بينهما برزخ لا يبغيان) أي حاجز يمنعهما من ان يختلط أحدهما بالآخر ووجه تسمية ما هنا برزخا اسكونه يحجز بين الدنيا والآخرة ﴿و﴾ فتنة ﴿القبور﴾ جمعه قبر وهو من عطف الخاص على العام لان أحوال البرزخ تشتمل على ذلك فالقبور جمع قبر جمع كثرة وجمع أقبر في القلة ويقال لمدفن الموتى مقبر قال الشاعر

اكل اناس مقبر في فنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد

والمقبرة موضع دفن الموتى وتضم باؤها وتفتح قال القرطبي اختلف في أول من سن القبر ف قيل الغراب لما قتل قاييل هايل وقيل إن قاييل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفا فابعد الله الغراب ليسحت في الارض يعني الغراب على هايل ليدفنه كذا في التذكرة فقال عند ذلك (يا ويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فاصبح من الزاديين) حيث رأى كرامة الله لهايل بأن قبض الله الغراب حتى وراه ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل كان ندمه على عدم معرفة الدفن ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة وقيل انه لما قتله قعد يبكي على رأسه فاقبل غرابان فاقتنلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل قاييل باخيه كذلك فكان ندمه لعدم هدايته ان يفعل كما فعل الغراب فصار الدفن سنة في بني آدم وفي التنزيل (ثم أماته فاقبره) أي جعل له قبرا يواري فيه اكراما له ولم يجعل مما يلي على وجه الارض تأكله الطير والعوافي وقوله ﴿وما﴾ أي وفي الذي أو الاشياء

أي والمول الذي (أني) عن الصادق المصدوق (في ذا) اسم إشارة يرجع الى ما تقدم من فئة البرزخ والقبور (من الامور) الموهلة المعجية والاشياء الصعبة الغريبة فانه حق لا يرد

(منها) سؤال المالكين منكر ونكير فالإيمان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويصل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) نزلت في عذاب القبر زاد مسلم «يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد» فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وفي رواية للبخاري «إذا أفتد الموت من في قبره أوتي ثم شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله» الآية وفي الطبراني عن البراء أيضاً مرفوعاً «يقال للكافر من ربك فيقول لا أدري فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة (١) لو ضرب بها جبل لصار تراباً» الحديث وعند أبي داود «يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً الى الجنة وألبسوه من الجنة ويفسح له فيه مد نصره» وقال في الكافر يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري الى أن قال فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فأفرشوه من النار

(١) جاء في هامش الاصل امانصه : في النهاية مانصه في حديث أبي جهل فاذا رحل اسود بصره بمرزبة فيغيب سيفه الارض المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التي للحداد ومنه حديث الملك ويده مرزبة ويقال لها أيضاً الآرزة بالهمز والتشديد انتهى وفي القاموس والآرزة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط غصية من حديث انتهى

وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعدا من الجنة قال فبراهما جميعا يعني المقعدين قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه من غير الثقلين زاد أبو داود ان المؤمن يقال له ما كنت تعبد فان هداه الله تعالى قال كنت أعبد الله فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله قال فما يسئل عن شي غير هذا وزاد أيضا فيقول دعوني حتى أبشر أهلي فيقال له اسكن وذكر الكافر انه يسئل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل وفي الصحيحين أيضا عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة يوم كسفت الشمس «ولقد أوحى الي انكم تفتنون في قبوركم مثال قريب من فئنة الدجال يوثى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فاما المؤمن أو الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا فيقال له ثم صالحا فقد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق والمرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» وأخرجه الامام أحمد بلفظ «واتقد رأيكم تفتنون في قبوركم يسئل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد» نحو ما سبق وقد روي أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه وأخرجه أيضا الامام أحمد وابن ماجه وأخرجه الطبراني أيضا وفيه «أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وانبايهما مثل صياصي البقر - أي قرونها - وأصواتهما مثل الرعد القاصف» وروي أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجه الامام أحمد ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه

الامام أحمد أيضا ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب السنة وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال له «كيف أنت يا عمر إذا كنت من الأرض في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منكرا ونكيرا» قلت يا رسول الله وما مسكر ومسكر قل «فانا القبر يمحطان الأرض بأبوابهما ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ومعها مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يلبثوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه» قلت يا رسول الله وأبأ على حالي هذه قال نعم قلت إذا أكنيكنها وفي رواية «فامتنحك فان التويت ضرك» بها صرقة صرقت رمادا وأخرجه الاسماعيلي من وجه آخر وروي أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وفيه قال سمعنا ترد علينا عقولنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم «نعم كلياتكم اليوم فقال» عمر رضي الله عنه بغير الحجب ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه رواه الامام أحمد وغير هؤلاء وروي عن مجاهد ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام وقد ذكرنا في كتابنا البحور الزاهرة في علوم الآخرة ما له يشفي ويكفي

﴿تنبيهات﴾

(الاول) جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد قال القرطبي لا نعارض في ذلك بالدلة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا فبأنه معاندا اسراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقتراف من الآثام وآخر يأتيه قبل اسراف الناس عنه فبأنه عليه لحصول أنه بهم وآخر يأتيه ملك واحد ويكون أحب عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح قال ويحتمل ان يأتي اثنان ويكون السائل أحدهما وان اشتركا في الاثان فتحمل رواية انواعا على هذا وصوبه الخافظ السيوطي في شرح الصدور فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة مبكر وبكر وما كور ورومن وقد أشار أبلال السيوطي الى هذا في أرجوزته التثبيت في التثبيت بقوله

وقد أتى في مرسل مضعف أن السؤال من ثلاثة أنبي
أو أربع أولئك الاثنان وألحقوا ناكور مع رومان
وقد أشار الى أن الخبر به علقان الضعف والارسل

﴿ الثاني ﴾

الملكان اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام أحمد رضي الله عنه قال الحكيم
الترمذي وإنما سميا فتاني القبر لاز في سؤاها انتهارا وفي خلقهما صعوبة قال وسميا
منكرا ونكيرا لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق
البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين اليهما
جعلها الله تعالى تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهنكا لستر المنافق في البرزخ من
قبل ان يبعث قل الجلال السيوطي وهذا يدل على ان الاسم منكر بفتح الكاف
وهو المجرى به في القاموس قلت وكذا في نهاية ابن الاثير قال ومنكر ونكير اسماء
الملكين مفعول وفعل وذكرا بن يونس من الشافعية ان اسم ملكي المؤمن مبشر
وبشير قلت وهذا يحتاج الى دليل مأثور وأنى به فان الاحاديث ليس فيها سوى
منكر ونكير وقد أشار الى ذلك السيوطي في أرجوزته بقوله

وضبط منكر بفتح الكاف فاست أدري فيه من خلاف

وذكر ابن يونس من صحبنا ان اللذين يأتيان المؤمنا

اسمهما البشير والمبشر ولم أقف في ذا على ما يؤثر

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قال كثير من الممثلة لا يجوز
تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وإنما المنكر ما يبدو من تلجأجه اذا سئل والنكير
تقريع الملكين له وقال الامام أحمد رضي الله عنه نؤمن بعذاب القبر ويمتنكر ونكير
وروجع في منكر ونكير فقال هكذا هو يعني اسمها منكر ونكير

﴿ الثالث ﴾

قال القرطبي اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال والجواب عن ذلك أنه
يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل

عن كلها ويحتمل ان يكون الاختصار على بعضها من بعض الرواة وأنى به غيره تاماً وصورة السيوطي لا تنافي أكثر الأحاديث عليه نعم يؤخذ منها - خصوصاً من رواية أبي داود عن أنس المارة فـسا يسئل عن شيء بعدها وعند ابن مردويه فما يسئل عن شيء غيرها انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال الشهادة يسئلون عنها في قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمة ما هو قال يسئلون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد وقد ذكر الجلال السيوطي انه ورد في رواية عن أنس رضي الله عنه ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات وباقي الروايات ساكتة عن ذلك فتحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الأشخاص وعن طاوس ان الموتي يسئلون سبعة أيام قلت وتقدم عن مجاهد أن الموتي يفتنون في قبورهم سبعا وانهم كانوا يستحبون أن يلطم عنهم تلك الايام رواه الامام أحمد في الزهد وكذا أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا أنه مرسل وروى من وجه متصل أيضاً وحكه الرفع لانه ليس للرأي فيه مجال وقد روى كل ذلك الامام الخافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وذكر عن مجاهد أيضاً أن الارواح تكثر في قبورها سبعة أيام وقد روي عن عبيد ابن عمير فيما أخرجه عنه ابن جريج ان المؤمن يفتن سبعة أيام والمنافق يفتن أربعين يوماً

الرابع

من لم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نفسه من فتنة السؤال وضغطة القبر قال الامام المحقق في كتاب الروح ما ينبغي ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبرا لم يقبر فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار رمادا أو نسف في الهواء أو غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من المقيور

الخامس

قال ابن عبد البر لا يكون السؤال الا للمؤمن أو منافق كان منسوبا الى دين

الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر كذا قال وخالفه في ذلك الجمهور وقال
الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح القرآن والسنة تدل على خلاف
هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت وقد ثبت) في الصحيحين وغيرهما انها نزلت في عذاب القبر كما تقدم فان
في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول
الكافر قطعاً ومنه قوله تعالى (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين) ونحو هذا في كتاب
المعاقبة للحافظ عبد الحق الاشبيلي وصوبه القرطبي في التذكرة وانتصر الجلال
السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر ومثل هذا ما اختاره المحقق ابن القيم والحافظ
عبد الحق الاشبيلي وغيرهما من ان سؤال القبر ليس بخاص بهذه الامة بل غيرها
تساويها في ذلك وجزم به أيضاً القرطبي في التذكرة وقال الحكيم الترمذي انه
خاص بهذه الامة وتوقف ابن عبد البر وانتصر السيوطي في هذا للحكيم الترمذي
قال الامام المحقق ابن القيم في الروح بعد ذكره الاقوال الثلاثة والظاهر والله أعلم
ان كل نبي مع أمته كذلك يعني يسئل عنه كسبينا صلى الله عليه وسلم مع أمته وانهم
يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجّة عليهم كما يعذبون في الآخرة
بعد السؤال واقامة الحجّة واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال أن الامم
قبل هذه الامة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبو كفت الرسل واعتزلوهم
وعوجلوا بالعذاب قال فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم
العذاب واعطي السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لمهاية السيف ثم
برسخ الايمان في قلبه فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفرو يعلنون الايمان
وكانوا بين المؤمنين في ستر فلما ماتوا قبض الله لهم فتاني القبر ليستخرج أمرهم
بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب وفيما قاله مقال من عدة أوجه نبهت على
بعضها في البحور الزاخرة منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في
كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان المعروف عند أهل العلم انه بعد
نزول التوراة لم يهلك تعالى مكذبي الأمم بعذاب سناوي يعذبهم كما أهلك قوم نوح
وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما أمر بني اسرائيل

(ش ٢ عقيدة السفاريني - ٢)

على لسان موسى بقتال الجبارة وقتال يوشع للكفار مشهور وكذا داود وسليمان وغيرهم من الانبياء صلوات وسلامه عليهم أجمعين

﴿السادس﴾

ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي أنه وقع في فتاوى شيخه علم الدين الباقيني أن الميت يحجب السؤال باللغة السر يانية قال ولم أقف لذلك على مستند انتهى قال في التذكرة أن قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد فالجواب أن عظم خلقها يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه وينعمه الله من سماع جواب بقية الموتى وقال السيوطي ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما في الحفظه ونحوهم وقاله الحلبي من الشافية ولا يخفى ما في هذا (١) والله التوفيق

(تمة) ورد في صحيح الاخبار أن بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتان وذلك على ثلاثة أنحاء مضاف إلى عمل ومضاف إلى حال ابتلاء نزل بالميت ومضاف إلى زمان كالشهداء ومن لقي العدو فصر حتى يقتل أو يطلب والمرابطين في سبيل الله والمراد أن من مات مرابطاً لم يقن في قبره وروي أن سورة تبارك كل ليلة من قرأها عصم من فتنة القبر ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كفي فتنة القبر وأخرج أبو نعيم في الحلية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يقن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحمله الملائكة يوم القيامة بأ كفها حتى تجهزه الصراط إلى الجنة» ومن لا يسل الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما الجن فالأدلة تعميمهم ويسألون لأنهم مكافرون في الجملة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم والله التوفيق

(١) قوله ولا يخفى ما فيه أي في كلام الحلبي وبعده الجلال من النظر لأن هذه أمور لا تثبت إلا بصحيح السمة والتسزيل وليس في ذلك للاحتمال مجال وكنت سئلت عن ذلك فقلت ما نقله الجلال عن الحلبي في ذلك الجواب وتعقبته من غير وقوف على ماها والحمد لله اه ع ب اه من هاهن الاصل

﴿ومنها﴾ الامور التي يجب الايمان بها وأنه حق لا ترد عذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور» قد ذكر الله عذاب القبر في القرآن في عدة اماكن كما بينته في الاكلیل في أسرار التنزيل انتهى قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور في قوله تعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم - الى قوله - ان هذا هو الحق اليقين) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات قال «اذا كان عند الموت قيل له هذا فان كان من أصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب لقاء الله وإن كان من أصحاب الشمال كره لقاء الله وكره لقاء الله» وأخرج الامام أحمدان النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله» فأكب القوم فيكون قال «ما يبكيكم؟» قالوا انا نكره الموت قال «ليس ذلك ولكنه اذا حضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقاءه أحب وأما ان كان من المكذبين فنزل من حميم وتصلية جحيم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقاءه أكره» وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قول السائل ما الحكمة في ان عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذر الناس ويتقى فأجاب عن ذلك بوجهين مجمل ومفصل أما المجمل فان الله تعالى أنزل على رسوله وحيين فأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى (وأنزل عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (الذي بعث في الاميين رسولا منهم - الى قوله - ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذ كرن مايتلى في بيوتكن) الآية والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما أخبر بها الرب على لسان رسوله فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اني أوتيت الكتاب ومثله معه» قال المحقق واما الجواب المفصل فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في مواضع (منها) قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعا وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله

غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولو تأخر عنهم ذلك الى اقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون وقوله تعالى (فوفاه الله سيئات ما مكروا الى قوله - يعرضون عليها غدوا وعشيا) الاية فذكر عذاب الدارين صريحا لا يحتمل غيره ومها قوله تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصمقون) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) انتهى كلامه واخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله اني أعوذ بك من عذاب القبر» وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه انه قال ما زلت في شك من عذاب القبر حتى نزلت (ألهما كم التكاثرت في زمم المقابر) وقال ابن مسعود اذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له من ربك وما دينك فيقول لا أدري فيصيق عليه قبره ثم قرأ ابن مسعود (فان له معيشة ضنكا) قال المعيشة الضنك هي عذاب القبر وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما في قوله تعالى (عذابا دون ذلك) قال عذاب القبر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) وكذا قال قتادة والريعي بن أنس في قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) أحدهما في الدنيا والاخرى عذاب القبر قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر ففي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما انها قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال «نعم عذاب القبر حق» وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن اللهم «اني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال» وأخرج أيضا مسلم وابن أبي شيبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بقله له ونحن معه اذ حادت به فكادت أن تلقيه واذا أقبر ستا وخمسة وأربعة فتال «من يعرف أصحاب هذه الاقبر؟» فقال رجل أنا فتال «متى مات هؤلاء» فتال ماتوا في الاشرار فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تذا فتوا

لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم اقبل علينا بوجهه فقال
«تعوذوا بالله من عذاب القبر» الحديث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل القبور يعذبون في قبورهم عذابا تسمعه
البهائم وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه الامام أحمد وأبو يعلى
والآجري وعن أبي هريرة رضي الله عنه رواه أبو يعلى والآجري وعن أنس رضي
الله عنه رواه مسلم وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه رواه الشيخان وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أخرجاه وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه رواه ابن
ماجه وفيه أيضا عن ابن عمر وعبد الرحمن ابن حسنة وأبي امامة وميمونة مولاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلی ابن سباه وعلی ابن قرة وأم بشير وابن
مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين

ماورد في ضغطة القبر وظلمته لكل واحد أخرجه الامام أحمد في المسند
والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن
حذيفة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا
الى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال «يضغط فيه المؤمن ضغطة
نزول منها حمائله» قال في النهاية الحمائل هنا عروق الاثنين قال ويحتمل ان يكون
يراد هنا موضع حمائل السيف أي عواقبه واضلاعه وصدره وأخرج الامام
أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
«ان للقبر ضغطة لو كان أحدا منها ناجيا نجا منها سعد بن معاذ» رضي الله عنه
وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه سبح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس ثم قالوا يا رسول الله لم سبحت
قال «لقد تضايق عن هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه» وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يوم دفن سعد بن معاذ
وهو قاعد على قبره قال «لو نجا من ظلمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضمه
ضمه» ثم أروح عنه» رواه سعيد بن منصور والحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي

وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» يعني سعد بن معاذ قال الحسن البصري تحرك له العرش فرحاً بروحه أخرجه البيهقي في الدلائل وأخرج الحكيم الترمذي والبيهقي من طريق أبي اسحاق حدثني ابن أمية وابن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عن ذلك قال «كأن يقتصر في بعض الطهور من البول» والاحاديث في هذا كثيرة مشهورة قال ابن أبي مليكة ما أجبر من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في الجبة خير من الدنيا وما فيها وقال معاهد أشد حديث سمعناه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما عني أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد» فقليل يارسل الله ولا القاسم أبك قال «ولا إبراهيم» وكان أصغرهما قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح والمراد غير من استثناء النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك لأنها ضمت المصطفى ولما ماتت سكب عليها الماء الذي فيه الكافور وألبسها قبضه واضطجع في قبرها وقال «الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها» وكانت وفاتها في المدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام وعليها قبة صغيرة كما في زبدة الاعمال مختصر تاريخ الأزدي قال أبو القاسم السعدي والفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود الانقاسح له فيه قال والمراد بضغطة القبر النقص الحاص به على حسد الميت قال الحكيم الترمذي سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد الا وقد ألم بخطيئة ما وإن كان صالحاً فحملت هذه الضغطة جزاء لما ثم تدركه الرحمة ولذلك صعد سعد بن معاذ رضي الله عنه قال وأما الانبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم أي لأن السؤال عن الانبياء وما جاءوا به

فكيف يستلون عن أنفسهم وقد ذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في مناقب سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه انه رآه المروذي رحمه الله بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك فذكر ان الملكين سألاه وقالاه من ربك فقال سبحان الله أو مثلي يستل عن ربه تقالاً لا تؤاخذنا بهذا أمرنا ثم انصرفا فكيف بانبيا الله وهم المحبرون عنه الدالون عليه المجتهدون في اتقاد عبادته من عقابه وغضبه الى مرضاته باذنه قال محمد التيمي ضمة القبر انما أصلها ان الارض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا اليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كاتب مطيعاً ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً لربها عليه وقد أخرج البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكرو ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال «يا عائشة ان أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين كائتم في العين وان وضغطة القبر على المؤمن ككلام الشفيقة يتسكو اليها ابنها الصداح فتغمز رأسه غمزا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة»

﴿ فوائد ﴾

﴿ الأولى ﴾ ذكر الديلمي في الفردوس عن علي رضي الله عنه رفعه «أول عدل الآخرة القبور فلا يعرف شريف من وضع» وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله أرحم ما يكون لعبده اذا دخل قبره وتمرق عنه الناس وأهله وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرحم ما يكون الله بالعبد اذا وضع في حفرته» وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الخططي برفعه «ان أول ما يتحلف به المؤمن في قبره يقال له ابشر فقد غفر لمن تبع جنازتك» وأخرجه البزار وعبيد في مسندهما والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أول ما يجازى به المؤمن بعد موته ان يغفر لجميع من تبعه» وفي الباب عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن أبي الدنيا وسلمان الفارسي أخرجه أبو الشيخ في الثواب وأبي هريرة أخرجه الحاكم في

التاريخ واليهوتي في الشعب والديلي وأنس أخرجه الحكيم الترمذي
 (الثانية) قال بعضهم من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بأحد عشرة أسباب إن
 يتوب فيتاب عليه أو يستغفر فيغفر له أو يعمل حسنات فيمحوها فإن الحسنات يذهبن
 السيئات أو يتلى في الدنيا بمصاب فيكفر عنه أو في البرزخ بالضعلة والفتنة فيكفر
 عنه أو يتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعت نبيه صلى الله عليه
 وسلم أو رحمته به تبارك وتعالى وتقدم في التوبة طرف صالح من هذا والله التوفيق
 (الثالثة) الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور على قسمين مجمل ومفصل
 أما المجمل فأنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم معاصيه فلا
 يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه
 أبدا فإن عذاب القبر بل وعذاب الآخرة اثر غضب الله وسخطه على عبده فمن
 اغضب الله واسخطه في هذه الدار بارتكاب مناهيه ولم ينب ومات على ذلك كان
 له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فستقل ومستكثر ومصدق
 ومكذب وأما المفصل فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين
 اللذين رآهما يعذبان في قبورهما أن أحدهما كان يمشي بالنسيئة بين الناس والآخر
 كان لا يستتر من البول والحديث في الصحيحين وغيرها ولفظه مرة النبي صلى الله
 عليه وسلم بقبرين فقال «أما لي عذابان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر
 من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنسيئة» ثم أخذ جريدة رطبة فشققها بثلثين
 ثم غرز على كل قبر منهما واحدة قالوا لم فعلت هذا يا رسول الله قال لعله يخفف
 عنهما ما لم ييبسا قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وقد روي عن هذا
 عن النبي صلى الله عليه بهذا المعنى من وجوه متعددة من حديث أبي بكر وعائشة
 وأبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي أمامة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين
 قال المحقق ابن القيم في الروح فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكاب السبب الموقف
 للمداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقا وفيه تنبيه على أن الموقع بينهم المداوة
 بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيها على
 أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها أشد عذابا وفي شعبة

أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس فهذا مغتاب وذالك نمام وفي صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق وفي حديث ابن مسعود في الذي ضرب في قبره سوطاً امتلاً القبر عليه ناراً لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومن على مظلوم فلم ينصره وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار وتعذيب الزناة والزواني وتعذيب آكل الربا كما شاهدتهم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ وحديث أبي هريرة وفيه رضح رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤسهم عن الصلاة والذين يأكلون الرقوم والضريع لتركهم الزكاة والذين يأكلون اللحم المتين الخبيث لزناهم والذين تقرض شفاهم بمقاريض من حديد لقيامهم في القبر بالكلام والخطب.

ومن الذين يعذبون في قبورهم وأخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم الجبارون والمتكبرون والمراءون والهازون واللازون والطعانون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجسين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيبرهم ونحو هؤلاء ممن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه ويعيو بهم عن عيبه فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقتها وصرها وكبرها ولما كان أكثر الناس كذلك كان أصحاب القبور معذنين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حشرات وعذاب فتسأل الله تعالى العافية والرحمة والعفو والغفران وبالله الإعانة والعون.

(الرابعة) الاسباب المنجية من عذاب القبر على قسمين أيضاً مجمل ومفصل أما المجمل فهو بحسب تلك الاسباب التي تنتضي العذاب ومن أنفعها ان يجلس عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود إلى الذنب إذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير الاجل وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يقبله النوم فمن أراد الله به

خيرًا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله واما المفصل فيها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله خير من ضيाम شهر وقيامه وان مات أجري عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » وفي سنن الترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فانه يجري عليه عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » قال الترمذي حديث حسن صحيح وتقدم ذكر الشهداء والذي يقرأ تبارك الملك فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر ألاما أحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي المائنة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » قال الترمذي حديث حسن غريب قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح رأينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل ألا أتخفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ (تبارك الذي بيده الملك) احفظها وعلها أهلك وولدت وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها أن ينجيه من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو ددت انها في قلب كل انسان من أمتي » قال أبو عمر بن عبد البر وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له - تبارك الذي بيده الملك »

﴿ تنبيهات ﴾

الاول أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وصيغته وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وأنكروا جلوس الميت في قبره قالوا وقد وضعوا على صدر الميت زيقا فكشفوا عنه فوجدوه بحالهم لم يجدوا فيه إلا نكدة

يضر بون الموتى بمطارق الحديد ولا وجدوا حيات ولا عقارب ولا نيرانا واجتنبوا وأجلبوا من مثل هذه الوسوس والتهرات وقال اخوانهم من أهل البدع والضلال كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله قالوا ونحن نرى المصلوب على الخشبة المدة الطويلة لا يسئل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً قالوا ومن افترسته السباع ونهشته الطير وتفرقت أجزاؤه في حواصل الطيور واجواف السباع وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف يسئل وكيف يصبر القبر على مثل هذا روضة أو حفرة وكيف يتسع قبره أو يضيق وأكثروا من هذا الهذيان

وأجاب عن ذلك أئمة الحق من علماء السنة وأمناء الأئمة بما يقع المفترين ويقنع عن الشاكين منهم الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح فانه أجاب عن ذلك بعدة أجوبة (منها) ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يخبر بما تحيله العقول بل أخبرهم قسماً أحدهما ما يشهد العقل والفطرة السليمة به والثاني ما لا تدركه العقول بمجرد ما كالتغيب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب فلا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً والحاصل ان الانبياء لا تأتي بمحالات العقول بل بمحارمها فكل خبر يظن ان العقل يحيله فلا يخلو من احد أمرين اما خطأ في النقل أو فساد في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها انها امر عقلي صريح والحال انه خيال وهي غير صحيح قل تعالى (و يرى الذين أتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) واما الذين في قلوبهم زيغ فلا يزيدون الا رجساً على رجسهم (ومنها) ان يضم الى خبر الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير ولا يحمل كلامه على ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وعما قصده من الهدى والبيان وباهمال ذلك حصل ما حصل من الضلال والعدول عن نهج الصواب (ومنها) ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها وركب هذا الانسان من بدون ونفس وجعل أحكام الدنيا على الابدان والارواح تبع لها ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات الانسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه فالعقوبات الدنيوية تقع على البدن الظاهر وتأنم الروح بالتبعية وجعل أحكام البرزخ على الارواح

والابدان تبع لها فكما تبعت الارواح الابدان في أحكام الدنيا فتأملت بألمها
والسذت براحتها ولذتها وكانت هي المباشرة لاسباب النعيم والعذاب فكذلك
تبع الابدان الارواح في عيها وعذابها وكان العذاب والنعيم على الروح ولها
بالاصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار الدنيا فاذا كان يوم حشر الاجساد
وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرها
على الارواح والاجساد باديا ظاهرا أصلا وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم
من عذاب القبر ونعيمه من هذا القبيل فاذا ظهر للذوق السليم طابق العقل
المستقيم (ومنها) ان الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجيبا
عن ادراك العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز الذين آمنوا بالغيب
من غيرهم فأول ذلك الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهد
عيانا ويتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وتكون معهم الاكفان
والحنوط إمامن الجنة وإمامن النار . ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد
يسلمون على المحتضر ويرد عليهم السلام تارة بلفظه وتارة بإشارة وتارة بقلبه اذا
لم يتمكن من الطلق والإشارة وقد سمع بعض المحتضرين يقول أهلا وسهلا
ومرحبا بهذه الوجوه ومن ذلك حكايات كثيرة وقد شاهدنا من ذلك ما لم يحظر
بالبال ولا يتصوره الخيال (ومنها) ان النار التي في القبر ليست من نار الدنيا
فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وانما هي من نار الآخرة فهي وان كانت أشد
من نار الدنيا الا ان شدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا
بل ربما دفن الرجلان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضة ونييم والآخر في
حفرة وعذاب اليم وقسرة الرب أعظم وأعجب من ذلك ولكن الكافرون
لا يشعرون (ومنها) أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من
ذلك فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويشل
له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم لا يراه
وكذلك غيره من الانبياء وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب
رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه

وتعالى حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث الله في الارض وهو بينهم فهذا جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والحاضرون لا يسمعونه وكيف يستنكر من عرف الله وأقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماهم حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصراً وسمعا من أن يثبت المشاهدة عذاب القبر وكثيرا ممن أشهده الله ذلك ضعف وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زما وبعضهم كشف قناع قلبه فمات وسر المسئلة أن توسعة القبر وضيقه واضاءته وخضرته وناره ليس من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه إنما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها وأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار به والايان سببا لسعادتهم ولو كشف عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفاته نتيجة الايمان بالغيب وما يترتب على ذلك من الثواب قلت وحاصل ذلك ان ما اخبر به الصادق المصدوق وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم تحمله العقول وحيث كان ممكنا فمعارضة صحيح الاخبار الحاد وهو كما انه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة قال المروزي قال أبو عبد الله الامام أحمد رضي الله عنه عذاب القبر حق لا ينكره الاضال مضل وقال حنبل قلت لابي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد أقرنا به اذا لم تقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه ورددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قلت وعذاب القبر حق قل حق يعذبون في القبور قال وسمعت أبا عبد الله يقول نؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر فقال سبحانه الله نعم نقر بذلك قلت هذه اللفظة تقول منكر ونكير هكذا أو تقول ملكين قال منكر ونكير قلت يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني انهما منكر ونكير قال الامام ابن القيم في كتابه الروح وأما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل وبشر المريسي من خرج عن سمة الايمان فإنه يعذب بين النفختين قالوا والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت قال ابن القيم واثبت الجبائي وابنه والباخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين واثبتوه

لأصحاب التخليد من الكفار والفاسق على أصولهم و بالله التوفيق
 ﴿التنبيه الثاني﴾

الحق عند أهل السنة ان عذاب النّبر على النفس والبدن قال شيخ الاسلام ابن
 تيمية قدس الله روحه العذاب والنّعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة
 تنعم النفس وتمّذب منفردة عن البدن وتنعم وتمّذب متصلة بالبدن والبدن متمتع بها
 فيكون النّعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون على الروح منفردة
 عن البدن وهل يكون العذاب والنّعيم للبدن بدون الروح فيه قولان مشهوران لأهل
 الحديث والسنة وأهل الكلام قال شيخ الاسلام وفي المسئلة أقوال شاذة ليست
 من أقوال أهل السنة والحديث أحدها قول من يقول ان النّعيم والعذاب لا يكون
 الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب قال وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون
 لمعاد الابدان وهو لا كفار باجماع المسلمين وبقوله كثير من أهل الكلام من
 المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ
 وانما يكون عند القيام من القبور وهو لا ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط
 ويقولون ان الارواح هي المنعمة والمعدّبة في البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت
 الروح والبدن معاً قال وهذا قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث
 وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مّة قال وهذا ليس من الاقوال الشاذة بل
 هو مضاف الى قول من يقر عذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الابدان
 والارواح ولكن هو لا لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال على الروح فقط عليها
 وعلى البدن به اسطفا على البدن فقط وهل يضم الى ذلك القول الثاني وهو قول
 من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الفساد قول منكر عذاب
 الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا فاذا جعلت الاقوال الشاذة
 ثلاثة (فالقول الثاني) الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تمّذب
 وانما الروح هي الحياة وهذا بقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والاشعرية
 كالناضي أبي بكر الباقلاني وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن وهو
 قول باطل وقد خالفه أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب

والسنة واتفاق الامة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة. قال
 والفلاسفة الالمانيون بقرون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهو لا يقررون بمعاد
 الابدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الابدان وكلا القولين
 خطأ وضلال نعم قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الاسلام وان وافقهم عليه
 من يعتقد أنه يتمسك بدين الاسلام بل يظن انه من أهل المعرفة والتصوف
 والكلام (القول الثالث) من الشواذ قول من يقول أن البرزخ ليس فيه
 نعيم ولا عذاب بل يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض
 المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونيمة بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن
 وان البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضالّون في أمر البرزخ الا
 أنهم خير من الفلاسفة لانهم مقررون بالقيامة الكبرى انتهى فإذا علمت هذه
 الاقوال وعرفت بطلانها فاعلم أن مذهب سالف الامة وأئمتها أن الانسان اذا
 مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد
 مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن احياناً فيحصل له معها النعيم
 والعذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا
 من قبورهم الى رب المعاد قال ابن القيم والذين قالوا إن عذاب القبر يجري على الميت
 من غير رد الارواح الى الاجساد وان الميت يجوز ان يألم ويحس بالآلام ويعلم بلا
 روح هم جماعة من الكرامية ومن وافقهم وقال جماعة من المعتزلة أن الله سبحانه
 يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فاذا حشروا وجدوا
 تلك الآلام وأحسوا بها قالوا وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغشى
 عليه لو ضربوه لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل أحسوا بالآلام والضرب وأنكر
 جماعة منهم عذاب القبر رأساً مثل ابن عمر ويحيى بن كامل وهو قول الماريسي فهذه
 أقوال أهل الخيرة والضلال وقد علمت مذهب سلف الامة وأعيان الائمة
 والله أعلم

﴿الثالث﴾

تقدم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب

فاله نصيبه منه قبرا ولم يقبر وسيفي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه سيفي ذكر منام النبي صلى الله عليه وسلم الطويل ورويته للمعدين وكيف يذهب فانه نص في عذاب البرزخ ورويا الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر والله التوفيق

الرابع

زعم أبو محمد بن حرم في كتاب الملل والنحل له أن من ظن الميت يحيا في قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ قال لان الآيات تمنع من ذلك يعني قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) قال ولو كان الميت يحيا في قبره لكان الله تعالى قد أمتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا قال وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ومن خصه نفس وكذلك قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال فصيح بنص القرآن ان ارواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى أجسادهم الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وذكر من مثل هذه انجيلات وهي آيات محكمات حملها على غير محاملها ثم قال ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح الموتى ترد الى أجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك عنه لقننا به قال وانما تفرد بهذه من رد الارواح الى الاجساد في القبور المنهال ابن عمرو وليس بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو أحد الأئمة ماجازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على ما قد قتل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك قال وهذا الذي قال وهو الذي صح أيضاً عن الصحابة وذكر آثارا يزعم انها تدل على ما قال قال الامام المحقق ابن القيم ان أراد ابن حزم بقوله من ظن أن الميت يحيا في قبره خطأ الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتدبره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحسب والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان أراد به حياة

أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح اليه إعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا ليسئل ويمتحن في قبره فهذا حق وفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله «فتعاد روحه في جسده» في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحده فقال «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات ثم قال «ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فجلسوا منه مد البصر ثم يحيي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتسيل كما تسيل القطرة من في السماء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الخنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها الحديث وفيه فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت الحديث وكذلك في حق الكافر وفيه فتعاد روحه جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه الحديث رواه الامام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه وأوله ورواه أبو عوانة الاسفرائني قال ابن القيم ان قوله «ثم تعاد روحه في جسده» لا يدل على حياة مستقرة وإنما يدل على إعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلي وتمزق وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغيرة الاحكام (أحدها) تعلقها به في بطن الأم جنينا (الثاني) تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض (الثالث) تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجهه ومفارقة من وجهه (الرابع) تعلقها به في البرزخ فانها وإن فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها اليه التفات البتة وقد ذكرنا من الاحاديث ما يدل على ردها اليه وكذلك ثبت

(ش ٢ عقيدة السفاريني - ٤)

انها ترد اليه عند سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة ، لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة (الخامس) تعلقها به يوم بث الاجساد وهو اكل تعلقاتها بالبدن .
ولان نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه فوتاً ولا نوماً ولا فساداً وقول ابن حزم في المنهال ما قال تعامل منه بارد فالمنهال بن عمرو أخذ الثقات المدول قال الامام يحيى بن معين المنهال ثقة وقال العملي كوفي ثقة .
وأعظم ما قيل فيه انه سمع من يثنه صوت غناء وهذا لا يوجب القسح في روايته وتضعيف ابن حزم له غير معتبر فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه في جسده وقد استدرك عليه زعمه تفرده بها الامام المحدث ابن القيم وبين انه لم ينفرد بها بل رواها غيره وقد روي ما هو ابلغ منها ونظيرها كقوله تفرد اليه روحه وقوله فيستوي جالسا وقوله فيجلسانه وقوله فيجلس في قبره وكلها أحاديث صحاح لا مغز فيها والا حاديث الصحيحة صريحة بخلاف ما زعم ابن حزم وأطال ابن القيم في ذلك بما يشفي ويكفي وبالله التوفيق

﴿فصل﴾

في ذكر الروح والكلام عليها وقد أشار الى قطرة من بحر لجي من متعلقاتها فقال
﴿وان أرواح الوري لم تعد مع كونها مخلوقة فاستفهم﴾
﴿و﴾ مما ينبغي العلم به ﴿ان أرواح﴾ بني آدم جمع روح قد اختلف في حقيقتها وهل هي النفس أو غيرها وهل هي جزء من البدن أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطاؤهم ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية وهدى الله أتباع الرسول وساف الأمة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . قال الامام ابن القيم بعد ما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزيفها ثم قال والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء

ويسري فيها سر يان الماء في الورد وسر يان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فدامت هذه الاعضاء سالحة لقبول الآثار الفائضة عليهما من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والارادة وإذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح قال وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواء باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا وأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وامثالهما ونحوهما

﴿فائدة﴾

ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح القلب واستدل له بحديث ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «أما النفس في القلب والقلب بالنياط والنياط يسقي العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق» وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة فيه غريب كثير واسانيد ضعيفة جداً والله أعلم واما اختلاف الناس في الروح وهل هي النفس أو غيرها فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد وهذا قول الجمهور وقيل بل هما متغايران قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح النفس تطلق على أمور (أحدها) الروح قال الجوهري النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

نجاسا والنفس منه بشدة ولم ينجس الا بجنس سيف ومثزر أي بجنس سيف ومثزر والنفس الدم يقول سالت نفسه في الحديث «مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه» والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بني تميم ادخلوا أنيابهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم والنفس العين يقال اصابته فلانا نفس أي عين قال ابن القيم ليس كما قال فالنفس هاهنا الروح ونسبة الاصابة الى العين توسع لأنها تكون بواسطة النظر والذي أصابه إنما هو نفس العائن وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى (فسلموا على أنفسكم - ولا تقتلوا أنفسكم - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها -

كل نفس بما كسبت رهينة) وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى (بأيها النفس المطمئنة - وأخرجوا أنفسكم - ونهى النفس عن الهوى) وقوله (إن النفس لامارة بالسوء - ولا أقسم بالنفس اللوامة) وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانزاده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن كقوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحنا من أمرنا) وعلى الوحي كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) وقال (وينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده إن أنذروا أنه لا آية إلا أنا فاتقون) وأما سبي ذلك روحاً لما يحصل به من الحياة النافذة فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خبيث منها وأسلم عاقبة وسميت الروح روحاً لان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح ريحاً لما يحصل بها من الحياة وهي من ذوات الواو ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر

إذا هبت الأرواح من نحو أرضكم وجدت لمسراها على كبدي برداً

ومنها الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحاً لحصول الحياة بها وسميت نفساً أما من الشيء النفس لغاستها وشرفها وأما من تنفس الشيء إذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفساً ومن النفس بالتحريك فإن العبد كل ما دام خرجت منه فإذا استيقظ رجعت إليه فإذا مات خرجت خروجاً كلياً فإذا دفن عادت إليه فإذا سئل خرجت فإذا بعث عادت إليه أي رجعت له قال الامام ابن القيم والفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وإنما سمي الدم نفساً لان خروجه الذي يكون مع الموت يلزم خروج النفس وأن الحياة لانتم الاباء كما لانتم الا بالنفس ولهذا المعنى قال السموئيل

نسبل على حد الطبات نفوساً وليست على غير الطبات نسبل - -

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال أفاض اذا دفع باختيائه وارادته وفاض اذا دفع قهراً أو قسراً فانه سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي وقالت فرقة من أهل الحديث والفقهاء والتصوف الروح غير النفس قال مقاتل بن سليمان للانسان حيات ودوح ونفس وادا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج في كبل

ممتد له شعاع فيرى الرويا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه ينقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح اسرع من طرفة عين فاذا أراد الله تعالى أن يميت في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت وقال أيضا اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الرويا رجعت فاخبرت ونجبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قد رأى كيت وكيت وقال أبو عبد الله بن منده من علمائنا ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينة نارية والروح نورية روحانية وزعم بعضهم أن الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وأن الخلق بها ابتلي . وقال طائفة من أهل الاثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم منها فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح تدعو الى الآخرة وتوثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمددهما بالهامه وتوفيقه وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله وقالت طائفة للمؤمن ثلاث أرواح ولا كافر والمنافق روح واحدة وقال بعضهم للانبياء والصدّيقين خمسة أرواح وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فان صفت رجعت الى المملكوت ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قالت الروح التي تتوفى ونفيض روح واحد وهي النفس وأما ما يؤيد الله به أوليائه من الروح فهي روح أخرى غير هذه الروح كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وكذا التي أيدها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى (اذ كرنا معني عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده وهي غير الروح التي في البدن وأما القوى التي في البدن وان أطلق عليها أرواحا (١) كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهي قوى مودعة

(١) قوله وان أطلق عليها أرواحا الخ الذي في كتاب الروح « فانها تسمى أيضا أرواحا » الخ ولا يخلو كثير نقله من مثل هذا التصرف ولا تعرض له

في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى قال وتطلق لروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والالابة اليه ومحبة وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته ونسبة هذا الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يوبد بها أهل ولايته ولهذا يقال فلان فيه روح وفلان مافيه روح وللمجبة روح وللالانة روح وللتوكل والصدق روح والناس متفاوتون في هذه الارواح أعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيا بهيميا والله المستعان (الورى) محله جر بالاضافة الى الارواح أي أرواح الورى قال في القاموس والورى كفتى الحاق والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يطن لان التكليف والمعاد والحساب يشملهم (لم نعدم) بموت الابدان التي كانت فيها أولا تموت هي ولا تنفى وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا ودلت الادلة على انه لا يبقى الا الله تعالى وحده كما قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فانفوس البشرية أولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها (مع كونها) أي الارواح (مخلوقة) لله تعالى ومحدثة ومربوبة اوجدها بعد ان لم تكن (فاستفهم) أي طلب علم ذلك من مظاهره واستكشفه من مكانه يقال فهم كفتح فهماً ويحرك وهي أفصح وفهامه وفهامية علم الشيء وعرفه بالقلب وهو فهم ككتف مرفيع الفهم واستفهمني طلب مني فهم المطلوب فأفهمته وفهمته فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لا كذساب الآراء والذكا جوده تلك القوة والذهن قيل يرادف الفهم وقدمه في القاموس فقال الذهن بالكسر الفهم والمقل وحفظ القلب والفتة وقال غيره الذهن هو نفس القوة والفهم استمعالها وانما حث على طلب الفهم في ذلك وامعان التدقيق لادراك تلك المدارك لاختلاف مقالات الناس في هذا المقام ولانه منزلة أقدام ومظلة أرواح وحاصل ذلك انه ذكر مسئلتين عظيمتين الاولى ان الروح مخلوقة محدثة والثانية ان الدم لا يدركها والفناء لا يلحقها ولنذكر أدلة كل مسألة

وحكمها وما فيها من الخطأ والصواب على حدة وانقدم أولا ما آخره في النظم نظرا
للواقع فنقول

اعلم رحمك الله ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بني آدم
وهدى الله اتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين فاجمعت الرسل
وصلوات الله وسلامه عليهم على ان روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة
مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله
تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين
وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها مخلوقة
حتى نبغت نابغة (١) ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة واحتج
لذلك انها من امر الله وامر الله غير مخلوق وان الله اضاف اليه كما اضاف اليه عمله وكتابه
وقدرته وسمعه وبصره ويده وتوقف آخرون فقالوا لا تقول مخلوقة ولا غير مخلوقة

وقد سئل عن ذلك حافظ اصبهان أبو عبد الله بن مائدة من أعيان علمائنا
فقال اما بعد فان سائلا يسأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق
وأبدانهم وذكر أقواما تكلموا في الروح وزعموا انها غير مخلوقة وخص بعضهم
منها أرواح القدس وانها من ذات الله قال وانا اذكر أقاويل متقدميهم وأبين
ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والآثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم
وأوضح به خطأ المتكلم في الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان
وأصحابه فذكر ان الناس اختلفوا في معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم
الارواح كلها مخلوقة قال وهذا مذهب أهل الجماعة والآثر واحتجت بقول النبي
صلى الله عليه وسلم «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف» رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
ورواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ورواه الطبراني من حديث ابن
مسعود رضي الله عنه وروي أيضا من حديث سلمان الفارسي وعبد الله بن عباس

وأمر المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عتبة رضي الله عنهم أجمعين والجنود المجدة لا تكون الامخلوقة . وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتج بقوله تعالى قل الروح من أمر ربي وقال بعضهم الارواح نور من الله تعالى وحياة من حياته واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره» - وتام الحديث - فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ما تأولته الصار في روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدس اسماؤه فصارت في المرء فبعد صنف من التصاري عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم روح من الله فصارت في مريم فهو غير مخلوق عندهم وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم عليه السلام مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله (ونفخت فيه من روحي) وقوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحي) فرعوا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصي الى ان صار في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم في ابنه الحسن والحسين رضي الله عنهما ثم في كل وصي وامام فيه يعلم الامام كل شيء لا يحتاج ان يتعلم من أحد قال ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح في آدم وبنيه عيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وانشاها وكونها واخبرها ثم اضافها الى نفسه كما اضاف اليه سائر خلقه قال تعالى (وسخر لكم مابي السموات وما في الارض جميعا منه)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه: روح الآدمي مخلوقة مبتدئة باتفاق الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك أبو محمد بن قتيبة وقال الامام أبو اسحق بن شافلا من أئمة علمائنا وهذا يعني كون الروح مخلوقة مما لا يشك فيه من وفق

للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح قد تكلم في هذه المسئلة طوائف من اكابر العلماء والمشايع وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري والقاضي أبو يعلى وقد نص على ذلك الأئمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه في ما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية قال ثم ان الجهمي ادعى أمرا فقال انا اجد آية في كتاب الله مما يدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وعيسى مخلوق: قلنا له ان الله منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لانا نسميه مولودا وطفلا وصبيًا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي يجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن ما نقول في عيسى الى ان قال والكلمة التي ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكان من الله قولاً وليس كن مخلوقاً وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقه من هذا الثوب قلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله تعالى وروح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) منه يقول من أمره وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله كما يقال عبد الله وسماؤه الله وأرض الله فمصرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد أضاف الله اليه روح الذي أرسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك

فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله
ومما ينبغي ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه وتعالى صفات لا تقوم بانفسها
كالعلم والقسرة والكلام والسمع والبصر وهذه اضافة صفة الى الموصوف بها
فالعلم والقسرة الخ صفات له تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من
الصفات الحسية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها في مذهب
السلف كما مر (والثاني) اضافة اعيان منفصلة كيبت الله وناقته الله وعبده الله ورسول
الله وكذلك روح الله فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكنها
تقتضي تخصيصاً أو تشريهاً يتميز به المضاف اليه عن غيره كيبت الله وان كانت
كل البيوت لله ملكاً له وكذلك ناقته الله والوقى كلها ملكه وخلقه ولكن هذه
اضافة الى الهية تقتضي محبة لها وتكرمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى
ربوبية حيث تقتضي خلقه وإيجاده فالاضافة العامة تقتضي الخلق والإيجاد
والخاصة تقتضي الاختيار (والله يخلق ما يشاء ويختار) فاضافة الروح الى تعالى
من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات فتأمل هذا
الموضع فانه نفيس ويخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس
كما أوضحه وبرهن عليه وبينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح وقال ان
الروح يوصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا من شأن المحدث
المربوب وأطال في الاحتجاج ودفع مقالات أهل البدع والابحاج ونمرة ذلك كون
الروح مخلوقة بالاجماع والله تعالى الموفق

المسألة الثانية

مما ذكر في أصل العقيدة بقاء الارواح وانه لا يلحقها عدم ولا فناء ولا
اضمحلال لانها خلقت للبقاء وأما تموت الابدان وقد دلت على هذا الاحاديث
الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد مفارقتها لابدانها الى أن يرجعها الله تعالى
اليها ولو ماتت الارواح لا تقطع عنها الععم والعذاب وقد قال الله تعالى (ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) فرحين بما آتاهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) مع القطع بأن ارواحهم

قد فارقت أجسادهم وتسد ذائق الموت قبل المحقق ابن القيم الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فان أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فانها لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقتها في نعيم أو عذاب وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله

تأزغ الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلق في الشجب
فقل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

الشجب بالشين المعجمة والجيم فوحدة محركا الحزن والعنت يصيب من مرض أو قتال كما في القاموس فان قبل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي أو تموت ثم نحيا فالجواب قد قال الله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الارض الا من شاء الله) فقد استثنى الله تعالى بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقليل هم الشهداء وهذا قول أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وسعيد بن جبير رحمه الله وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملاك الموت وهو قول مقاتل وغيره وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها قال الامام أبو اسحق بن شاقلا من أصحابنا وقد نص امامنا الامام أحمد رضي الله عنه على ان الحور العين والولدان لا يموتون عند النفخ في الصور وقد أخبرنا سبحانه ان أهل الجنة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان واما قول أهل الدار (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فتفسر هذه الآية الآية التي في سورة البقرة وهو قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة أرواحهم قبل يوم القيامة والا كانت ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح « ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى أخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق

قبلي أم جوزي بصعقة يرم الطور، فهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله لفصل
 القضاء وأشرقت الارض بنوره حينئذ يصعق الحلائق كلهم قال تعالى (فذرهم حتى
 يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) ولو كان هذا الصعق موتا لكانت مorte أخرى
 قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء
 فقال أبو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشي تكون يوم
 القيامة لاصعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور قال وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو
 ظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة
 الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضي ان ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة
 الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء بمحتمل ان يكون موسى عليه السلام ممن
 لم يمت من الانبياء وهذا باطل وقال القاضي عياض بمحتمل ان يكون المراد بهذه
 صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتنسق الاحاديث
 والآثار ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه
 حين يخرج من قبره يلقي موسى آخذاً بقائمة العرش قال وهذا إنما هو عند نفخة
 الفزع قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمرو والدي يزيج هذا الاشكال
 ان شاء الله تعالى ان الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال الى حال
 ويدل على ذلك ان الشهداء بعد موتهم وقتلهم احياء عند ربهم يرزقون فحين
 وهذه صفة الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك أحق
 وأولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لآناً كل أجساد
 الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس
 وفي السماء وخصوصاً بموسى عليه وعليهم السلام وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم انه
 ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل
 من جلته القطع بأن موت الانبياء إنما هو راجع الى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندرهم
 وان كانوا موجودين احياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم احياء موجودون ولا
 نراهم واذا تقرر أنهم احياء فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في
 السموات والارض الا من شاء الله فاداً صعق غير الانبياء موت واما صعق الانبياء

فلا يظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه افاق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته «فأكون أول من يفيق» فبينما صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الاموسي فانه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفقيا لانه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى عليه السلام ولا يلزم من فضيلة واحدة فضيلة موسى عليه السلام على نبينا مطلقا لان الشيء الجزئي لا يوجب أمرا كليا انتهى قال أبو عبد الله القرطبي ان حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا اشكال وان حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة مراداً به أوائله فالمعنى اذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور قال المحقق ابن القيم وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم تردد هل افاق موسى قبله أو لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى لا أدري أصعق أم لم يصعق وقد قال في الحديث فأكون أول من يفيق وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق ولو كان المراد به الصعقة الاولى وهي صعقة الموت لكان قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أو لم يموت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم انها صعقة فزع لاصعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على ان الارواح تموت عند النفخة الاولى نعم تدل على موت الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ واما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على انه يموت موة ثانية والله أعلم

﴿تمة﴾

﴿في مسائل مما نحن بصدده من أمر الروح﴾

(الاولى) اختلف في خلق الارواح هل كان قبل الاجساد أو تأخر عنها فللناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم ويبرزها ومن ذهب الى تقدم خلق الارواح على الاجساد محمد بن نصر

المروزي وأبو محمد بن حزم بل حكاه ابن حزم أجماعاً واحتج من قال بذلك
بمعجيز منها قوله تعالى (وانمأ خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا) وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة أن خلقنا مقدم على أمر
الله للملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعاً أن أبداننا حادثة بعد ذلك فلم
انها الارواح قالوا ويدل عليه قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وهذا الاستطلاق والأشهاد
أما كاذب لارواحها إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة فني مؤلفاً الامام مالك أن
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذا أخذ ربك
من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل
عنها فقال «خلق الله آدم ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء
لنار وبعمل أهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون»
فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله إذا خلق
الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة
فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل
من أعمال أهل النار فيدخله به النار» قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم وروى
الحاكم من حديث أبي هريرة عن فروعا «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره
كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين عني كل إنسان
منهم وبصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب فقال هؤلاء
ذريتك فرأى رجلاً منهم أعجبه وبص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا فقال
هذا أدك داود يكون في آخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة
قال يا رب رده من عمري أربعين سنة فقال الله إذا يكتب فيختم فلا يبذل
فلما انتصى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة فقال
أولم يجعلها لآبائك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسبي فقتلت ذريته وخطي
فخطئت ذريته» قال الحاكم هذا شرط مسلم ورواه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لما

نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول من جحد آدم عليه السلام» وزاد ابن سعد ثم أكمل الله لأدم ألف سنة ولداود مائة سنة وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى (واذا أخذنا من بني آدم من ظهورهم الآية) قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحهم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألا تستبرئوا إلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوأبي شيئا فإني أرسل إليكم رسلا بذلك نذكركم وعهدي وميثاقى وأنزل عليكم كتبى فقالوا نأشهد أنك ربنا وألهمنا لأرب لنا غيرك ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لوسويت بين عبادك فقال إني أحب أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج وخصوصا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله تعالى (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهو قوله (هذا نذير من النذر الأولى) وقوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) قال وكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها وهذا اسناد صحيح وأخرجه اسحق ابن راهويه ورواه محمد بن نصر المروزي من حديث عبد الله بن سلام وقد روى ذلك من وجوه متعددة عن جماعة من الصحابة متعددة وفيه أنه أخرجهم مثل الذر ومثل اللؤلؤ أيضا وروى اسحق ثنا روح بن عبادة ثنا موسى بن عبيدة الزبيدي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه الآية اقروا له بالآيمان والمعرفة الأرواح قبل أن تخلق أجسادها قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء في هذه الآية قال أخرجوا من صلب آدم حين أخذ الميثاق ثم ردوا في صلبه وأخرج عن الضججك قال إن الله أخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون إلى يوم القيامة فأخرجهم مثل الذر فقال ألا تستبرئوا إلى قالت الملائكة شهدنا إن

يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة يمينه فقال هؤلاء في الجنة وقبض أخرى وقال هؤلاء في النار واحتجوا أيضا بما أخرجه الامام عبيد الله بن منده من حديث عمرو بن عتبة رضي الله عنه مرفوعا ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا بحجج منها قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل ان جلته مخلوقة بعد خلق الابوين وصرح منه قوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق أصله وأيضا خلق أبي البشر وأصلهم كان هكذا فان الله أرسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صورته ثم نفخ فيه الروح بعد ان صورده فلما دخلت الروح فيه صار لحما ودماء حيا ناطقا فني تفسير أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سمو الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في حذره وقال ما اعطاني الله هذا الامزية لي وفي لفظ الامزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وذكر الاثر الى ان قال فبعث جبريل الى الارض لياتيه بطين منها فقالت الارض اني أعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع لم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فأعذت منه فأعادها فبعث ملك الموت فأعذت منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أفقد أمره فأخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل الرب حتى عاد ملينا لازبا واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

ساجدين) فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أما عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أر بعين سنة فمرت به الملائكة ففرزوا منه لما رأوه وكان أشدهم فرعا منه ابليس فكان يمر به فيضر به فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لا امر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه الروح فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتبهى الطعام قبل أن بلغ الروح رجليه فبهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى (خلق الانسان من عجل) وذكر باقي الحديث فالقرآن والحديث والآثار تدل على أنه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولا تعجبت من خلق النار في حديث ابن زيد «ان الله لما خلق النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولا أي شيء خلقتها قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن لله خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق آدم بعد» الحديث فلو كانت الارواح مخلوقة يومئذ لما تعجبت الملائكة من خلق النار وقالت لأي شيء خلقتها وهي ترى أرواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «ان خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أر بعين يوم انطفئة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح» فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل اليه الملك بالروح فيدخلها في بدنه وانما أرسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لانه تعالى أرسل اليه الروح التي كانت موجودة

قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك ففرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح وبين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك ونأمل ما دل عليه النص قال ابن القيم في كتابه الروح واختار ان خلق الجسد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابن حزم وغيره بما يطول ذكره وحاصل ما ذكر ان الذي استدلوا به من أخذ الله الميثاق على ذرية آدم والهد والاشهاد لا يدل على تقدم خلق الارواح قبل الاجساد خلقنا مستترا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وامثالهم في صور النور واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلهم ان صح الخبر بذلك والذي صح انما هو القدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد واما استدلال أبي محمد بن حزم بقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فلا تليق هذا الاستدلال بظاهريته لترتب الامر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم عليه السلام ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وقال مجاهد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهر آدم وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما يقال ضرب بناكم وانما ضربت سيدهم قال واما حديث خلق الارواح قبل الاجساد بالني عام فلا يصح اسناده فان فيه عتبه بن السكن قال الدارقطني متروك وفيه ايضا ارطاه ابن المنذر بعض احاديثه غلط والحاصل ان الذي ذهب اليه ابن القيم تبعا لشيخه وجوع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الارواح وذهب محمد ابن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم والامام اسحق بن راهويه الى تقدم خلق الارواح والله التوفيق

فائدتان

(الاولى) روى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم نيمان - يعني عرقته - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا» قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه مشير الغرام الساكن الى أشرف

الاما كن هذا الحديث يدل على ان ذلك المكان أول وطن والنفس أبدا تنازع الى الوطن الاول

(الثانية) ذكر الامام أبو الفرج ابن الجوزي في الكتاب المذكور ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق كتب كتابا على الذرية فألقمه هذا الحجر يعني الحجر الاسود فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء وعلى الكافرين بالجحود قال وهذا مروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال العلماء ول هذه الملة يقول لامه: إيماننا بك ووفاء بعهدك: انتهى

المسئلة الثانية

من مسائل متعلقات الروح أين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة هل في السماء أم في الارض وهل هي في الجنة والنار أم لا وهل تدع في أجسادهم تكون مجردة فهذه من المسائل العظام قد تسلك فيها الناس واختلفوا في ذلك وهي انما تتلقى من السمع فقط ومع ذلك فقد اختلفت فيها أقوال العلماء وتباينت في معالها آراء الفضلاء فقال قوم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالقبول والرحمة لهم وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ومن نحا نحوهم وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها وقالت طائفة الارواح على أفنية قبورها وقال الامام مالك بلغني ان الروح مرسله تذهب حيث شاءت وقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة وقال أبو عبد الله بن منده قالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزدوا على ذلك قال وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجافية وأرواح الكفار بئر برهوت بحضر موت وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبد الله أبا اليان هبل لانفس المؤمنين يجتمع فقال ان الارض التي يقول الله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) قال هي الارض التي يجتمع اليها أرواح المؤمنين حين يكون البعث وقالوا هي الارض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا وقال

كعب أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سبعين في الأرض السابعة تحت خد ابليس وقالت طائفة أرواح المؤمنين يبشر زمزم وأرواح الكفار يبشر برهوت وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت وهذا مثل قول الامام مالك بل هو مستند له وقالت طائفة أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله وقال ابن حزم ومن وافقه مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها بناء على مذهبه الذي اختاره وهو ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد وتقدم ما فيه قال الامام المحقق ابن القيم جمهور الناس على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك والحاصل ان مدار حججهم على اخبار غير صحيحة أو نصوص صحيحة ولكن دلالتها على ما زعموه غير صريحة وقوله مستقرها بعد مفارقة أبدانها في البرزخ الذي كانت فيه قبل خلق أجسادها مبني على ما ذكر من اعتقاده وان أرواح السعداء عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الاشقياء عن يساره وزعمه ان ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الاسلام والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة وأدلة القرآن تدل على ذلك وقد وافق ابن حزم الجمهور على أن أرواح الشهداء في الجنة ومعهم ان الصديقين أفضل منهم فكيف تكون روح أبي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا العالم الاذني تحت السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء رمانا فوق العناصر وفوق السموات وما زعم أبي محمد بن حزم ان الامام اسحق ابن راهويه ذكر ما قاله وذهب اليه بعينه وقال وعلى هذا جميع أهل الاسلام باطل فان اسحق لم يقل ان مستقر الارواح عند انقطاع العناصر وانما قال محمدين نصر المروزي في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى (واذ أخذ ربك من نبي آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية فقد ذكر الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم أخذ الميثاق

عليهم وردهم في صلبه وأنه أخرجهم مثل الذر وأنه قسمهم اذ ذاك الى شقي وسعيد وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال قال اسحق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم الآية ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح اذ كراين حزم حيث منقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه أخرجها حينئذ فخطبها ثم ردها الى صاحب آدم وهذا وان كان قد قاله جماعة من السلف والخلف كما مر فالذي صححه ابن القيم والجمهور خلافه ولو سلم ان خلق الارواح قبل الاجساد لم يكن فيه دليل على ان مستقر الارواح حيث منقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقرها أولا

وقالت طائفة مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها العدم المحض وهذا أيضا باطل لا يلتفت اليه فان صاحب هذا القول يزعم ان الروح عرض من أعراض البدن وهو الحياة وبه قال ابن الباقلاني ومن وافقه وكذا قال أبو الهذيل الملاف المعتزلي النفس عرض من الاعراض ولم يعينه انه الحياة كما عينه ابن الباقلاني بل قال الروح عرض كسائر أعراض الجسم وهو لا عندهم ان الجسم اذا مات عدت روحه فلا تعذب ولا تنعم وانما يعذب وينعم الجسد اذا شاء الله تعذيبه وتنعيمه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وتعذيبه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة وقال بعض أرباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب قال الامام ابن القيم وهذا قول يردده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقول والفطر قال وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره والله أعلم

وقالت طائفة أخرى مستقر الارواح بعد الموت ابدان أخرى غير هذه الابدان فهذا فيه حق وباطل فحتمه ما أخبر به الصادق المصدوق عن ارواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تأري الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كالا وكر لاطائر وقد صرح بذلك في قوله جعل ارواحهم في أجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه وسلم «نسمه الموتى من طائر يعلق في شجر الجنة» يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا للروح

كَالْبَدَنِ لَهَا وَيَكُونُ ذَلِكَ لِبَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الرُّوحُ صُورَةً طَائِرٍ وَهَذَا اخْتِبَارُ ابْنِ حَزْمٍ وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَمْلِكُ بِغِيٍّ أَنَّهُا تَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّهَا تَمْسُخُ فِي صُورَةِ الطَّيْرِ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَمَّا الزِّيَادَةُ الَّتِي فِيهَا أَنَّهُا فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خُضْرٍ كَأَنَّهَا صِفَةُ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ الَّتِي تَأْوِيهَا قَالَ وَالْحَدِيثَانِ مَعًا حَدِيثٌ وَاحِدٌ قَالَ الْمُحَقِّقُ ابْنُ أَقِيمٍ وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ فِي غَايَةِ الْفَسَادِ لَفْظًا وَمَعْنَى فَإِنْ حَدِيثُ «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ تَمْلِكُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ» غَيْرُ حَدِيثِ أَرْوَاحِ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خُضْرٍ وَالَّذِي ذَكَرَهُ يَحْتَمِلُ فِي الْأَوَّلِ وَإِنَّمَا الثَّانِي فَلَا يَحْتَمِلُهُ بِرَجْحٍ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا أَرْوَاحَهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خُضْرٍ وَفِي لَفْظٍ يَبْضُ وَإِنَّ تِلْكَ الطَّيْرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ فَأَكَلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ تَحْتَ الْعَرْشِ هِيَ لَهَا كَالْأَوَّكَارِ لِلطَّائِرِ وَقَوْلُهُ أَنَّ حَوَاصِلَ تِلْكَ الطَّيْرِ هِيَ صِفَةُ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا خَطَأٌ قَطْعًا بَلْ تِلْكَ الْقَنَادِيلُ مَأْوَى لِتِلْكَ الطَّيْرِ فَهِيَ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ مُشْرَحٌ بِهَا الْحَدِيثُ أَرْوَاحُ وَطَيْرٌ هِيَ فِي أَجْوَافِهَا وَقَنَادِيلُ مَأْوَى لِتِلْكَ الطَّيْرِ وَالْقَنَادِيلُ مُسْتَقَرَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ لَا تَسْرَحُ وَالطَّيْرُ تَسْرَحُ وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ وَالْأَرْوَاحُ فِي أَجْوَافِهَا فَإِنْ قِيلَ يَحْتَمِلُ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَهَا فِي صُورَةِ طَيْرٍ لِأَنَّهَا تَرْكَبُ فِي بَدَنِ طَيْرٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي اللَّفْظِ الْآخَرِ أَرْوَاحَهُمْ كَطَيْرِ خُضْرٍ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْأَشْبَهُ عِنْدِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ يَكُونُ الْقَوْلُ قَوْلَ مَنْ قَالَ كَطَيْرٍ أَوْ صُورَةِ طَيْرٍ لِمَطْلَبَتِهِ لِحَدِيثِ نَسَمَةِ الْمُؤْمِنِ وَقَدْ أَجَابَ الْمُحَقِّقُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ رَوَى بِهِذَيْنِ الْأَفْظِينَ وَالَّذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ مَسْرُوقٍ «أَرْوَاحَهُمْ فِي جُوفِ طَيْرِ خُضْرٍ» وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكُتِبَ بِنِ مَالِكٍ فَلَمْ يَخْتَلَفْ حَدِيثُهُمَا فِي أَنَّهَا فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خُضْرٍ قَالَ الْمُحَقِّقُ وَلَا يَجُوزُ فِي هَذَا وَلَا يَعْطِلُ بَقَاعِدَ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَلَا يَخَالَفُ نَصًّا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَلْ هَذَا مِنْ تَمَامِ إِكْرَامِ اللَّهِ لِلشَّهَدَاءِ أَنْ أَعْاضَهُمْ مِنْ أَبْدَانِهِمُ الَّتِي مَزَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَبْدَانًا أُخْرَى خَيْرًا عَنْهَا تَكُونُ مَرْكَبًا لِأَرْوَاحِهِمْ لِيَحْصُلَ بِهِمَا كَالِ تَنَعُّمِهِمْ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رُدُّ أَرْوَاحِهِمْ إِلَى تِلْكَ الْأَبْدَانِ الَّتِي كَانَتْ

فيها في الدنيا فان قيل هذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في أبدان غير
أبدانها التي كانت فيها فالجواب هذا معنى دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة
حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمي له تناسخا لظائره مما دل عليه النقل
ولم يحله العقل من صفات الله تعالى وحقائق أسمائه الحسنی حق لا يبطله
تسمية المعطيين لها تركيبا وتجسيدا قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا نزيل
عن الله عز وجل صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين فان هذا شأن
أهل البدع يلقبون أهل السنة وأقوالهم باللقاب التي ينفرون عنها الجهال
ويسمونهم حشوا وتركيبا وتجسيدا يسعون عرش الرب تبارك وتعالى حيزاً وجهة
ليتوصلوا بذلك الى نفي استوائه وعلوه على خلقه وكما تسمى الرافضة موالاة
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا وأمثال
ذلك والمقصود ان ما دلت عليه السنة الصريحة من جعل أرواح الشهداء في أجواف
طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى

واما ما اشتمل عليه من الباطل فالتناسخ الباطل الذي يقوله اعداء الرسل من
الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ويزعمون ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان
الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها وتشاكلها فاذا فارقت
هذه الابدان انتقلت الى أبدان تلك الحيوانات فتتم فيها وتعذب ثم تفارقها
وتحل في أبدان أخر تناسب أعمالها وأخلاقها وهلم جرا فهذا معادها عندهم ونعيمها
وعذابها لا معادها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل
والانبياء من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر فهذه الطائفة تقول أن
مستقر الارواح بعد مفارقة ابدانها الاصلية أبدان الحيوانات التي تناسبها وهو أبطل
قول واخبث

ويليه قول من يزعم ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تنعم ولا
تعذب بل النعيم يقع على اجزاء الجسد أو على جزء منه اما عجب الذنب وغيره فيخلق
الله فيه الالم واللذة اما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض أرباب هذا القول أو بدون رد
لحياة كما قاله آخرون منهم فهو لا عندهم لا عذاب في البرزخ الاعلى الأجساد

و يقابله من يقول ان الروح لا تعود الى الجسد بوجه ولا اتصل به والعذاب والميم
على الروح فقط والصحيح خلاف هؤلاء وهؤلاء فאלسة الصحيحة المتواترة تبين
ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين

واما قول من قال ان ارواح المؤمنين تجمع بيترزمنم فلا دليل على هذا من كتاب ولا
سنة يجب التسليم لها ولا قول صحابي يجب ان يوثق به واما قول من قال ان ارواح المؤمنين
بالجاية وأرواح الكفار بيتر برهوت بحضرموت فقال ابن حزم هذا من قول الرافضة قال
الامام المحقق وليس كما قال بل قاله جماعة من أهل السنة قال الحافظ أبو عبد الله
ابن منده روي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجاية ثم
روي بسنده عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال ارواح المؤمنين
تجتمع بالجاية وان ارواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت ثم
روي بسنده عن شهر بن حوشب أن كعباً رأى عبد الله بن عمرو وقد تكلم الناس
عليه يسألونه فقال له رجل سله أين اروا المؤمنين وأرواح الكفار فسأله فقال
أرواح المؤمنين بالجاية وأرواح الكفار ببرهوت قال ابن منده ورواه أبو داود
وغیره ثم ساق بسنده عن أبي الطفيل عن علي قال خبر بئر في الارض يزعمون وشرب
في الارض برهوت بئر في حضرموت وخبر واد في الارض وادي مكة والوادي
الذي أهبط فيه آدم في الهدم منه طيكم وشرب واد في الارض الاحقاف وهو في حضرموت
ترده أرواح الكفار وروي عن ابن عباس عن علي رضي الله عنهم قال أبغض بقعة في
الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنها اسود
كأنه قيح تأوي اليه الهوام ثم ساق ابن منده من طريق ابن اسحق القاضي حدثنا علي
ابن عيسى الله ثنائيان ثنا أبان بن ثعلب قال قال رجل بت فيه يعني وادي
برهوت فكانما حسرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يادومه يادومه قال أبان
فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومه هو الملك الذي على أرواح الكفار قال
مسيان وسألا الحضرميين فقالوا لا يستطيع أحد بيت فيه بالبل

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح فهذه جملة ما علمته في هذا القول فان
أراد عبد الله بن عمرو بالجاية التمثيل والتشبيه وأنها تجتمع في مكان فسيح يشبه الجاية

اسعته وطيب هواه فهذا قريب وان اراد نفس الجايية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب والله التوفيق

وأما قول من قال انه انجتمعت في الارض التي قال الله فيها (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) فهذا ان كان قاله تفسير الآية فليس هو تفسيرها لها وقد اختلف الناس في الارض المذكورة في الآية الكريمة فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما هي أرض الجنة وهذا قول أكثر المفسرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قول آخر انه الدنيا التي فتحها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال المحقق وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى في سورة النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيلبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك في الآية أرض بيت المقدس وهي من الارض التي أورثها عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها وأما قول سلمان الفارسي رضي الله عنه ومن وافقه ان أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شئت فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان أراد انها في أرض الدنيا والآخرة رسالة هناك حيث شئت قال المحقق هذا قول قوي فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما فهي في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وأما أرواح الكفار ففي برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال الله تعالى (ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون)

وأما من قال أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الارض السابعة فهذا قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته «اللهم الرفق الأعلى» وحاصل هذا ان أرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم وماتوا الى

وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الكفار عن يساره قال المحقق ان التيمم هذا قول يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسرى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث «فاذا رجع قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره

اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسف بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار « قال القسطلاني في المواهب الاسودة بوزن أرمسة هي الاشخاص والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحين جمع نسما وهي الروح قال القاضي عباس جاء ان ارواح الكفار في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمة في سماء الدنيا فأجاب بأن يحتمل انها تعرض على آدم أحيانا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على كون ارواح الكفار في النار في أوقات دون أوقات قوله تعالى (الا يعرضون عليها غدوا وعشيا) واعترض بأن ارواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما أبداه احتمالا ان الجنة كانت من جهة يمين آدم والنار في جهة شماله فكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتح لها أبواب السماء ولا تلجأ قال وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار « فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن » قال الحافظان حجر وهذا لوصح المكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف انتهى وقال المحقق ابن القيم في الروح لا تدل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم كذلك على تعادهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في الملو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفلى والسجن وقال ابن حزم ان ذلك البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به عند سماء الدنيا ذلك عقد منقطع العناصر قال هذا يدل على انها عند تحت السماء حيث تقطع العناصر وهي الماء والهواء والتراب والنار قال ابن القيم وهو يعني ابن حزم دائما يشفع على من قال قولاً لا دليل عليه فأي دليل له على هذا القول من كتاب أوسنة

قال المحقق اذا كانت ارواح أهل السعادة عن يمين آدم في سماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب عن ذلك من وجوه (أحدها) انه لا يمتنع كونها عن

يمينه في جهة العلو كما ان ارواح الاشقياء عن يساره في جهة السفلى (الثاني) انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك (الثالث) لم يخبر انه رأى ارواح السعداء جميعاً هناك بل قل فاذا عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة ومعلوم قطعاً ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى ارواحهم فوق ذلك واوراح السعداء بعضها اعلا من بعض بحسب منازلهم كما ان ارواح الاشقياء بعضهم اسفل من بعض بحسب منازلهم والله أعلم

قال الامام المحقق ابن القيم فان قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الارواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى يعتد فأجاب بان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت (فمنها) ارواح في عليين في الملاء الأعلى وهي ارواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء (ومنهم) ارواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم ارواح بعض الشهداء لاجميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في مسند الامام أحمد عن محمد بن عبد الله بن جهمش ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالي ان قلت في سبيل الله قال: الجنة: فلما ولى قال «الا الدين سارني به جبريل آنفاً» (ومنهم) من يكون محبوباً على باب الجنة كما في حديث آخر رأيت صاحبكم محبوباً على باب الجنة (ومنهم) من يكون محبوباً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره» (ومنهم) من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما «الشهداء على بارق مهر بياض الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه الامام أحمد وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه بمجنحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (ومنهم) من يكون محبوباً في الارض لم تل روحه الى الملاء الاعلى فانها كانت روحاً سفلية أرضية فان الأنفس

الأرضية لا تجماع الانفس السماوية كما لانجماعها في الدنيا والنفس التي لم تكنسب في الدنيا معرفة ربها ومحبتها وذكركه والانس به والتقرب اليه بل هي أرضية سفلية لانكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله تعالى وذكركه والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يروح النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما في حديث ويجعل روحه يعني المؤمن مع الدم الطيب أي الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلتحق بأشكالها وأخوانها وأصحاب عملها تكون معهم هناك (ومنها) أرواح تكون في تنوير الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلثم الحجارة فليس للارواح شقيها وسعيدا مستقر واحد بل روح في أعلا عليين وروح أرضية سفلية لانصد من الارض

ومن تأمل السنن والآثار في هذا الباب وكان له فضل اعتناء عرف صحة ذلك فكل الآثار الصحيحة حق وصدق يصدق بعضها بعضا لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل ببناء القبر وبالبدن فيه وهي أسرع شي حركته وانتقالا وصعودا وهبوطا وتنقسم الى مرسلات ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والدم وعذاب أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهناك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة وهناك اللذة والراحة والنعيم والاطلاق (ثم قال المحقق ابن القيم) وما أشبه حالها بهذا البدن بحال البدن في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها (الدار الاولى) بطن أمه وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات اثلاث (الدار الثانية) هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت الخير أو الشر وأسباب السعادة والشقاوة فيها (الدار الثالثة) دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى (الدار الرابعة) دار القرار وهي الجنة أو النار

فلا دار بعدها والله تعالى ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل اليها ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشؤها ومحبها ومسعدا ومشتقها وبالله التوفيق

﴿ المسألة الثالثة ﴾

من المسائل المتعلقة بالروح هل تتلاقى ارواح الموتى وتزاور وتنداكرو وتتلاقى ارواح الاحياء والاموات ايضا وهذا يعلم مما مر من حيث الجملة لان الارواح قسمان معذبة ومنعمة فالمعذبة في شغل شاغل لها بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي واما الارواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة فهذه تتلاقى وتزاور وتنداكرو ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح رفيقا الذي على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلا قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) قال الامام ابن القيم وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة وقد تواترت المراتي بتلاقي الارواح بعضها مع بعض قال الامام عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت ما فعل الله بك قال لقبت محمدا وحزبه وقد جاءت سنة صحيحة بتلاقي الارواح وتعارفها فروى بن أبي الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل يتعارف الموتى فارسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر» فكان لا يهلك هالك من بني سلمة الا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فنقول اقرأ على بشر السلام. وذكر ابن أبي الدنيا ايضا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال أهل القبور يتوكلون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول صالح ما فعل فلان يقول صالح ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم أما قدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه راجعون

سلك به غير سبيلها وقال عبيد بن عمير أيضا اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخير الرك مافعل فلان مافعل فلان فاذا قال توفي ولم يأنهم قولوا ذهب به الى أمه الهاوية وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل العائث وقال عبيد بن عمير لو اني آيس من لقاء من مات من أهلي لالمني قد مت كذا وكذا معاوية بن يحيى عن عبدالله بن سلمة ان أبا رهم السلمي حدثه ان أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى الشير في الدنيا فيقول أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلي قالوا اما الله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية فبنست الام وبست المرية ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط وقال ان أعمالكم ترد على آفادكم وعشائركم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأنتم نعمتك عليه وأمه عليها يعرض عليهم عمل المسي فيقولون اللهم ألهمه عملا صالحا ترضى به وتقرب به اليك وأخرج ابن ماحه عن محمد بن المسكر قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت فقلت اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان روعي المؤمنين لثنتين على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه» قط وأخرج ابن أبي الدنيا سيفي كتاب القبور قال حدثنا محمد بن الحسين ثني يحيى بن سبط (١) ثني مسمع ثني رجل من آل عاصم الجعدي قال رأيت عاصما الجعدي في مامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى أبي بكر (٢) بن عبد الله المزني فتلقى أخباركم قال

(١) الصواب «بسطام الأصغر» كما في ص ٥ من كتاب الروح (٢) الصواب «بكر» كما في كتاب الروح أيضا اه مصححه

قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيئات بليت الأجسام وانما تلاقي الأرواح والمرائي وان لم تصلح بمجردها لاثبات أحكام فضلا عن اثبات اعتقاد لكنها على كثرتها وانما لا يخصصها الا الله تعالى وتواطئها مما يستأنس بها وقد قال صلى الله عليه وسلم «أرى رؤياكم قد تواطئت على أنها - يعني ليلة القدر - في العشر الاخير» فلما تواطأت رؤيا المؤمنين على تلاقي الأرواح وتعارفها كان ذلك مما يستأنس به ويصلح للاستشهاد به على انا لم تثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الاخبار عن النبي المختار من تلاقي أرواح الموتى بعضهم لبعض وتلاقي أرواح الاحياء لأرواح الموتى ايضا ثم ان الحس والواقع من أعدل الشهود وقد قال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) روى أبو عبد الله بن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال بلغني أن أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها وكذا أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال يتوفاها في منامها فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتمارfan قال فترجع روح الحي الى جسده في الدنيا الى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتحبس وهذا أحد القولين في تفسير الآية وهو ان الممسكة من توفيت وفاة الموت أولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنى على هذا انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها الى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى والقول الثاني في الآية ان الممسكة والمرسلة كلاهما توفى وفاة النوم فن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردّها الى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها الى جسدها لتستكمله وهو الذي اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية ومال تلميذه المحقق الى ترجيح الاول ثم قال والتجقيق أن الآية تتناول النوعين فانه تعالى ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم انه تعالى يمسك نفوس كل ميت سواء مات في النوم أو في اليقظة ويرسل نفس من لم يميت وقد قال سعيد بن المسيب التقي

عبد الله بن سلام وسلمان المارسي رضي الله عنهما فقال أحدهما للآخر أنت قبلي
فقلتى وأخبرني ما لقيت من ربك وإن أنا مت قبلك لنتيك في خبرك فقال لا آخر
وهل ياتني الاموات والاحياء قال نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت قل
فأت فلان فلقية في المام فقال له توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط وقال العباس
بن عبد المطلب رضي الله عنه كنت اشتبه أن أرى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في المنام فما رأيته إلا عند قريب الحول فرأيت به مسح العرق عن جبينه وهو
يقول هذا أوان فراغى أن كان عرشي ليهد لولا أنني لقيت رؤوفاً رحباً ولما حضرت
شارح (١) بن عابد البجلي الوفاة دخل عليه عصف (٢) بن الحارث وهو موجود بنفسه
فقال له يا أبا الحجاج إن قدرت على أن تأتي بعد الموت فتخبرني بما ترى فافعل قال
وكانت كلمته مقبولة في أهل الفقه فكث زماناً لا يراه ثم رآه في منامه فقال له أليس
قدمت قال بلى قال فكيف حالك قال تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا إلا واحد
قلت وما الخواص (٣) قال الذين يشار إليهم بالأصابع (٤) وقال قبيصة بن عتبة رأيت
سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربي عياناً فقال لي هنيئاً ورضائي عنك يا ابن عميد
لقد كنت قواماً إذا الليل قد دجا بعدرة محزون وقلب عميد
فدوبك فاحترأي قصر تريده وذرني فاني منك غير بعيد

وهذا باب طويل جداً فإن لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير
مصدوقة فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فأخبره بأمر لا يملكه إلا
صاحب الروبا وأخبره بحال دفته هو أو غيره أو حذره من أمر يقع أو بشره بأمر

(١) قوله «شارح» الذي في كتاب الروح «شريح» (٢) عصف ضبته
في كتاب الروح غضيف بالمعجمتين وهو الصواب وضطه بعضهم بالطاء وقد
اختلفوا في كونه صحابياً أو تابعياً وقيل هما اثنان ولا محل لتحقيق ذلك هنا (٣)
قوله «الخواص الخ» والعبارة في كتاب الروح هكذا «فلم يهلك منا إلا الأخراس»
قلت وما الأخراس «والحرص من أسماء الجبل قلعله استمارة للشجرة» (٤) قوله
بالأصابع تمنه في كتاب الروح «في الشيء» اهـ صححه

يوجد فوجد كما قال أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا فيقع
كما أخبر أو أخبره بخصب أو جذب أو تدو أو نازلة أو مرض له فوقع كما أخبر
والواقع أن ذلك لا يخصه إلا الله تعالى والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا
من ذلك عجائب وبه يعلم بطلان قول من زعم أن هذه كلها علوم وعقائد سيفي
النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم فهذا عين
الباطل والمحال فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت
ولا خطر يالها ولا عندها علامة عاينها ولا أمانة بوجهه ما كما قاله الامام المحقق
ابن القيم في الروح

قال ونحن لا نتكر أن الأمر قد يقع كذلك وإن من الرؤيا ما يكون من
حديث النفس وصور الاعتقاد بل أكثر مرآئي الناس إنما هي من مجرد صور
اعتقادهم المطابق وغير المطابق فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع رؤيا من الله ورؤيا من
الشیطان ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصحيحة أقسام (منها) إلهام بقلبه الله
سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن
الصامت رضي الله عنه وغيره (ومنها) مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكلة بها (ومنها) الالتقاء بروح
النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا (ومنها) خروج روحه
إلى الله سبحانه وخطابها له (ومنها) دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك
فالتقاء أرواح الأحياء بأرواح الموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند
الناس من جنس المحسوسات وهذا موضع اضطربت فيه الناس فمن قائل أن العلوم
كلها كامنة في النفس وإنما اشتغالها بالهمس المحسوس يحجب عنها مطالعتها فإذا تجردت
بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت أكمل كانت علومها
ومعارفها هناك أكمل قال المحقق ابن القيم في كتاب الروح وهذا فيه حق وباطل
فلا يرد كله ولا يقبل كله فإن تجرد النفس يطعمها على علوم ومعارف لا تحصل بدون
التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطالع على علم الله الذي بعث فيه رسوله ولا
على تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل الامداد واشراط
الساعة وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم

الا بالوحي ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معسده أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنعمة في الشواغل البدنية ومن قال من الناس ان هذه المراني علوم يخلقها الله تعالى في النفس ابتداء بلا سبب فعلى نهج قول منكر الاسباب والحكم واتقوى قول الحق وهو قول مخالف لشرع والعقل والفطرة ومن قال (١) ان الرويا أمثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعدادة والله على يد ملك الرويا خيرة يكون مثلاً مضروباً ومرة يكون غرض حارآه المراني فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه وهذا أقرب من القولين قبله ولكن الرويا ليست مقصورة عليه بل لها أسباب أخرى كما تقدم من ملاقاتة الارواح وإخبار بعضها بعضاً ومن إلقاء الملك الذي في القلب والروح ومن رؤية الروح للأشياء مكافحة بلا واسطة

وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله بن منده في كتابه (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال له يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث أسألك عنهن فهل عندك منهن علم فقال علي بن أبي طالب ربما هن قال الرجل يحب الرجل ولم يرمنه خيراً والرجل يبغض الرجل ولم يرمنه شراً فقال علي نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الارواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فانه ارف منها ائتلف وما ناكركم منها اختلف» فقال عمر «واحدة» قال عمر والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فينبأ هو ومن نسيه (٢) اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما في القلوب قلب الا وله سعادة كسعادة القمر يبدل القمر يرضى اذ تخللته (٣) سحابة فأظلم اذ انجلت (٤) فأضاء وبيننا القلب يتحدث اذ تخللته سحابة فتضي اذ انجلت عنه فيذكر» قال عمر «اثنتان» قال والرجل يرى الرويا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من عبد ينام يمتلي نوماً الا عرج بروحه الى العرش فإلذي لا يستيقظ دون العرش فذلك الرويا التي تصدق والذي يستيقظ دون

(١) كذبي الاصل والصواب « ومن قائل » (٢) المباردة في كتاب الروح هكذا « فينبأ هو وما سية » (٣) في كتاب الروح « تجللت » (٤) في كتاب الروح « تجللت » في الموضعين ومعناها واحد

العرش أنهي التي تكذب» فقال عمر رضي الله عنه: ثلاث كنت في طلبهن فالجد
الله الذي أصبتهن قبل الموت: وروى أن عمر بن الخطاب قال عجبت لرويا الرجل
يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كالحذ يسد ويرى الشيء فلا يكون شيئا
فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين يقول الله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها) فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى
أجل مسي) قال والأرواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في السماء فهو الحق
فاذا ردت إلى أجسادها تلقى الشياطين في الهواء فكذبتهما فيما رأت من ذلك
فهو الباطل قال فجعل عمر رضي الله عنه يتعجب من قول علي رضي الله عنه قال الحافظ
ابن منده هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروى عن أبي الدرداء وروى
ابن منده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال «إن الأرواح جنود مجندة تتلقى
قتلهم كما تتشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» قال الإمام ابن
القيم ولم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العذري
أظلم نهاري مستهما وتلتقي مع الليل روحي في المنام وروحها

فإن قيل فالنائم يرى غيره من الأحياء يحده ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة
و يكون المرء يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحهما فالجواب عن
هذا إما أن يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرويا للنائم أو يكون حديث نفس من
الرائي مجرد له في منامه قال حبيب بن أوس

سقى لطيفك من زور أذاك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

والمقصود أن أرواح الأحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات
قال بعض السلف أن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف وتتناكر فيأتيها ملك
الرويا بما هو لاقيا من خير أو شر قل وقد وكل الله تعالى بالرويا الصادقة
ملكها عليه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومنقلبها في دينها ودنياها وطبعها
ومعارفها لا يشبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم
الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير أو شر في دينه ودنياه ويضرب
له فيها الأمثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشيره بخير قده أو يقدمه وينذره

من معصية ارتكبها أو هم بها وبخذره من مكروه انعددت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله تعالى في الرويا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعميما وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الارواح وتذاكرها وتعارفها وهم ممن كانت توته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن ملام رأه أو روي له وهم ممن استغنى وأصاب كنزا أو دفيناعن ملام وهذا عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم دل في الملام على زمزم وأصاب الكنز الذي كان هناك وفي مثل ذلك حكايات كثيرة وبالله التوفيق

﴿ فكل ما عن سيد الخلق ورد من أمر هذا الباب حتى لا يرد ﴾

﴿ فكل ما ﴾ أي شيء أو الذي ﴿ عن سيد الخلق ﴾ ورسول الحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال في المطلع السيد الذي يفوق في الخبر قومه قال الزجاج وقيل التقي وقيل الحليم وقيل الذي لا يثله غضبه وجميع ذلك في نبينا صلى الله عليه وسلم وقال في القاموس سيد القوم أجلم وهو صلى الله عليه وسلم أجل خلق الله وأعظم خلق الله وأكرم خلق الله وأكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اختاف الناس في جواز اطلاق السيد علي البشر فمنهم قوم ونقل عن الامام مالك واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا قال «أنا السيد الله» وجيزه قوم واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان للانصار قوموا الى سيدكم» وهذا أصلح من الحديث الاول قلت وكذا حديث «ان أبي هذا يعني الحسن - سيد» وحديث «اناسيد ولد آدم ولاخبره» وغير ذلك مما لا يحصى الا بكلفة قال في البدائع السيد أحد ما يضاف اليه فلا يقال التبعي انه سيد كندة ولا يقال الملك انه سيد البشر قيل وعلى هذا لا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم قال في البدائع وفي هذا نظر فان السيد اذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق ﴿ورد﴾ بالاسانيد المقبولة ودونه أهل العلم في الكتب المنقولة المشهورة ﴿من أمر﴾ أي من أمور ﴿هذا الباب﴾ الذي مناعه السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك ﴿حق﴾ يجب اعتقاده ولا يمان به لانه صحت به القول ولم ترد العقول وان عجزت العقول عن ادراكه

فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها والفرق بينهما بين لا يخفى على ذي تبصر ~~لا يرد~~ من ذلك شيء لثبوتة عن المعصوم وصحته عن رسول الحي القيوم فمن تصدى لرد شيء من هذا الباب فقد اخطأ الصواب وضل وخاب وكان من أهل البدع والارتياب فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جعلهم الله وسائل بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعهم بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه فالاصل الاول اثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر أيام الله في أولياته وأعدائه وهي القصص التي قصها الله تعالى على عباده والامثال التي ضربها لهم والاصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة وبيان ما يحبه ويكرهه والاصل الثالث يتضمن الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدة له في وجوب الاعتصام بالرسالة: على هذه الاصول الثلاثة مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمرضى الذي يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعذب بعدم الطبيب موت الابدان واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه وموت لا ترجى الحياة معه أبدا وشقي شقاوة لا سعادة معها أبدا فلا فلاح الا بتابع الرسول والايمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ما ورد عن سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه حق لا يرد اشرط الساعة وعلاماتها ولهذا قال

فصل في اشراتها

في اشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها وعيبتها
قال تعالى (اقربت الساعة) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد
جاء اشراطها) أي اماراتها وعلاماتها واحدا شرط قال الامام الغوي وكان النبي
صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة قال تعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب)
وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات في ذلك
كثيرة واما الأحاديث فلا تكاد نحصى فان قيل كيف يوصف بالاقتراب
ما قدم في قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عاما فالجواب أن الاجل اذا
مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقرب أجل ولا ريب أن الاجل
الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله ولتقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كفتل الذي
بمديومك فقال (ولتنتظر نفس ما قدمت لغد) وقال تعالى (انهم يرونه بعيدا وراه
قريبا) وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعا «بعثت أنا والساعة كهاتين»
وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل أحدهما على الاخرى وفي الصحيحين من حديث
سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال يا صبيبه
هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام «بعثت والساعة كهاتين» وفي الصحيحين عن ابن
عمر رضي الله عنهما مرفوعا «انما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من ضلوة
العصر الى مغرب الشمس» وفي لفظ «انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين
صلوة العصر الى غروب الشمس»

ولما كان أمر الساعة شديدا وهو لها مزيذا وأمرها بعيدا كان الاهتمام بشأنها
أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان اشراتها واماراتها
وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونهأمتة وحذرهم ليتأهبوا لتلك
العقبة الشديدة

ثم اعلم ان وقت مجيء الساعة مما افرد الله بعلومه وانما أخفاه تعالى لانه أصلح
للعباد لئلا يتباطأوا عن التأهب والاستعداد كما ان أخفاه وقت الموت أصلح لهم وأنفع
وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها واستدلوا بأحاديث

غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه الكشف وذكر هو تقريرا أنها تقوم على رأس الخمائة بعد الألف أو أزيد قال الشيخ العلامة مرعي في (بهجة الناظرين وهذا أيضا مردود لان كل من تكلم بشي من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان

نم أعلم ان اشراط الساعة وأمارتها تنقسم الى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانتفى وهي الامارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينتفِض بل لا يزال في زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الامارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وأما تتابع كنظام خرزات انقطع سلمكم (فالأولى) أعني التي ظهرت ومضت وانقضت (منها) بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اوموته وفتح بيت المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة أول الفتن قتل عثمان (ومنها) وقعة الجمل (ومنها) وقعة صفين فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما قتلة عظيمة دعواهما واحدة (ومنها) واقعة النهروان فأخرج بن جرير عن محمد بن سالم قال أتينا أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه فقلنا يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين فقال ان رسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل ان شاء الله المارقين وفي رواية عنه عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم يعني في وقعة الجمل وذلك لان طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا ببيعة علي رضي الله عنه وعهد الينا ان تقاتل معه القاسطين يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لأنهم ظلموا عليا ونازعوه أمرا هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق الى الباطل وعهد الينا ان تقاتل معه المارقين وأراد بهم الخوارج فانهم مرقوا من الدين وفي الخوارج أحاديث كثيرة جدا في الصحيحين وغيرها (ومنها) نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الامام أبي محمد الحسن بن علي وأخى الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان ابني هذا سيد وميصاح الله به بين فئتين عظيمتين

من المسلمين» الحديث شهد جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم (ومنها) ملك في أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الأذى كقتل الحسين بعد ماسم الحسن وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق (ومنها) ملك في العباس وما جرى في أيامهم من المحن والباس (ومنها) نار الحجاز التي أضاءت منها اعناق الأبل بصرى (ومنها) ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك واطهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام وضوان الله عليهم وقد أخرج الامام أحمد أبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما من فوجا «يكون في آخر الزمان قوم يسبون الرافضة برفضون الاسلام فاذا رأيتهم فاقتلهم فأنهم مشركون» ولفظ الطبراني باسناد حسن عنه كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده علي قتال النبي صلى الله عليه وسلم «سيكون من أممي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم ينزبسون الرافضة فاقتلهم فأنهم مشركون» (ومنها) خروج كذاين دجالين كل منهما يدعي أنه نبي (ومنها) زوال ملك العرب رواه الترمذي ومنها كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما (ومنها) كثرة الزلازل والمسخ والتفند وغير ذلك ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى

في الثانية

الامارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكثر وهي كثيرة جدا (منها) قوله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدينار لك ابن لك» رواه الامام أحمد والترمذي والضيعة المقدسي من حديث حمزة رضي الله عنه والكم العبد والأحق والليم والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون الثنايم والحق ونحوم رؤساء الناس (ومن الامارات) قوله صلى الله عليه وسلم «يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالنابض على الجمر» رواه الترمذي عن أنس وقوله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضي الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم

يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة - وفي لفظ - فاسق» رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس (ومنها) أن يرى الملأل ساعة يطلع فيقتل لليلتين لا تتفاخه وكبره روى معناه الطبراني عن ابن مسعود وفي لفظ «من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة» بالخاء الممجمة أي عظمها وروى بالجيم (ومنها) اتخاذ المساجد طرقاً (ومنها) ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة إذا رأيتم الناس امتازوا الصلاة واضاعوا الامانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفروا بالدماء واستعملوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الارحام ويكون الحكم ضعفاً والكذب صدقاً والحرير لباساً وظهور الجور وكثر الطلاق وموت النجاة وأمن الخائن وخون الأمين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظاً والولد غيظاً وفاض اللثام فيضا وغاض الكرام غيضا وكان لأمرء والوزراء والأمناء خونه والعرفاء ظلمة والقراء فسقة اذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم انتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيه الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوكون اليهود والظلمة وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء يعني الذهب والفضة وتكثر الخطباء ويقبل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت القلوب وشربت الخمر وعطلت الحدود وولدت الامة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحاف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا - وهو بضم الدال الميملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه اذا أخص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال النبي ومنعوها مستحقيها كما في النهاية - والامانة مغنا والزكاة مغرما وكان زعيم القوم اردلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيان والمعازف وشربت الخمر في الطرق واتخذ الظالم فخرا وبيع الحكم وكثرت الشرط. واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفاقا - أي بأن تجعل على السروج كما يفعل امرأ زماننا - ولعن آخر هذه الأمة أهلها فليترقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفاً ومسحاً وقذا وآيات» (ومنها) ما رواه الامام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم

عن سلمان موقوفاً والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعاً «إذا ظهر القول وحزن العمل واختلفت اللسان واختلفت القلوب وقطع كل ذي رحم ورحمة فنسد ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» (ومنها) ما أخرجه الامام أحمد أيضاً والحاكم وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «إذا كانت الفاحشة في كباركم وأمثلك في صغاركم والعلم في مرداكم والمداخنة في خياركم» يعني فتقرب اقامة الساعة وأخبار من هذه كثيرة جداً ذكرت منها طرفاً صالحاً في كتابي البحور الزاهرة في علوم الآخرة (منها) ما في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث وقال بعض القوم سمع ما قال فكفره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه: قل أين السائل عن الساعة؟ فقال ها أنا يا رسول الله قال «فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة» قال كيف اضاعها قال «اذرسد الامر الى غير أهلها فانتظر الساعة» والله أعلم

﴿الاشراط والامارات﴾

(الثالثة) العلامات العظام والاشراط الجسام التي تعقبها الساعة وهي المقصودة في اللفظ والتي تكلم عليها أهل العلم واليهما الاشارة بقوله ﴿وما آتني في النص من اشراط فكله حق بلا شطاط﴾

﴿وما﴾ أي وما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ رده الذي ﴿آتني﴾ أي ورد وجاء ﴿في النص﴾ القرآن أو الحديث النبوي ﴿من اشراط﴾ الساعة باقسامها الثلاثة مما ذكرنا وما لم نذكر والمراد بالساعة يوم القيامة وينبغي

الساعة لقرنها أولانها تأتي بغتة في ساعة أولان بعث الموتى من قبورهم يكون في أسرع من اللمحة أولان فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة وروى عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة وتقدم أن الاشراف جمع شرط وأنها أماراتها وعلا ماتها ﴿فكله﴾ أي الذي أتى في النص من اشراف الساعة وفي نسخة كلها أي الاشراف ﴿حق﴾ واقع ويقين ليس له مدافع ﴿بلا شطاط﴾ كسحاب وكتاب أي من غير طول وبعد يقال رجل شاط بين الشطاط والشطاطة والشطاط وهو البعيد ما بين الطرفين وقرئ (ولانشطاط) ولا تشاطط أي لا تبعد عن الحق والمعنى أن الذي جاء في النص من اشراف الساعة حق كله لا بعد فيه ولا عقل ينافيه ثم أخذ في تعداد تلك الاشراف فقال

﴿منها الامام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح﴾

﴿منها﴾ أي من اشراف الساعة التي وردت بها الاخبار وتواترت في مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها أن يظهر ﴿الامام﴾ المقتدى بأقواله وأفعاله ﴿الخاتم﴾ للائمة فلا امام بعده كما أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوّة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده ﴿الفصيح﴾ اللسان لأنه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني والبيان خلوص الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحة مفرداته والفصاحة في المفرد خلوصه عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس والفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر معها على التعبير المقصود بلفظ فصيح والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وقوله ﴿محمد المهدي﴾ هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبد الله فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «بواطي» اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال «لولم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي بواطي» اسمه اسمي واسم

أبيه اسم أبي بملأها قسلا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا» وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضا لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي بملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما أخرجه الطبراني في معجمه الصغير وأخرجه الترمذي ولفظه حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي وقال حديث حسن صحيح وكذلك أخرجه أبو داود في سننه وروى ابن مسعود أيضا رضي الله عنه رفعه اسم المهدي محمد وفي مرفوع حذيفة محمد بن عبد الله وبكنى أبا عبد الله ومن أسمائه أيضا أحد بن عبد الله كما في بعض الروايات

وأما زعم الشيعة أن اسمه محمد بن الحسن وأنه محمد بن الحسن العسكري فهذان فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عنه جعفر مبراث أبيه الحسن قلت هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن عبد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ومحمد بن الحسن العسكري هذا ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية ويعرف بالحجة وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته في منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والشيعة تزعم أنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليها وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين وقيل غير ذلك وكل ذلك ضرب من الجورن والهذيان وأما ذلك فقد مات رضوان الله عليه وعلى آبائه

وأما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبتت له هذه الصفة في عدة أخبار وعن كعب الاحبار قال أنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أمر حفي وسيخرج التوراة والانجيل من أرض يقال لها طاكية أخرجه أبو نعيم في كتاب الفتن وفي بعض رواياته عن كعب قال أنما سمي مهديا لأنه يهدي إلى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكنيسة جماعة كثيرة وذكر الامام أبو عمرو الداني قال أنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار

التوراة يحتاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم واما لقبه فالجابر لانه يجبر قلوب
أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصصهم
واما كنيته فابو عبد الله واما نسه فانه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ان الروايات الكثيرة والاخبار الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة
النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين وجاء في
بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول أصح قال ابن حجر في كتابه القول
المختصر واما ما روي «ان المهدي من ولد العباس عمي» فقال الدارقطني حديث
غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن
عباس رضي الله عنهما مرفوعا «الا ابشرك يا عم ابن من ذريتك الاصفياء ومن
عترتك الخلفاء ومنك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى ويظفي نيران الضلالة
ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك بنحتم» وخبر هشيم بن كلب وابن عساكر
عن ابن عباس ورجاله ثقة «اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثا يا عم أما علمت
ان المهدي من ولدك موقفا راضيا» وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي
الله عنه «الا ابشرك بأب الفضل ان الله عز وجل افتتح بي هذا الامر وبذريتك بنحتم»
وخبر الديلمي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال «ان تزال الخلافة في ولد عمي وصنواي حتى يسلموها الى الدجال» وخبر
الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل رضي الله عنهم «يا عباس أنت عمي
وصنواي وخير من أخلف بعدي من أهلي اذا كانت خمس وثلاثون ومائة فهي
لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي» وخبر الخطيب وابن عساكر
عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس يا عم «الا أخبرك ان الله
افتتح هذا الامر بي وبمختمه بولدك» فهذه الاخبار كلها لا تنافي ان المهدي من ذرية
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث التي ان المهدي
من ولدها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الأئمة ان كون المهدي
من ذريته صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات
الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته صلى الله عليه وسلم وللعباس

فيه ولادة من جهة انفي أمهاته عباسية والخاصة ان الحسن في المهدي الولادة
العظمى لان احاديث كونه من ذريته أكثر وللعين فيه ولادة أيضا وللمباس
فيه ولادة أيضا ولا مانع من اجتماع ولادات متعددة في شخص واحد من
جهات مختلفة وبالله التوفيق

فوائد

(منها) في حليته وصفته قال ابن عباس رضي الله عنهما المهدي اسمه محمد بن
عبدالله وهو رجل ربيعة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الامة كل كرب
ويصرف بعدله كل جور وعن حذيفة ابن اليمان رضي عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدرري اللون لون عربي
والحشم جسم امراييلي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضي في خلافته أهل
الارض وأهل السماء والطير في الجو يملك عشرين سنة» أخرجه أبو نعيم في مناقب
المهدي والطبراني في معجمه وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهدي مني أجلى الجبهة أفنى الالف
يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين» وأخرج أبو نعيم
من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليبعثن
الله في عترتي رجلا أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الارض عدلا ويفيض المال فيضا»
وفي مرفوع عمران بن حصين أنه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا رسول الله كيف لا بهذا حتى نعرفه قال «هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني
اسرائيل عليه عباءتان قطاويتان كأنني وجهه الكوكب الدرسي في اللون في خده
الايمن خال اسود ابن أربعين سنة» أخرجه الامام أبو عمرو الداني في سننه وأخرج
أبو نعيم من حديث أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا «المهدي من ولدي ابن أربعين
سنة كان وجهه كوكب دري في خده الايمن خال اسود عليه عباءتان قطاويتان
كأنه من رجال بني اسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك» وفي حديث
أبي وائل عن علي رضي الله عنه قال نظر الى الحسن وقال ان ابني هذا سيد كما
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج علي

حين غفلة من الناس وامانة الحق واطهار الجور يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها وهو رجل أجلى الجبين أقى الانف ضخم البطن أزيل الفخذين بفخذه الابن شامة أفواج الثنايا يملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وجورا وعن أبي جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن صفة المهدي قال هو شاب مربع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره وحلته ورأسه وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه ان المهدي **ك**ت اللحية أ كحل العينين براق الثنايا في وجهه خال أقى أجلى في كتفه علامة النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات المهدي أزج أبلج أعين يجسيء من الحجاز حتى يستوي على مسجد دمشق أخرجه أبو نعيم وفي رواية لابي نعيم بكتفه اليمنى خال وفي حديث علي مرفوعا انه كثر اللحية أ كحل العينين براق الشاياتي وجهه خال وفي كتفه علامة وقال كعب الاحباراني لأجد المهدي مكتوب (١) في أسفار الانبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب أخرجه أبو عمرو المقرئ في سننه ونعيم بن حماد واخرج أبو نعيم عن طاووس قال علامة المهدي انه يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيا بالمساكين . ورأيتني قد وصفته في كتابي البحور الزاهرة بأنه آدم أي أسمر ضرب من الرجال أي خفيف اللحم ممشوق مستدق ربة أي لا بالطويل ولا بالقصير أجلى الجبهة أي خفيف شعره النزعين عن الصدغين وهو الذي انحسر الشعر عن جبهته أقى الانف أي طويله مع دقة أرنبته اشم أي رفيع العينين أزج أي حاجبه فيه تقويس مع طول في طرفه أو امتداده أبلج أعين أ كحل العينين واسع العين (٢) والكحل بفتح الحاء سواد في أجفان العين خلقه من غير اكتمال براق الثنايا أي لثناياه يريق ولمعان أفرقها أي ليست متلاصقة أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدتها وفي رواية في لسانه ثقل واذا أبطأ عليه ضرب فخذه الايسر بيده اليمنى ابن أربعين سنة وفي رواية مابين ثلاثين الى أربعين خاشع لله خشوع النسر بجناحية عليه عباءتان قطوانيتان قال في النهاية هي عباة بيضاء قصيرة الحلل والنون زائدة

(١) كذا في الاصل (٢) امل الصواب واسع انهم أو الجبهة والالقال واسعهما

الفائدة الثانية في سيرته

قل أهل العلم يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوقظ نائمًا ويقاتل
 على السنة لا يترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان
 كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم أوله بتلك الدنيا كلها كما ملك ذوالقرنين
 وسليمان بن داود عليهما السلام يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد إلى المسلمين
 الفتنهم ونعمتهم يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحشو المال حشواً
 ولا يعده عدا يقسم المال صحاحاً بالسوية يرصى عنه ساكن السماء وساكن الأرض
 والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر يملأ قلوب أمة بمحمد صلى الله
 عليه وسلم غنى حتى أنه يأمر مادياً يادي الأمن له حاجة في المال فلا يأتيه إلا
 رجل واحد فيقول أنا فيقول انت السادن أي الخازن فقل له المهدي يأمرك أن
 تعطيني مالا فيقول له احث حتى إذا جعله في حجره وبرزه ندم فيقول كنت اجش
 أي أحرص أمة بمحمد صلى الله عليه وسلم أعجزني ما وسعهم قال فيرده فلا يقبل من
 وقال له اأناخذ شيئاً أعطيناه الأمة. تنعم أمة بمحمد برها وافرها في زمانه نعمة لم يسمعوا
 بمثله قط وترسل السماء عليهم مدراراً لا تدخر شيئاً من قطرها وتوفي الأرض أكلها لا تدخر
 عنهم شيئاً من نذرها تجري على يديه الملاحم يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما يرى
 الخافقين يوتى إليه ملوك الهند مغالين وتحمل خرائثهم لبيت المقدس حلياً يأوي
 إليه الناس كما يأوي النحل إلى يسعوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول
 يمدد الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبريل على مقدمة
 وميكائيل على ساقته ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد ولعب الصبيان
 بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً ويزرع لأناس مداً فيخرج له سبعمائة مد ويرفع
 الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الأعمار وتودى الأمارة ومهلك الأشرار ولا يبقى
 من يفض آل محمد صلى الله عليه وسلم محبوب يعني المهدي في الخلائق يظني الله
 به الفتنة العمياء وتأمين الأرض حتى أن امرأة تمح في خمس نسوة مامعن رجل
 ولا يخفن شيئاً إلا الله مكتوب في شعائر الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب

﴿الثالثة في علامات ظهوره﴾

قال العلامة الشيخ مرعي في كتابه (فوائد الفكر في المهدي المنتظر)
 اعلم ان لظهور المهدي علامات جاءت بها الآثار ودلت عليها الأحاديث والأخبار
 فمن علامات ظهوره على ما ورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والنظامة
 وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بندي القعدة وظهور الحشف والفن معه
 قيص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء
 فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج
 المهدي مكتوب على رأسها «البيعة لله» كذا في الاشاعة للعلامة السيد محمد البرزنجي
 المدني و يفرس قضيا يابسا في أرض يابسة فيخضر ويورق ويطلب منه آية فيومي
 الى طير في الهواء بيده فيسقط على يده وينادي مناد من السماء: أيها الناس ان الله قطع
 عنكم الجبارين والمنافقين واشياهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم
 فالحقوه بمكة فانه المهدي واسمه محمد بن عبد الله وتخرج الارض افلاذ كبسدها
 مثل الاسطوانات من الذهب ويخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله
 رواه أبو نعيم عن علي رضي الله عنه ويستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية
 أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه بيت المقدس فاذا نظر
 اليه يهود اسلموا الا قليلا منهم وتأتية الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه
 البيعة وتنشف الفراء فتحسر عن جبل من ذهب وذكروا أنه ينكشف القمر أول
 ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف ونظر في هذا الشيخ مرعي بان العادة
 انكشاف القمر ليالي الابدار والشمس أيام الاسرار ولكن من الممكن ان يكون
 ذلك آية لظهوره وفيها خرق للعادة وروى أبو نعيم في الفن قال شريك بلقي
 ان القمر قبل خروجه ينكشف مرتين برمضان وذكر الكسائي عن كعب الاحبار
 ان القمر ينكشف ثلاث ليال متواليات وروى عن كعب الاحبار يطلع نجم
 بالمشرق وله ذنب يضيء كما يضيء القمر يتعطف حتى يلتقي طرفاه أو يكاد وفي
 الديلمى مرفوعا تكون هذه في رمضان توقظ النائم وتفرع اليتقان ومن وجه آخر
 يكون صوت في رمضان في نصف الشهر يصعق منه سبعون ألفا بمعنى مثلها

ويخرج منها ويصم مثلها ويمتق من الانكار مثلها ومن علامات المهدي أيضاً
تخسف قرية بلاد الشام يقال لها حرستا كما في الاشاعة وغيرها

﴿الرابعة﴾

«في الاشارة الى بعض النفس الواقعة قبل خروج المهدي وخروج خوارج قل ذلك»
(مها) ما ذكره في الاشاعة انه يحسر الغرارة عن جبل من ذهب كما تقدم فاذا
منع به الناس ساروا اليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتلون عنده ثم لا يصير
الى أحد منهم فيقول لكل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن
بكله يقتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون وفي رواية فيقتل تسعة
اعشارهم وفي رواية من كل تسعة تسعة فيقول لكل رجل لبي اكون اماناً نحو وقد
قال صلى الله عليه وسلم «من حصر فلا يأخذ منه شيئاً» وعن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي
من ولدي ولا يرح المهي حتى يرح ستون كذا ما كلهم يقول امانى» وعن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون
كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله» رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري
بمعناه وتام الحديث في مسلم «وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان
وتظهر النفس ويكثر الهرج» وهو القتل الحديث وهو في صحيح البخاري الا ان قوله
وتكثر الزلازل في البخاري دون مسلم وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان بين يدي الساعة كذابان»
زاد في طريق أخرى قال جابر فاحذروهم وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر
المهدي الا على خوف شديد من الناس وزلازل وقصة وملا يصيب الناس والطاعون
قل ذلك وسب قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وثبتت في دينهم
وتغيرت في حالهم حتى يتنى المنى الموت صاحبا ومساء من غلظم ما يرى من
كل الناس وأكل بعضهم بعضا فحينئذ يخرج باطوني لمن أدركه وكان من انصاره
والويل كل للويل لمن خاليه وخالف أمره وقال محمد بن الصلت قلت للحسين
بن علي رضي الله عنهما ما من سلامة بين يدي هذا الامر يعني ظهور المهدي

قال بلى قلت وما هي قال هلاك بني العباس وخروج السفياي والخسف بالبئداء
قلت جعلت فداك أخاف ان يطول هذا الامر فقال انما هو كبنظام يتبع بعضه بعضا
وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال تكون في الشام رجفة يهلك فيها أكثر
من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين فاذا كان كذلك
فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى نحل
بالشام وذلك عند الجوع الأكبر والموت الأحمر فاذا كان ذلك فانظروا خسف
قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد
من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فاذا كان ذلك فانظروا
خروج المهدي .

ومن أقوى علامات خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفياي
والابقع والاصهب والاعرج والكندي

أما السفياي فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عتبة قال العلامة الشيخ
مرعي في فوائد الفسك وفي عقد الدر ان السفياي من ولد خالد بن يزيد بن أبي
سفياي ملعون في السماء والارض وهو أكثر خاق الله ظلما قال علي رضي الله عنه
السفياي من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفياي رجل ضخم الهامة بوجه أثر جدي
بعينه نكسة بياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى
يقتر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج اليه رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ
السفياي فيبعث اليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير اليه السفياي بمن معه حتى اذا
جاز بيدا من الارض خسف بهم فلا ينجو الا المنجبر عنهم أخرجه الحاكم في مستدركه
وقال هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه

والابقع يخرج من مصر والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج
الجرهمي من الشام قال كعب الاحبار أول من يخرج ويغلب على البلاد
الاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام ويخرج
القحطاني من بلاد اليمن قال كعب فينما هؤلاء الثلاثة قيد تغلبوا على مواضعهم
واذا قد خرج السفياي من دمشق من واد يقال له وادي اليابس يوتى في منامه فيقال

له قم فاخرج فيقوم فلا يجد أحدا ثم يوتى الثانية ثم الثالثة ويقال له فيها فانظر الى باب دارك فينحدر في الثالثة الى باب داره فاذا بسبعة أنفار أو تسعة معهم لواء فيقولون نحن أصحابك ومع رحل منهم لواء معقود لا يرى ذلك الا لواء أحد الا انهزم فيخرج اليه صاحب دمشق ليقابله فاذا نظر الى رايته انهزم فيدخل دمشق الشام في ثمانية وستين راكبا وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفا من كلب وهم اخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرستا ويسقط جانب مسجدتها الغربي ثم يخرج الأبقع والاصهب فيخرج السفياي من الشام والابقع من مصر والاصهب من جزيرة العرب ويخرج الاعرج الكندي بالغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثم يغلب السفياي على الابقع والاصهب ويسير صاحب العرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قيس الى السفياي فيظهر السفياي عليه ويجوز ما جمعوا من الاموال ويظهر على الرايات اثلاث ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الارض ويدخل الزوراء فيقتل من أهلها

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لأك محمد واجب على كل مؤمن نصره وهذا الرجل يحتمل ان يكون هو الهاشمي الآتي ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر ويحتمل ان يكون غيره . ويثور أهل خراسان بمساكر السفياي فتكون بينهم وقعات فاذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلا من بني هاشم بكفه النبي خال سهل الله أمره وطريقه هو أخوه المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بأخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس على مقدمته رجل من بني تميم الموالي ربيعة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب ابن صالح التميمي يخرج اليه في خمسة آلاف فاذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدا يهد الارض للمهدي فيلتقي الهاشمي بخيل السفياي فيقتل منهم مئة عظمية بيضاء اصطخر حتى تفلأ الخيل الدماء الى ارماعها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي فيظاهر الله انصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدي ويأيمه وبالله التوفيق

﴿الخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك﴾

أخرج نعيم بن حماد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ومهاجرة بيت المقدس وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقرئ في معجمه يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة

وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء وإذا هاجر المهدي من المدينة إلى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتغير مأوى للوحوش وقد ورد عمران بيت المقدس خراب يثرب وفي حديث قتادة يخرج المهدي من المدينة إلى مكة وفي حديث ابن عباس ستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا وفي خبر أبي جعفر يظهر المهدي بمكة عند العشاء وفي الخبر يبعث السفينان جيشا إلى مكة فيأمر بقتل من كان فيهما من بني هاشم فيقتلون ويتفرقون هاربين إلى البراري والجلال حتى يظهر أمر المهدي بمكة فإذا ظهر اجتمع كل من شئ منهم إليه بمكة ويأتي سبعة علماء من أفق ٧ شتى على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهادوا على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه : ولم تقف على اسم أم المهدي بعد الفتح والتبع ولعلمهم يعرفون اسم أمه بالكشف كما ذكره في الأشعة فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيرون بمكة فيقولون أنت فلان فيقول بل أنا رجل من الأنصار فينفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة وهكذا ثلاث مرات فيصيرون بمكة في الثالثة عند الركن فيقولون آمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمديدك نبايعك وقد أقبل عسكر السفينان في طلبنا فيجلاس بين الركن والمقام فيمديده فيبايع له فيلقي الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل أخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرج

أَيْضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَ الْمَهْدِيُّ بَعْدَ أَيَّاسٍ حَتَّى يَدَ الْبَّاسِ لَمْ يَهْدِي وَأَنْصَارُهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عِدَدُهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةُ عَشَرَ رَجُلًا عَدَّ أَصْخَابَ بَدْرٍ يَسِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ حَتَّى يَسْتَخْرِجُوهُ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ مِنْ دَارِ عَدُوِّ الْقِسْفَانِ فَيَأْتِيَهُمْ كَرَهَا فَيُعَلِّي بِهِمْ رُكَّتَيْنِ عِنْدَ الْمَقَامِ وَأَخْرَجَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَأْتِي الْمَهْدِيُّ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ لَا يَوْقُظُ نَائِمًا وَلَا يَهْرِيْقُ دَمًا وَاللَّهُ وَقَدْ تَكَثَّرَتِ الرِّوَايَاتُ وَالْآثَارُ بِأَمْرِ الْمَهْدِيِّ وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ أَوَّلَ ظَمٍ يَكُونُ شَابًا ثُمَّ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ فَيَفِرُّ إِلَى مَكَّةَ مُخْتَفِيًا ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَقْرَبِيهِ بِالْمَطَافِ عِنْدَ الرُّكْنِ فَيَقْهَرُونَهُ عَلَى الْمُبَايَعَةِ بِالْإِمَامَةِ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّنُونَ ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَى جِهَةِ الْكُوفَةِ ثُمَّ يَعُودُ مِنْهَا مِنْ جَيْشِ السَّفِيَّانِي فِيهِ اللَّهُ عَلَى السَّفِيَّانِي مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَزَيْرُ الْمَهْدِيِّ فَيَهْزِمُ السَّفِيَّانِي إِلَى الشَّامِ فَيَقْتُلُ الْمَهْدِيَّ فَيَذْبُحُهُ عِنْدَ عَتَبَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَمَا تَذْبُحُ الشَّاةُ وَيَغْنَمُهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الَّذِينَ هُمْ جُنْدُهُ مِنْ بَنِي كَلْبٍ وَلَا أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ الْغَنِيمَةِ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ يُخْرِجُ رَجُلًا يَكَلِّبُ يَقَالُ لَهُ كُنَانَةٌ يَعْنِيهِ كَوْكَبٌ فِي رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّخْرِيَّ يَعْنِي السَّابِغَةَ فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَهْدِيَّ رَايَةً وَأَعْظَمَ رَايَةً فِي زَمَانِهِ مِائَةَ رَجُلٍ فَتَصِفُ كَلْبٌ خِيَلَهَا وَرِجَالَهَا وَغَنَمَهَا فَإِذَا تَسَامَتِ الْخِيَلَانُ وَلَتَ كَلْبٌ أَدْبَارَهَا فَيَقْتُلُونَهُمْ وَيَسْبُونَهُمْ تَبَاعُ الْعِذْرَاءُ مِنْهُمْ بِشَانِيَةِ دِرَاهِمٍ وَيُؤْخَذُ الصَّخْرِيَّ فَيُؤْتَى بِهِ أَسِيرًا إِلَى الْمَهْدِيِّ فِيهِ عَلَى الصَّخْرَةِ الْمُعْتَرِضَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عِنْدَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي يُعْطِنُ الْوَادِي عَلَى طُورِ رِبَاتِ الْمُقَطَّرَةِ الَّتِي عَلَى الْوَادِي كَمَا تَذْبُحُ الشَّاةُ فِي رِوَايَةٍ ثُمَّ يُؤْخَذُ السَّفِيَّانِي عَلَى أَعْلَى سَحْرَةٍ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَالْخَائِبُ مَنْ خَابَ مِنْ قَاتِلٍ كَلْبٌ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتَكْبِيرَةٍ أَوْ بِصَيْعَةٍ وَالْخَائِبُ مَنْ خَابَ يَوْمَهُ غَنِيمَةُ كَلْبٍ وَلَوْ بِعَقَالٍ » فَقَالَ حَزِينَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَحِلُّ قَتْلُهُمْ وَتَغْنَمُ أُمُّهُمْ وَهُمْ مُسْلِمُونَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَكْفُرُونَ بِاسْتِحْلَالِهِمُ الْحُمْرَ وَالزَّنَا » الْحَدِيثُ لَا يَحْشُرُ أَمْنِي حَتَّى يُخْرِجَ الْمَهْدِيَّ عَلَيْهِ اللَّهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ الْإِبْدَالَ مِنَ الشَّامِ وَالْجَبَاةِ مِنْ عَصْرِ وَعَصَائِبِ أَهْلِ الشَّرْقِ يَأْتُوا مَكَّةَ فَيَبَايِعُ لَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الشَّامِ وَجَبْرِيْلُ عَلَى

وميكائيل على يساره ومنعه أهل الكهف أعوان له فيفرح به أهل السماء والأرض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتد الأنهار وتضعف لأرض أهلها فيقدم إلى الشام فيأخذ السفينتين فيذبح تحت الشجرة التي أغصانها على بحيرة طبرية والذي يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفينتين أنه يذبح تحت لشجرة هو أوزيريه والذي يذبح على العتبة هو نفسه إن كان المذبح تحت لشجرة وزيره أو وزيره إن كان هو المذبح ثم تمهد الأرض للمهدي ويدخل في طاعته ملوك الأرض كلهم ويبعث بعثاً إلى الهند فتفتح ويوتى بملوك الهند اليه مقبلين ينقل خزائنها إلى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث في ذلك سنين وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمساً وسبعاً وستاً بالترديد وفي بعضها تسعة عشر سنة وأشهر وفي بعضها عشرين وفي بعضها ثلاثين وفي بعضها أربعين منها تسع سنين يهادن الروم فيها ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل إلا أكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البعثة والأقل على غاية الظهور والوسط على الأوسط قال في لاشاعة وهذا الذي تقتضيه بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالمهدي وإن الله تعالى بعوضهم عن الظلم والجور قسطاً وعدلاً واللائق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ما ينسون فيها الظلم والجور والفتن والسبع والتسع أقل من ذلك مع أنه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الأفاق كما سيفي بعض الروايات ويبنى المساجد والبلدان ويحلي بيت المقدس بهذا يقتضي مدة طويلة منع ماوردان الأعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول شدته والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء ولا شيئاً يهادن الروم - تسع سنين ثم فتح القسطنطينية ورومية المدائن وغيرها وهذا يقتضي طول مدته وبالله التوفيق

❦ تنبيه ❦

قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل للمهدي إلا عيسى والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروج الزوايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي فاشاع ذلك

بين علماء السنة حتى عد من معتقدهم وقد روى الامام الحافظ ابن الاسكندر بسند مرضي (١) الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر» وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «يا حذيفة لولم يبق من الله الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملا على يديه ويظهر الاسلام ولا يخلف الله وعده وهو سريع الحساب» أخر الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وأخرج نحوه أبو عمرو المقرئ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ومن حديث قيس بن جابر عن أبيه عن جده مرفوعاً وفيه «ثم يخر المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» رواه أبو نعيم في فوائده وأخرجه الطبراني في معجمه ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم و حديث ابن عباس أخرجه ابن الجوزي في تاريخه ومن حديث علي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في سننهم وقد روى عن ذكر من الصحابة وغير ما ذكره رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطع فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة أيضاً لكنهم زعموا أنه محمد بن الحسن العسكري كما تقدم وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية وأنه حي مقيم بجبل رضوى وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان فضاختان يجريان بهاء وعسل فزعموا أنه قد ألهو معه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر قالوا وهم أحياء يزقون ويقولون أنه يعود بعد الغيبة ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً قالوا وإنما عوقب بهذا الجب لخروجه الى عبد الملك بن مروان وقبل الى يزيد بن معاوية وإلى هذا الأئمة أشار كثير عزة بقوله

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل بقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم رماة برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل

الاول للامام فذلك نفسي أطأت بذلك الجبل المقاما
وجبل رضوي بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف كسرى و
جبل جبينه في عمل الينبع بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينة على سبع مراحل
ميامنه طريق المدينة ومياسره طريق البرلمان كان مصعدا الى مكة وهو على ليلتين
الى البحر وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي الخبيث المشهور يدعو الى امامه محمد بن
الحنفية رضي الله عنه وعن أبيه علي بن أبي طالب وكان المختار يزعم ان محمدا هذا
هو المهدي قال الجوهري في الصحاح كيسان لقب المختار المذكور واقتصر عليه في
القاموس أيضا وقال غيرها كيسان مولى علي رضوان الله عليه وقيل ان كيسان
تلميذ علي وهؤلاء الكيسانية أحد فرق الضالال كما مر في تعداد الفرق فعلى عقولهم
الدمار وعلى أفهامهم البوار ما أضل علومهم وأبلد فهمهم وبالله التوفيق
(تمة) جاء عن ابن سيرين ان المهدي خير من أبي بكر وعمر قد كاد يفضل الانبياء
وجاء عنه أيضا لا يفضل عليه أبو بكر وعمر وهو وان كان أخف من الاول فليس
بصحيح فان الامة مجمعة على أفضليتهما عليه بل وعلى جميع الصحابة خلافا للرافضة
خذلهم الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي
ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الامر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام
ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهي صلاة الفجر ثم يستمر المهدي
على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الامر اليه ثم يموت المهدي
ويصلي عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس بمقتضى ما مر يعلم قدر سنه
لانه يخرج ويبيع له وهو ابن أربعين أو خمسة وثلاثين سنة وتقدم الخلاف في
مدة ملكه والله تعالى أعلم

(خاتمة) أخرج نعيم عن الوليد بن مسلم قال سمعت رجلا يحدث قوما
فقال المهديون ثلاثة مهدي الى الخير عمر بن عبد العزيز ومهدي الدم وهو الذي
يسكن على يديه الدماء ومهدي الدين عيسى بن مريم عليه السلام وأخرج
أيضا عن كعب قال مهدي الخير بعد السفيناني وأخرج أيضا عن اوطاة قال بلغني
أن المهدي يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجليه من قحطان مثقوب

الاذنين على سيرة المهدي بقاءه عشرون سنة ثم يموت قتلاً بالسلح ثم يخرج رجلاً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مهدي حسن السيرة يفتزو مدينة قيصر وهو أمير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى مريم وتقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبي الحسن محمد الحسين انه قال قد تواترت الاحاديث واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمحيي المهدي وانه من أهل بيته صلى الله عليه وسلم وانه يدلك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلاً وانه يخرج مع عيسى فيساعده على قتال الدجال باب لد بارض فلسطين وانه يوم هذه الامة وعيسى يصلى خلفه بعد صلاة واحدة وهي الفجر كما مر والله التوفيق

العلامة الثانية خروج الدجال وارتباطه به

وما أدراك ما الدجال منيع الكفر والضلال ونذوع الفتن والاورجال قد أنذرت به الانبياء قومها وحذرت منه أممها ونعتته بالنعوت الطاهرة ووصفته بالاورصاف الباهرة وحذره المصطفى وانذر رعيته لأتمته نعوته لا تخفى على ذي بصير وقد قبل انه صافي ابن صياد او صائد وان مولده المدينة كما في الحديث الوارد وقيل بل هو شيطان وثق في بعض الجرائر او انه من أولاد شياطين الكاهن أو هو شق نفسه وان أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها إياه وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا القول ليس بصائب وقال كعب الاحبار الدجال تله أمه بقوص من أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً « يتبع الدجال من يهود أصهبان سبعون ألفاً عليه الطباخة » وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً « يخرج الدجال من يهودية أصهبان ثم يخلق له عين والآخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوه في الشمس سمكاوي تناول الطير من الحور له ثلاث صيحات يسمعا أهل المشرفة والمغرب ومن حليته انه شاب وفي رواية شيخ وسندهما صحيح جسيم أحمر وفي رواية أبيض أبيض وفي رواية آدم قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري يذكر

السابقين وقيل هو التذاتي ما بين صدور القدمين مع تباعدهما وقيل هو الذي في
 وجليه اعوجاج، جفال الشعر بضم الحميم وتخفيف الفاء أي كثيره هجان بكسر اوله
 وتخفيف الحميم أيض أقر أي تسديد البياض ضحم فيلأني مفتح الماء وسكون
 التحتية أي عظيم الجثة قال ابن الاثير في نهاية في صفة الدجال أقر فيل وفي رواية فيلأنا
 الفيل العظيم الجثة والفيل الامر العظيم والياء زائدة والفيلأني منسوب اليه بزيادة
 الألف والنون للمبالغة انتهى، كأن رأسه أغصان شجرة أي شعر رأسه كثير متفرق
 قائم وفي رواية ان رأسه من ورائه جلك أي شعر منكس من الجعود كاللآ الساكن
 والرمل اذا هبت عليها الريح قال في النهاية وهذا معنى ما مر انه جمده قتل مكتوب
 بين عبيه ك ف ر حر و فاقطعة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها
 الكافر لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة
 وسعون ألقا من يهود أصهبان عليهم التيجان وكاهن ذو سيف محلي ومن صفاته
 أيضا انه تام عياه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار وأمه امرأة
 فراضية أي كثيرة اللحم طويلة الشفتين وقال في النهاية وفي حديث الدجال وان
 أمه كانت فراضية أي ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل فراضخ وامرأة فراضخة
 والياء للمبالغة له أي الدجال حمار اهلب وهو الشعر العليظ يعني كثير الشعر ما بين أذنيه
 أربعون ذراعا يضع خطاه عند منتهى طرفه وقال أبو الطاهر عن بعض الصحابة رضي الله
 عنهم يخرج الدجال على حمار رحس رواه ابن أبي شيبة وقال علي رضي الله عنه يخرج
 الدجال ومعه سبعون ألفا من الحاكة رعم بعضهم ان الحاكة اسم موضع على مقدمته
 أشعراي رجل كثير الشعر يقول بدو بدو وهذا لفظ فارسي معناه أسرع أسرع وفي
 مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدجال عريض المنخر فيه
 رفاء أي انحافر في صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر
 من الدجال وفي رواية أمر أكبر من الدجال

واعلم ان العلماء قد اختلفوا في الدجال فبيل انه ليس بانسان وانما هو شيطان موثق
 بسبعين حلقة في بعض حزائر الجن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو

غيره فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة وإذا أبرزاته اتان عرض ما بين اذنيها
أربعون ذراعاً فيضع على ظهرها منبراً من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون
إليه بخزائن الارض وأول خروجه يدعي الايمان والصلاح ويدعو الى الدين
فيتبع و يظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به فيتبع ويمحب على
ذلك ثم يدعي الالهية فيقول انا الله فتغشى عينه وتقطع اذناه ويكتب بين عينيه
كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من
الايمان هكذا رواه الطبراني وقال كعب الاحبار يتوجه الدجال فينزل عند باب
دمشق الشرقي ابتداء قبل خروجه ثم يلتبس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه
التي عند نهر الكسوة فيطلب فلا يدري أين توجه ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة
ثم يظهر السحر ثم يدعي النبوة فينصرف الناس عنه يعني المسلمين فيأتي النهر
فيأمره ان يسيل فيسيل ثم يأمره ان يرجع فيرجع ثم يأمره ان يبليس فيبليس الحديث رواه
نعيم بن حماد و يبعث الله له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تر يد فيقول
لهم نعم اذهبوا للناس فقولوا انا ربهم فيبشروهم في الآفاق ويدعي الالهية ويخرج
من أرض المشرق من نواحي خراسان ومعه اليهود من أصبهان وغيرها وقيل انه
يخرج من يهودية أصبهان كما تقدم وقيل من كوثا بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود
والنساء والاعراب وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم عن
أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «يتبع الدجال من يهود أصبهان
سبعون ألفاً عليهم الطباية» وفي الطبراني يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق
معه قومه وجوهم كاللجان فيفتن الناس به فتنة عظيمة في الحديث ما كانت
ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال ومامن نبي الا وحذر قومه
الدجال الحديث رواه الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً وفي الحديث ان قبل
خروجه بثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والسنة
الثانية تمسك ثلثي قطرها والارض ثلث نباتها والثالثة تمسك السماء ما فيها
ويهلك كل ذي ضرر وظائف ويسير ومعه جبالان أحدهما فيه أشجار وأثمار
وأما واحداهما فيه دخان فيقول هذه الجنة وهذه النار رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعاً

وعن حذيفة ان معه جنة وبارا ورجالا يتكلمهم ثم يحبيهم ومعه جبل ثمر يدنوهم .
وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فاره جنة وجنته ناره
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران
بحريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار ناجح فأما ان
أدرك ذلك أحد منكم فليأت الدهر الذي يراه نارا وليغمض ثم يطأ رأسه فيشرب
منه ماء بارد وان الدجال مسح العين عليها طرفة غايطة مكتوب بين عينيه كافر
تقروه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» وعن أبي بصير رضي الله عنه قال
في الدجال ان معه ماء وبارا فاره ماء بارد وماؤه نار فلا تهلکوا قال أبو مسعود
وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . كل هذه الروايات في صحيح
مسلم واتفق البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله «ان الدجال يخرج وإن معه ماء ونارا فأما
الذي يراه الناس ماء فانه تحرق وأما الذي يراه الناس نارا فانه بارد عذب فمن
أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا فأما ماء عذب طيب قل أبو مسعود
وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم عن الدجال حديثا
ما حدثني نبي قومه إنه أعور وأنه يحمي معه مثل الجنة والنار قالتي يقول أنها الجنة
هي النار وأني أنذرتكم به كما أنذره نوح قومه» وأخرج مسلم من حديث النوايس
بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال
دات عداة خفص فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة المخل فلما رحنا اليه عرف ذلك
فيما فقال ما شأكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة خفصت فيه وزفت حتى
ظنناه في طائفة المخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا
حبيبكم دونكم وإن يحرق واست فيكم فكل امرئ حبيب نفسه والله خليفتي على
كل مسلم انه شاب قلط عيه طافية كائي أتبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه
مكم وليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف اخارج خلعة . أي انه يخرج قصدا وطريقا

والتخلل الدخول في الشيء . — بين الشام والعراق فعات يمينا وعات شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله فما لبثه في الارض قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسرعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبث ففروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا واصبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيسددوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصيحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرج كنوزك فتبعه كنوزها كيما سيب النحل ثم يدعو رجلا مثلا شابا (١) فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعو فقبل يتהל وجهه يضحك فينا هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جنان كالاولو فلا يحل لكافر يجرد ربح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه الحديث

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الذي معه من صورة الجنة والنار ونحوها على طريق التخييل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرها انه قال كنت أكثر من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن آية الدجال فقال لي وما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز قال «هو أهون من ذلك» قال فمناها انه أهون على الله من ان يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة ويدل له أيضا الرواية السابقة أحدهما في رأي العيين أبيض الحديث وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها امتحانا من الله تعالى لعباده وحملوا قوله هو أهون الخ أي من أن يخاف منه أو ان يضل الله به من يحبه قال في الاشاعة كالعلامة الشيخ مرعي والتحقيق الاول ويدل له ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم «فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه انها نار فانه

عذب بارده وعما في رواية قالار روضة خضراء وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال «يأتي وهو عرجم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهي الى بعض السياج التي في المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرايتم ان قتلتم هذا ثم أحبيته أن تكون في الامر فيقولون لا قل فيقتله ثم يحبيه فيقول الرجل حين يحبيه والله ما كنت فيك قط أشد صبيرة مني الآن قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه وأخرج مسلم عنه أيضا في هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيترجمه قبله رجل من المؤمنين فيلقاه المسالم صالح الدجال أي وهو جمع مسلحة قومهم سلاح والمسلحة كالتمر والمزق وهو الذي يكون فيه قوم برقوب العدو لئلا بهم عليهم فيقولون له أين تعد فيقول أعود الى هذا الرجل الذي خرج قال فيقولون له أو ماتوا من بر بنا فيقول ما بر بنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال فيأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه وشجروه فيوضع ظهره وبطنه ضرا ما قال فيقول أما تؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيدثر بالمشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما وفي رواية قم حيا باذني فيعود حيا قال فيقول له تؤمن بي فيقول ما ارددت بك الابصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل بي شيء بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى فرقته نحاس فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذ يديه ورجليه فيقذف به فيحرب الناس انه قد فذ الى النار وانما أتى في الجنة فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين قال القرطبي في تذكرته يقال ان هذا الحضر عليه السلام قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت ان الدجال لا يسلط على أحد

بالقتل الاعلى رجل واحد يخرج اليه وهو شاب حسن فيقول له الدجال أتو من بني
و بألوهيتي فيقول له انك للعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشي
الدجال بخماره بين الشقين ويقول له قم حيا باذني فيعود حيا ثم يقول له بعد ذلك
أتو من بني فيقول ما ازددت فيك الا يقينا انك الاعمى قال ابراهيم بن محمد بن
سفيان يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وقد توهم القرطبي فزعم ان
القائل ذلك ابراهيم أبو اسحق السبيعي وليس كذلك وقالت بعضهم ان الرجل
المدكور من أصحاب الكهف وقد مر أنهم يكونون من أصحاب المهدي

فان قلت كيف يقال انه لا يسلط الا على واحد مع ماورد عن حذيفة رضي
الله عنه ان مع الدجال رجلا يقتلهم ثم يحييهم فالجواب ان هؤلاء الرجال انما هم
شياطين وقتله اياهم واحياؤه لهم انما هو في رأي العين لا على الحقيقة واما قتل
ذلك الرجل فعلى الحقيقة

(فائدة) ورد انه لم يبق من الناس بلافتنة من الدجال الا اثنا عشر ألف رجل
وسبعة آلاف امرأة والله المستعان واخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال في أمي
فيمكت أر بعين لأدري أر بعين يوما أو أر بعين شهرا أو أر بعين عاما فيبعث الله
عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه » الحديث

﴿ و ﴾ منها أي من علامات الساعة العظمى العلامة الثالثة ان ينزل من السماء السيد
﴿ المسيح ﴾ عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما
الكتاب فقوله (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أي ليؤمنن بعيسى
قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة
ملة ابراهيم حنيفا مسلما ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وان الضمير
في قوله قبل موته ليهود ويؤيده قراءة أبي رضي الله عنه قبل موتهم . واما السنة ففي
الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر

الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجربة» الحديث وفي مسلم عنه «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب» بنحوه واخرج مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي يقتلون على الحق طاهرين الى يوم النيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم يقال صل بنا فيقول الا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الامة» واما الاجماع فقد أجمعت الامة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة مما لا يمتد بخلافه وقد انعقد اجماع الامة على انه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشرعية مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو منصف بها ويتسلم الامر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه واتباعه كسائر أصحاب المهدي حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي كما مر وتقدم ان عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته وكذلك يسلم اليه تابوت بني اسرائيل وكل مامعه من آلات الامر

﴿ فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام ﴾

(الاولى) في حليته وسيرته أما حليته فمعد البخاري من حديث عقيل بن خالد انه أحمز أجمد عريض الصدر وفي رواية آدم كاحسن ما أنت راء من آدم الرجال سبط ينظف بكسر الطاء المهملة أي يقطر زاده في رواية له لمسة أي بكسر اللام وتشديد الميم أحسن ما أنت راء من اللحم قد رجلها بتشديد الحيم أي سرحها وفي رواية لته بين منكيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا رأيت عيسى بن مريم عليه السلام مبرع الخلق الى الحمرة والياض سبط الرأس زاده في حديث أبي هريرة بنحوه كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ولا منافاة بين الحمرة والادمة لجواز أن تكون ادمته صافية كما مر لا يجدر بريح نفسه كافرًا لامات

واما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل الردو يضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام ويتحد الدين فلا يعبد الا الله ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من قبلها وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال ويرفع الشحنا والتباغض وينزع

الله سم كل ذى سم حتى تلعب الأ ولاد بالحيات والمقارب فلا تضرهم ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها ويملاً الأرض سلباً وينعسدم القتال وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشعبهم وكذا الرمانة وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لان الأرض تحرث كلها ويكون مقرراً لشریعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه رسول لهذه الأمة كما مرو يكون قد علم أحكام هذه الشریعة بأمر الله تعالى وهو في السماء قبل ان ينزل وزعم بعض العلماء ان بنزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام يرفع التكليف وهذا مردود للاخبار الواردة انه يكون مقرراً لأحكام هذه الشریعة ومجددا لها اذ هي آخر الشرائع ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والدنيا لا تبقى بلا تكليف فان بقاء الدنيا انما يكون بمقتضى التكليف الى ان لا يقال في الأرض الله الله ذكره القرطبي في تذكرته وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم وتسلب قریش ملكها قال الحافظ السخاوي في كتابه القناعة وابن حجر في القول المختصر معنى ذلك لا يبقى لقریش اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر «لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي من الناس اثنان» قال البرزنجي في الاشاعة وبذل لهذا حديث جابر عند مسلم «فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لان بعضكم على بعض أمراء تكربة الله هذه الأمة» وعلى هذا فلا منافاة ان يكون المهدي أميراً حتى في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في الامور لعيسى عليه السلام للتبرك والتمعن به

فان قلت كيف يصح خبر لا يزال هذا الامر في قریش مع مشاهدتنا انفصال قریش عن الملك منذ أزمان فالجواب استحقاقها لهذا الامر وان ظلمها ظالم واماء عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم وربما ان يكون بقاء الامر في قریش ولو مراجعة ولا شك ان قریشا يرجعون على ان ملوك زماننا يزعمون انهم انما يتملكون بالنيابة عن قریش ويعملون صورة نيابة عن نقيب السادة الاشراف على ان لبني هاشم استقلالاً بالامر في محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها.

ثم انه لا يخفى انه لا يحسن ان يقال ان الامر في أيام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولا من أولي العزم معصوما والمهدي رجل مجتهد نعم يكون المهدي

من خواص السيد عيسى بل وزبره واقرب لديه يراجعه في الامور وتصدر عنه الشورى وبالله التوفيق

﴿الفائدة الثانية﴾

في وقت نزوله من السماء ومحلّه وما يجري على يديه من الملاحم
 اما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضحا كفيه على أجنحة
 ملكين فني صحيح مسلم من حديث النّوّاس بن سميان رضي الله عنه أنه صلى
 الله عليه وسلم قال « قبيلاً هو أي الدجال كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه
 السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودين واضحا كفيه على
 أجنحة ملكين اذا طأ رأسه قطروا اذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحمل لكافر
 يحد ويحذ الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه » قوله مهرودين قال في جامع الاصول
 رويت هذه اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال لثوب اذا صبغ بالورس ثم بالزعفران جاء لونه
 مثل زهرة الخوزانة فذلك الثوب مهرود وقيل أراد بالمهرود الثوب المصبوغ بالهرد وهو
 صغ أصفر قيل انه الكرم وقيل أراد في شقتين من الهرد وهو القلع انتهى
 وقال في النهاية في حديث عيسى عليه السلام انه ينزل بين مهرودين أي في شقتين أو
 حلتين وقيل الثوب المهرود الثوب الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجئ لونه
 مثل لون زهرة الخوزانة قال القتيبي هو خطأ من القلة وأراه مهروتين أي صفراوين
 يقال هريرت العمامة اذ لبستها صفراء وكان فعلت منه هروت فان كان محفوظا بالبدال
 فهو من الهرد الشق وخلي ابن قتيبة في استدراكه واشتقاقه قل ابن الابرار
 القول عندنا في الحديث بين مهرودين يروى بالبدال والذال أي بين مصرتين على
 ما جاء في الحديث ولم يسمعه الا فيه وكذلك أشياء لم تسمع الا في الحديث والمصرة
 من الثياب التي فيها صفرة خفيفة وقيل المهرود الثوب الذي يصبغ بالعروق
 والعروق يقال لما الهرد وفي حديث ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهردة
 جاء تفسيره في الحديث انها العدسة انتهى والجان حب الفضة
 ويكون نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من النهار

حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقى شيء لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقرعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنتهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال كما سيأتي بيان ذلك

﴿ الفائدة الثانية في مقدار مدته ووفاته ﴾

أما مدته ووفاته فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساکر أنه صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة » وعند الامام أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن جبان عنه أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن عساکر وأبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة اماما عادلا حكما مقسطا » وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « يلبث عيسى بن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيل عسال لسات » وفي المنتظم للامام الحافظ ابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى ابن مريم فيتزوج ويولد له » ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمد وان أمهما من اليزد قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر » وعلى هذا روايات أربعين وردت بإلفاء الكسر وورد في روايته أنه انما يمكث سبع سنين وجمع بعضهم ان سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وينزل سبعا فلهذا أربعون سنة وهذا والله أعلم بشيء لما مر من حديث عائشة عند الامام أحمد وغيره « فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة » وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفتيت بان ابن مريم

بمكث في الارض بعد زواله سبع سنين قال واستمرت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الامام الحافظ البيهقي اعتمد ان مكثه في الارض أربعين سنة معتقدا ما أفاده الامام أحمد في روايته بانفك ثم بمكث ابن مريم في الارض بعد قتل الدجال أربعين سنة وهذا هو المرجع لان زيادة الثقة يحتاج بها ولائهم يأخذون برواية الاكثر ويقدمونها على رواية الاقل لما معها من زيادة العلم ولأنه مثبت والمثبت مقدم انتهى والى قتل سيدنا عيسى بن مريم للدجال أشار بقوله

من وانه يقتل للدجال بياب لدخل عن جدال

﴿وانه﴾ أي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ﴿يقتل﴾ بأمر الله له ومعونه وتأيدته ﴿للدجال﴾ أي الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه في الشرائع وقيل انما سمي دجالا لانه يقطع الارض ويسير في أكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك وقيل سمي به لتوهمه على الناس وتليسه يقال دجل اذا لس وموه وقيل مأخوذ من الدجل وهو طلي الحرب بالقطران وتغليلته فكان الرجل يغطي الحق ويستره

تليسه

انما سمي الدجال مسيحا لان أحد عينيه ممسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا كما في جامع الاصول واما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فليل المسح زكريا عليه السلام اياه وقيل لانه كان مسح ذا العاهة فبرأ وقيل لانه كان مسح الارض أي يقطعها في سياحته وقيل المسيح الصديق فسيدنا عيسى مسيح الهدى واما الدجال فمسيح الضلالة وضطله فيها فتح الميم وكسر السين مخففة بالخاء المهملة وسمع مسيح بالتشديد على وزن فعيل قاله الازهري فرقا بينه وبين عيسى فيشد في الدجال ويخفف في سيدنا عيسى قال العيني الشافعي في رسالته «الاجرة المفيدة على الاسئلة العديدة» ما لفظه قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن أبي عمر ان موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نطق به

بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الرازي : إذا المسيح قتل المسيحاه يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال انتهى وقال في المطلع المسيح اثنان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وإنما اختلف في معناه فقل سمي مسيحاً لأنه كان ممسوح القدمين بمعنى فاعل وذكر نحوه ما تقدم وزاد قيل إنما سمي مسيحاً لأنه كان ممسوح القدمين لاخص له وقيل لأن الله تعالى مسحه أي خلقه خلقاً حسناً وهذا تقدم والمسحة الجمال والحسن وقيل لأنه خرج ممسوحاً بالدهن قال وأما الدجال فهو مثل عيسى في اللفظ عند عامة أهل المعرفة والرواية وعن أبي مروان بن سراج وغيره كسر الميم وتشديد السين وأنكره الهروي وجعله تصحيفاً وقال بعضهم كسرت الميم للفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام وقال الحربي بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها في عيسى وكل سواء قال أبو الهيثم والمسيح بالحاء المهملة ضد المسيح بالحاء المعجمة مسحه الله إذ خلقه خلقاً حسناً ومسح الدجال إذ خلقه ملعوناً وقال أبو عبيد المسيح الممسوح العين وبه سمي الدجال وقيل المسيح الأعور وبه سمي الدجال وقيل أصله مشيح فيه ما معرب وعلى هذا اللفظ ينطق به العبرانيون انتهى وذكر نحوه في النهاية ثم قال في الدجال وقيل إنه الذي مسح خلقه أي شوه وليس بشيء انتهى

تقدم أن سيدنا عيسى عليه السلام يصلي بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج بن معه من أهلها في طلب الدجال ويمشي وعليه السكينة والارض تقبض له وما أدرك نفسه من كافر الا وقتله ويدرك حيث ما أدرك بصره حتى يدرك بصره حصونهم وقرىاتهم الى أن يأتي بيت المقدس فيجده مغلقاً قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح وفي رواية عند الامام أحمد من حديث جابر مرفوعاً فيفر المسلمون يعني من الدجال الى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً ثم ان الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانياً كما تقدم ويبادر الى بيت المقدس فاذا صعد عقبة فبق رفع ظلة على المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقوام من برك حتى اذا طال الحصار قال رجل الى متى هذا الحصار أخرجوا الى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا اما بالشهادة واما

الفتح هل أنتم الا بن احدى الحسينين فقبايعون على القتال يعة يعلم الله انها
الصدق عن أنفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد
وان قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كنهه
ينزل ابن مريم عليه السلام فيحصر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لامة
يقولون من أنت فيقول أنا عبد الله وكلمته عيسى اخناروا احدى ثلاث ان يبعث
الله على الدجال وجنوده عذابا جسيا أو يخسف بهم الارض أو يرسل عليهم
سلاحهم ويكف سلاحهم فيقولون هذا يارسل الله اشقى لصدورنا فيومئذ ترى
اليهودي العظيم الطويل الاكول الشروب لا تقل يده سبغة من الرعب فينزلون
اليهم فيسلطون عليهم هكذا في هذه الرواية وفي رواية أخرى فيينا امامهم أي
المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح اد نزل عليهم اتبي الله عيسى بن مريم عليه
السلام للصبح فيرجع المهدي فتهبى لينتقم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس
ويقال له ياروح الله تقدم أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة أذن فيقول
عليه السلام لينتقم امامكم فيصلي لكم ويضع عيسى عليه السلام يده بين كتفي
المهدي فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى
افتح فيفتح ووراء أي وراء الباب الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم يذوي
سيف محلي وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا
فيقول عليه السلام ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد ولذا
قال ﴿باب﴾ متعلق بقتل الدجال أي يقتله ياب ﴿لد﴾ بضم اللام فندال مهله يوزن مد
بلد مشهورة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ الى جهة الشمال متصل شجرها بشجرها
فيقتله هناك وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول
يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا الى الكذاب الخبيث ويسمعون النداء جاءكم النوث
فيقولون هذا كلام رجل شعبان وتشرق الارض بنور ربها وينزل عيسى بن مريم
فيقول يامعشر المسلمين احمداوا ركم وسبحوه أي فان التحميد والتسبيح قوتهم
كما هم يفعلون ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيّق الله عليهم الارض فاذا أتوا
باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى فاذا نظر الدجال عيسى يقول أقيموا

الصلاة خوفاً منه أي من عيسى ويقول يانبي الله قد أقيمت الصلاة فيقول عيسى يا عدو الله زعمت أنك رب العالمين فلن تصلي فيضربه بمقرعته وفي رواية بحرته التي نزل بها من السماء وفي رواية يذبحه بالسكين ولا منافاة في ذلك إذ كل ذلك سلاح سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله رواه الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه ثم ينزل عيسى بن مريم فينادي من السحر يا أيها الناس ما يمنكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب يثأر كما يثأر الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يترك من ممن كان تبعه أحداً الا قتله

وحاصل وجه الجمع بين الروايات أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل أولاً بدمشق الشام على المنارة البيضاء لست ساعات من النهار ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثاً للمسلمين ويأمرهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد فيخرج إليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي المهدي في الصلاة فيعقر ويقتل لعيسى تقدم أي يقول له ذلك من لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدي تعقر فيضع عيسى يده على كتف المهدي أن تقدم ويقول للقاتل امامكم فيجيب المهدي بالفعل والقاتل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتجمل الدجال إلى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما عرف عدم التخلص ذاب خوفاً منه كما يذوب الملح بالماء فادركه فقتله أو أن الدجال ينشئ صلاة في غير وقتها وهو أدل على ضلاله وجهالته بالله كما في الأشاعة ثم قال وهذا وجه آخر وهو أقرب إلى التحقيق وهو أن الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت وعلى هذا فلا إشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر

ولي على هذا الجمع استشكال ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله أن الروايات ثابتة أن

نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدي قد جمع
 الناس لقتال الدجال فتعهم ضيابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى
 عليه السلام قد نزل ويكون نزوله على المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح ثم
 بعد الصلاة يتبعون الدجال وقد فر هذا كالصريح ان عيسى ينزل على منارة
 دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار وفيه أيضاً أن الناس
 لم يكونوا أحرماً بالفجر بعد بل يريدون ذلك وأيضاً المعروف عند أهل العلم أن
 عيسى عليه السلام انما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر وأول صلاة عيسى
 بالناس الطاهر . وربما يحاب عن هذا بأن يكون قد جمع بين صلاتي الطهر والعصر
 تأخيراً لا اشتعاليه في طلب الدجال فالأولى التسليم لما ورد على ما ورد والاذعان للاخبار
 الثابتة فلا تقابل بالممارسة والرد ولهذا قال (خل) أي أترك وتدع وتفرغ (عن
 جدال) في ذلك فإنه أمر سمي أخبر به المعصوم والعقل لا يحيله فوجب اعتقاده
 والتسليم والالتقياد والاذعان لما أخبر به خير العباد ورسول رب العالمين صلى
 الله عليه وسلم

والجدل لغة اللد في الحصومة والقدرة عليها يقال جادل يجادل فهو جدل
 ككتف ومجدل ككبر ومجدال كحراب وجدات الجبل أجده جدلاً مثل فتل
 أفنله فتلا أي فنته فتلا محكماً والجدلة الأرض يقال طعمه فجده أي رماء على
 الأرض ومنه حديث «كنت نبياً وآدم مجتدل في طينته» والجدال في اصطلاح النظار
 والفقهاء قتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله وإبطال قول غيره وهو وإن كان
 مأبوراً به على وجه الانصاف وإظهار الحق لأنه لا يستغنى عنه لأن به تنبيز
 صيغة الدليل من فسادة تحريراً وتقريراً وتنضح الأسئلة الواردة من الردود
 اجلاً وتفصيلاً إلا ان العال ب فيه انما يكون على وجه العلبة والحصومة والغضب والمرأه
 وهو يعني المرأه استعراج غضب المخاد عن طريق الحق واليه ينصرف النهج
 عن قيل وقال قال البرهاري من علمائنا واسمه الحسن بن علي في كتابه شرح السنه
 ليس في السنه قياس ولا يضرب لها الأمثال ولا يتبع فيها الأهواء بل هي التصديق
 بأئمة الرسول صلى الله عليه وسلم بلا كيف ولا يقال لم ولا كيف قال الكلام والخصومة

والجدال والمراءى يحدث يقدح الشك في القلب وان أصاب تصاحبه السنة والحق انتهى مختصراً وروى الامام أحمد والترمذي وصححه عن أبي امامة مرفوعاً «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل - ثم تلا - ماضر بوء لك الاجدلا» وللإمام أحمد عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك المراءى وان كان محققاً» والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «لا تمار أخاك» ولأبي داود بإسناد حسن عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعاً «انازعهم بييت في ر بـض الجنة لمن ترك المراءى وان كان محققاً» وعند ابن ماجه والترمذي وحسنه عن أنس مرفوعاً «من ترك المراءى وهو محق بني له بيت في وسط الجنة» وروى أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجدال وهو مبطل بني له بيت في ر بـض الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها» والله الموفق

﴿تنبيهات﴾

(الاول) اذا قتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الدجال انهزم خنثوه الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي الا انطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة الا قال يا عبد الله هذا يهودي وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله الا العرقد فانها من شجر اليهود لا ينطق ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله الا العرقد فانه شجر اليهود» وفي صحيح البخاري نحوه

﴿الثاني في قدر لبته في الارض وكيفية النجاة منه﴾

اما قدر لبته في الارض فتقدم في خبر النواس بن سمعان عند مسلم والترمذي انه يمكنك ان تبين يومك كسنة ويومك كشهر ويومك كجمعة وسأراياه كما بناكم وفي رواية عند الامام

أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة من مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه وفي حديث أبي امامة رضي الله عنه عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء «ان أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الا آخر حتى يمسي» وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يمضي النهار فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة والشهر كالיום والسنة كالشهر ومنهم من قال بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند الامام أحمد والترمذي في اشراط الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالفرصة بالمار (١) وذكر بعض العلماء ان الصلاة تقدر في هذه الايام أيضاً على قياس مامر واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين فمنهم من مال الى الترجيح فعلى هذا حديث الدواس بن سيمان رواه الامام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه فهو أقوى لانه أصح وان كان الثاني أيضاً صحيحاً فيقدم عليه ومنهم من مال الى الجمع وطريقته ان أيامه أربعون سنة وتسمى السنين أياماً مجازاً كما يقال أيام اين الزبير وأيام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وأيام بني أمية ثم ان أول أيام السنة الاولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقى أيامه كأيام ما ثم تتناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا الى أن تكون السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر أيامه بحيث يصح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الا آخر حتى يمسي (٢) فتكون

(١) يقول مصحح الكتاب يحتمل ان يكون المراد بتقارب الزمان ما حدث في هذا العصر من مراكب البحار والكهرباء في البحر والبر فيكون هذا من اعلام السرة التي ظهر صدقها (٢) يحتمل أن المراد بهذا أن المدينة تكبر وتتسع حتى يكون مسافة ما بين النابين من الصباح الى المساء ويؤيد هذا أحاديث أخرى وردت في عمران المدينة

السنة الأولى مشتملة على مقدار سنين من سنيننا وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنيننا ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أنه يقول يعني الدجال انارب العالمين وهذه الشمس تجزي بأذني افتر يدون ان أحبسها فيحبس الشمس حتى يحجل اليوم كالشهر كالجمعة ويقول أنريدون ان أسيرها فيجمل اليوم كالساعة الحديث (١)

وأما كيفية النجاة منه فعلوم أنه مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب ثم أنه لحسته وعجزه أعور وهو جسم مرى وهذه كلها لا تجوز على الباري وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفي رواية من آخر الكهف رواه مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً وورد عن أبي امامة مرفوعاً من لقيه منكم فليقتل في وجهه رواه الطبراني وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً « من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » قال الترمذي حديث حسن صحيح ومما ينبغي للمؤمن ان يكثر من ذكر الله تعالى من الهليل والنسيج والتكبير فانه قوته

﴿ الثالث ﴾

نما ينبغي لكل عالم ان يث أحاديث الدجال بين الاولاد والنساء والرجال وقد قال ابن ماجه سمعت الطنافسي يقول سمعت المحاربي يقول ينبغي ان يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب وقد ورد ان من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر وقد أخرج الامام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً يخرج الدجال في خفة من الدين وادبار من العلم فينبغي لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه الخن واندرست فيه معالم السن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الرابع

اختلف الناس الصحابة فمن اقدم قديما وحديثا في الدجال هل هو صافي
ابن صياد أو غيره قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري مما يدل على
ان ابن صياد هو الدجال ما أخرح مسلم في صحيحه عن محمد بن المنكر قال
رأيت جابر بن عبد الله يخلف بانه ان ابن صياد الدجال قُلت له اختلف على ذلك
قال اني سمعت عمر يخلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي
صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه وفي تذكرة القرطبي عن مافع قال
كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول والله ما أشك ان المسيح الدجال ابن صياد
أخرجه أبو داود واسناده صحيح وفي ذلك عدة أحاديث وآثار صحيحة الا انها
ليست صريحة ولا نصا في ان ابن صياد هو الدجال وقد أخرج الامام أحمد بسند
صحيح عن أس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا يخرج الدجال من يهودية أصبهان
قال أبو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وانما سميت اليهودية لانها
كانت تختص بسكنى اليهود ولم تنزل كذلك الى زمن أبوب بن زياد أمير مصر
في زمن المهدي من مصور العباسي وسكنها المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة
وحاصل كلام الحافظ ابن حجر ان الاصح ان الدجال غير بن صياد وواقفه في
الاشاعة وان واقفه ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود وانه ما كن في يهودية
أصبهان ففي خبر ابن عمر رضي الله عنهما قال لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة
الاولى ثم قال لقيته لقيّة أخرى وقد ندرت عينه قال فقلت متى فعت عينك
أرى قال لا أدري قال قلت لا تدري وهي رأيتك قال ان شاء الله خلقها في عصا
هذه قال فحرقها فحرقها سمعت فرعم بعض أصحابي اني ضربته بعصا كانت
معي حتى تكسرت وأما ما فوالله ما شعرت قال وجاء ابن عمر ودخل على أم
المؤمنين حفصة رضي الله عنها فحدثها فقالت ما تريد اليه اما انه قد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «ان أول ما يبعثه على الناس غضب يفضبه» وقد كان أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرني
يا رسول الله اصرب سقه فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلي تسلط عليه وان

لم يكن هو فلا خير لك في قتله ذكره في التذكرة وغيره وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال لما فتحت أصبهان كانت بين عسكرنا وبين عسكر اليهودية فرسخ فكننا نأتيها ونمتار منها فأتيناهما يوما فاذا اليهود يضطربون فسألت صديقا لي منهم فقال ملكتنا الذي نستفتح به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس اذا الوهج من قبل العسكر فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعني اليهودية فلم يمدحني الساعة قال الحافظ ابن حجر: وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته وباقي سنده ثقات: وقد أخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة وأخرج الترمذي من حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعا «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لها ولد ثم يولد لها أعور أضر شيئا وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه» قال أبو بكر: نعم نعت له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال «أبوه طوال ضرب اللحم كأن انفه منقار وأمه امرأة طويلة اليد» قال أبو بكر: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقلنا مكشنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيئا وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه قال فخرجنا من عندها فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله جمجمة فكشفت عن رأسه فقال ما قلنا قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيني ولا ينسام قلبي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة وبخرجه أبو داود الطيالسي

والحاصل ان كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل بعيد صحيح السند وراه غيره بسند حسن فهو الذي رواه عن جابر ان ابن صياد فقد يوم الحرة صحيح السند وراه غيره بسند حسن فهو يضمف خبر انه مات بالمدينة وانهم صلوا عليه لانه أسلم وانهم كشفوا عن وجهه ولا يلزم أيضا مع خبر حسان بن عبد الرحمن المازلان فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها وبين شهادة سيدنا عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة وخاضل كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري وكلام غيره ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جابر

بن نفير وشريح بن عبيد وعمر بن الأسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال ليس
 بأسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض حزائر امين كما تقدم قال
 الحافظ بن حجر وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد وأما ما أخرجه أبو
 داود في جبر الحساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قل شهد جابر أنه
 الدجال هو ابن صياد قلت فإنه قد مات قال وإن مات قلت فإنه قد أسلم قال
 وإن أسلم قلت فإنه قد دخل المدينة قال وإن دخل المدينة وإن صح ذلك فهو
 شهادة على حسب طه وما قرئ في صدره من اعتقاده أنه ابن صياد. وأما ما ذكر
 سيف بن عمري كتاب الفتن والردة من أنه لما نزل المسلمون على سوس وأحاطوا
 بها واشتبوها للقتال أشرف عليهم يوما الرهبان والنسيون فقالوا يامشر المرء
 إن مما عهد البنا علما وأولياؤنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيه
 الدجال فإن كان الدجال فيكم فتفتحونها وإلا فلا تغنوا بالحصار قل وصافي ابن
 صياد يومئذ مع العان بن بشير رضي الله عنه في جنده فأنى صافي ابن صياد باب السوس
 ففتحهم أن صدق برجله وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وتفتحت
 الابواب ودخل المسلمون فالمصحح خلافه قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجزى
 به من ما تضمنه حديث نعيم وخبر الحساسة وبين أحاديث كون الدجال هو ابن
 صياد أن الدجال هو الذي رآه نعيم موثقا بيمينه وإن ابن صياد شيطانه طهر في صو
 الدجال تلك المدة التي قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا ممكن والله أعلم

هو الخامس

في ذكر قصة نعيم الداري وحديثه الذي رواه عنه أبي علي رضي الله عنه
 وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه
 يعلى وعائشة رضي الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس عند الشعبي في
 الشعبي ثم لتبت القاسم بن محمد فقال أشهد على عائشة حدثتني كما حدثت باما
 بنت قيس وروي أيضا من حديث جابر أخرجه أبو داود بسند صحيح وأما حديث
 وطمة الذي هو عمدة الباب وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث فأخرجه مسلم
 صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح

ولفظ رواية مسلم قالت فاطمة رضي الله عنها سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: «الصلاة جامعة» فخرجت الى المسجد فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال «يلزم كل انسان مصلاه» ثم قال - اتدرون لم جمعتمكم؟ «قالوا الله ورسوله اعلم قال «اني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتمكم لان تيمما الداري كان رجلا نصرانيا نجاء وبيع وأسلم وانه حدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفوا الرأي بفتح الهززة وسكون الراء فهمزة مضمومة أي لجؤا الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة (وهي بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرهما سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج) قال - فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب (أي كثير الشعر غليظه وعند أبي د'ود) فاذا أنا بامرأة تنجر شعرها - وفي رواية مسلم - دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة (وهي بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الاولى سميت بذلك لانها تجبس الاخيار وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان هذه هي دابة الارض التي تخرج آخر الزمان فتكلم الناس كما يأتي) قالت أيها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال فلما سمعت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبته الى كعبه بالحديد قلنا وهلك ما أنت قال قدرتم على خبري فاخبروني ما أنتم قالوا نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم (أي هاج واضطربت أمواجه) فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت انا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفرغنا منها ولم نأمن ان تكون شيطانة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أدرك عيسى منك» فيقرنه مني السلام»
وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني يدين ابن مريم مع رسول الله صلى الله
وسلم عليها وصاحبيه رضي الله عنهما فيكون قبره رابعا وسبعة المواهب اللدنية
لقسطلاني رحمه الله بقي من البيت موضع قبر يدين فيه عيسى بن مريم عليه السلام
ويكون قبره الرابع ومرحديث ابن عمر عند ابن الجوزي في المخطم قال العلامة
الشيخ مرعي في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ياتي قوله صلى الله
عليه وسلم في الحديث المارمعي في قبوري فانه صلى الله عليه وسلم عبر بذلك لشدة
القرب اذ هو اقرب منه أو بتقدير مضاف أي في جانب قبوري لينطبق
الكلام وينسق فدل مجموع ما ذكرنا ان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يموت
بالمدينة المنورة قال بعضهم ولعل موته عند حجه وزيارته الذي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان الكلام على المهدي والدجال وعيسى بن مريم عليه السلام طويل شهير
أفردت في ذلك الكتب المبسطة والمختصرة وذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة من
ذلك طرفا صالحا يغني من أحصاء علما عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب والله
أعلم بالصواب

﴿العلامة الرابعة﴾

خروج يأجوج وماجوج واليهما أشار بقوله

﴿وأمر يأجوج وماجوج اثبت فانه حق كهدم الكعبة﴾

﴿وأمر يأجوج وماجوج﴾ يهزان ولا يهزان لعتان وقري بهما فن همرها
جعلها من أحبيج النار وهو ضوءها وحرارتها وسوا بذلك لكثرة هم وشدة هم وقيل
من الاجاح وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان اعجميان غير مشتقين قال مقاتل هم
من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقال الصحاح هم من الترك وقال كعب احتلم آدم
عليه السلام فاحتلط مائه بالتراب فأسف خلقوا من ذلك وفيه نظر لان الانبياء
لا يخلطون على ان اماء الدائم لا يتوقب على الحلم الذي يقتضي أن يترأى له في منامه
ما يكون سببا لانه كما لا يخفى وقد روي الطبراني من حديث حذيفة رضي الله

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يأجوج أمة لها أربع مائة أمير وكذلك مأجوج ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده» قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقال الكسائي في العرائس إن يافث سار إلى المشرق فولد له هناك جوهر وبرش وإشار واسقويل ومياشع وهي أسماء أعجمية فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم ومن مياشع جميع أصناف العجم ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم قال ابن عباس رضي الله عنهما عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لأنهم لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعاً وأخسون ومنهم من طوله وعرضه كذلك ومنهم من يلتحف بأحدى أذنيه ويفترش الأخرى وقال علي رضي الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالف في موضع الاظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم والمراد بأمرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة فلهذا قال (أثبت) أي اعتقد ثبوته

أما الكتاب فقولته تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) وأما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى يوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عبداً لي لا بد أن لا أحد يقتلهم فخرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ويحصرهم عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لا حدهم خيراً من مائة دينار» الحديث وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طالع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عدن ابن ٧» الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد قلت وهو في مسلم من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد

في القناريين ولقغه قل اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نثبأ كقولنا
ما نزل كرون قالوا نذكر الساعة قال «انها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات» فذكر
الدهان والديبال والداية وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه
السلام ويا جوج وما جوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب
وخسف بحزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى عرشهم
ورواه من وجه آخر وكفى حذيفة بأبي سريثة وقال فيه وثار تخرج من قعر عذر
ترحل الناس وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت
المقدس وفي خبر علي رضي الله عنه لهم محاليل وأباب السباع وتداعي الحمام
ونساد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام أحداها وبرة
يشتون فيها والآخرة جلدة يصيغون فيها ..

سئل الامام النووي هل يا جوج وما جوج من ولد حواء وكما ثبت انه يعيش كل
واحد منهم فاجاب هم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عدداً كثر العلماء وقيل انهم من
آدم دون حواء قال النووي كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عبد جواهر العلماء قال النووي
فيكونون اخوتنا من الأب قال الحافظ ابن حجر لم يرد هذا عن أحد من السلف الا عن
كعب الاحبار وورده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعوا والا
فأين كانوا حين الطوفان ولم يثبت في قدر اعمارهم شيء انتهى وقد ذكر الامام ابن عبد
البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن يا جوج وما جوج هل بلغتهم دعوتك فقال «جزت ليلة اسري بي فدعوتهم
فلم يحيوها» فليس القرآن والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما
ذكرنا ومما نذكر قال (فانه) أي أمر يا جوج وما جوج يعني خروجهم من وراء
السد على الناس (حق) ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل
فوجب اعتقاده فقد روى الجماعة الا ابا داود من حديث زينب بنت جحش رضي
الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا محمرا وجهه يقول
«لا آله الا الله» ويل للعرب من شر قد اقترب فتبع اليوم من ردهم يا جوج وما جوج
مثل هذه» وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها قالت قلت يا رسول الله اهلك وفيها

الصالحون قال «نعم اذا كثرت الحرب» اشارة بذلك الى ان الذي فتحوا من السد قليلا وهم مع ذلك لم يلبسهم الله تعالى ان يقولوا عند نفيه وحفره غدا نفتحه ان شاء الله فاذا قالوها خرجوا وقد روى عبد الرزاق عن أبي قتادة قال بأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم الترك فبقوا دون السد وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن طريق السدي عن أنثى قومي الترك سرية من سرايا بأجوج ومأجوج خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجا عنه وسئل علي رضوان الله عليه عن الترك فقال هم سيرة ليس لهم أصل هم من بأجوج ومأجوج خرجوا يغربون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيرة في الارض رواه ابن المنذر وأخرج الامام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا «انكم لتقولون لا عدو وانكم لاتزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا بأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة» قوله صهب الشعوراي شعرهم بين الحمار والسواد وقال الزهري بأجوج ومأجوج ثلاث أمم منسك وتأويل وتأريس وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد ابن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن بأجوج ومأجوج من ذرية آدم ورواهم ثلاث أمم نأويل وتأريس ومنسك وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه وفي حديث حذيفة لا يمر بغيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه وذكري بعضهم في صفتهم ان فيهم من له قرن وذنب وانياب بارزة يا كاون اللحوم نيثة وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه ان بأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية وعند النسائي من رواية عمر بن أوس عن أبيه رضي الله عنه رفعه ان بأجوج ومأجوج يجامعون ماشاوا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه أن بأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاوا وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو انه قال الحن والانس عشرة اجزاء فتسعة اجزاء بأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس وقل مكحول الارض

مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج ومأجوج وهي أمتان كل أمة اربع مائة ألف أمة
لا يشبه الامة الاخرى وعد أبي الشيخ عن أبي أمامة الدنيا سبعة أقاليم يأجوج
ومأجوج ستة والثاني أقليم واحد وقال خالد الاشبح ان بني آدم وبني ايليس ثلاثة
اثرات ثلثان متو ايليس وثلاث بنو آدم وثلاث ثلثان ثلثان يأجوج
ومأجوج وثلث سائر الناس والناس بذلك ثلاثة اثرات ثلث الادلس وثلث الحبشة
وثلث سائر الناس العرب والعجم وعد الحاكم وعد الرقاق من قول ابن عمر
رسمي الله عنهما ان الله تعالى حراً الملائكة والجن والانس عشرة اجراء تسعة منهم
الكروبيون والدين يسبحون الليل والنهار لا يفترون وحر الاس والجن عشرة
اجراء تسعة من الحر لا يولد من الاس ولد الا ولد من الجن تسعة وحر الانس
عشرة وتسعة منه يأجوج ومأجوج الحديث

وهو تسعة في سبب خروجهم وفسادهم واهلاكهم

اعلم اولاً ان الاسكندر بنى الردم الذي سده به على يأجوج ومأجوج
ذكر الله تعالى ذلك في محكم الذكر في قوله سبحانه (قالوا يا اذا القرنين ان يأجوج
ومأجوج يفسدون في الارض فاقبل الحديده
(فهل نجعل لك خراجاً) أي جملاً يخرج لك من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي وحده
(خراجاً) يخرج الرأى وألب بعدها وهو المال المصروب على الارض يؤدى في كل
عام (على ان يجعل بيدها وبينهم سداً) أي حاجزاً فلا يصلون اليها (قال) ذو القرنين
(ما مكني في ربي) من القوة والعلم وطاب ثوابه والمال وفوز المقاتل (خير) أي أفضل
(ما تعطونني أنتم) (فأعيتوني قوة) أي آلة اتقوى بها وفعل منكم (احملوا بنكم وبنهم
رُدماً) هو أكبر وأعظم من السد فجاءوه بذلك فحفر ما بين الصدفين يعني الحاجز
من الحلبس لانهما يتصادفان أي يتقابلان حتى ملعوا الماء ثم قال (آتوني بر الحديده
أي القطع التي أعدها لذلك فحمل الاساس من الصخر والحاس المذاب والنيارة
من زبر الحديد بعضها فوق بعض وحمل بينهما الحطب والفحم (حتى اذا ساروا
الصدف من قال افنخوا) فنفخوا النار (حتى اذا جعله) أي الحديد (باراً) أي كالنار (فإذا
آتوني أفرغ عليه قتلوا) أي أصب عليه نحاساً مذاباً فجعلت النار تاكل الحطب

وتصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطول الجباين اللذين بني بينهما مائة فرسخ (فما استطاعوا ان يظهروه) أي يعلوه من فوقه للملاسته ورفعته (وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا لصلابته وسمكه ثم قال (هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا. وكان وعد ربي حقا) وقد روى البزار من حديث يوسف بن مریم الحنفي قال بينا أنا قاعد مع أبي بكرة رضي الله عنه اذ جاء رجل فلم عليه فقال أما تعرفني فقال له أبو بكرة أنت هو قال نعم فقال اجلس حدثنا فقال انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت بينا فاستقيت على ظهري وجعلت رجلي على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم اسمع مثله فرعبت فقال لي رب البيت لا تدعرن فإن هذا لا يضررك هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفسرك ان تراه قلت نعم قال فعدوت فاذا لبنه من حديد كل واحدة مثل الصخرة واذا كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره ان ينظر الى رجل قد أتى الردم فلينظر الى هذا» قال أبو بكرة صدقت وذكرا أهل التاريخ ان الاسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد والنحاس وكان مكان السد جبالا من ثقالا نملسان كالحائط يزلق عنهما كل شيء لا يرتقى فيهما لعلوهما وملاستهما فأمر الاسكندر الصناع فحضروا لبن الحديد طول كل لبنه ذراع ونصف وسمكها شبر وقد ذكر سلام الترجمان قال بعثني الواثق العباسي الى السد وضم الي خمسة رجال وأعطانا مالا فإزلنا ننقل في البلاد وثبت الملوك معنا الادلة الى ان صرنا الى أرض سوداء منتنة الريح فسرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا الى معدن خراب فسرنا فيها سبعة وعشرين يوما وهي التي كانت يأجوج ومأجوج يطرقونها ثم صرنا الى حصون بالقرب من السد وفيها قوم يتكلمون بالعريسة والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن فسألونا من أين أقباثم قلنا نحن رسل أمير المؤمنين قالوا فاسمعنا بهذا قط ثم صرنا الى جبل أملس وفيه السد وهناك باب حديد مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين في ثخن خمسة أذرع وقامتاهما في دواة على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظه ذراع وارتفاع

القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وقفيز وعلى العاق مفتاح معاق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار وعتبة الباب عشرة أذرع ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشر فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد فيضربون القفل بتلك المزبات مرات ليسمعوا الصوت فيعلموا ان هناك حفلة

وقد أخرج الامام أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان بأجوج ومأجوج ليعذرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فتحرقونه غدا فيعيد الله أشدهما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على اناس قال الذي عليهم ارجعوا فتحرقونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئة حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس» قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح قال ابن العربي في هذا الحديث ثلاث آيات الاولى ان الله تعالى منهم ان يوالوا الحفر ليلًا ونهارًا الثانية منعهم ان يحتالوا للرقى على السد بتحو السلم والآلة فلم يلبسهم ذلك ولا علمهم اياه مع انه ورد ان لهم أشجارا وزروعًا الثالثة ان صدمهم ان يقولوا ان شاء الله حتى مجئ الوقت المحدود قلت وأخل بالآية الرابعة وهي أعظماها وهي عود السد بعد الحفر حتى اذا كادوا ان يروا شعاع الشمس الى أشدهما كان الى ان يبلغ الكتاب أجله وقد يقال ان فيهم من يعرف الله تعالى ويتر بقدرته ومشيئته ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت على لسان ذلك الوالي من غير ان يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق كعب الاحبار نحو حديث أبي هريرة وفيه فاذا جاء الامر أني الله على بعض ألسنتهم تأتي غدا ان شاء الله فيفرغ منه وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه يغدون فيحيثون عليه فيفتح الحديث وسنده ضعيف والحاصل انه يحتمل ان تلقى كلمة المشيئة على لسان أحد وهو أقوى ويحتمل ان يسلم واحد منهم بالهام من الله فيقول ان شاء الله تعالى

وفي صحيح مسلم من حديث الثوراس بن سعيان رضي الله عنه مرفوعا بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال ثم يأتيه يعني عيسى قوم وقد عصاهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدهم بدرحاتهم في الجنة فيبيناهم كذلك اذ أوحى الله الى عيسى ان قد أخرجت عباداً لي لا يدان لاحد بقناهم فخرز عبادي الى الطور وبيعت الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون الحديث وفي رواية لمسلم ثم يسرون حتى ينتهوا الى جبل الحمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض فلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النصف بفتح النون والفتح الممجة فقاء وفي رواية دودا كالنصف في أعناقهم وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم الواحدة نفقة عن الاصمعي وعن أبي عبيدة هو الدود الابيض يكون في النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنصف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغيره يقطع الحوت في بطن الارض فيصبحون موتى كموت نفس واحدة معناه قتلى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون الارجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه قد وطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين الا بئس وان الله عز وجل قد كفناكم عدوكم فيخرجون من مداينهم وخصوماتهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم امر على الخوهم فتشكرهم بفتح الكاف أي تسمن أحسن ما شكرت عن شي وحى ان دواب البحر تسمن وتشكر شكرام لخوهم ودماهم ويهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الارض فلا يمجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ولتهم أي ريحهم من الجيف فيؤذون الناس بئسهم أشد من حياتهم فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحا يمانية غرباء فتصير على الناس غما ودخانا ويقع عليهم الزكاة وبكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الارض جيْفهم في البحر وانفط صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن معه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة

ثم يقال للارض أنتبي ثمرك ووردي بركتك فيومئذ تأكل المعصاة من الرماة ويستملون بقعنها ويبارك في الرسل يعني اللبن حتى ان اللقحة من الابل لشكفي الغنم من الناس أي الجماعة منهم واللقحة من الابل لشكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لشكفي الفخذ من الناس الحديث وفي رواية فيرسل طيرا كاعناق البخت فتحملهم فترمهم الى البحر وفي رواية في النار ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأرستهم سبع سنين . قوله في الحديث كأللفة يروى بالفاء وبالقاف قال القاضي عياض في مشارق الأنوار ضبطناه بالوجهين عن متقي شيوخنا وبها ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرأة وقاله ثعلب وأبو زيد وقال بعضهم هو بالفاء الاجانة الخضراء . وقيل الصحنه وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما أظهر والله التوفيق قل الواس بن سمعان رضي الله عنه كافي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فينأى عيسى بن مريم وأصحابه كذلك أي في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم اذ بعث الله تعالى رجلا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتبص روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة والله أعلم

العلامة الخامسة

من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرقة والقبلة المعظمة واليهما أشار بقوله ﴿ك﴾ ما أن أمر يأجوج ومأجوج حق ثابت يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع ﴿هدم الكعبة﴾ المعظمة والقبلة المكرمة وسلب حليها واخراج كنزها لما اخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «يخرب الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة وفي لفظ ذوالسويقتين من الحبشة يخرب بيت الله» وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وزاده «ويسلب حليها ويجردها من كسوتها فلكناني انظر اليه أصيلع أفدع يضرب عليها بمسحاته أو موعوله» وأخرج الارزقي عنه «يجيش البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سبل النمل حتى ينتهي الى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده اني لكناني انظر الى صفته في كتاب الله تعالى افيجح أصيلع أفدع قائما يهدمها بمسحاته

أو معوله» وفي الصحيحين كأنه به اسود أفحج يهدمها حجرا حجرا أي ويتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث حذيفة مرفوعا «كأنني انظر إلى حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وقد صف قدسيه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجرا حجرا ويتداولونها حتى يطرحوها في البحر» الحديث قوله ذو السويقتين أي صاحبهما وهما تصغير ساقين أي دقيق الساقين وقوله أصبلع تصغير الأصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والاقيدع تصغير أفدع وهو من في يده اعوجاج وفي القاموس الفدع محركة اعوجاج الرضع من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم أو هو المشي على ظهر القدم أو ارتفاع أخمص القدم حتى لو وطئ الأفدع عصفورا ما آذاه وهو عوج في المفاصل لأنها قد زالت عن موضعها وأكثر ما يكون في الارساغ خلقة وجاء في بعض روايات الحديث أصعل أي صغير الرأس وفي بعضها أصع أي صغير الأذنين وقيل كبير الأذن والأفحج تصغير أفحج المتباعد الفخذين وأخرج لإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يابيع الرجل بين الركن المقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة لعرب ثم نجى الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه رواه بهذا اللفظ أيضا الأزرق في تاريخ مكة والمأكم وصححه

فإن قلت قد ورد وتقدم أن المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة وفي هذا الحديث أن ذا السويقتين هو الذي يخرج كنزها ولعمري أنه لسؤال وارد واستشكل مضاد ولم أر من تقدمني من تقب عن هذا السؤال وفي به خاض ولا من أجاب هذا السؤال ولا من تغرض لهذا الاعتراض ولعل الجواب أن المهدي يستخرج الكنز المذكور ثم بعد ذلك يجتمع في خزانة الكعبة في مدة المهدي ومدة سيدنا عيسى إلى أن يخرجها ذو السويقتين مال كثير سجا مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن أو يكون المهدي كشفه وظهر عليه وأخذ منه عوزة وترك باقيه والله أعلم

فإن قلت تسلط هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله المعظم ينافي قوله تعالى

(أولم يروا أنا جملنا حرماً آمناً) الآية (ومن يرد فيه بالحاد بظلم الآية وقد حواه سبحانه من أصحاب الفيل وجيرانه حينئذ كفار مشركون فكيف يسلط عليه الحبشة وهو قلة المسلمين وهم جيرانه) (فالجواب) ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهو أن يقال قد أشار النبي صلى الله عليه وسلم للجواب في الحديث بقوله وإن يستحل هذا البيت إلا أهله ففي زمن الفيل ما كانوا قد استحلوه فنهه عنهم وأما الحبشة فلا يهدمونه إلا بعد استحلال أهله له مراراً وقد استحله جيش يزيد بن معاوية بأمره ثم الحجاج زمن عبد الملك بن مروان بأمره فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى وقاموا بالحجر ونقلوه لبلادهم فلما وقع استجلاله من أهله مراراً مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم على أنه ليس في الآية استمرار الأمن المذكور فيه انتهى ملخصاً (قلت) والذي يظهر لي أن هذا العالم مشعر بالاضمحلال وكما ورد الشرع بالأمن ورد بالاضمحلال هذا العالم ودماره فاشعر أن الأمن مفياً إلى غاية أشار الشارع إليها فوجب تصديق الأمرين كل واحد زمنه حسبما هو مقتضى الشرع وبالله التوفيق

فإن قلت هل هدم الكعبة من ذي السوفتين المذكور زمن سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول الله (فالجواب) أن هذا مما اختلف فيه العلماء فمن كذب الإخبار أنه زمن عيسى عليه السلام وقيل زمنه وعد هلاكه يأحوج وما أجوج فيخرج الناس ويعتصرون كائناً ذلك وإن عيسى عليه السلام يحج أو يعتصم أو يجمع بينهما كما تقدم فالظاهر أن هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من إيمان وذكر الحافظ ابن حجر أنه وجد في كتاب التيجان لابن هشام أن عمر بن عامر كان ملكاً مشوحاً وكان كاهناً معمرًا وأنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزنيقيا لما حضرته الوفاة إن ولدكم ستخرب وإن الله في أهل اليمن سنخطين ورحبتين فالسخطة الأولى هدم سد مأرب وخراب البلاد بسببه والثانية غلبة الحبشة على اليمن والرحمة الأولى بعثة نبي من نهمته اسمه محمد يرسل بالرحمة ويقلب أهل الشرك والثانية إذا خرب بيت الله يبعث الله رجلاً له شبيب بن صالح فيهلك من خربه

ومخرجهم حتى لا يكون بالدنيا إيمان الا بأرض اليمن قال الحافظ ابن حجر ان ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه واعترضه البرزنجي في الاشاعة بأن ليس فيما ذكر ما يقتضي ان ذلك هو القحطاني ولم لا يجوز ان يكون شعيب بن صالح هو التميمي القادم بالرايات السود الى المهدي وانه يرسل عيسى عليه السلام اليه حين يأتيه الصريخ ويرثيه كونه لقبه المنصور وبتقدير ان يكون هو إياه فحائز ان يكون قبل خلافته ويكون في من أرسله عيسى عليه السلام أميراً عليهم فانه ورد أن الصريخ يأتي عيسى بذلك فيبعث اليه طائفة ما بين الثمانية الى التسعة فيكون هو أميرهم وليس في كونه رحمة لاهل اليمن ما يقتضي انه منهم ويكفي من كونه رحمة لهم انه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى إيمان الا في أرض اليمن ثم ان الحجاز من اليمن ولذا يقال الكعبة يمانية ولعل زمن اختصاص اليمن ببقاء الايمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح ولا ينافي ما ذكر حديث « آخر ما يوجد الايمان في المدينة » لأنها من اليمن والله أعلم

وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقبل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى في الارض من يقول الله ويريد هذا ان زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير وهذا أليق بكرم الله والذي تقتضيه الحكمة فان البيت قبله الاسلام والحج اليه أحد أركان الدين ومبانيه فالحكمة تقتضي بقاءه بقاء الدين فاذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته جاء عن الثقات الحفاظ يمكن الناس ما شاء الله تعالى في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة قال ثم يخرج الحبشة وعليهم ذوالسويقين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبدا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر قال ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعبادة . فبين ان هدم الكعبة بعد الآيات كلها وان كان لا بخلو من تأمل والله أعلم

﴿ فرائد ﴾

(احداها) تقدم ان عمران بيت المقدس خراب يثرب رواه أبو داود من حديث مماث مرفوعا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال «سيلغ البناء سلما ثم يأتي على المدينة زمان يمر السمر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعنف الاثر» وأخرج الامام أحمد نحوه باسناد حسن وفي الصحيحين «لنترك المدينة على خير ما كانت مذلة ثمارها لا يغشاها الا العواقي الطير والسباع» الحديث وسبب خرابها والله أعلم ان خبار أهلها يخرجون مع المهدي الى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمناقضها وترميهم الى الدجال ولم يبق الا المؤمنون المخلصون فيها جرون الى بيت المقدس عند امامهم وقد ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ ألزهم مهاجر ابراهيم ومن بقي منهم تقبض روحه الريح الطيبة وقد روى المرحاني في أخبار المدينة عن جابر مرفوعا «ليعودن هذا الأمر الى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون ايمان الابهاء» وأخرج السائي من حديث أبي هريرة مرفوعا «آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة» ورواه الترمذي بنحوه وقال حسن غريب ورواه ابن حبان بافظ «آخر قرية في الاسلام خرابا المدينة» وصح «ان الدين يبارز الى المدينة كما نارز الحية الى حجرها» فظاهر هذه الاخبار التعارض ووجه الجمع ان العن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين أي ينحشر ويدخل الى المدينة حينئذ لانهم المؤمنون الكاملون التابوا للخليفة الحق ثم انها تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الايمان الخالص بخلاف غيرها من بيت المقدس وغيرها من البلدان فيبقى فيها أهل ذمة ومناقضون لانهم انما يؤمنون بعسد نزول عيسى عليه السلام وكذلك مكة تنفذ بمناقضها الى الدجال أيضا وقد قيل ان الريح العلبية تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون قبل ان تصل المدينة أو من اليمن وكذلك أو من كليهما كما جمع به والامر ظاهر فيصدق انه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبي هريرة فيه مجرد موثهم تخرب المدينة لانه ليس فيها سوى المؤمنين بخلاف غيرها فانها تبقى عامرة بشرار الناس كما أشار اليه في الاشاعة وهو حسن وبالله التوفيق

﴿ الثانية ﴾

(في ذكر خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد وهو لاء بعد موت المهدي)
أخرج أبو الشيخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «ينزل عيسى بن
مریم عليه السلام فيقتل الدجال ويموت فيستخلفون يعني بعد وفاة سيدنا عيسى
عليه السلام بأمره رجلا من بني تميم يقال له المقعد فإذا مات المقعد لم يأت على
الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ويبدأ النقص ليوافق
ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام» والظاهر والله أعلم
أن هذا التميمي الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح أحد الأمراء والوزراء للمهدي
بل هو أحد المهديين والظاهر أنه يبقى أميرا في نواحي الشرق ثم يستدعيه عيسى
عليه السلام بعد وفاة المهدي عند خروج ذي السويقتين على مكة ونواحيها فيقتلهم
ويسببهم حتى يباع الحبشي بالعبادة ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصي له بالامر لما يرى
فيه من الكفاءة لذلك والقيام بأعباء الدين ولم أر هذا التحرير لغيري فإن لم يكن هو
شعيب بن صالح والافو أحد الأمراء الذين كان يلقي عليهم اعباء الامر أو الذي
يلي امارة الشرق من بعد شعيب ان كان هو قد مات ويكون هذا يلقب بالمقعد
وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «لا تذهب الايام
والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه» وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما
عنه مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه» وأخرج
الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس ابن جابر
عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ستكون من بعدي خلفاء ومن
بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جابرة ثم يخرج من أهل بيتي المهدي
يملا الأرض عدلا كما ملئت جورا ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو
دونه» وأخرج نعيم بن حماد عن سماك بن عيسى قال بلغني ان المهدي يملك أربعة
عشر سنة بيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور
يعني القحطاني يملك بيت المقدس احدى وعشرين سنة قلت هذا لا يلتم أن يكون هو
شعيب بن صالح التميمي لأن بني تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وان وافقه

في تلقيه بالمنصور ثم يقتل هذا القحطاني ثم يملك المولى يعني الجاهل ويملك ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وهذا المهدي غير الأول وكله لقب بذلك الحسن سيرته وصفاً مريته والحاصل ان الواجب اعتقاده من ذلك ما دلّت عليه الاخبار الصحيحة والآثار المبرحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وسيدنا عيسى بن مريم في زمنه ويعلي عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث أطلق المهدي وأما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء والدين من بعده فأمراء صالحون لكن ليسوا مثله هو آخرهم في الوجود وأمامهم وخبرهم وافضلهم في الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام فإنه رسول كريم من أولى العزم وهو آية وعلامة وحده فيحب الايمان بهزوله ويجب الايمان أيضاً بخروج الدجال ائمين وان سيدنا عيسى عليه السلام يقتله باب لد عند بئر الزئبق ويجب الايمان أيضاً بخروج يأجوج ومأجوج وبأن الكعبة يهدمها ذو السويقتين في آخر الزمان والله تعالى المستعان

في الثالثة

جاء في الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وسلم قال «حجوا قبل ان لا تحجوا فالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالأمس» وقد روى الحاكم والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً حجوا قبل أن لا تحجوا فكانني أنظر إلى حبشي أصم أفدع يده معول يهدمها حجراً حجراً قوله أفدع هو بناء ودال مهملة بوزن أفعل بحشي على ظهور قدميه وتقدم ان الاصم بالصاد المهملة صغير الأذن وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «حجوا قبل ان لا تحجوا تقعد اعرابها على أذنان أوديتها فلا يصل إلى الحج أحد» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» رواه البزار والطبراني في الكبير وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال صحيح الاسناد قال ابن خزيمة قوله يرفع في الثالثة يريد بعد الثالثة وروى

أبو القاسم الاصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» والله تعالى اعلم

﴿العلامة السادسة﴾

من علامات الساعة واشراطها العظمى ما اشار اليه بقوله

﴿وان منها آية الدخان﴾

﴿وان منها﴾ أي من اشراط الساعة التي ورد النص بها وانها حق يجب الايمان به ﴿آية﴾ أي علامة وأصلها أوبة بفتح الواو وموضع العين واو والتسبة اليه أو وي وقيل أصلها فاعلة فذهبت منها اللام والعين تخفيفاً ولوجاءت تامة لكانت آية ومعنى الآي من كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً وأما في غيره فهي العلامة أي من اشراط الساعة علامة ﴿الدخان﴾ كرمان وغراب لغتان والجمع أدخنة وداخن ودواخين قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم والحسن وزيد بن علي رحمهم الله تعالى هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في اسماع الكفار والمنافيقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت وأما السنة فاخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد رضي الله عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننذاكر فقال «ما ننذاكرون» قالوا الساعة يا رسول الله قال «انها ان تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» فذكر منها الدخان ورواه الترمذي وابن ماجه وانه يمكن في الارض أربعين يوماً وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان من اشراط الساعة دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكن في الارض أربعين يوماً فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره رواه الطبراني ورواه البغوي ولفظه قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار

تخرج من قمر عدن أي تسوق الباس إلى المحشر تقبل معهم إذا قالوا «قال حذيفة
 يأمر رسول الله وما الدخان؟ لا هذه الآية يوم يأتي السماء بدخان مبين» يملأ ما بين
 المشرق والمغرب الحديث وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالأعمال ستة طلوع الشمس من
 مغربها والدخان والدجال والدابة أو خاصة أحدكم (١) أوامر العامة» وفي رواية وأمر
 العامة وخوصة أحدكم

وقيل أن الدخان مر وانه الحوم الذي كان حال بين أبصار قریش وبين
 السماء في الصحيحين والترمذي عن مسروق قال كما جلوسا عند عبد الله بن
 مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن انت قاصا عند
 أبواب كتنة يقص ويذم أن آية الدخان تحي فأتخذ بأنفاس الكفار ويأخذ
 المؤمن منها كهيئة الركام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان بأبيها الناس اتقوا الله
 من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم فانه أعلم لا أحدكم أن
 يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله تعالى قال لبيه صلى الله عليه وسلم (قل لا أسألكم
 عليه من أجر وما أنا من المتكلمين) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من
 الناس ادبارا قال «اللهم سبع كسيع يوسف» وفي رواية لما دعا قریشا كذبوه
 واستصرخوا عليه فقتل الله عليهم سبع كسيع يوسف فأتخذهم سنة حصت
 كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم إلى السماء فيرى
 كهيئة الدخان فأتاه أبوسفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم
 وإن قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي
 السماء بدخان مبين) إلى قوله (الكم عائدون) قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة
 (يوم نطش البطشة الكبرى أيا متقمن) فالبطشة يوم بدر وفي رواية قال قال عبد
 الله إنما كان هذا لأن قریشا لما استمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم سنين
 كني يوسف فمأبهم حط وحده حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء
 فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من المهد فنزل الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي

(١) قوله أو خاصة أحدكم أي مونه كافي المطالع اه مؤلف

الساء بدخان مبین ۛ يغشى الناس هذا عذاب أليم قال فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلاً يا رسول الله استسقى لمضر فأنها قد هلكت قال لمضر أنك لجرى واستسقى لهم فيقوا فنزلت (انكم عائدون) فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين أصابهم الرفاهية فأنزل الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) يعني يوم بدر وفي رواية قتيلاً له انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله (فارتبب يوم تأتي الساء بدخان مبین) الى قوله (انا منتقمون) وفي رواية الترمذي كقولهم بنا كشف عنا العذاب فهل يكشف عذاب الآخرة قد مضى البطشة والازام والدخان والازام يوم بدر وفي البخاري ومسلم قال عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه خمس قدمضين الدخان والازام والروم والبطشة والقمر قال في النهاية في حديث اشراط الساعة ذكر الازام وفسر بأنه يوم بدر أنتهى وكذا البطشة يوم بدر والروم اشارة الى قوله غلبت الروم والقمر اشارة الى قوله اقربت الساعة وانشق القمر قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته كغيره كلام ابن مسعود رضي الله عنه موافق لظاهر الآية فلا دليل فيها لما ذهب الجمهور وانا دلياً يوم السنة وكان ذلك لم يبلغ ابن مسعود رضي الله عنه حين أنكر ذلك مع انه ورد عنه أيضاً انه كان يقول هادخانان مضى واحد والذي بقي علماً ما بين الساء والارض ولا يجد المؤمن منه الا كالزكاة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس والذي أنكره ابن مسعود وقد جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينفذ وقد أخرج الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ان ربكم انذركم ثلاثاً الدخان يأخذ المؤمن كالزكاة الحديث وود ذلك من عدة طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتضافر هذه الأحاديث يدل على ان لذلك أصلاً وقد قيل ان القاص الذي أنكر عليه ابن مسعود هو حذيفة بن

البان رضي الله عنه وهذا ليس بشيء فلا ينظر اليه ولا يعول عليه وبالله التوفيق
﴿العلامة السابعة﴾

من علامات الساعة واشراطها رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من الصدور
ومن السطور واليه الاشارة بقوله

﴿وانه يذهب بالقرآن﴾

﴿وانه﴾ أي الشأن والأمر ﴿يذهب﴾ بضم التحتية مبنيًا لما لم يسم فاعله أي
يذهب الله تعالى ﴿بالقرآن﴾ العظيم وكلام الله المنزل على النبي الكريم من
المصاحف والصدور وهي من أشد معضلات الأمور فأخرج الديلمي من حديث
أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعا «يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح
الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف الانسخت» قال سيف البهجة قرر
الائمة انه برفع أولا من المصاحف وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها
حرف مكتوب ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لاعتجل زمن حتى لا يكون شيء
منه محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت احفظ شيئا نبت
لا أدري ما هو وفي الحديث «أكثرنا من الطواف بالبيت قبل ان يرفع وينسى الناس
مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل ان يرفع» قبل وكيف يرفع ما في صدور
الرجال قل «يسرى عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا آية الا الله»
وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن
من حيث جاءه ذوي حول العرش كدوي الحبل فيقول الله عز وجل مالك
فيقول منك خرجت واليك أعود أني فلا يسل بي. وتقدم في مسألة الكلام
على الكلام ما حكاه شيخ الاسلام ابن نيمية قدس الله روحه عن السلف من
أن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وإن معنى واليه يعود
ما جاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا
في القلوب منه آية وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا
يدرس الاسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نكاح ولا صدقة ويسرى على
كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية الحديث وأخرج السجزي عن

ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن وأخرج ابن ماجه بسند قوى والحاكم والبيهقي والضياع عن حذيفة رضي الله عنه قال يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما يصيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والمعجوز يقولون أدر كنا أباناً على هذه الكلمة لا آله الا الله فنحن نقولها والله أعلم

﴿ العلامة الثامنة ﴾

من علامات الساعة واشراطها طلوع الشمس من مغربها وأشار اليها بقوله

﴿ طلوع شمس الافق من دبور ﴾

ومنها ﴿ طلوع الشمس الافق ﴾ قال الله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وقال (وجعل الشمس سراجاً) وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش وأخرج أبو الشيخ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خلق الله الشمس من نور عرشه وكذب في وجهها اني أنا الله لا آله الا أنا رضائي كلام وغضبي كلام ورحمتي كلام وعذابي كلام وخلق القمر من نور حجابي الذي يليه وكذب في وجهه اني أنا الله لا آله الا أنا صنعت القمر وخنقت الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى أي أضل من شئت وأهدي من شئت وكذب في بطنه اني أنا الله لا آله الا خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي ابتلي بهما من شئت من خلقي وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث والقمر على قدر الدنيا وأخرج من وجه آخر بلفظ سعة الارض بدل قدر الدنيا في الموضعين وزعم أهل الهندسة ان الشمس أضعاف الارض مائة وستون مرة أو مائتين والافق بالضم ويضمين الناحية والجمع آفاق والافق أيضاً مظهر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله ﴿ من دبور ﴾ بفتح الدال المهملة وضم الموحدة مخففة فراء بعد الواو جهة المغرب لانها تدابر باب الكعبة وتسمى الريح

التي منها من جهة المغرب دبور قال النبي صلى الله عليه وسلم «نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور» رواه الامام أحمد والشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفي القاموس الریح تحولات دبورا وهو ریح يتأبل الصبا قال الامام النووي الصبا بفتح الصاد المعجمة مقصور هي الریح الشرقية قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والاخبار الصريحة بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) الآية اجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها وقد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة ولبط ولم يهتد لمقصودها الذي عليه المحط وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة ان من لم يكن إيمانه متحققا اذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان ولم ينفعه فعل بر من جميع الاعمال لانه فقد الايمان الذي هو الاساس لماعذاه من تلك الاعمال فلا ينفعه إيمانه الحادث حينئذ ولا ماصد منه قبل ذلك من الاحسان وعمل البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من مكارم الاخلاق لانها على غير اساس قل تعالى (والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الریح) الآية والايمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولا حتى يكون من باب أسلم على ماسلف من الخير فهو لا لا ينفعهم لا بانضمام الافعال اللاحقة ولا بانضمام أعمالهم السابقة لقد الاساس الذي هو الايمان وامان تحقق انصافه بالايمان الشرعي من قبل ذلك الوقت واستمر إيمانه الى طلوع الشمس من مغربها فهو لا يخلو إما ان يكون مؤمنا متجا على المعاصي لم يكسب في إيمانه خير أو مؤمنا مغلطا أو مؤمنا تابعا للمعاصي كاسباني إيمانه خيرا ما استطاع (قال اول ينفعه الايمان السابق المجرد عن الاعمال لاصل النجاة فلا يغفل في النار وان دخل بدنو به فالإيمان السابق ينفعه وينفعه الايمان برمته أيضا لانه نور على نور ولكن لا تنفعه الثبوت عن المعاصي ولا يقبل منه حسة يعملها بعد ذلك (والثاني) ينفعه إيمانه السابق لاصل نجاته وينفعه ما قدمه من الحسنات لدرجانه وينفعه إيمان برمته أيضا لما مر ولكن لا تنفعه توبة حينئذ من التغليب ولا حسنة يعملها بعد ذلك ما لم يكن

عملها من قبل واستمر على عملها من نحو صلاة وقراءة وذكر كان يعمل (والثالث) ينفعه إيمانه السابق لاجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه إيمانه ذلك اليوم أيضا وينفعه ما يعمل بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه أمثالها وهذا التفصيل مما دلت عليه الآية الكريمة وبينته الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) من ذلك ما أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها» الآية وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال «بعباد الله توبوا إلى الله — مرات — فانكم توتكون أن تروا الشمس من المغرب فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الإيمان» الحديث وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله (أو كسبت في إيمانها خيرا) يقول كسبت في تصديقها عملا هو لأهل القبلة وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعلت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها وإن عملت قبل الآية خيرا قبل منها ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق مالك بن يخامر السكسكي عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الهجرة خصلتان أحدهما أن تهجر السيئات والآخرى أن تهجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل» وأخرج الإمام أحمد وعبد الرحمن بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالأعمال ستاطلع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الأرض وخويصة أحدكم وأمر العامة» قال فتادة خويصة أحدكم الموت وأمر العامة الساعة وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من فوعا «خلق الله بابا للتوبة — وفيه — فذلك الباب مفتوح منذ

خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربها الى ان قال -
 فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبده بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك
 الا ما كانت قبل ذلك فانه تجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك
 فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك - الى قوله خيرا -) الحديث بطوله وهذا
 الحديث وان كان سنده واحيا كما قاله بعض الحفاظ لكن له شواهد من الأحاديث
 الصحاح وروضه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام في مفاتيح اللبيب عن ابن عطية
 وابن الحاجب ان الآية من حذف المعطوف أي لا ينفع نفسا إيمانها وكيفية
 لم تكن أمت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا والآية من ألف والنشر ومفهومه
 أنها اذا كانت كسبت ينفعها كسبها المأثل للساق وهو المطلوب

فيتلخص من مجموع الأحاديث المذكورة وما في معناها ما هو مسطر في الدر المنثور
 للحافظ حلال الدين السيوطي ان الشمس اذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان المحدث في
 ذلك اليوم ممن كان كافرا أو مشركا ولا التوبة المحدثه فيه لمن كان يخطئ ولا أعمال البر
 المحدثه فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم وإنما من كان قبل ذلك اليوم مؤمنا فإن الايمان
 المجرد عن الاعمال الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لاجل نجاته وإيمانه المتجدد
 يومئذ ينفعه أيضا لانه نور على نور وان لم تقبل توبته عن سيئاته وان الايمان السابق مع
 التخليط ينفعه مع ما تقدم له من الاعمال الصالحة التي كان يعملها وإنما المنع قبول توبته
 عن تخليطه وقبول ما لم يكن متصفا به من الايمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم والضابط
 ان كل بر يحدث يكون السبب في احداثه رؤية الآية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع
 سواء كان من الاصول أو الفروع وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملا به
 قبل رؤية الآية ينفع وهذا التحقيق نبه على مثله الامام المحقق العلامة ابن مفلح
 في الآداب الكبرى قال في قوله صلى الله عليه وسلم «اذا طلعت الشمس من مغربها
 طلع الله عز وجل على كل قاس بما فيه وكفى الناس العدل» ليس المراد بهذا الخبر
 ترك ما كان يعمل من الفرائض أي وكذا من الواقل قبل طلوع الشمس من
 المغرب فيجب الاتيان بما كان يعمل من الفرائض قبل ذلك وينفعه ما يأتي به
 من الايمان الذي كان يأتي به قبل ذلك وقوله وكفى الناس العدل أي عملا

يكنون يفعلونه قال وقد ذكر ابن حامد ان المذهب لا يتقاع التكليف خلافا
للمعتزلة وحكى ابن الجوزي عن النضحاك ان من أدركه بعض الآيات وهو على
عمل صالح مع إيمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية قال ابن مفلح فالعمل الصالح
الذي سببه ظهور الآية لا ينفع لان الآية اضطرت اليه واما ما كان يعمل فظهور
الآية لا تأثير لها فيه فبقى الحكم كقبل الآية ونبه على مثله السيد محمد البرزنجي في
كتابه الاشاعة في اشراف الساعة وشيخ مشايخنا العلامة ابراهيم الكوراني في
شرح منظومة الشيخ محمد المقدسي القشاشي وأشار اليه سابقا الحافظ ابن حجر
في فتح الباري والحافظ السيوطي في الدر المنثور وغيرهم من المحققين فهو المعول عليه
دون ما زعمه بعض المنحذلقين وبالله التوفيق

اذ فهمت ذلك فاعلم انه قد ورد في طلوع الشمس من مغربها عدة أحاديث منها ما أخرجه
مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال حفظت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على
الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريباً منها وفيه أيضاً من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من
مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو
كسبت في إيمانها خيراً ورواه البخاري أيضاً وفيه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها
الباس آمن من عليها الحديث وأخرج مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً «أتدرون اين تذهب هذه الشمس» قالوا الله ورسوله
أعلم «قال ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخرج ساجدة فلا
تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجري
لا تستنكر الباس منها شيئاً حتى تنتهي الى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها
ارجعي ارفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها - فقال عليه السلام -
أتدرون مني ذلكم؟ حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل» الآية وأخرج
الامام أحمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والسهة غير الترمذي وابن المنذر وأبو
الشيخ وابن مردويه والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا علمت
 ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا يرفع نفس إيمانها ثم قرأ الآية وتقدم
 قريبا وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال «ملول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين»
 وهو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قدر ثلاث ليال وعند البيهقي
 من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا «قدر ليلتين أو ثلاث
 فيسقط الدين يحشون بهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرون الا قد قامت النجوم
 مكملها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص فيضطجعون
 حتى اذا استيقظوا والليل مكملها حتى يتناول عليهم الليل فاذا رأوا ذلك خافوا
 ان يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فيزع الناس وهاج بعضهم في بعض قتالوا
 ما هذا فيزعرون الى المساجد فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فينأون
 ينظرون طلوعها من المشرق اذ هي طالعة عليهم من مغربها فيوضج الناس ضجعة
 واحدة حتى اذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها» وأخرج ابن
 مردويه وغيره من حديث أس رضي الله عنه مرفوعا «صبيحة تطلع الشمس من
 مغربها يصبر في هذه الأمة قردة وخازير تطوى الدواوين وتحجف الاقلام لا يراد
 في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا يرفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت
 في إيمانها خيرا» وعند البيهقي «فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل
 منهم ويقال لو كان بالأمس» وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي
 الله عنهما مرفوعا «لا تزال الشمس تحري من مشرقها الى مغربها حتى يأتي
 الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن
 القمر من أين يطلع فلا يردن لما فيحسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين
 للقمر فلا يعرف مقدار حسنها الا قليل من الناس وهم بقية أهل الأرض وحمة
 القرآن يقرء كل رجل منهم ورده في تلك الليلة حتى اذا فرغ منه نظر فاذا ليته
 على حالها فيعود ويقرأ ورده فاذا فرغ نظر فاذا ليته على حالها فلا يعرف ذلك
 الا حمة القرآن فينادي بعضهم بعضا فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء

والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول 'ن الرب تعالى يأمر كما أن ترجعا الى مقر بكما فطلعا منه فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فيبينا الناس كذلك يتضرعون الى الله والعاقلون في غفلاتهم اذ نادى مناد ألا ان باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر طلعا من مغربهما فظن الناس فاذا بهما اسودتا كالعينين لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) «قوله كالعينين تشية عم بالكسر وهو الغرارة أي كالغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل العكام وفي حديث أم زرع «عكوما رداح» يعني غرائرها التي تكون فيها الامتعة وغيرها فيرتفعان أسى الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والابرار فينفعهم بكاؤهم يومئذو يكتب لهم عبادة واما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذو يكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها جاءها جبريل فأخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فلا يغربهما في مغربهما أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يغربهما في مغربهما الذين في باب التوبة فان الله تعالى خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والحوهر ما بين المصراع الى المصراع مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله فيغرب بها جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فليتم ما بينهما ويصبران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان يجري لها قبل ذلك فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية فقال أبي بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس

والدنيا قل ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلمان على الناس ويفر بان كما كان قبل ذلك وأما الناس فأنهم حيث رأوا مارأوا من تلك الآيات وعظمها يلحون على الدنيا فيمرونها ويحرقونها الأتجار ويفرسون فيها الأشجار وينتفون فيها البنيان وأما الدنيا فلو أنتج رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى يوم ينفخ في الصور وقد ذكر نحو ذلك القملي في تذكرته عن الثعلبي وغيره من المفسرين عن أبي هريرة

في تنبيهات

(الاول) قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وروى عبد بن حميد عنه يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وأخرج نعيم عن ابن عمر ولا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدجال وروى عبد بن حميد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يأتي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه الآيات كلها في ثمانية أشهر وعن أبي العالية في ست أشهر ومروا أن رجلا نتج مهرا لم يركبه حتى ينفخ في الصور وجمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتبعه السخاوي في القاعة والبرزنجي في الاتساعة بما حاصله ان المدة كما في الروايات الاولى عشرين ومائة سنة لكنها تمر مرارا سريعا كقندار عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر الحديث وفيه اليوم كالساعة وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتقصير الايام مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع بركة الارض وطول الايام الى حالها ثم تنقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام الى أن تصير في آخر الزمان الى ما ذكر قلت واحسن من هذا ما ذكره الثعلبي أن الآيات على قسمين قسم يدل على قرب الساعة وقسم يدل على حصولها وان من الاول الدجال ونزول عيسى عليه السلام وحروج يأجوج ومأجوج والحسوف ومن الثاني

الندخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الاول والقصيرة باعتبار الثاني لكن يكثر عليه بأن الخبر نطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس من مغربها ولهذا مال الكوراني الى الاول أو ان خبر عشرين ومائة سنة غير صحيح واستدل لعدم صحة ذلك مع ما مر بقول السخاوي ثبت ان الآيات العظام مثل السلك اذا انقطع نثار الحُرز سرعة وفي مرسل لابي العافية ان بين أول الآيات وآخرها ستة أشهر يتابعن كتاب الحُرزات في النظام وتقدم قريبا يشهد لتواليها خُرُزات منظومات في سلك اذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا وفي رواية بين يدي الساعة عشر آيات كالنظم في الخيط اذا سقط منها واحدة توات

﴿ الثاني ﴾

في حديث مسلم ان أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وقد استشكل بأنه لو كان كذلك لم ينفع الكفار إيمانهم بعد نزول عيسى عليه السلام ولا النفاق توهم لانفلاق باب التوبة وقد جاء النص بأنه ينفعهم ذلك جزما والامصار الدين واحدا ولا كان في نزوله كبير فائدة وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك والجمع بين الأحاديث وحاصل ذلك انه أجيب بجوابين أحدهما للحافظ البيهقي قال ان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس سابق احتمل ان يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها فاذا انقضوا ونظاوا الزمن وعاد بعضهم الى الكفر عاد تكليف الإيمان بالغييب قال وان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل ان يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمر وآيات أخر غير الدجال ونزول عيسى يعني وخروج المهدي قال العلامة الشيخ مرعي عن الأخير هو اعتمد لما مر من ان باب التوبة يغلق من حين طلوع الشمس من مغربها الى يوم القيامة

الجواب الثاني ان خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الأحوال العامة في معظم الارض وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي

و يسمى ذلك بقيام الساعة واما خروج الدابة فانه يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب قال الحاكم أبو عبد الله الذي يظهر ان طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه والحكمة في ذلك ان عند طلوع الشمس من المغرب يفتق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا لما تصود من اطلاق باب التوبة قل العلامة الشيخ مرعي وهذا كلام في غاية التحقيق قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال لا مردوا ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وان السحرة والمجسمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن أطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليري المكربين عظيم قدرته وناهر حكمته وان الشمس في ملكه ان شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أولا ولا وقال الحلبي من الشافعية أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها (قلت) والذي يظهر والله أعلم ان أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع التران ثم طلوع الشمس من مغربها وبمقتضى ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريبا منها وهذا هو النسق الذي مشياعليه واختارناه والله أعلم واما خروج السفينة فانه وان كان قبل خروج المهدي الا انه لم يعد خروجه آية وانما هو علامة لخروج المهدي والله أعلم

﴿النتيجه الثالث﴾

قد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن مردويه وغيره ان الدواب تطوى والاقلام تجف ولا يزداد في حسة ولا ينقص من سيئة وفي كلام بعضهم وا يكتب عمل بعد ذلك وانهم اذا عملوا عملا فاجسامهم تشهد عليهم كما ورد عن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت أول الآيات تعني طلوع الشمس من المغرب طرحت الاقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه عبد بن حميد والطبري بسند صحيح وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر فينادي

مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قتل منكم ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة وجفت الأقلام وطويت الصحف. وروي من طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة وتومر الملائكة أن لا يكتبوا عملا وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال الآية التي تختم الأعمال بها طلوع الشمس من مغربها. فهذه آثار يشد بعضها بعضها متفقة على أنه إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد إلى يوم القيامة خلافا لمن زعم من العلماء أنه إنما يتمتع قبول الإيمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب أي في تلك الحالة قالوا وأما من تاب بعد ذلك أو أسلم قبل ذلك منه قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ماملخصه: الذي دللت عليه الأحاديث الثابتة الصحاح والحسان أن قبول التوبة مفعيا بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها أنها بعد ذلك لا تقبل بل قد جاء في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الإمام أحمد والطبري والطبراني عن مالك بن يخامر ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر ورفعوه لاتزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل وقد مر من الأخبار والآثار ما يفيد ذلك إفادة صريحة لا تحتمل التأويل ويؤيد ذلك ما يأتي من أن إبليس يخر ساجدا وإن الدابة ثقله فإنه لا يموت إلا عند الفراغ من العمل وبالله التوفيق

﴿ العلامة التاسعة ﴾

خروج دابة الأرض واليها أشار بقوله

﴿ كذات أجياد على المشهور ﴾

﴿ كذات ﴾ أي صاحبة ﴿ أجياد ﴾ وأجياد كما في القاموس اسم أرض بمكة أوجبل بها قال سبي بذلك لكونه موضع خيل تبع انتهى قلت وفيه نظر فإن تسميته بأجياد مقدمة على تبع وخيله ففي تفسير القرطبي ورواه الحسكيم الترمذي نحن ابن عباس رضي الله عنهما لما أذن الله لأبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت

قال الله تبارك اسمه آتي معطيكم كنزا ادخرته لكم ثم أوحى الى اسماعيل ان
اخرج الى أجساد فادع بأنك الكنز خرج الى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا
الكنز فلهه الله الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس الا جأته وأمكنه من
ناصبتها وذله له وفي حياة الحيوان لدميري أول من ركب الخيل اسماعيل عليه
السلام ولذلك سميت العرب وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحوش فلما أذن
الله تعالى الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام يرفع القواعد من البيت قال الله
عز وجل آني معطيكم كنزا ادخرته لكم ثم أوحى الله عز وجل الى اسماعيل الحديث
وفيه ولذلك قال نينا على الله عليه وسلم «اركبوا الخيل فانها مبراث أيكم اسماعيل»
قلت ولعل تسمية المحل المذكور لمحي الخيل الحياذ اليه بحجة سيدنا اسماعيل عليه
السلام ويقال له جياذ أيضا بغير ألف قبل الحميم وقوله (على) القول (المشهور)
من اضافتم الى أجياد لكونها تخرج منه ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
«تخرج دابة الأرض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بدروهي
دابة ذات قوائم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا انه أراه النبي صلى الله عليه
وسلم المكان الذي تخرج منه الدابة وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال «نس الشعب شعب أجياد» قالها مرتين أو ثلاثا قلوا وما ذلك
يا رسول الله؟ قال «تخرج منه الدابة فتصرح ثلاث صرخات فيسمها من في الحافقين»
رواه الطبراني في الاوسط وفي حديث بريدة رضي الله عنه قال ذهب بي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا بأرض يابسة حولها
رمل فقال صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة من هذا الموضع» والحاصل ان في المحل
الذي تخرج منه الدابة أقوالا من أشهرها أجياد كما أشرنا اليه قل الحافظ السخاوي
في القساعة وخروجه في آخر الرومان من مكة امامن صدع الصفاويه جرم غير واحد ومن
المروة أو من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لؤما
انتهى وقبل بل أول خروجها من أقصى اليمن وهذا أخرجه الحاكم في المستدرك
عن أبي الطيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يكون للدابة ثلاث
خروجات في الدهر تخرج في أول خروجة في أقصى اليمن منتشرا ذكرها بالبادية ولا

يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خروجه أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله - يعني المسجد الحرام - لم يرهم الا وهي في ناحية المسجد من الركن الاسود وباب بني مخزوم فبرفض الناس عنها وثبت عصاة من المسلمين عرفوا انهم ان يعجزوا الله ما فتنفص عن رأسها التراب فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب اللرية الحديث

وقد جمع بعضهم بين الروايات بأن للدابة ثلاث خرجات ففي بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها انها من أقصى البادية وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها انها من وراء مكة وانها من اليمن لان الحجاز يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية والمرة الثالثة تخرج من مكة وهي من كبرها وعظم جنتها وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة واجيادها فأنتم مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها انها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياذ ومن المسجد ومن البادية التي بقرب مكة كما في حديث بريدة . وجمع بعضهم أيضا بوجه آخر وهو انها تخرج من جميع تلك الاماكن في آن واحد خروقا للعادة في صور متباينة على انه وود في رواية كما في حياة الحيوان انه يخرج من كل بلد دابة مما هو مشوث نوعها في الارض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس وذكر الكوراني انه حيث ورد في المرفوع لها ثلاث خرجات من ثلاث محلات ومن المذكور في الاصول ان العدد لا مفهوم له ومن ثم قال أهل الاصول والتخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص فجاز أن يكون لها أكثر من ثلاث خرجات كل خروجه من محل فيصح خروجها من كل محل ذكره وكذلك الاختلاف في طولها وغيره فان الاقل لا يتنافى الاكثر بناء على ان العدد لا مفهوم له انتهى وورد ان خروجها ليلة جمع والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه وقيل تخرج من الحجر وقيل من أرض الطائف ومعها عصي موسى وخاتم سليمان عليها السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب.

إذا علمت ذلك فخرج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة إمام الكتاب

قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وأما السنة فكثيرة منها ما في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «دابة الأرض طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب» وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج دابة الأرض من أجناد فيبلغ صدرها الركن الثاني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم» وفي حديث حذيفة يرفعه «أول ما يبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وریش» وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الاثلثا وروي فلا يخرج الا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب وقال أبو هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ لراكب وقال وهب: وجهها وجه رجل وصائر خلقها كخلق الطير وقال ابن جرير وأسمها رأس الثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن إيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاسرة هر وذنبها ذنب تيس وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثني عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام وقال كعب صوتها صوت حمام وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصى موسى فتجלו وجه المؤمن بالعصى وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يامؤمن وبقول هذا يا كافر» وأخرج الإمام أحمد أيضاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرن فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول ممن انتريت فيقول من الرجل لخطم» وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن لها عنقاً مشرفاً أي طويلاً يراها من المشرق كما يراها من المغرب ولها وجه كوجه الإنسان ومتقار كمقار الطير ذات وبر ورغب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها ذات زغب وریش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيمة وسماها من هذه الأمة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين وتكلمهم بكلامهم (قوله) ذات زغب أي عليها زغب وهو صفار الریش أول ما يطلع كما في النهاية والإيل بفتح الهمزة وكسر التحتية مشددة وبضم وفتح الوعل بفتح العين وهو تيس الجبل والسيمة العلامة

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قيل له ان ناسا يزعمون انك دابة الارض فقال والله ان لدابة الارض ريشا وزغبا ومالي ريش ولا زغب وان لها حافرا وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها وفي الميزان للعافظ الذهبي عن جابر الجعفي انه كان يقول دابة الارض علي بن ابي طالب قال الذهبي وكان جابر الجعفي شيعيا يرى الرحمة أي ان عليا يرجع الى الدنيا قال الامام أبو حنيفة ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفي ولا افضل من عطاء بن رباح وقال الشافعي أخبرني سفيان بن عيينة قال كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فزنا خوفا ان يقع علينا السقف ومع ذلك روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه ومات سنة ست وستين ومائة عفى الله عنه وقال ابن الاثير في جامع الاصول جابر بن يزيد الجعفي ويقال أبو محمد من أهل الكوفة مشهور وكان من اصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول ان علي بن أبي طالب يرجع الى الدنيا وذكر ما قاله أبو حنيفة رضي الله عنه فيه قال ومات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال الحافظ المنذري في آخر كتابه الترغيب والترهيب جابر بن يزيد الجعفي الكوفي عالم الشيعة ترك يحكي القطان حديثه وقال النسائي وغيره متروك ووثقه شعبة وسفيان الثوري وقال وكيع ما شككتكم في شيء فلا تشكوا جابراً الجعفي ثقة والله أعلم

قال العلماء رحمهم الله تعالى كافي الاحاديث ان مع الدابة عصي موسى وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادي بأعلاصونها أن الناس كانوا يا ياتنا لا يوقنون وتسم الناس المؤمن والكافر فأما للمؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنتك بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر فلا يبقى مؤمن الا نكتت في مسجده بعصى موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه وفي رواية فتلقى المؤمن قسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه وفي أخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصى وتظلم انف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان يجتمعون فيقولون لهذا يامؤمن ولهذا ياكافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي

يقبل عليها نفسه في وجهه ثم تطلق ويترك الناس في الاموال ويصلحون في الامصار يعرف المؤمن الكافر وبالعكس حتى ان المؤمن يقول لا كافر يا كافر اقض حتى وتستقل المشرق فتصرخ صرخة تنفذها ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تعودها ثم المغرب واليمن كذلك وأخرج نصيب بن حماد في الفتن والحكام في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا يلبثون يعني الناس بعد يا جوج وما جوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الافلام وطويت الصحف ولا يقبل لاحد تو ، ويخبر ابليس ساجدا يتنادي الله ي مرني اسجد لمن شئت وتجمع اليه الشياطين فيقول يا سيدنا الى من عزع فيقول انما سألت ربي ان ينظرني الى يوم البعث فاسلني الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم وتبصر الشياطين ظاهرة في الارض حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يغوي بي فالحمد لله الذي أخزاه ولا يزال ابليس ساجدا يا كياحي تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد . قال العلماء في سوال ابليس انت ينظر ليوم البعث مكره وخداع وحيل برب العالمين فانه انما حاول ان لا يدوق الموت لان يوم البعث ليس بيوم موت وانما هو يوم ميث ونشور واحياء وبهرة لمن في القبور فاذا كان الامر كذلك فكيف يقبض اذذاك ابليس أو غيره وانما ذلك يوم الجزاء فأجابه المعلم الحكيم بأنه منظر الى يوم الوقت المعلوم وهذا أصح من قول كعب الاحبار بان ابليس انما يدوق الموت يوم الحشر كما ذكره الكسائي في العرائر والله التوفيق

❦ فائدة ❦

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان الدابة هي الجساسة المذكورة في قصة تميم الداري رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها الثعبان الذي كان في نحر الكعبة فاخطفته العقاب حين ارادت قرش بنه البيت الحرام وان الطائر حين احتفظها ألقاها بالحجون وفي التهيد لابن عبد البر عن عمرو بن دينار انه روى بها في احياء فالتصمها الارض فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس وتخرج عبدالصا . وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انها أي الجساسة دابة الارض المذكورة في القرآن قال دهي بحزيرة

بحر القلزم والله أعلم

﴿العلامة العاشرة﴾

خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم واليها أشار بقوله

﴿وآخر الآيات حشر النار كما أتى في محكم الاخبار﴾

﴿وآخر الآيات﴾ العظام والعلامات الجسام ﴿حشر النار﴾ للناس من المشرق الى المغرب ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو أرض الشام ﴿كما أتى﴾ ذلك مصرحا به ﴿في محكم الاخبار﴾ وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك فان قلت في قولك وآخر الآيات مصادمة للحديث الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر وخلاصة العالم وأصدق من أخبر وصفوة بني آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه والنسائي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما أول اشراط الساعة فان تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب» الحديث قلت تقدم في حديث حذيفة بن اسيد الغفاري انه صلى الله عليه وسلم قال لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والداية وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف بالخسوف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب قال وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفي لفظ ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات فعدها وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس قال شعبة وأحسبه قال تنزل معهم اذا نزلوا وتقبل معهم حيث قالوا رواه مسلم في صحيحه بعدة طرق ورواه الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وقد جمع بعض العلماء بينهما بأن آخره (١) خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليتها (١) بأنها من أول الآيات التي لاشيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى بعد كل آية منها أشياء

(١) كذا في الاصل في الموضعين ولو أوردنا تصحيح مثله لتصرفنا فيه تصرفا غير قليل

من أمور الدنيا ذكره الحافظ السخاوي وذكر غيره من العلماء بأن النار ناران
إحداهما تحشر الناس من المشرق إلى المغرب والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس
إلى المحشر الذي هو أرض الشام قلل إحدى الروايات في أول الآيات والأخرى
في آخرها وحينئذ فلا حاجة إلى الجمع الذي ذكره الحافظ السخاوي وإن لم يكن في
علم الله الآثار واحدة فجمع السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديث نار تخرج
قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس وفي لفظ تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس
إلى المحشر وحديث نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب فبان يقال إن الشام الذي هو
المحشر مغرب بالنسبة إلى المشرق فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فإذا خرجت
انتشرت إلى المشرق فتحشر أهلها إلى المغرب الذي هو الشام وهو المحشر ولغة الذين
يوزن أحمر اسم الملك الذي بها وفي نهاية ابن الأثير عدن أبين مدينة معروفة
باليمن أضيفت إلى أبين بوزن أبيض وهو رجل من حمير عدن بها أي أقام انتهى
وفي القاموس عدن أبين محركة جزيرة باليمن أقام بها عدن لاعتقابه بقره وأخرج
الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ستكون هجرة بعد هجرة خيار أهل
الأرض الزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم
أرضهم وتقدرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والحداد يرتببت معهم إذا بارأوا
وتقتل معهم إذا قالوا وتاكل من تخلف ورواه أبو داود والحاكم وأبراهيم (قوله)
تقدرهم نفس الله هو من المتشابه والإيمان به واجب كما أخبر لا كما يتوهمه البشر
وأخرج الامام أحمد أيضا والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر أبطارني
الله عنهما مرفوعا ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت قبل يوم القيامة
تحشر الناس قالوا يا رسول الله فنامرنا قال عليكم بالشام يعني وهو المراد بمهاجر
إبراهيم وأخرج الطبراني وابن عساکر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعا
لتقصديكم نار هي اليوم خامدة في راد يقال له برهوت يغشي الناس فيها عذاب
أليم تاكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كماها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب
حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولما بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد
القاصف هي من رموس الخلائق أدنى من العرش قيل يا رسول الله أسلية يؤمنه

على المؤمنين والمؤمنات قال واين المؤمنون والمؤمنات يومئذ شر من الحر يتسافدون كما تنسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول ماله وأخرج البغوي والبارودي وابن قانع وابن حبان يوشك ان تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الابل تسير بالنهار وتقيم بالليل تغدو وتروح يقال غدت النار ايها الناس فاغدوا قالت ايها الناس فقلوا راحت النار ايها الناس فروحوا من أدركته أكلته

فاذا قيل ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قمر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل فالجواب انها تخرج أولا من برهوت ويقال له وادي النار وهو في قمر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارات ما لها واحد وتخرج بحسب سيل أيضا والخطاب لاهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار اليه يكون قبل وصولها الى المدينة فصيح ان يقال لهم تخرج نار من حبس سيل فان قيل ما وجه الجمع بين كونها تطير طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية أيام وبين كونها تسير سير بطيئة الابل فالجواب ان لها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا وان ثبت تعدد النار زال أصل الاستشكل والله أعلم

(ثمة) ثبت بالسنة الصحيحة ان أهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الارض أحدا في قلبه مثقال ذرة من ايمان إلا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل في كبديل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقولون ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فان قلت أليس قد ذكرت ان الدابة تقتل ابليس فالجواب انه ليس في الحديث ان الذي يظهر لهم ابليس بل يجوز ان يكون شيطانا آخر غير ابليس من ذريته وأخرج الامام أحمد ومسلم أيضا والترمذي من حديث النواس بن سميان فينتاهم كذلك اذ بعث الله رجلا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم

ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحر أي يتسافدون تسافند المجرم جمع حمار فليهم
تقوم الساعة وفي حديث أبي هريرة مرفوعا عند الحاكم إن الله يبعث رجلا من
اليمن ألين من الحرير ولا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من إيمان الا قبضته وقد
جاءت رواية بأن الريح تأتي من قبل الشام وهنا أنها من قبل اليمن والجواب
أنها ريحان شامية وبمانية وأخرج الامام أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله
عنه مرفوعا لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا آله الا الله ورواه مسلم بلفظ
حتى لا يقال في الأرض الله الله فان قيل كيف هذا مع ما صح عنه صلى الله عليه
وسلم من قوله ولا تزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة حتى يأتي
أمر الله (فالجواب) هذا غير مصادم للحديث لان معناه أنهم لا يزالون على الحق
حتى تأتيهم هذه الريح الالية قرب القيامة وعند تظاهرها اشرطها فاطلق فيه بقاءهم
الى قيام الساعة مر بها اشرطها وذوها المتناهي في القرب ومثله قول بعضهم أمر
الله هو هبوب تلك الريح الآتي بعد وقوع الآيات العظام التي بعضها (١) قيام الساعة
ولا يتخلف عنها الا شيئا يسيرا وليس فيهم يعني من بقي بعد هبوب الريح مؤمن (٢)
وعليهم تقوم الساعة وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك
الريح كافي القناعة للحافظ السخاوي وفي المستدرک بسند صحيح عن عائشة رضي
الله عنها مرفوعا لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله رجلا
طية فتوفي من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير فينتقي من لا خير فيه
فيزجعون على دين آبائهم وفي مرفوع ابن عمر رضي الله عنهما لا تقوم الساعة حتى
يبعث الله رجلا لا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من خير الا قبضته وبلحق كل
قوم بما كان يعبد آبائهم في الخاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرؤن بمعروف
ولا ينهون عن منكر يتناكحون في العارق فاذا كان ذلك اشتد غضب الله على
أهل الأرض فأقام الساعة وفي مستدرک الحاكم من مرفوع أبي هريرة رضى وتخذ
المرأة جهارا نهارا تسكح وسط الطريق لا بكر ذلك أحد وفي لفظ حتى ينكح أحدكم
أمة فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لوتجنينها عن الطريق قليلا فذلك فيهم مثل

أبني بكر وعمر فيكم قال القرطبي في تذكرته عن بعض العلماء اذا أراد الله انقراض الدنيا ونمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقبل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل ذي روح ثم ذكر النفخة

﴿ فكلها صحت بها. الاخبار وسطرت آثارها الاخبار ﴾

﴿ فكلها ﴾ أي اشراط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة ﴿ صحت بها الاخبار ﴾ عن النبي المختار وأصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار ﴿ و ﴾ كلها قد ﴿ سطرت ﴾ أي كتبت واصل السطر الصف من الشيء والكتاب والشجر وغيره والجمع أسطر وسطور واسطار وجمع الجمع أساطير ويطلق السطر أيضا على الخط والكتابة ويحرك في الكل كما في القاموس ﴿ آثارها ﴾ مفعول سطرت أي الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها ومجيئها في أوقاتها وعلاماتها المشيرة الى اقترابها ﴿ الاخبار ﴾ فاعل سطرت وانما أنت الفعل لان الجمع مؤنث في المعنى اذ معناه الجماعة وهو جمع خير وخير ككيس والمؤنثة خيرة ويجمع خير أيضا على خيار من غير ألف قبل الحاء المعجمة وقيل ان التحفة مختصة بما في الجمال والميسم والمشددة في الدين والصلاح والخير ضد الشر والاخبار ضد الاشرار والمراد بهم هنا علماء الامة من التابعين وتابعيهم وأئمة السلف ومقلديهم وقد روى أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والقضاعي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال خيار أمسي علماؤها وخيار علمائها رحاؤها ألا وان الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا ألا وان العالم الرحيم يحيى يوم القيامة وان نوره قد أضاء بمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدرري واسناده ضعيف وقد عزونا كل قول لقائلة وكل حديث لناقله غالبا لنخرج من تبعته وليعلم من أنعم النظر وأمعن الفكر في ماحررته أنه زبدة ما خضه المتقدمون وثمرة ما غرسه المحررون وبالله التوفيق

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) ذكر القرطبي في تذكرته ان المحشر أربع حشران في الدنيا وحشران

في الآخرة فالثان في الدنيا المذكور في سورة الحشر وهو حشر اليهود الى الشام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض الحشر ثم أجل آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب والحشر الثاني المذكور في اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهم عند الحاكم مرفوعا تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم الى المغرب تنبت معهم حيث بأنوا وتقبل معهم حيث قالوا ويكون لما ماسقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الحمل قال الحافظ ابن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق الى المغرب لأن ابتداء خروجها من عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق قال القرطبي وأما الثمان في الآخرة فحشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وحشرهم الى الجنة والنار قال الحافظ ابن حجر عن الأول المذكور في أول سورة الحشر ليس حشرا مستقلا لأنه إنما وقع لفرقة مستقلة مخصوصة وهذا وقع كثيرا كما وقع لبي أمية حين أخرجهم عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما من المدينة الى حجة الشام والحواب عن ذلك أن المراد ماسمي حشرا على لسان الشارع وقد سمي الله ذلك حشرا

﴿الثاني﴾

اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق الى المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة وأما الحشر من القصور فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا كما في الصحيحين وغيرها أنكم تحشرون حفاة عراة غرلا وقال الحكيم الترمذي وأبو حامد الغزالي هو يوم القيامة ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما مرفوعا يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على سببر وثلاثة وعشرة على سببر وتحشر بقينهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتنبت معهم حيث بأنوا وتنصح معهم حيث أصبحوا وتعمي معهم حيث

أمسوا قال أهل هذا القول ان هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال الحافظ ابن حجر ويؤيده حديث أبي ذر عند الامام أحمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج يحشرون طامعين كاسين راكبين وفوج تسحبهم الملائكة الحديث وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما بين حديث أبي ذر (والجمع) ان الحشر يعبر به عن النشر أيضا لاتصاله به وهو أي النشر اخراج الناس من قبورهم كما يأتي فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون الى الوقف للحساب ثم يحشر المتقون ركبانا على الابل والمجرمون على وجوههم وقال بعضهم يخرجون من القبور على ماسية حديث أبي هريرة وان الحشر اذا أطلق يراد به شرعا الحشر من القبور مالم يخصه دليل (وأیضا) التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر الى أرض الشام لان المهاجر لا بد ان يكون راغبا أو راهبا أو جامعا بين الصفتين (وأیضا) حشر بقية الناس والجهنم النار لهم الى تلك الجهة وملازماتها حتى لا تفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا ان نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف (وأیضا) الحديث ينسب بعضه بعضا وقد وقع في طريق الحديث أبي هريرة بلفظ ثلثا على الدواب وثلثا ينسلون على أقدامهم وثلثا على وجوههم قال ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة (وكنتم أزواجا ثلاثة) فقوله في الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين المخلطين عملا صالحا وآخر سيئا وهم أصحاب الميمنة وقوله اثنان على بعير الخ يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركبانا وقوله وتحشر بقيتهم النار يريد أصحاب المشأمة ويحتمل ان البعير يحمل العشرة دفعة واحدة لان ذلك يكون من بدیع قدرة الله تعالى فيقوى على ما يقوى عليه عشرة أبعرة من بران الدنيا ويحتمل أن يتعاقبوه انتهى ملخصا وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة تقبل معهم وتبیت وتصح وتسمي بربدان الحشر في الدنيا الى الشام لأن هذه الاوصاف مختصة بالدنيا وقوله اثنان على بعير الى عشرة يزيد أنهم يعقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض وذلك لقلة الظهور كافي بعض الأحاديث انتهى ملخصا ورجح هذا الطيبي وتعقب

ذلك ايهض وأجاب عما استدل به بما يطول (ثم قال الطائي) بعد ما انتصر فخطابي
واترطبي وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله ثم رأيت في صحيح البخاري في باب
الحشر يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق فقلت من ذلك ان الذي ذهب اليه
التورثي من ان ذلك في الآخرة هو الحق الذي لا محذور عنه انتهى قال الجافظ
ان حجري فتح الباري بعد نقله ما تقدم عن الطائي قلت لم أقف في شيء من طرق
الحديث الذي حرجه البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا في غيره وكذا
هو عند مسلم والاسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة ثم اختار هو انه يتعين كون
ذلك في الدنيا لما وقع فيه ان الطاهر يقل لما بقي عليه من الآفة وان الرجل يشترى
الشارب الواحد بالخدمة الممجة فان ذلك طاهر جدا في انه من أحوال الدنيا قال
في الاشاعة ثبت ان الحق ان النار قبل يوم القيامة قلت وهو كما قال وبالله التوفيق

فصل في أسرار المعاد

اعلم ان المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادق دل عليه القل الصحيح
ولم يمه العقل فوجب الايمان به والتصديق بموجبه لانه جاء في السماع الصحيح
المقول ودل عليه عند الجمهور صريح العقول وهو ان يمش الله تعالى الموتى من
التورثي بأن يجمع أجراهم الأصلية ويميد الأرواح اليها تتوله تعالى (قل بحسبنا الذي
انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) إلى غير ذلك من المصوص القرآنية القطعية
والأحاديث الساطعة البوية وقد أنكروا الطوائف والدينية والملحدة وبه تكذيب
للقل الصحيح والهمل الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة وأكثرت
الغلاصة المعاد الجسماني بما على امتناع إعادة المعدوم بعينه ووافق المعتزلة أهل
الحق على المعاد الجسماني بما منهم على ان المعدوم عندهم شيء. فلو لم يقولوا به
لأحاراه لان المعدوم قل الوجود عندهم قابل للوجود فكذلك اذا انعدم بعد
الوجود وعد أهل السمة المعدوم في محض وهم مع ذلك قائلون بإعادة
والمستكملين في جوار إعادة الاعراس قولان جوار إعادةها وهو الحق لانه تعالى
على كل شيء. قدبر والثاني قول الفلاسفة ومن وافقهم من المعتزلة كأي الحشر

البصري والحوارزمي والكرامية قال

﴿ واجزم بأمر البعث والنشور والحشر جزماً بعد نفخ الصور ﴾
 ﴿ واجزم ﴾ جزم ايقان واذعان واعتقاد وعرفان ﴿ بأمر البعث ﴾ بعد الموت
 ﴿ والنشور ﴾ من القبور ﴿ والحشر ﴾ لاجل الجزاء وفصل القضاء ﴿ جزماً ﴾ مصدر
 مؤكد لقوله واجزم وذلك كله واقع ﴿ بعد نفخ الصور ﴾ المراد نفخة البعث
 وحاصل ما ذكر في هذا البيت أربعة أشياء البعث والنشور والحشر والنفخ سيفه
 الصور اما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فإنه المتبادر عند الاطلاق اذ هو الذي
 يجب اعتقاده ويكفر منكره قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح كشيخه
 وغيرها معاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى وقال الجلال
 الدواني هو باجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التأويل
 كقوله تعالى (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) وضرب
 لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول
 مرة وهو بكل خلق عليم وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والاسماعيلي
 في معجمه والحافظ الضياف في المختارة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن
 عباس رضي الله عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد يحيي الله هذا بعد ما أرم قال « نعم يبعث الله هذا
 ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم » فنزلت الآيات من آخر يس (أولم ير
 الانسان) الى آخر السورة وهذا نص صريح في الحشر الجسماني يقلع عرق التأويل
 بالكلية ولهذا قال الامام الرازي الانصاف أنه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء
 به النبي صلى الله عليه وسلم وبين نفي الحشر الجسماني فإنه قد ورد في عدة مواضع
 من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل أصلاً انتهى وكذلك لا يمكن الجمع
 بين القول بقدم العالم على ما يقول الفلاسفة وبين الحشر الجسماني لان النفوس الناطقة على
 هذا التقدير غير متناهية فتستدعي جميعاً أبداً غير متناهية وأمكنة غير متناهية وقد
 ثبت تنافي الابداد بالبرهان وباعترافهم والله تعالى أعلم و « ثم » في الحديث في قوله
 صلى الله عليه وسلم « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك » للترتيب الاخباري لا للترتيب

الحكى كقولهم بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي أخبرك أن
ما صنعت أمس أعجب

واما النشور فهو يرادف البعث في المعنى يقال نشر الميت ينشر نشور اذا
عاش بعد الموت وأشره الله أي أحياه ومنه قولهم يوم البعث والنشور واما الحشر
فهو في اللغة الجمع نقول حشرت الناس اذا جمعتهم والمراد به جمع اجزاء الاسان
بعد التفرقة ثم إحياء الابدان بعد موتها

واعلم انه يجب المرم شرعاً ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد ايجادهم بجميع
احزائهم الاصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ويسوقهم الى عشرهم
لفصل القضاء فان هذا حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الامة مع كونه من
الممكنات الى أخبر بها الشارع وكل ما هو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق
والاصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الامكان كما يقوله الحكماء
والمتكلمون من ان كل ما قرع سمعك من العرائب قد رده في حيز الابدان ما لم يردك
عنه قائم البرهان فمن زعم عدم اعادة المعلوم أزم بالمبدأ فان المعاد مثل المبدأ بل هو
عنه أو أيسر كما لا يخفى وتقدم ان الانبياء تأتي بما تدركه العقول أو تعجز في
ولا تأتي بما تحيله العقول أبدا فتأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول وامكان
المعاد لانه اما ايجاد ما انعدم أو جمع ما تفرق أو حيي بعد ما أميت وهذه كلها ممكنة
لا احالة في شيء من ذلك أصلاً مع ما تواتر من أخبار الانبياء والكتب السماوية
ولا سيما في القرآن العظيم والذكر الحكيم ما لا مزيد عليه مثل (واقسموا بالله جهد
اياهم لا يبعث الله من يموت) قل بلى وربي لتبعثن ثم اتاكم يوم القيامة تبعثون
وادام من الاجداث الى ربهم ينسلون فيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
أول مرة - أيجب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه
يوم تشرق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير - كما بدأكم تعودون - كما بدأنا
أول خلق عبده وعدا علينا - وليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق
مثلهم - ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون) والآيات في ذلك كثيرة جداً
وأما الاحاديث فكثيرة جداً ففي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله

عنها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول «انكم ملائكة ملائكة حفاة عراة غرلا» زاد في رواية - مشاة - وفي رواية فيها قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال «يا أيها الناس انكم محشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين» الحديث الغرل بضم الغين المعجمة واسكان الراء جمع اغرل وهو الاقلف ومثله في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قتلت قتلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر «أشد من أن يهيم ذلك» وروى نحوه من حديث أم سلمة أخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح وفيه فقالت أم سلمة رضي الله عنها قتلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضنا الى بعض فقال: شغل الناس: قلت ما شغلهم قال «نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل» وروى من حديث أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها أيضا ولفظه «يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان» قالت قتلت يبصر بعضنا بعضا فقال: شغل الناس (لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) رواه الطبراني ورواه ثقة

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق أو ايجاد معدوم قال عكرمة رحمه الله ان الذين يفرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان ولا يبقى منهم شيء الا العظام فتلقبها الامواج الى الساحل فتتكث حينئذ نصير نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البحر فيوقدونه ثم تحمد تلك النار فتحيء الريح فتلقي ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى قال العلماء ان الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وخيوانات الماء وطين الارض وما أصاب السيران منها بالحرق والمياه بالفرق وما أباته الشمس وذرتة الرياح فاذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون والحاصل ان اعادة الاجسام

حق يجب الايمان به ثم هذه الاعادة هل هي للعدم المحض أو التفريق المحض
والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه إيجاد بعد عدم ونص عليه علماء السنة وكذا
المعتزلة وهو مذهب المحققين وبالله التوفيق

في الثاني

اختلف في إعادة الاعراض التي كانت قائمة بالاجسام في الدنيا فنذهب
الاكثرين انها تعاد بأشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليه ميل أبي
الحسن الاشعري من غير فرق فيها بين الاعراض التي يطول بقاء نوعها كاليابض
وبين غيرها كالاصوات وسواء كان مقدوراً للعبد كالقرب أو لا كالعلم والجهل
لان نسبتها الى قدرته تعالى كنسبة الاعيان وقد قام الدليل على اعادتها فكذا
اعراضها وما قيل يلزم عليه قيام العرض يعني الاعادة بالعرض المعاد وهو محال
فيأبطل لا يمكن تعلق الاعادة بالاعيان أولاً وبالذات وبالأعراض ثانياً وبالعرض
هذا كله ان لو قلنا باستحالة قيام العرض بالعرض فكيف ونحن بمنزل عن ذلك
وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض بالمحسوس وغيره كابل حالك وحركة بطيئة
واحمرقات وغير ذلك وقيل تمنع إعادة الاعراض مطلقاً كما ذهب اليه بعض
الاشاعرة وذهب أكثر المعتزلة الى امتناع إعادة الاعراض التي لا تبقى كالاصوات
والارادات لاختصاصها عندهم بالاوقات وقسموا الباقية الى ما يكون مقدوراً للعبد
فنعموا اعادتها والى ما لا يكون مقدوراً للعبد فجزوا اعادتها وقد قال ابن العربي
في سراج المريدين والقرطبي في تذكرة الذي عند أهل السنة ان تلك الاجساد
الدنيوية تعاد بأعيانها وباعراضها بلا خلاف بينهم مع ان الخلاف منقول عند
متكلمي الاشعرية كالسعد واليضاوي وغيرهما قلت وقد نقل الاجماع غير
واحد من العلماء من آخرهم الشيخ مرعي وغيره عن أهل السنة ان الاجساد
الدنيوية تعاد بأعيانها واعراضها والله أعلم

واما الفخ في الصور فالمراد به نسخة البعث والتشور واعلم ان الفخ في
الصور ثلاث نفحات نفحة الفرع وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهي المثار

اليها في قوله تعالى (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق) أي من رجوع ومرد وقوله تعالى (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) فسر الزمخشري في كشافه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملاك الموت وقيل غير ذلك وانما يحصل الفزع لشدة ما يقع من هول تلك النفخة فقد اخرج ابن جرير في تفسيره والطبراني في المطولات وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في البعث وأبو موسى المديني في المطولات وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان وعبد بن حميد وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا يبصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت» يا رسول الله وما الصور قال القرن قلت أي شيء هو قال «عظيم ان عظم دائرة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق) فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرايا وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج وكالقمنديل المعلق بالعرش ترجفه الأرواح وهي التي يقول الله (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) فتسيل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتعلير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى (يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) فيبيناهم على ذلك اذ تصدعت الارض فانصدعت من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هي كاللؤلؤ ثم انشقت فانشرت نجومها وانخسفت شمسها وقرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلت يا رسول الله من

استثنى الله تعالى في قوله (الامن شاء الله) قال أولئك الشهداء وانما يتصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فيمكثون في ذلك ما شاء الله الحديث وفي البغوي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ نائرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزع الجن الى الانس والانس الى الجن واختلفت الدواب والطيور والوحش وماح بعضهم في بعض فذلك قوله (واذا الوحوش حشرت) اختلفت (واذا المشارع عطلت) أهملت (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس رضي الله عنهما اوقدت فصار ناراً تضرع قال أبي قالت الجن للانس نحن نأتاكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هونار تأجيج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى واشتقت السماء اشتقاقاً واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتهم انتهى

(الفحة الثانية) نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء قل تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله) وقد فسر الصعق بالموت وفي الحديث المتقدم الذي رواه ابن جرير وماعطى عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الامن شاء الله فيقول ملك الموت قد ماتت أهل السموات والارض الامن شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقي فيقول أي رب بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وقيت أنا فيقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل فيموتان ثم يأتي ملك الموت الى الجبال فيقول قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله العرش ان يقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت

ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم فمن بقي فيقول بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول أنت خلقت من خلقتي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والارض كطي السجل للكتب وقال «أنا الجبار ابن الملك اليوم» ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه «الله الواحد القهار» وتبدل الارض غير الارض والسموات فيسطحها ويسطحها ويعد هامدا لا يرى فيها عوجا ولا أمة» الحديث وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال هؤلاء الاربعة أملاك جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم هم المدبرات أمرا والمتنسمات أمرا

قال أبو عبد الله القرطبي والصور قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق وقال مجاهد كالبرق ذكره البخاري وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه قال الترمذي حديث حسن وأخرج الترمذي أيضا وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كيف أنتم وصاحب الصور قد اتقن القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ» فكان ذلك ثقل على رسول أصحاب الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وأخرج الامام عبد الله بن المبارك وموئل بن اسمعيل وعلي بن معبد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديثا مر فوعا فيه «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى خلق في السموات والارض الامات الا من شاء ربك» الحديث وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مر فوعا يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أين الملوك» وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» وسيأتي ان من لم يخلق للفناء لم يفن كالجنة وما فيها من الخرد العبد والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب

والحران والله أعلم

(اللمحة الثالثة) نفحة البعث والشور وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأحاديث تشير إليها كتقوله تعالى (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) وقوله (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) فاذا تقر في المآثور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال الكلبي وغيره هي نفحة البعث والاقور فاعول من القور وقوله تعالى (واستمع يوم يناد الماد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق) الآية قال المفسرون المادي هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور ويادي أيتها العظام البالية والاقوال المتقطعة والاحوم المتفرقة والشور المتفرقة ان الله يأمر كي ان نحتصر لفصل القضاء وقيل ينفخ اسرافيل ويادي جبريل والمكان القريب صخرة بيت المقدس قاله جماعة من المفسرين ويس المعنيتين أربعون عاما قال بعض العلماء انفتحت الروايات على ذلك وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما بين الفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قولوا أربعون شهرا قال أبيت قولوا أربعون عاما قال أبيت الحديث وقول أبي هريرة رضي الله عنه أبيت فيه ثلاث تأويلات أولها امتنع من بيان ذلك لكم وقيل أبيت أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقيل نسبت وقيل ان مر ذلك لا يعلمه الا الله تعالى لانه من أسرار الربوبية وفي حديث ان بين المعنيتين أربعين عاما وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير سورة الزمر مرفوعا «ان الله يرسل مطرا على الارض فينزل عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد أن تبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أحسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصور فيصه على فيه ثم يدعو الارواح فيوثق بها تتوهج ارواح المؤمنين نورا والآخرى ظلمة فيقتصها جميعا ثم يلتقيها في الصور ثم يأمره ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كلها كما بها الرجل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزني وحلالي ليرجعن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح من الجاشم

ثم تمشي مشي السم في السديع ثم تشق الأرض عنهم سراعا فانا أول من ننشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تنسلون» وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين الفختين أربعون» قيل أربعون يوما أبو هريرة أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى الأعظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية لمسلم أن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامة قالوا أي عظم هو يا رسول الله قال عجب الذنب ورواه الإمام مالك وأبو داود والنسائي باختصار قال كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب قال الحافظ المنذري كثيره عجب الذنب بفتح العين المهملة واسكن الجيم بعدها باء موحدة أو ميم وهو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب وأصل الذنب من ذوات الأربع وقد روى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا كل التراب لكل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه» قيل وما هو يا رسول الله قال «مثل حبة خردل منه تنبتون» وفي الثعلبي في تفسير سورة الأعراف وتفسير ابن عطية عن أبي هريرة رضي الله عنهم إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى يعني نفخة الصمق أمطر عليهم أربعين عاما كفي الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يأتي عليهم نومة فينامون في قبورهم فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجد النائم إذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» وفي صحيح البخاري - أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة فإذا موسى عليه السلام متعاقب بالعرش فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة - وفي بعض ألفاظ البخاري - فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من

قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطوروه أخرجه الحكم
والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وبمينة على
أبي بكر وشاهه على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث
أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله قال الله تعالى (الذين يحشرون على
وجوههم إلى جهنم) يحشرون الكفار على وجوههم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه وقال قتادة
حين بلغه بلى وعزة ربنا وروى النسائي والترمذي وحسنه عن عمرو بن شبيب عن
أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشرون يوم القيامة أمثال
الذر في صور الرجال يشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال
له بولس لعلهم نار الأنبار يستقرون من عصارة أهل النار طينة الخبال وروى البزار
من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر
يطوهم الناس بأقدامهم فيقال ما هؤلاء في صور الذر فيقال هؤلاء المنكبرون في
الدنيا وروى الإمام أحمد في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «يجاء
بالبابرين والمنكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر تطوهم الناس من هوانهم على
الله حتى يقتضى بين الناس قال ثم يذهب بهم إلى نار الأنبار» قيل يا رسول الله ما نار
الأنبار قال عصارة أهل النار وروى عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه لما حضره
الموت دعا بتياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وفي
إسناده يحيى بن أيوب وهو النافعي المصري احتج به البخاري ومسلم وغيرهما
وله ما كبر قال أبو حاتم لا يحتج به وقال الإمام أحمد سيء الحفظ وقال النسائي
ليس بالقوي وقد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة إن المراد في ثيابه
التي قبض فيها أي في أعماله قال الهروي وهذا كحديثه الآخر يبعث الميت على
ما مات عليه قال وليس قول من ذهب إلى الأكفان بشيء لأن الميت إنما يكفن
بعد الموت انتهى قل الحافظ المذري وفعل أبي سعيد راوي الحديث يدل على إجماعه
على ظاهره وإن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها وفي الصراح وغيره أن الناس

يعشون عراة قاله أعلم وحمل كثير من العلماء الحديث على الشهداء الذين أمر أن يدفنوا في ثيابهم التي قتلوا فيها وإن أباً سعيد سمع الحديث في الشهداء فحمله على العموم قال البيهقي يجمع بأن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم بثيابه أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها ثم تتناثر عندهم عند ابتداء الحشر وقد روى محمد بن نصر المروزي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة وفسره بعضهم بقبض شماله يمينه والآنحاء هكذا وبإسناده عن أبي صالح السمان قال يبعث الناس يوم القيامة هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى نقله الحافظ ابن رجب في كتابه الذكر والانكار والله أعلم

﴿ كذا وقوف الخلق للحساب والصحف والميزان للثواب ﴾

﴿ كذا ﴾ أي كما يجب الجزم بالبعث والمنشور والحشر بعد النفخ في الصور يجب أن تجزم جزماً باتاً بأمر ﴿ وقوف الخلق ﴾ من الأنس والجن والدواب والطير وغيرهم قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً - وقال - ليجيء منكم إلى يوم القيامة لاريب فيه - وقال - يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) أي زمراً زمراً قال أبو هريرة رضي الله عنه إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر والحاصل إن الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام وفي تفسير مكِّي يحشر الناس يوم القيامة على أرض قدمها الله تعالى مد الأديم المكافئ لهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت في كنانتها فالسيد يومئذ من يجد لقدمه مقاما قال وأكثر الأقدام يومئذ مضها على بعض وقد ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العصاة دماً

واعلم إن يوم الوقوف أهوالاً عظيمة وشدائد جسيمة تذيب الأكباد وتذهل المراضع وتثيب الأولاد وهو حتى ثابت ورد به الكتاب والسنة وانه قد عليه الإجماع وهو يوم القيامة وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بيوم القيامة قبل

لکون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا)
وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه وقيل لتيام الناس لرب العالمين
كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا (يوم يقوم الناس لرب
العالمين) قال يقوم الناس أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه قال ابن عمر رضي الله
عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب بن جوف يقومون ثلاثمائة سنة وروى أبو يعلى
باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلی الله عليه وسلم قال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) مقدار نصف يوم من خمسين
ألف فيكون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب الى أن تغرب » وروى الامام
أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال (يوما كذا مقداره خمسين ألف سنة) فقل ما أطول
هذا اليوم قتال الذي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن
حتى يكون عليه أحف من صلاة مكتوبة » وروى ابن أبي الدنيا والطبراني من
طرق أحدها صحيح والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم
معلوم قیاما أربعين سنة شاحصة أبصارهم ينتظرون فصل القضا » الحديث وعن
أبي هريرة يقومون سبعين سنة وقيل مقداره ألف سنة رواه الطبراني من حديث
ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ولعطاء « امام تمام الناس بين يدي رب العالمين ألف
سنة لا يؤذونهم » وأخرج البيهقي عنه بمشون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يتكلمون
وقيل انما سي يوم القيامة لقيام الملائكة والروح فيه صفا قال تعالى (يوم يقوم
الروح والملائكة صفا) قال القرطبي القيامة قیامتان صغری وکبری فالصغری
ما تقوم على كل انسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سمعه وحصوله على عمله
والکبری هي التي تم الناس وأخذهم أخذة واحدة والدليل على ان كل من مات
قامت قيامته قول النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من الاعراب سألوه عن الساعة
فأنظر الى أحدث انسان منهم فقال ان يمش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم
صاعتكم رواه مسلم وغيره وقال الشاعر

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أتت الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصبروا خروجي ومجيلي إليه كرامتي
(لطيفة) سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم
من الآخرة قال صدر ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة
وقد أخرج الامام أحمد عن محمد بن أبي عميرة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
والطبراني عن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا لوان رجلا يخر على وجهه من يوم ولد
الى يوم يموت هرما في مرضاة الله تعالى لحرقه يوم القيامة وأخرج ابن المبارك عن كعب قال
لوان رجلا كأن له مثل عمل سبعين نبيا لحشي أن لا ينجو من ذلك اليوم وأخرج الشيخان
عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «يعرق اداس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في
الارض سبعين ذراعا ويلجهم حتى يلع آذانهم» وفي بعض ألفاظ الصحيح «سبعين
بأع» وأخرج مسلم عن المنذر رضي الله عنه قل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول «إذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قد رميت أو ميلين
قال فتصهرم الشمس فيكونون في العرق كفدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبه
ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه إجماما» وفي رواية لا تدنى الشمس يوم القيامة
من الخلق حتى تكون كمقدار ميل قال سليم بن عامر ما أدري ما يعني بالميل مسافة
الارض أو الميل الذي تكحل به العين قال «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق
فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم
من يلجمه العرق إجماما» وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه وأخرج الامام
أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث عتبة بن عامر رضي
الله عنه مرفوعا نحوه وزاد بعد قوله «ومنهم من يبلغ وسط فيه» وأشار بيده ألجمها
فاه وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا ومنهم من يغطيه عرقه
وضرب بيده وأشار ومريده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس دور راحته
يمينا وشمالا وقال ابن مسعود رضي الله عنه الارض كلها نار يوم القيامة والجنة
من ورائها كواهبها وأكوابها والذي نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى
يسبخ في الارض قامته ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وماسه الحساب قالوا مم ذلك

بأبى عبد الرحمن قل مما يرى الناس رواه الطبراني باسناد جيد قوي وروى
الطبراني أيضاً باسناد جيد عن ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه مرفوعاً «ان الرجل
يلجمه العرق يوم القيامة فيقول يا رب أرخني ولز إلى النار» ورواه أبو يعلى وابن حبان
بلفظ أن الكافر يلجمه العرق الحديث وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عن
مرفوعاً أن العرق ليرم المرء في الموقف حتى يقول يا رب أرسلك بي إلى النار أهون
علي مما أجده وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب

(فائدة) قال الخطاط قد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء
بمئة سنة كما يكونون قد سلموا من تلك الأهوال ونجوا من ذلك السكل والوبال
ففي مسند الإمام أحمد عن أسامة بن زائد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال «مات على باب الجنة فإذا عامة من دخلها الفقراء إلا أن أصحاب الجسد أي
الخطو والثروة والمال محبوبون إلا أن أهل الدارند أمر بهم إلى الدار» الحديث متفق
عليه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال «ان فقراء المهجر يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً»
وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يدخل فقراء المؤمنين
الجنة قبل أغنيائهم بمئة سنة»

وحاصل ذلك ان الخلق يتقون المقدار الذي مروا وتدنو الشمس من
رؤس الخلائق مقدار ميل ويصيبهم من العرق من شدة الهول وعظم حر الشمس
يومئذ أمر عظيم قال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة
لا حرق الأرض واذا ابت الجوامد ونشفت الأنهار

وهذا الوقوف مع ما مر (الحساب) الثابت بالسنة والكتاب واجماع أهل الحق
بلا ريب قال تعالى (فوق بك لئلا ألجم أجمعين عما كانوا يعملون) وقال في حق أعدائه
(أولئك لهم سوء الحساب) قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفاد صيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا ينظرون بك أحد من عمل مثقال ذرة خيرا به
ومن عمل مثقال ذرة شرا به قال الثعلبي الحساب تعريف الله عز وجل الخلائق بمقادير
الجهنم على أعمالهم وتذكيرهم بما قد يسوء من ذلك يدل على هذا قوله تعالى (يوم)

يعتصم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) وقال بعضهم معنى كونه محاسبا خلقه أنه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم والحساب مصدر حاسب وحسب الشيء بحسبه بالضم إذا عدده ساءا وهو معنى قول من قول الحساب لغة العد واصطلاحا توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحتصر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن إلا من استثنى منهم وقد اختلف في معنى محاسبته تعالى عباده على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه يعلمهم ما لهم وعليهم كما تقدم قال بعض العلماء بأن يخلق الله في قلوبهم علومها ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب (الثاني) ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعتها لكم (الثالث) أن يكلم الله عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب وفي هذا من صحيح الاخبار وصريح الآثار ما يطلع شروشا من في قلبه نوع اختلاجات أصل كل شبهة وبدعة فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تزول قدماء عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فبم أفاء وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسده فيما أبلاه» قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه البزار والطبراني بإسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ولفظه «لن تزول قدماء عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فبم أفاء وعن شبابه فبم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه» وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب عذب» فقلت أليس يقول الله (واما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا) فقال «إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما ورواه البزار والطبراني في الكبير بإسناد صحيح من حديث ابن الزبير رضي الله عنهما ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب هلك» وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لتؤدنَّ

المحتوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد لثاة الملحأ من الثاة القرناء ورواه الامام أحمد ولبطله « يقتض للحلق بعضهم من بعض حتى للحما من القرناء وحتى للذرة من الدرة » ورواه رواة الصحيح الملحأ والجمأ التي لا قرن لها واخرج الامام أحمد أيضا عن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليمتص من كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيم انتطحا » واسناده حسن ورواه الامام أحمد أيضا وأبو يعلى من حديث أبي سعيد وفي حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد يوم القيامة - أو قال - الناس عراة غرلا بهما - قال قلنا وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يادبهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ابا الديان ابا الملك لا ينبغي لاحد من أهل النار ان يدخل النار وله عد أحد من أهل الجنة حق حتى أقصيه منه ولا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عنده حق حتى أقصيه منه حتى اللطمة » قال قلنا كيف وانما تأتي عراة غرلا بهما قال « الحسنات والسيئات » رواه الامام أحمد باسناد حسن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المقدس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وأني وقشتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان نبت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » وفي هذا أحاديث كثيرة وبالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) انما قدم الحساب بعد الحشر والوقوف على أخذ الصحف مع انه مؤخر عن أخذ الصحف في الوقوع لان الحساب من المتأخر وأخذ الصحف من الوسائل فتقدمت المقاصد على الوسائل مع مراعاة قافية العلم والله أعلم

﴿ الثاني ﴾

كفيات الحساب مختلفة وأحواله متباينة فنه المسير ومنه اليسير ومنه العدل

والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيك ومنه الفضل والصفح ومتولي ذلك
أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين

﴿الثالث﴾

أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الأموال والسعة وأول ما يحاسب
عليه العبد الصلاة كما أخرج الامام عبدالله بن المبارك وأبو داود والترمذي وحسنه
والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة يقول الله
تعالى للملائكة انظروا لصلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان
نقص منها شيئا قال الله انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أتموا العبد
فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك» وأخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يحاسب عليه العبد صلاته وأول ما يقضى
بين الناس سيف الدماء فإن قيل قد ورد في التنزيل ان الناس لا يستلون قال تعالى
(فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان) فالجواب أنه معارض بقوله تعالى (فوربك
لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) وبجواب عن الآية الكريمة بأنهم لا يستلون
سؤال استفهام لانه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يستلون سؤال تقرير فيقال لهم
فعلتم كذا قال في البهجة كغيره قال الحسن وقتادة لا يستلون عن ذنوبهم لان
الله تعالى حفظها عليهم وكتبها الملائكة وقيل يستلون في موطن دون موطن
رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ونظير هذا قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وفي الآية الاخرى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون) فلاناس يوم القيامة حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات ومن
ثم قال الامام أحمد في أجوبته القرآنية أول ما تبث الخلائق على مقدار ستين
سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون ثم يؤذن لهم في الكلام
فيتكلمون فذلك قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا) الآية فاذا
أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون) عند الحساب واعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك

(لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد) يعني في الدنيا فان المذاب مع هذا القول كائن انتهى

الرابع

اختلف عن المسئول عنه والمسئول فقال ابن عباس رضي الله عنهما عن لا اله الا الله وقال الضحاك عن خطاياهم وقال القرطبي عن جميع أقوالهم وأفعالهم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - فوريك لسألكم أجمعين عما كانوا يعملون) قال الفخر الرازي ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر والايان بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل والصبر في قوله تعالى لسألكم عما على جميع المكلفين الانبياء وغيرهم ويدل على سؤالهم صريحاً قوله تعالى (فلست ان الذين أرسل اليهم وللسائل المرسلين) فهذه الآية تدل على انه يحاسب كل عباده لا مهم لا يخرجون عن ان يكونوا مرسلين أو مرسل اليهم ويبطل قول من زعم انه لا حساب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار انتهى والحراب انه لا حساب على الانبياء عليهم السلام على سبيل المناقضة والتفريع قل السفي في بحر الكلام الانبياء لا حساب عليهم وكذلك أطال ماؤه من وكذلك العشرة المبشرون بالجنة هذا حساب الماشئة وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة يغير حساب ولذا قل عمارنا في عنايتهم ويحاسب المسلمون المكافون الا من شاء الله ان يدخل الجنة فيحاسب وكل مكلف مسئول يسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل قال شيخ مشايخنا البدر البلباني في عقيدته فالكفار لا يحاسبون بمعنى ان صحائف أعمالهم لا توزن وان فعل كافر قربة من نحو عتق أو صدقة أو ظلمه مسلم وجوبه ان يخفف عنه العذاب انتهى ولعل مراده غير عذاب الكفر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية يحاسب الله تعالى الخلق ويحاسبه بعد الموت ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة قال وأما الكفار فلا يحاسبون بحاسبة من تورن حسناته وسيئاته فأهمهم لاحساناتهم ولكن تصد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها انتهى وعن عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه ما من عبد يخطو خطوة الا ويستل عنها ما اراد بها وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «ان أول ما يستل عنه يوم القيامة ان يقال له ألم أصحح جسمك وأرويتك الماء البارد والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب وماء بارد» أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم والبغوي وأخرج الامام أحمد والبيهقي وأبو نعيم عن الحسن مرفوعا «ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى به عورته» وأخرج البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شاء الله اذا كان حالالا الصائم والمتسحر والمرابط في سبيل الله» وأخرج البزار أيضا وأبو نعيم بسند حسن عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما فوق الأزار وجف الخبز وظل الحائط وجزأ ماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة أو يستل عنه» وأخرج الامام أحمد عن جده عن أبي عبيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار ومعه أبو بكر وعمر فجاء صاحب الحائط بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال «تسئلن عن هذا يوم القيامة» فقليل يا رسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال «نعم الا من ثلاث خرقه يكف بها عورته وكسرة يسد بها جوعته وجحر يدخل فيه من الحر والقر» وأخرج الطبراني والبزار والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه حسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي قال - تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك» وفي ترغيب الأصبهاني عن أنس مرفوعا «ان استطعت ان تمسي وتصبح وليس في قلبك غش لاحد فافعل فانه أهون عليك في الحساب» وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال اعرابي يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة قال الله قال نجيونا ورب الكعبة قال وكيف يا أعرابي قال لان الكريم اذا قدر عفا وما أحسن ما قيل من الحسك المدونة الكريم اذا قدر غفروا واذاللت معه ستر ومنها ليس من عادة الكرام سرعة القضب والانتقام

﴿قائمة﴾

ذكر القرطبي كعبه ان الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من سيرته رحمان
اكراما لهم ولا يكلم الكافرين بل يحاسبهم الملائكة اعمانه لهم وتبيرا لأهل
الكرامة وأخرج السيحا عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال «ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يبرئهم ولهم عذاب أليم رجل
على فصل ماء بالطريق يجمع منه ابن السبيل ورجل بايع اماما ما يبايعه الا لادنيا
فان أعطاه ما يريد وفى له والا لم يف له ورجل بايع رجلا بعد المصر تخلف بالله
لقد أعطي كذا وكذا فصدقه ولم يعط بها»

﴿الخامس﴾

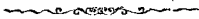
ثبت في عدة أحار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما ذكره الألبان على الدار
طائفة من هذه الأمة بالارتياح يدخلون الجنة ميرحساب ويدخلون حات العم
قل وضع الموارد وأحد الصحف بالشمال واليمين وقد أخرج الشيخون وعبرها
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فقال «عرضت لي الأمم يمر الذي معه الرجل والذي معه الرحلان والذي ليس معه
أحد والذي معه الرجل فرأيت سوادا كثيرا فرحوت ان تكون أمي فقبل لي
هذا موسى وقومه ثم قبل لي ابلر رأيت سوادا كثيرا قد سب الاق قبل
هكذا وهكذا رأيت سوادا كثيرا فقبل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون
ألفا يدخلون الجنة ميرحساب» فترق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم مدا ذلك أصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آما بالله
ورسوله هؤلاء أداونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هم الذين لا يسرقون
ولا يكتون ولا يطايرون وعلى رءم يتوكون» فقام سكاشة بن محص فقال أما
هم وفى لعط ادع الله ان أكون منهم يا رسول الله قال نعم ثم قام آخر فقال أما
مهم فقال «سفتك بها عكاشة» قال الامام لمحقق ان التهم في كتابه (الداء والدواء)
قوله صلى الله عليه وسلم سفتك بها عكاشة لم يردا عكاشة وحده أحق بذلك من

عداه من الصحابة ولكن لودعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساء أولى وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «وعدني ربي ان يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي» وروى حنفات بالفتح وهو الفرف مل بالدين وقبل الحثية باليد والحفنة باليدين وأخرج الامام أحمد والطبراني عن أبي أيوب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال «إن ربي خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيثة عنده لأمي» فقال له بعض أصحابه أينبأ ذلك ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال «ان ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيثة عنده» فقبل يا أبا أيوب وما نظن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله الناس بأفواههم فقالوا ما أنت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو أيوب دعوه أخبركم عن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول رب من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسول مصدقا لسانه قلبه فأدخله الجنة الخبيثة بخاء معجزة فموحدة وهمزة بوزن خطيئة وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا «سألت ربي فوعدني ان يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر فاستردته فزادني مع كل ألف سبعين ألفا فقلت أي رب أرايت ان لم يكن هؤلاء مهاجري أمي قال اذا أكلمهم لك من الاعراب» وأخرج الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه قال نفيس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان يوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتسبت عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال «لم يحدث الا خيرا ان ربي وعدني ان يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المازيد فوجدت ربي ماجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت يا رب وتبلغ أمي هذا

قال أكمل لك العدد من الأعراب» (١) وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلوب رجل واحد واستزددت ربي فراذني مع كل واحد سبعين ألفاً قال أبو بكر فرأيت أن ذلك يأتي على أهل القرى ويصيب من حافات البوادي وأخرج الامام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أن ربي أعطاني سبعين ألفاً من أمي يدخلون الجنة بغير حساب» فقال عمر يا رسول الله فبأذا استزددته قال «قد استزددته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً قال عمر فبأذا استزددته قال «قد استزددته فأعطاني هكذا» وخرج ابن أبي عمير بسط باعية وحشا» قال هشام هذا من الله ما يدري ما عدده وأخرج الرار عن أس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً بغير حساب» فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا فقال عمر يا أبا بكر إن شاء الله أدخلهم الجنة بحضة واحدة وأخرج الامام أحمد بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أن ربي استشارني في أمي ماذا أعمل بهم فقلت ما شئت يا رب هم خلقتك وعبادك فقال لا يحريكني أمتك وأخبرني أن أول من يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب» وأخرج هذا عن أساء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم ماد ينادي ابن الدين كانوا يحمدون الله على السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي ابن الدين كانت ثجاي جنومهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي ليقم الذين كانوا لا تلبهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون» ورواه ابن أبي الدنيا وغيره وذكره المافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف فقال قد روي أن المتهمدين يدخلون الجنة بغير حساب

(١) هكذا أورد الحديث المصنف ربه ما ترى مما لا يوافق القواعد ولا يصح

وذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق سميع الخلائق اليوم من أولى بالكرم فذكر الحديث قال الحافظ ابن رجب ويروي أيضا عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله ويروي نحوه من حديث ابن اسحق عن عبد الله ابن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا ويروي نحوه أيضا عن عبادة بن الصامت وربيعة الجرشي والحسن وكعب من قولهم قال الحافظ قال بعض السلف قيام الليل يهون طول قيام يوم القيامة قال وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب والله أعلم



ولما انتهينا الكلام على الحساب بحسب ما يليق بهذا الكتاب ثانيا العطف على شرح الصحف والميزان المشار إلى ذلك في قوله ﴿و﴾ كذا وقوف الخلف لاخذ ﴿الصحف﴾ جمع صحيفة وهي الكتب كتبها الملائكة وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية وقيل هي صحف تكتبها المباد في قبورها قال تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الثعلبي أي التي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب وإنما يؤتى بالصحف الزاما للعباد ورفعاً للجدل والعناد وقال تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقاه منشوراً) قال العلماء معنى طائره عمله وقال مقاتل والكلبي خبره وشره معه لا يفارقه وهو معنى الاول وقال تعالى (وأما من أوتي كتاباً بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً) وفي الآية الاخرى (فأولئك هم كتابهم ولا يظلمون شيئاً) والفيل هو القشر الذي في شق النواة وهذا يضرب مثلاً للشيء الحقير وذكر مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالفيل الوسخ الذي يظهر بفيل الإنسان إيمانه بسبابه قال العلامة الشيخ مرعي وإنما خص القراءة بمن أوتي كتاباً بيمينه دون من أوتي به شمالاً لأن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملاً على الملوكات العظيمة والقبائح الكاملة فيتولى الخوف والدهش

على قلوبهم ويثقل لسانهم فيمحزون عن القراءة الكاملة بخلاف أصحاب
اليقين فابهم إذا طالعوا صحف حسنتهم وجدوها على الكمال فيقرءون كتابهم
على أحسن الاحوال . أمما ثم لم ينفع أحد بقراءته حتى يقول لأهل المحشر هاؤم
اقروا كتابه . كما قاله المحر وغيره وقال تعالى (وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حساباً يسيراً) ويقلب الى أهله مسروراً وأما من أوتي كتابه وراء
ظهره فسوف يدعو ثوراً ويصلى سعيراً

والحاصل ان بشر الصحف وأخذها باليمن والشمال مما يحب الايمان به وعقد القلب
بانه حق لثبوته بالكتاب والسنة والاحماع فقد أخرج العثميلي عن أنس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله
ربحاً وطيرها الايمان والشمال» أول خطبها (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسباً) قال قتادة سيقراً ومثمن لم يكن قارئاً في الدنيا وأخرج الديلمي عن أبي
هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «وان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس
عليه» وقال ابن مسعود رضي الله عنه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال وما ذير فمد ذلك تطاير الصحف في الايدي فأخذ يميناً
وأخذ شمالاً» ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ولفظه
واما الثالثة فتطاير الصحف في الايدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله وأخرجه البيهقي
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه: واما العرضة الثالثة فتطاير الكتب في
الايمان والشمال: قال الحكيم الترمذي الجدال للاعداء يجادلون لانهم لا يعرفون
رهم فيطون انهم اذا جادلوه نمحوا أو قامت حجتهم والمناذير لله يعتذر الى آد
والى أسبابه ويقيم حجته عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم الى النار والعرضة الثالثة
للمؤمنين وهو العرض الاكبر يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخواص
حتى يذوق وبال الجاء والحجل ثم يعفر لهم ويرضى عنهم وأخرج ابن المبارك
عن أبي عثمان الهدي قال ان المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ شيئاً
مبتعبر لونه ثم يقرأ حسنة فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سبأته قد بدلت حسنة

شماله وقال يوسف بن عمر من المالكية اختلف في عصاة الموحدين قبل يأخذون كتبهم ما يمانهم وقيل شمالهم وعلى القول بأهم يأخذونها بايمانهم قبل يأخذونهم قبل المسحول في النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها به الحروح منها وإن أعلم

(الثاني) ورد أن أول من يأخذ كتابه يمينه أبو سلمة ابن عبد الأسد واسمه عبد الله وهو أول من يدخل الجنة من هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وهو أول من هاجر من مكة الى المدينة وقال بعض علماء المالكية أول من يعطى كتابه يمينه وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده أبو سلمة اتهم وروي أن أول من يأخذ كتابه بشماله أخو أبي سامة بن عبد الأسد الاسودودي أنه بعد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره وذلك لأنه كان خلق يد سلمة لما أراد أن يهاجر فقتل بنو المنيرة أم سلمة أن تشر مع أبي سلمة ونزعوا خطام البعير من يده فأخذوها منه فغضب وخطأ سلمة وهم بنو أعد الأسد فاحتذوا ابنه سلمة المذكور من أمه حيث أخذوها ولم يدعوها تسير مع أبي سلمة فخلعوا يد العلام القصة فجوزي الاسودودي يده فالخزاء من جنس العمل قال القرطبي في تذكرته إذا وقف الناس على أعما من الصحف التي يؤمر بعد البعث حوسبوا بها وأخرج ابن المبارك عن رجل بني أسد قال قال عمر رضي الله عنه لكعب حدثنا من حديث الآخرة قال يأمر المؤمنون إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق وهو ينظر الى عمله ثم يوثق بالصحف التي فيها أعمال العباد فنشر حول المر ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه يمينه فينظر فيه

(د) كذا وقوف الخلق لآحل (الميزان) أعلم أن مراتب المعاد البعث والنشور المعسر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال السؤال والحساب ثم الميزان (للتواب) أي ثواب الاعمال الصالحة وعن البيه العاضدة قل علما وما كذبهم نوم من أن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات قالوا وله لسان وكفتان توزن به سحائف الاعمال قال ابن عباس رضي الله عنهما

الحسنات في أحسن صورة والسيئات في أقبح صورة قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته الصحيح ان المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم وقال القرطبي في تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأما هاهوية * وما أدريك ما هي * نار حامية)

والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فالكتاب ما ذكرناه وقوله تعالى (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الى غير ذلك من الآيات وروي ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه فلما أفاق قال الهمي من ذا الذي يقدر بملا كفة حسنائه فقال اذا رضيت عن عبيدي ملائمتها بتمرة ذكره الرازي والعلبي وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه ان ميزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احدهما لوسعتين وجبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه قال في البهجة في هذا ان أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الانس وهو كذلك ارتضاء الائمة قال القرطبي في تذكرته المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة وصغارهم في الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصغار وزنا وثقل الكفة النيرة حتى لا ترفع وترفع المظلمة ارتفاع الفراغة الخالية قال واما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة وان كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الاخرى فلا تقاومها اظهاراً لفضل المتقين وذل الكافرين والحق ان الكفار لا يقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) ومن قال توزن أعمالهم لو روده في ظواهر عموم الآيات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته

والحق ان مؤمني الجن كالانس في الوزن وكافهم ككافهم وأخرج الحاكم وصححه
من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوضع
الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعن فتقول الملائكة يا رب
لمن وزن هذا فيقول لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك
حق عبادتك » وأخرجه الامام عبد الله بن المبارك في الزهد والآجري في الشريعة
عن سلمان موقوفاً وأخرج البرار والبيهقي في البعث عن أنس بن مالك رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يؤتى بآدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي
الميزان ويؤكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد
فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وان خف ميزانه نادى الملك بصوت
يسمع الخلائق ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً » وذكر الثعلبي وغيره وابن
جرير في تفسيره وابن أبي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه انه قال صاحب الميزان
يوم القيامة جبريل عليه السلام وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وهو يد
جبريل عليه السلام وأخرج أبو الشيخ بن حبان في تفسيره من طريق السكاكي عن
أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الميزان له لسان وكفتان فقد دلت
الآثار على انه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن
البصري وصرح بذلك علماؤنا والاشعرية وغيرهم وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر
وانتقد اجماع أهل الحق من المسلمين عليه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته
بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار
قال وان الميزان تخف بمثقال حبة وترجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من
أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط وأخرج الامام أحمد في الزهد من طريق
ربيع بن زيد عن أبي الجراح عن رجل يقال له حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل عليه جبريل وعنده رجل يكي فقال « من هذا قال فلان قال جبريل اننا وزن
أعمال بني آدم كلها الا البكاء فان الله يطفىء بالدمعة بحورا من نيران جهنم » وأخرج
البيهقي عن مسلم بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أغرور قست

عين بمائها الاحرم الله ذلك الجسد على النار ولا سالت قطرة على خدها فبرحق ذلك الوجه قبر ولا ذلة ولو ان يا كيا بكى في أمة من الامم لرحموا وما من شيء الا له مقدار وميزان الا الدمعة فانها يطفأ بها بحار من النار» وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال «انا فاعل ان شاء الله» قلت أين أطلبك قال «أول ما تطلبني على الصراط» قلت فان لم ألقك على الصراط قال «فاطلبني عند الميزان» قلت فان لم ألقك عند الميزان قال «فاطلبني عند الخوض فاني لا أخطي هذه الثلاث مواطن» ورواه البيهقي في البعث وغيره

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر فالأشهر انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفته كطباق السموات والارض كما مر وقيل انه لكل أمة ميزان وقال الحسن البصري لكل واحد من المكلفين ميزان قال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى (ونضع الموازين) وقوله فمن ثقلت موازينه قال وعلى هذا فلا يبعد ان يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان أورد هذا ابن عطية وقال الناس على خلافه وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد وقال بعضهم إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم وهو حسن

﴿ الثاني ﴾

اختلف في الموزون قيل يوزن العبد مع عمله وقيل توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعذل الله سبحانه كما جاء به الحديث فامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات غير ملتفت اليه كما لا يخفى وقيل ان الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك الاعمال من غير

قلب لها والحق ما قدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما وصوبه الشيخ مرعي في بهجته وذهب اليه جمهور من المفسرين وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة فقال «الصحف» ذكره الفخر الرازي وغيره وحكاه ابن عطية عن ابن أبي المعالي ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم على شرط مسلم عن عبد الله بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أنت كذا من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر أو حسنة فيقول لا يارب فيقول الله بلى ان لك عدنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا آله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وربك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فإليك لانظلم وتوض السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يتقار مع اسم الله شيء» قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت بهذا الحديث الصحيح ان الموزون صحائف الاعمال وهو الحق فان قيل قد اخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الانسان فاجاب ان هذا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثالا للذي يفتر ببعض الاجسام وهو كساية عن عدم كثرات الله بالاجسام فان الله لا ينظر للمصور وانما ينظر للاعمال والقلوب فكيف من جسم وميم وهو عند الله من أصحاب الحميم فهذا محل الحديث الصحيح والله أعلم

﴿الثالث﴾

قال السفي في بحر الكلام ان الايمان لا يوزن لانه ليس له ضد يوضع في كفة الميزان الاخرى لان صده الكفر والايمان والكفر لا يكونان في الانسان الواحد قلت يرد هذا وزن كلمة الاحلاص وهي أس الايمان وانتصر القرطبي

للفنسي كالحكيم الترمذي وأجاب عن كلمة الاخلاص بأنها انما تكون ايمانا أول مرة وبعد ذلك تكون من حسناته قال ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: بلى ان لك عندنا حسنة: ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن لا اله الا الله من الحسنات هي فقال من أعظم الحسنات رواه البيهقي وغيره قلت وفيه نظر لا يخفى (فإن قيل) ما الحكمة في الوزن مع ان الله عالم بكل شيء فيعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (أجاب) الثعلبي بان الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر وقال العلامة الشيخ مرعي بل الحكمة فيه اظهار العدل وبيان الفضل حيث انه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر (وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما)

﴿الرابع﴾

ظواهر الآثار وأقوال العلماء ان كيفية الوزن في الآخرة خفة وثقلا مثل كيفية في الدنيا ماثقل نزل الى أسفل ثم يرفع الى عليين وماخف طاش الى أعلا ثم نزل الى سجين وبه صرح جموع منهم القرطبي وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة وان عمل المؤمن اذا رجح صعد وسفلت سيئاته والكافر تسفل كفته لحلوله الاخرى عن الحسنات ثم تلا قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) وذكر بعضهم في صفة الوزن ان تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة الحسنات في كفة النور وهي عن يمين العرش جهة الجنة والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار ويخلق الله لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة أعماله وثقلها وقيل بل علامة الرجحان عمود نور يقوم من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل أحد وبالله التوفيق

والا انتهى الكلام على الوقوف والحساب وتظاير الصحف والميزان للشواب أعقب ذلك بذكر الصراط فقبال

﴿كذا الصراط ثم حوض المصطفى﴾ فيا هنا لمن به نال الشفا ﴿

{ كذا } اجزم بثبوت { الصراط } فانه حق ثابت بلا شغل ط وهو في الامة الطريق الواضح ومنه قول جرير
 أمير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم
 وقول الآخر

« وقد عن نهج الطريق الواضع » والصراط بالصاد والسين المهملتين وبالرأي على نزاع في اخلاصها ومضارعتها بين الصاد والزاي من مرطت الشيء بكسر الراء اذا ابتلته لانه يتلغ المارة كما أن الطريق كذلك أي يغيبهم وفي الشرع جسر ممدود على من جهنم يرده الألوان والآخرين فهو قنطرة جهنم بين الجنة والدار وخلق من حين خلقت جهنم قال القرطبي في تذكرته أعلم رحمتك الله تعالى أن في الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقلهم وخفيفهم الا من دخل الجنة بغير حساب والامن ياتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذي ذكرناه ولا يخاص به الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستغف حسنتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع الى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على من جهنم التي يسقط فيها من أوبقته ذنوبه وراح على الحساب جرمه وعيوبه فقد أخرج البخاري والاسماعيلي في مشيخته واللعط له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) قال يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لا أحدهم اهدى ينزله في الجنة منه بماله في الدنيا قال قتادة كان يقال ما يشبه بهم الا أهل الجمعة انصرفوا من جمعهم قال القرطبي هذا في حق من يدخل النار من عصاة الموحدين اما من دخلها ثم أخرج فأهم لا يحسبون بل اذا خرجوا شوا على أنهار الجنة وقال الحافظ ابن حجر قوله يخلص المؤمنون من النار أي ينحون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط فيها قال واختلف في القنطرة المذكورة فقبل أنها من تنمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقبل أنها صراط آخر وبها

جزم القرطبي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة في علوم الآخرة والاول يعني انه طرف الصراط الذي يلي الجنة هو المختار الذي دلت عليه احاديث القناطر والحساب على الصراط انتهى

قال العلماء الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحى من الجرة فقد أخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرفف مذحضة أي مزلفة أي لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يشته الله تعالى عليه كالليب من نار تخطف أهلها فتمسك به واديها ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذلك الذي لا ينشب ان ينجو ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كرمل الرجل ثم كشي الرجل وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له سل وامن فاذا فرغ قال لك ما سألت ومثله معه وأخرج ابن منيع في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الصراط كحد السيف دحض منزلة ذا حسك ٧ وكالليب وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لجهنم جسر ادى من الشعر وأحد من السيف عليه كالليب وحسك تأخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكجاو يد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم فنادى مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه » وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال بلغني ان الجسر ارق من الشعر واحد من السيف وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد أيضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك السعدان ثم يستجيز الناس فنادى مسلم ومخدوش به ثم نادى ومجتبس به ومنكوس فيها » وأخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتبر الطبة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجرد الخيل والرابعة كالجود البهائم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان

جبريل لاخذ بحزني واني لا قول يارب سام سلم فالزولن والزالات يومئذ كثير،
وأخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال بلغنا ان الصراط مسيرة
خمس عشرة ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمس آلاف هبوط وخمس آلاف مستوى
أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الاضمار، وهزول
من حشية الله تعالى وفي بعض الآثار ان طول الصراط مسيرة ثلاثة آلاف سنة
ألف منها صعود وألف منها هبوط وألف منها استواء وفي بعض الروايات أن جبريل
في أوله وميكائيل في وسطه يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابههم في
ما أبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به وفي بعض الآثار ان فيه سبع قناطر يسئل كل
عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف (قلت) وقد ذكر القرطبي في تذكرة
عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل على سبع قناطر فأما
القنطرة الأولى فيسئل عن الايمان بالله وهي شهادة لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا
والاخلاص قول وعمل جاز ثم يسئل على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها
تامة جاز ثم يسئل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل في
الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان
جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسئل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما
تامين جاز الى السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسئل فيها عن ظلمات الناس
وتبعات الحاق وجاء في الحديث الشريف انه اذا صار الناس على طرف الصراط
مادى ملك من تحت العرش يافطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل
عاص منكم وظالم وأخرج الحاكم وصححه الطبراني عن أم الدرداء قالت قلت
لابي الدرداء ألا تبتغي لاضيا فك ما تبتغي الرجال لاضيا فهم فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول «ان امامكم عقبه كودا لا يجوزها المتقون فأحب أن اتخفف لتلك
العقبه» قوله كود هي فتحة الكاف وحزمة مضمومة الصمبة وأخرج البزار بلفظ
«ان بين أيديكم عقبه كودا لا ينجو منها الا كل مخف» وأخرج الطبراني عن أنس
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان بين أيدينا عقبه كودا لا يصعداها
الا المتقون» فقال رجل يا رسول الله أمن المخفين أنا أم من المتقنين قال «عندك

طعام يوم - قال نعم - وطعام غد - قال لا - قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم عهد الي ان دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة وانا ان نأتي عليه وفي احوالنا اقتدار واصطبار أخرى ان ننجو من ان نأتي عليه ونحن مواقير

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اتفقت الكفاية على اثبات الصراط في الجملة لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من اتباعه زعما منهم أنه لا يمكن عبوره وان أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وانا المراد طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى (سيهديهم ويصلح بالهم) وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى (فاهدوهم الى صراط الجحيم) ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والاعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها وكل هذا باطل وخرافات لوجود رد النصوص على حقائقها وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك وأنكر العلامة القرافي ككون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام والحق أن الصراط وردت به الاخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى الا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف هذا ان ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاة للاحاديث الاخر من قيام الملائكة على جنبته وكون الكلايب والحسك فيه واعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه قال القرافي والصحيح أنه عريض وقيل طريقان يعني ويسرى (٢ ش عقيدة السفاريني - ٢٤)

وأهل السعادة يسلك بهم ذات البين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ما رها معسوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى (وان منكم الا واردة) على أحد الآقوال ثم قال القراني تبعا للحافظ البيهقي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف لم أحده في الروايات الصحيحة وإنما يروى عن بعض الصحابة فيقول بأن أمره أدق من الشعر فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى وقد جرت العادة بصرب دقة الشعر مثلا للعامض الخفي وضرب حد السيف لاسراع الملائكة في المعصي لامثال أمر الله واحارة الناس عليه ورد هذا الامام القرطبي وغيره من أنه الآثار وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن ابن سعيد بلاغا وليست مما للرأي والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة وقد مر من الاخبار ما يوجب الايمان بذلك ثم ان القادر على امساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويحربه ويمشي على أنه أحرع الامام عبدالله بن المبارك وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة

(الثاني) تقدم ان الصراط مخلوق الآن وتقل في كثر الاسرار عن بعض أهل العلم أنه يجوز ان يخلقه الله تعالى حين يصرب على متن جهنم ويجوز ان يكون خلقه حين خلق جهنم ونحوه في كلام القاضي عياض قال الحلبي من الشافعية لم يثبت أنه بقي الى خروج عصاة الموحدين من النار فيحوزونها عليه الى الجنة ويحتمل أنه يزال ثم يعاد لهم أولا يعاد أو تصعد به الملائكة الى السور الذي في الاعراف قال البدر الزركشي ومن الحكمة في الصراط ورفع ان يظهر الله المؤمنين من عظيم فضل الله تعالى العجة من النار لتعير الجنة أسر لقلوبهم بعد وليتحرر الكافر بنور المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور

(الثالث) من الحرافات الباردة زعم من زعم ان ماهية الصراط شعرة من شعر جنون مالك خازن النار فهو كلام تنبؤ عنه المسمع ويكذبه كل سامع وان نقله الحافظ برهان الدين الحلبي فلا ينبغي ان يلتفت اليه ولا يعمل عليه والله تعالى أعلم

ثم اجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمروور بثبوت ﴿حوض﴾ النبي ﴿المصطفى﴾ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع أهل الحق وقال تعالى (انا أعطيناك الكوثر) قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحداً واحداً والله أعلم

قال القرطبي ذهب صاحب القوت الى أن الحوض بعد الصراط قال والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالي ذهب بعض السلف الى أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبي والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء قال «أى والذي نفسي بيده ان فيه ماء وان أولياء الله ليردون الى حياض الانبياء عليهم السلام» ورجح القاضي عياض ان الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار وقال ابن حبان في عقيدته يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط انتهى وقال الحافظ ابن حجر ظاهر الاحاديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر فيه قال واماما أورد عليه من ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان يروه ويذهب بهم الى النار فجوابه أنهم يقر بون من الحوض بحيث يرونه ويرون ٧ فيدفعون في النار قبل ان يخلصوا من بقية الصراط وقال القرطبي في التذكرة ن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة

وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلام العرب الخير الكثير قال الجلال السيوطي
وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم وغيره بأن الحوض بعد الصراة
فإن قيل إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجوا إلى الشراب منه فالجواب
بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبسون هناك لأجل المطالم فكان الشرب سيف
موقف القصاص ويمتثل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوله
وتأخيره بعده لاخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والاوزار حتى يهذبوا منه
على الصراط ولعل هذا أقوى انتهى قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته وهذا في
غاية التحقيق جامع للتولين وهو دقيق انتهى قال القرطبي في التذكرة ولا يخطر
ببالك أو يذهب وهمك إلى أن هذا الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما
يكون وجوده على الأرض المبدلة على مسافات هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون
بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض وهي أرض يضاء كالفضة لم يسفك عليها دم
ولم يظلم على ظهرها أحد قط . أخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حوضي مسيره شهر
ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لا يظلم أبدا » وفي رواية « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض
من الورق » وهي عندهما أيضا وأخرج الامام أحمد بسند صحيح وابن حبان
في صحيحه واللفظ للامام أحمد عن أبي امامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « إن الله وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا بغير حساب » فقال
يزيد بن الاخنس والله ما أولئك في أمتك الا كالذباب الاصب في الدباب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألف
وزادني ثلاث حثيات » قال فما سعة حوضك يا رسول الله قال « كما بين عدن إلى
عمان وأوسع وأوسع » يشهر بيده قال فيه شعبان بن مسلم والمين الممهلة بينهما مثله
وآخره موحدة هو مسيل الماء من ذهب وفضة قال فما حوضك يا نبي الله قال « أشا
ياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شرب
لم يظلم أبدا ولم يسود وجهه أبدا » ومن ثم قال (فيا هنا) قال في القاموس هنا

من المحدثين في الدين من الروافض والخوارج وسائر أصحاب الأهواء والبسوع
 المضلة وكذلك المسرفون من الطائفة المفرطون في الظلم والخوروطمس الحق كذلك
 المتهتكون في ارتكاب المأهي والمعلنون في اقتراف المعاصي فقد أخرج مسلم في
 صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفارة
 ثم رفع رأسه متسماً فقال «انه أنزلت عليّ آتفا سورة فتقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم
 انا اعطياك الكوثر) حتى ختمها قال «هل تدرون ما الكوثر - قالوا الله ورسوله أعلم
 قال - هو نهر اعطانيه ربي في الحمة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آتية عدد
 الكواكب يخلق العبد منهم فأقول يارب انه من أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدث
 بعدك» وأخرج الطبراني عنه مرفوعاً أعطيت الكوثر قالت يا رسول الله وما الكوثر
 قال نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظأ
 ولا يتوضأ منه أحد فيشرب منه لا يشرب منه من اخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي» وأخرج
 مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال «ليردن عليّ الحوض أقوام فيختلفون دوني فأقول رب أصحابي رب
 أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن
 ربحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما انه
 قال لما وية أنت السباب لعلي اما والله ليردن عليه الحوض وما أراك تردده فبعده
 مشمر الارار على ساق يذود عنه لا ياتي المناقون ذود غريبة الابل قول الصادق
 المصدوق وقد حاب من اقترى وأخرج الطبراني وابن حبان والحاكم وصححه عن
 حباب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «سيكون امرأ من بعدي
 ولا تصدقهم بكذبهم ولا تعينهم على ظلمهم من فعل ان يرد علي الحوض» وأخرج
 البحاري ومسلم وغيرهما من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي
 رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انا فرطكم على الحوض
 من ورد شرب ومن شرب لم يظأ أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم بحال
 يبي وبينهم» قال أبو حازم فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدث هذا الحديث
 فقال هكذا سمعت سهلاً يقول قالت نعم فقال وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري

سمعت يزيدي «إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل
بعدي» وأخرج الإمام أحمد والطبراني والبرزاري عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أنا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح وبجاء
بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب بعدك مرتدين على أعقابهم»
وأخرج الحكيم في نوادر الأصول عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال «يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي فمات
قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة» وأخرج الترمذي
والحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
عليهم وقال «إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم
على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض ومن لم يدخل عليهم
ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض»
وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال «ليرفعن لي رجال من أصحابي إذا رأيتم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقال
إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فهذا معنى قوله ﴿كما ورد﴾ ذلك في الأحاديث
النبوية مما ذكرنا وما لم نذكر وقد أخرج البخاري ومسلم حديث ابن مسعود
رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن
لي رجال منكم إذا هويت إليهم لانا ولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي
فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفيها من حديث أنس رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبنني حتى إذا
رفعوا لي اختلجوا دوني فلا قولن أي رب أصحابي أصحابي فليقالن لي إنك
لا تدري ما أحدثوا فأقول سحقاً لمن بدل بعدي» وفي الصحيحين من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يرد علي يوم القيمة رط من أصحابي
أو قال من أمتي فيحلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول أنه لا علم لك
بما أحدثوا بعدك أنهم ارتدوا على أديارهم القهقري» وفي رواية فيحلون قال في جامع
الأصول اختلجوا إذا استلبوا وأخذوا بسرعة وقوله فيحلون يعني مبنياً للجهول أي

يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده اذا كن بالحاء المهملة ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو الذي عن الوطن وهو راجع الى الطرد وفي رواية عبد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يئنا أنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم أخرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت الى أين فقال الى النار والله فقلت ما شأنهم فقال أنهم قد ارتدوا على أديارهم القهقري ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت الى أين قال الى النار والله فقلت ما شأنهم قال أنهم ارتدوا على أديارهم فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل العم» وفي رواية لمسلم «وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك» وعند مسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال «فوالله ليتقطعن دوني رجال فلا قولن أي رب مني ومن أمي فيقول لك لا تدري ما أحدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم» وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أني على الحوض انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يارب مني ومن أمي - وفي رواية - فأقول أصحابي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك فوالله ما يرحوا يرجعون على أعقابهم» وفي ذلك أحاديث كثيرة جدا قال القرطبي قال علماءنا كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهو لاء كلهم مبدلون وكذا الظلمة المسرفون في الحور والظلم وطمس الحق واذلال أهله والمعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والبدع ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بعد المعفوة ان كان التبديل في الاعمال ولم يكن في العقائد قال وقد يقال ان أهل الكبائر يردون ويشربون واذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش انتهى فأهل البدع مطرودون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومردودون عن الشرب منه (ومن) أي وأي شخص من هذه الامة من ذكر واتى (نحنا) أي قصد يقال نحاه ينحوه وينحاه قصده كاتبعاه (سبل) بصم السبل المهمة ككتب جمع سبيل وهو الطريق وما وضع

منه وجمعه مع أن الطريق الحق واحد باعتبار خصاله وشعبه المتوصل منه إليها ﴿السلامة﴾ من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة قال في القاموس السلامة البراءة من العيوب يعني أن من منهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من البدع وكبائر الذنوب فإنه يرد على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ويشرب منه ولم يرد عن الشرب منه ولم يطرد عن ورود عليه كما يفهم من الأحاديث المارة وبالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اختلفت الروايات في تحديد الحوض وتقديره اختلافا كثيرا في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه مسيرة شهر وزواياء سواء وفي رواية عند الامام أحمد أن الحوض كما بين عدن وعمان وفي رواية في الصحيحين ما بين صنعاء والمدينة وفي رواية لها أيضا ما بين المدينة وعمان وفي رواية ما بين أيلة ومكة وعند ابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس وفي رواية ما بين جرباء وأذرح وفي رواية ما بين أيلة وصنعاء اليمن وهو في الصحيحين قال في جامع الاصول عن كون حوضه صلى الله عليه وسلم ما بين جنبه كما بين جرباء وأذرح رواه البخاري ومسلم وأبو داود وقال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وفي لفظ ثلاثة أيام قال في القاموس وجرباء قرية بمجنب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وإنما الوهم من رواية الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح انتهى وفي مسلم والترمذي مثل ما بين عدن الى عمان البلاء قال بعض العلماء وهذا الاختلاف والاضطراب لا يرجب الضعف لانه من اختلاف التقدير والتحديد لا من الاختلاف في الرواية لان ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا وانما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة وقد سمعوه في مواطن متعددة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم المتكلم ويفهم السائل وبحسب ما يسنح له صلى الله عليه وسلم من العبارة ويحدد الحوض بحسب ما يفهم المخاضرون من الإشارة قال الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد

تارة على ثلاثين يوما وينتقص الى ثلاثة أيام لا يصلح أن يكون من ضرب المشل في التقدير لأنه إنما يكون بما يتقارب. ورد عليه بأن روايته ثلاثة أيام اعترف هو نفسه بأنها غلط فلا يتوجه الاعتراض بها وقال النووي ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وقال بعضهم يحمل القصير على العرض والطويل على الطول قلت ويرد هذا زواياه سواء وأوضح من هذا ما في رواية طوله وعرضه سواء وقال بعضهم بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعة السير وعدمها فقد عهد في الناس من يقطع مسافة عشرة أيام في ثلاثة أيام وعكسه وأكثر من ذلك وأقل والله أعلم

(الثاني) خالفت الممتزلة فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف في اثباته فهو مبتدع وأما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح وأما قوله تعالى (أما أعطياك الكوثر) فيه اختلاف هل هو الحوض أو الخبر الكثير أو النهر الذي في الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فنكره زائغ عن الصواب مستحق للطرده والعذاب ويكفيه من الحزني والسكالي أنه يذاد عنه ويطرده ويمنع من الشرب منه ويرد وقد أخرج أبو داود عن أبي طلوت قال شهدت أبا برزة رضي الله عنه دخل على عبدالله بن زياد فحدثني فلان ساء مسلم وكان في الساطع لما رآه قال أن محمد يك هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال ما كنت أحسب أني أنق في قوم يعبروني بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عبيد الله أن صحبة محمد لكم زين غير شين ثم قال إنما بعثت اليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا قال أبو برزة رضي الله عنه لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا ولا أربعاً ولا خمساً فمن كذب به فلا سقاء الله منه ثم خرج مفضيا

(الثالث) جاء في الأخبار أن لكل نبي حوضا فخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا ترده أمته وأنهم يتباهون بهم أكثر وأردة واني أرجو أن أكون أكثرهم وأردة» ووردني بعض الأخبار أن لكل نبي حوضا إلا صالحا عليه السلام فإن حوضه

ضرع ناقته والله أعلم

﴿فمكن مطيعا واقف أهل الطاعة﴾ في الحوض والكوثر والشفاعة ﴿فمكن﴾ أيها الناظر لظامي السامع لكلامي ﴿مطيعا﴾ لما جاءت به الاخبار وصحت بمقتضاه الآثار من صريح المنقول وصحيح المعقول ﴿واقف﴾ أمر من قنوته قفوا وقفوا تبعته كتنقيته واقفيته أي اتبع في اعتقادك واقصد في نهجك وارتيادك ﴿أهل الطاعة﴾ من فرقة أهل السنة والجماعة فانها الفرقة الناجية والعصابة التي لكل فوز راجية والطاعة اسم من أطاعه بطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع ويطيع فهو طائع أي اذعن وانقاد والاسم الطاعة وقيل طاع اذا انقاد وأطاع اذا اتبع الامر ولم يخالفه ﴿في﴾ في اعتقاد اثبات ﴿الحوض﴾ الذي تقدم ذكره بالاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وتقدم دعاء الصحابي على من كذب به ان الله لا يسميه منه ومر في الاحاديث ان من أحدث في هذا الدين لا يسقى منه وكفى بانكار السنة الصحيحة الصريحة حدثا وبدعة ﴿واقف﴾ أهل السنة والجماعة في اثبات ﴿الكوثر﴾ وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد مثل ما الكوثر «ذاك نهر أعطانيه الله عز وجل - يعني في الجنة - أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزر» قال عمر رضي الله عنه ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكلتها أنعم منها» رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بيننا انا وأسبر في الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الاولئ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك قال فضرب الملك يده فاذا طينه مسك أذفر» وفي صحيح مسلم من حديث المختار ابن فلفل عن أنس أيضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكوثر نهر في الجنة وعدني به ربي عز وجل» وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلا من العسل وأبيض من الثلج» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قال الامام المحقق ابن القيم في

كتابه (حادي الارواح الى منازل الافراح) عن مجاهد في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قال الحبير الكثير قال وقال أنس بن مالك رضي الله عنه نهر في الجنة وقالت عائشة رضي الله عنها نهر في الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه الا سمع خرب ذلك الهر قال الامام ابن القيم وهذا معناه والله أعلم أن خرب ذلك النهر شبه الخرب الذي يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه ادهى وحاء في التفسير أن الكوثر القرآن والنبوة والكوثر في غير هذا الرجل الكثير المعطاء كما في النهاية

(و) اقم أهل الطاعة واتمع أهل السنة والجماعة في (الشفاعة) وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سوال الحبير للتغير كذا عرفها بعضهم والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو صد الوتر فكان الشافع ضم سؤاله الى سوال المشفوع له من شفع يشفع فتح العين المهملة شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته

واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم شفاعات (الاولى) الشفاعة العظمى التي يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بهم بعد ان يتدافعها الانبياء أصحاب الشرائع آدم الى نوح و ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهي المقام المحمود وقد وردت من حديث الصديق الاعظم وأنس وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعتبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وسلمان الفارسي هؤلاء ورد أمر الشفاعة في أحاديثهم مطولا وورد مختصرا من حديث أبي بن كعب وعادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضي الله عنهم فأخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك اليوم فيقولون لو استشفعنا ربنا حتى يربحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته وعلقت اسماء كل شيء واشفع لنا الى ربك حتى يربحنا من مكاننا هذا فيقول لآدم لست هاكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحي ربه من ذلك ويقول ولكن اتنوا نوحا فانه أول رسول بعث الله الى الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي ربه من ذلك ولكن

اثنوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هنا كم ولكن اثنوا موسى عبدا
كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هنا كم وينذركم لهمس النفس
الذي قتل بغير حق فيستحيي ربه من ذلك ولكن اثنوا عيسى عبدا لله ورسوله
وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن اثنوا محمدا عبدا غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقوم فأمشي بين ساططين من المؤمنين حتى
استأذن على ربي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال
ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه
ثم أشفع» الحديث وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال «اني لقائم انتظر متى يعبر الصراط اذ جاءني عيسى
فقال هذه الانبياء قد جاءك يا محمد يسألونك ويدعون الله ان يفرق بين جميع
الامم الى حيث يشاء الله الى غير ما هم فيه فالخلق ملجئون بالعرق فأما المؤمن
فهو عليه كالزكاة وأما الكافر فيمشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب
نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي
مرسل فأوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك تسل تعطه
واشفع تشفع» الحديث وأخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا أنصتوا
وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا ومبشرهم اذا أيسوا والواء الكرم بيدي
ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف على
ألف خادم كأنهم الالوان المكنون» وروى الامام أحمد والبخاري وابن حبان
في صحيحه من حديث الصديق الاعظم رضي الله عنه نحو حديث أنس في
مراجعتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال اسحق بن ابراهيم يعني الامام ابن
راهويه هذا أشرف الحديث وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال «اناسيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك بجمع الله الاولين
والآخرين في صعيد واحد يسعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنونهم الشمس فيبلغ

الناس من ايم والكرب مالا يلبثون ولا يخشون فيقول الناس ألا ترون الى ما أنتم فيه
 ان ما قد سلمكم الأنسطرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض
 ايكم آدم وبأوه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خضعتك الله سيده وفتح فيك من
 روحه وأمر ملائكة معجداوا لك وأمسكك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى
 ما نحن فيه وما لنا قيقول ان ربي غصب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
 بعده مثله والله اني عن اشجرة مصيبت نفسي فسي اذهبوا الى غيبري اذهبوا الى نوح
 فيحييهم على ابراهيم وايراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى يقول اذهبوا الى
 غيبري اذهبوا الى محمد فيأبوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد
 غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن
 فيه ونشاق في تحت العرش فوقع ساحدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن
 انيائه عليه شيئا لم يفتح على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل الله واشفع
 نشفع وارفع رأسي فأقول آمين يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمرك من لا حساب
 عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
 من الابواب ثم قل والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصارع الجنة
 كما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصرى وأخرج الامام أحمد وأبو يعنى من
 حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا نحوه وفيه أنهم يأتون عيسى بعد آدم
 ونوح وايراهيم وموسى عليهم السلام فيقولون لعيسى عليه السلام اشفع لنا الى
 ربك فليقبض يسا فيقول اني لست هناكم اني اتخذت الحما من دون الله واني
 لا يهمني اليوم الا نفسي ولكن ان كل متاع في وراء نختم عليه أكلت بقدر على
 ما في حرفة حتى بعض الخاتم فيقولون لا فيقول ان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم
 النبيين قد حصر اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يا توتي فيقولون يا محمد اشفع لنا الى ربك فليقبض يثنا فيقول
 أما لها حتى يأذن الله لمن يشاء وبرضى فاذا أراد الله ان يصدع بين خلقه نادى
 مناد ابن أحد وأمه فحق الآخرون الاولون نحن آخر الامم وأول من يعاسب
 فنخرج لنا الامم عن طريقنا فتمضي غرا معجلين من أثر الظهور فتقول الامم كادت

هذه الأمة أن تكون أنبياء كماها فتأتي باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فيقول أنا محمد الحديث وفيه يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الناس يصيرون يوم القيامة جثى كل أمة تتبع نبيا يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقام محمودا

﴿ فوائد ﴾

(الاولى) هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء هي المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهذه الشفاعة لأهل الموقف انما هي لأجل حسابهم ويراحوا من الموقف كما قاله القرطبي في تذكرته قال وقوله في حديث أبي هريرة يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمة فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمة وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس غلط ثم يلهمون. وذكر ابن برجان في الارشاد ان الذي يدهم على ذلك رؤوس المحشر وهم رؤساء اتباع الرسل قال الحافظ السيوطي وحديث لكل نبي دعوة الخ متواتر ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان ومن حديث أنس وجابر رضي الله عنهما أخرجهما مسلم وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أخرجهما الإمام أحمد وعبد الرحمن بن أبي عقيل رضي الله عنه أخرجه البزار والبيهقي وحكمة إلهام الناس التردد إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجيء إليه من أول وهلة لاظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم وأما ما ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة ان بين اتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة وكذا بين كل نبي ونبي فقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري لم أتف لذلك على أصل قال وقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لأصل لها فلا يغتر بشيء منها انتهى

(اثانية) شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى تجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر اذ هي للاراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو الى النار

(الثالثة) سئل القاضي جلال الدين البلقيني عن حكم سجود النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الوضوء فأجاب بأنه باق على طهارة غسل الموت ويحتمل وهو الاصح بأن أمور الآخرة ليست كاحكام الدنيا اذ الآخرة ليست بدار تكليف فلا يتوقف السجود فيها على وضوء والله أعلم

﴿ فانها ثابتة للمصطفى كغيره من كل أرباب الوفا ﴾

﴿ من عالم كالرسل والابرار سوى التي خصت بذ الانوار ﴾

﴿ فانها ﴾ أي الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الآتي ذكرها ﴿ ثابتة ﴾ بالقل الصحيح بل المتواتر ﴿ ا ﴾ لمبي ﴿ المصطفى ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ك ﴾ ما أنها ثابتة ا ﴿ ميره ﴾ أي غير نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿ من كل أرباب ﴾ أي أصحاب ﴿ الوفا ﴾ بامثال الامراء والاتباء عن الزواجر ثم أخذ في بيان ما أجل من أرباب الوفا بقوله ﴿ من عالم ﴾ عامل بعلمه معلم لميره وهم الرابانيون وهؤلاء ورثة الانبياء فبؤلا كما نفعوا الناس في الدنيا بالدلالة والتعاليم كذلك يفعونهم بالشفاعة لهم عند المولى الجواد الكريم فيقبل شفاعاتهم ويعل درجاتهم ﴿ كالرسل ﴾ جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع من بني آدم وأمر بتبليغه وكذا الانبياء وهم يعني الرسل والانبياء خواص الخلق من بني آدم ﴿ والابرار ﴾ جمع بار وهم الاتقياء الاخيار

والحاصل أنه يجب ان يعتقد ان غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون بقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الاخبار

بذلك وترادف الآثار على ذلك وهو أمر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال صلى الله عليه وسلم «أنا أول شافع وأول مشفع» روى هذا اللفظ أبو هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجه البيهقي وعبد الله بن سلام رضي الله عنه أخرجه البيهقي أيضا وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البيهقي قال يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء قال البخاري كذا قال أبو الزعراء عن ابن مسعود ولا يتابع عليه والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أول شافع وكذا قال غير البخاري من أئمة الحفاظ والله أعلم

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وأخرجه البزار وفي آخره ثم المؤذنون وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي من حديث حذيفة بن حذيفة وأخرج الطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف» وأخرج ابن أبي عاصم والاصماني عن أبي امامة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس» وأخرج البيهقي من حديث جابر مثله وزاد في آخره بما أحسنت أدبهم وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته» وأخرج الامام أحمد والطبراني مثله من حديث عبادة بن الصامت والترمذي وابن ماجه مثله من حديث مقدم بن معدي كرب وأخرج البزار والبيهقي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان الرجل «لشفع في الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة» وأخرج الترمذي والحاكم وصحاحه والبيهقي عن عبد الله بن أبي الجعداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ليدخل الجنة شفاعاة رجل من أمي أكثر من بني تميم» قالوا سواك يا رسول الله قال سواي قال العريابي يقال انه عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخرجه البيهقي عن الحسن مرفوعا «ليدخل الجنة شفاعاة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر» والحاكم وصحاحه والبيهقي عن الحارث بن قيس مرفوعا «ان من أمي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر وان من أمي من سيعظم النار حتى يكون أحد زواياها» وأخرج الامام أحمد مثله من حديث أبي برزة وهناد مثله من حديث أبي هريرة وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن أبي امامة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ليدخل الجنة شفاعاة رجل ليس بنبي مثل الحسين ربيعة ومضر» وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من أمي لرجلا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته» وأخرج الذهباني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «لا تزال الشفاعاة بالناس وهم يخرجون من النار حتى ان ابليس الابليس ليتناول لها رجاها ان تصيبه» وأخرج البزار عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته»

والحاصل ان للناس شفاعات بقدر أعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لاهله والاسلام يشفع لاهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشية مشفقون من ذا الذي يتفع عنده الا باذنه وبالله التوفيق ﴿سوى﴾ الشفاعات ﴿التي خصمت بذى﴾ أي بصاحب ﴿الانوار﴾ نبينا المختار صلى الله عليه وسلم ما دارت الادوار وتعاقب الليل والنهار فلا يشاركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صديق ولا شهيد لانها مختصة بمجنابه الرفيع وقدره المجيد والشفاعات المختصة به صلى الله عليه وسلم عدة (أولها) وهي

أعظمها وأعظم شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين الوري بعد التردد إلى الأنبياء وتدافعها بين أخيار الملائكة إلى أن تصل لصاحب الخوض المورود وهي المقام المحمود وقد عم العالمز زيادة القلق وتضاعف العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الأكباد وينسي الأولاد وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد (ثانيها) يشفع عنده به في ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فإن هذه خاصة به أيضا صلى الله عليه وسلم كما قاله القاضي عياض والامام النووي وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فإن الاختصاص إنما يثبت بالدليل ولا دليل عليه وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم في صحيحه وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي في أمودج اليب (ثالثا) شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوله استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم وتردد النووي في ذلك قال السبكي لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه وجزم في الأمودج بأنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم (رابعها) في رفع درجات ناس في الجنة وهذه لا تنكرها المعتزلة كالأولى إلا أن النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم في كتاب الانتقاد له باختصاصها به قال في الأمودج جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت الأحاديث في التي قبل وصرح به القاضي عياض وابن دحية (خامسها) الشفاعة في اخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره السبكي وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى

﴿ تنبيهات ﴾

(الأول) الشفاعة التي تنكرها المعتزلة وتبجحدها هي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها وفيمن دخلها منهم أن يخرج منها فكذبت بها المبتدعة ونفها مع ثبوت أدلتها وتضافر حججها مما يتعسر احصاؤه ويتعذر استقصاؤه فأخرج البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال «انه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم والدجال ويكذبون بطلوع

الشمس من مفرها ويكذبون بمذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا» وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد عن أنس رضي الله عنه قال «من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحديث فليس له فيه نصيب» وأخرج البيهقي عنه أنه قيل له إن قوما يكذبون بالشفاعة قال لا تجالسوا أولئك وأخرج أيضا عنه قال يخرج قوم من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء وأخرج أيضا عن شبيب بن أبي فضالة المكي قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل يا أبا نعيم انكم لتحدثونا أحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران وقال للرجل اقرأ القرآن قال نعم قال فهل وجدت صلاة العشاء أو ما وصلة المغرب ثلاثا والغداة ركعتين والطهر أربعين والعصر أربعين قال لا قال فمعن أخذتم هذا السهم عنا أخذتموه وأخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي كل أربعين درهما درهم وفي كل كذا شاة وفي كل كذا بعير أوجدتم في القرآن هذا قال لا قال ووجدتم في القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق) أوجدتم طوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام أوجدتم هذا في القرآن عن أخذتموه السهم أخذتموه عما وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال أوجدتم في القرآن لاجلب ولا حنب ولا شغافري الاسلام قالوا لا قال فإن الله تعالى قال في كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وانا قد أخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أشياء لم يكن لكم بها علم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم (رب أنهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وقول عيسى (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فرفع يده وقال آمي آمي ثم بكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك : وأخرج البرار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم بسند حسن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أشفع لأمتي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى أَرْضِيَتْ يا محمد فأقول أي يارب رضىت» وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه

وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف بن مالك الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان ربي خيرني بين ان يدخل نصف أمتي الجنة وفي لفظ- بين ان يدخل ثلثي أمتي بغير حساب ولا عذاب وبين الشفاعة لأمتي فاخترت الشفاعة قال وهي لكل مسلم» وروى نحوه الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند جيد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وفيه وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا وأخرج الطبراني مشله عن أنس وأخرج الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم واكفي أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي والطبراني في الاوسط عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اني أشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الارض من شجر ومدر» وأخرجه الطبراني في الاوسط عن أنيس الانصاري ولفظه أكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وأخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمعون الجهنميين وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة» وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي وصححه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وأخرج الطبراني عن عبد بن بسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعتي في أمتي المذنبين المثقلين» وأخرج الطبراني أيضا وأبو نعيم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «نعم الرجل انا لشرار أمتي» قيل كيف يا رسول الله قال «أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم» وأخرج أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» قال ابن عباس السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمات تصد يدخل

للجنة رحمة الله والظالم لنفسه وأهل الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم في أواسط الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «إني أذكرت شفاعتي لأهل الكبار من أمتي» وفي الكبير عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعلمي ولا تشككي فإن شفاعتي للأهل الكبار من أمتي» وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكبار من أمتي» قال جابر رضي الله عنه من زادت حسنة على ميتانه فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسنة وميتانه فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة وإنما شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أرق نفسه وأعلق ظميره وأخرج عن أنس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله لمن تشفع قال «لأهل الكبار من أمتي وأهل العقائد وأهل الدماء» وأخرج عن كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعاً «شفاعتي لأهل الكبار من أمتي» وأخرج طائوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكبار من أمتي» قال البيهقي هذا مرسل حسن يشهد لكون هذه اللفظة شائعة وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «مارلت أشفع إلى ربي ويشفعني وأشفع ويشفعني حتى أقول أي رب شفّعني فيمن قال لا إله إلا الله فيقول : هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد هذا لي، وعرفني وجلالي ورحمتي لأدع في النار أحداً يقول لا إله إلا الله :»

(الثاني) في ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال «طنت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه» وأخرج أبصاً عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» وأخرج مسلم نحوه من حديث ابن عمرو وفي سنن سعيد بن منصور ومن طريق أبي

السختياني عن فقيه من فقهاء الكوفة قال ما من مسلم يسمع النداء فيقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة المفترضة أعط محمدًا سؤلَه يوم القيامة الا أدخله الله في شفاعته وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يثبت أحد على لأواء المدينة وجديها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة» وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم والطبراني من حديث زيد بن ثابت وأبي أيوب والبخاري من حديث عمر وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن يموت بها» وأخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين» وأخرج الطبراني بسند جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدرسته شفاعتي يوم القيامة» والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» وابن أبي عاصم في السنة والبخاري والطبراني بسند حسن عن رويغ بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم ألك حاجة حتى كان ذات يوم قال يا رسول الله حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة قال فأعني بكثرة السجود وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وأخرجه الطبراني لم يفظ «من جاءني زائرا لاتعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة» والبيهقي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا «من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة»

(الثالث) في من لا تدركم الشفاعة وبحرمون شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لاتصافهم

بالبدع وسوء البصاعة فأخرج أبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صنعان من أمي لا تنالها شفاعتي يوم القيامة المرجنة والقدرية» وأخرج البيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي قال في النهاية العرب اسم لهذا الحيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء قومه بالبادية أو المدين انتهى والمراد بهم هنا نواصم عيل وأخرج البيهقي والطبراني بسند جيد عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رجلان لا تنالها شفاعتي يوم القيامة امام طلوع غشوم عسوف وآخر غل في دين الله مارق منه» وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء وغيره من الصحابة رضي الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذروا المراء فان الماري لا شفيع له يوم القيامة»

(الراجع) مما احتجت المعترلة لمذهبهم في نفي الشعاعة بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزي عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعاة - وقوله - مالا ظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) ودرعوا ان من دخل جهنم يخلد فيها لانه اما كافر او صاحب كبرة مات بلا توبة هذا رأيهم ومن وافقهم وهو رأي فاسد ومذهب باطل تروى الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة واجماع اهل الحق ايدهم الله تعالى وأحباؤا عن الآية الكريمة أن المراد بقوله تعالى (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) الكفار للآيات الواردة الثانية في الشعاعة قال القاضي البضاوي تمسكت المعترلة بهذه الآية على نفي الشعاعة لاهل الكبائر وأجيب بانها مخصوصة بالكفار ويؤيد هذا أن مساق الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان أباهم تشفع لهم انتهى وعن قوله تعالى (مالا ظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هو الكافر وقالت المعترلة في قوله تعالى (انك من تدخل النار فقد أضرته ولا يشعرون الا لمن ارضى - وكم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم شيئا الا من بعد ن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن أخزاه الله لا يرتضيه ومن ارتضاه لا يخرجه قال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) الآية والجواب عن الآية الاولى ما قال سيدنا أنس بن

مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى (من تدخل النار) من
تدخل وقال قتادة تدخل مقلوب تدخل ولا تقول كما قالت أهل حروراء يعني
الخوارج فعلى هذا قوله (قد أخزيت) على باب من الهلاك أي أهلكته وأبعدته ومقته
ولهذا قال سعيد بن المسيب الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله
قوله في آخر الآية (وما للظالمين من أنصار) أي الكفار وإن سلم أن الآية في عصاة
الموحدين فالمراد بالخزي الحياء يقال خزي يخزي خزاية إذا استحي فهو زيان وامرأة
خزي بالخزي المؤمن يومئذ استحيوا ثم من دخول النار ودار البوار مع أهل الشرك
والكفار ثم يخرجون بشفاعته النبي الكريم ورحمة الرؤف الرحيم ونفي النصرة
لا يستلزم نفي الشفاعة لأنها طلب مع خضوع والنصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة
والاستعلاء على أنا نقول لا يسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي مطلقا بل هو
مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح وإن كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان
وإن تكاب القبايح بخلاف الكافر فإنه ليس بمرضي مطلقا لعدم الأساس الذي تبنى عليه
الحسنات والاعتداد بالكمالات وهو الإيمان. والحاصل أن الإيمان بالشفاعة واجب وقد
قدمنا من النصوص ما علله يقلع شروش الاختلاج من خواطر من أذعن لها وخلع
من عنقه بقية تقليد أهل الزيغ والاعوجاج كيف والنصوص متواترة والآثار
متوافرة والعقل الصحيح لا يحيل ذلك والنقل الصريح ناطق بما هنالك فدع
عنك نحلة فلانة وفلان وأعقد قلبك على ما صبح عن سيد ولد عدنان وأصحابه
والتابعين لهم بإحسان فإنه الحق الذي لا عقل يحيله ولا نقل يزيله والله
تعالى الموفق

﴿ فصل في الكلام على الجنة والنار ﴾

ولما انتهى الكلام على الشفاعة وأقسامها وتفصيلها وأحكامها بحسب ما يليق
بالمقام أعقب ذلك بذكر العظيمين دار القرار للاختيار ودار البوار للكفار وهما
الجنة والنار فقال

﴿ وكل إنسان وكل جنة في دار نار أو نعيم جنة ﴾

(٢ ش عقيدة السفاريني - ٢٧)

﴿ها مصير الخلق من كل الوري فالنار دار من تعدى وافتري﴾
 ﴿ومن عصي بدنبه لم يخذ وان دخالها يا بوار المعتدي﴾
 ﴿وكل انسان﴾ من نبي آدم فالانس والانسان من البشر والواحد انس
 وأنسي والجمع اناسي والمرأة انسان وبالهاء عامية كما في القاموس قال ومسمع في
 شعر كأنه مولد

لقد كستني في الهوى ملابس الصب الغزل ابيانة فتانة
 بدر اللجا منها خجل اذا زنت عيني بها فبالدموع تغفل

﴿وكل حنة﴾ بكسر الجيم وتشديد الون مفتوحة طائفة الجن والجان اسم
 للجن أي كل واحد من الثقلين اللذين هما الانس والجن لابد ان يكون ﴿في﴾ احدى
 الدارين اما في ﴿دار نار﴾ وهي دار البوار ومقر الكفار وهي جسم لطيف محرق
 يطلب العلو تندكر وتوث وألفها مقلبة عن واو بدليل تصغيره على نوبة وتجمع
 جمع قلة على نيرة وأنور وجمع كثرة على نيران ونور والوروضها وضوء كل نبر
 وهو ضد الظلمة والار سبع طباق أعلاها جهنم فظي ثم الحطمة ثم السمير ثم سقر
 ثم الجحيم ثم الهاوية وباب كل واحدة منها من داخل الاخرى على الاستواء
 كما قاله ابن عطية وغيره ﴿أو﴾ في دار ﴿نعم﴾ مقيم في ﴿جنة﴾ المولى الكريم
 الرؤف الرحيم فكل واحدة من الجنة والار حق ثابتة بالكتاب والسنة واجماع
 الامة وكل ما هو كذلك فالايان به واجب واعتقاد وجوده حق لازب
 والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب ﴿ها﴾ أي الجنة والنار ﴿مصير﴾
 الخلق من الانس والجن أي لابد لكل واحد ﴿من كل الوري﴾ كفى الخلق
 من الانس والجن بل ومن الملائكة فانهم يكونون في الجنة كما يأتي ان يصيراما
 الى الجنة واما الى النار واما أهل الاعراف فان مصيرهم الى الجنة كما يأتي ﴿فالار﴾
 التي هي دار الهوان والبوار فهي ﴿دار من﴾ أي كل شخص من انس وجن ﴿تعدى﴾
 طوره وخالف مولا فكفر به أو تأخذ من رسله أو بكتاب من كتبه أو شرع شرعه
 على لسان نبي بعثه ولم ينسحه ﴿وافترى﴾ فيما عبد واجترى بما قصد فلقف عند

الحدود ولم یف بالعهود المعهود فكل من حکم الشرع بکفره من کافر اصلي من أهل الشریک وعبدة الاوثان والكواکب والنيران وأهل الشرائع المنسوخة بعد النسخ والتبدیل من أهل التوراة والانجیل فهم خالدون مخلدون فی النار ودار الخزي والبوار ﴿ومن﴾ أي وكل عبد مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعا لم یحکم الشرع بکفره ﴿عصى﴾ بمخالفة ربه وتمدی حدوده ﴿بذنبه﴾ ولو کان ذنبه من أكبر الكبائر كالقتل والزنا وأكل الربا ومات علی الايمان ولو لم یتب ﴿لم یخلد﴾ فی النار ﴿وان دخلها﴾ لیظهر من الاوزار فانه یمخرج منها اما بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمین كما تقدم ﴿یا بوار﴾ أي یا هلاک ﴿المعتدي﴾ اشارة الى تقبیح ما ذهبت الیه المعتزلة من زعمهم ان من دخل النار فهو خالد فیها لانهما کافر أو صاحب کبيرة مات بلا توبة اذ المعصوم والثائب وصاحب الصغیرة اذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار علی ما سبق من أصولهم والکافر یخلد بالاجماع بخلاف العاصي وتقدم الکلام علی ذلك بما فیہ کفاية وان مرتکب الکبيرة اذا مات ولم یتب فی مشیئة الله ان شاء عفا عنه ولم یعذبه وان شاء عذبه ثم یمخرجه وأما خلود المؤمن المصير فهو مذهب الخوارج والمعتزلة وأهل الحق علی خلافه وهو الحق الذي لا مرية فیہ والله تعالی أعلم

﴿تنبيهات﴾

(الاول) قال الجوهری الجان أبو الجن قال الامام أبو الوفاء ابن عقيل انما سمي الجن جننا لاجتنانهم واستتارهم عن العیون قال والشیاطین عصاة الجن وهم من ولد ابليس والمردة أعتاهم وأغواهم وقال ابن عبد البر الجن عند أهل الکلام والعلم باللسان علی مراتب فاذا ذکر والجن خالصا قالوا جني فان أرادوا انه ممن یسکن مع الناس قالوا عامر والجمع عمار فان کان ممن یمرض للصبيان قالوا أرواح فان خبت وتعرض قالوا شیطان فان زاد علی ذلك وقوى أمره قالوا عفريت وقال شیخ الاسلام ابن تیمية روح الله روحه لم یخالف أحد من طوائف المسلمين فی وجود الجن وكذا جمهور الکفار لأن وجودهم تواترت به أخبار الانبياء تواترا معلوما بالاضطرار یعرفه الخاصة والعامّة قال ولم ینکر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم وقال القاضي أبو بكر الباقلاني کثیر من القدريّة یثبتون وجود الجن قديما وبنفوس

وجودهم الآن ومنهم من يترى بوجودهم وينزعهم أنهم لا يرون لرفعة أجسامهم ونفوذ
 الشماع فيها ومنهم من زعم أنهم لا يرون لأنهم لا ألوان لهم وقد ذكر اسحق
 بن بشر في المبدأ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما خلق الجن قبل
 آدم بألفي سنة وقال اسحق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله
 تعالى سوماً أبو الجن ٧ وهو الذي خلق من مارج من نار قال له تعالى نعم قال أنعمي
 ان نرى ولا أنرى وان نغيب في الثرى وبصير كلما شابا فاعطى ذلك فهم يرون
 ولا يرون واذا ماتوا غيوا في الثرى ولا يموت كلهم حتى يعود شاباً يعني مثل الصبي
 يرد الى أرذل العمر وأخرج مسلم عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها
 قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من
 مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وأخرج القريابي وعبد بن حميد عن
 مجاهد في قوله (وخلق الجن من مارج من نار) قال الالهبالاصفر والاخضر الذي
 يعلو النار اذا أوقدت وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلقت الجن الذين ذكروا
 في القرآن من مارج من نار وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار قال خلق
 الجن والشياطين من نار الشمس انتهى

وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون سأل سائل عن الجن فقال أخبر الله عنهم أنهم من
 نار وأخبر ان الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار قال والجواب ان الله تعالى
 أضاف الشياطين والحان الى النار حساً أضاف الانسان الى التراب والطين والفخار
 والمراد به في حق الانسان أصله الطين وليس الآدمي طيناً حقيقة ولكنه كان طيناً
 كذلك الحان كان ماري الاصل قال القاضي عبد الجبار المعتزلي الدليل على ان أصل
 الجن النار السمع دون العقل وقال الامام القاضي أبو يعلى بن العراء الجن أجسام مؤلفة
 وأشخاص ممتلئة وبحوز أن تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافاً للمتزلة في قولهم
 أنهم أحسام رقيقة ولزقتها لانراها قال القاضي أبو يعلى ولا قدرة للشياطين على
 تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله كلمات ضرباً من ضرب
 الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على
 التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله وفعله نقله الله عن صورة الى

صورة أخرى لجري المادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة. انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها قال والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك والذي روي ان ابليس تصور في صورة سراقفة وان جبريل تمثل في صورة دحية محمول على ماذكرنا وهو انه قدره الله على قول قاله فنقله الله عن صورة الى صورة اخرى

قال القاضي الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما يفعل الانس وظاهر العمومات ان جميع الجن كذلك وهو رأي قوم ثم اختلفوا فزعم بعضهم ان اكلهم وشرهم تشتم واسترواح لا مضغ وبلع وهذا لا دليل عليه وقال الاكثر انهم يأكلون بمضغ وبلع وزعم قوم ان جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا ساقط وقيل ان صنف منهم يأكلون ويشربون وصنف لا يأكلون ولا يشربون وسئل وهب بن منبه عن الجن هل يأكلون ويشربون وهل يموتون ويتناكحون فقال هم أجناس فاما خالص الجن فهم ربح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون ويموتون قال وهي هذه التي منها السعالي والقول وأشباه ذلك أخرجه ابن جرير وحدث علقمة عن ابن مسعود عند الامام أحمد ومسلم والترمذي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم داع من الجنة فذهب معه فقرأ عليهم القرآن وانه صلى الله عليه وسلم انطلق بأصحابه فأراهم آثارهم وآثار نيرانهم يدل على انهم كانوا كالانس في الجملة وفيه انهم سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظ الترمذي لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أو فرما كان لحما وكل بكرة علف لدوابكم قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن» وقد جمع بعض العلماء بين رواية الترمذي لم يذكر اسم الله عليه وبين رواية الامام أحمد ومسلم بان ما في المسند وصحيح مسلم في حق المسلم من الجن وما في رواية الترمذي في حق غير المؤمنين منهم وصححه السهيلي وقال هذا يعضد الاحاديث وقد استدلوا على مناكحتهم بقوله تعالى (أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) وبقوله

تعالى (لم يطمئن اس قبلهم ولا جان) وهذا يدل على انه يتأتى منهم الجماع وفي الحديث ان الجن يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددا رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة

(الثاني) في ذكر تكليف الجن ولواحق ذلك قال العلامة شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع الحن مكلفون في الجلة اجماعا يدخل كافرهم النار اجماعا ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لمالك والشافعي رضي الله عنهما لا أنهم يصيرون ترابا كالبهائم وان ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا لابي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما قال وظاهر الاول يعني قول الامام أحمد ومالك والشافعي رضي الله عنهم أنهم في الجنة كغيرهم قدر ثوابهم خلافا لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد وانهم في رضى أي حول الجنة كعمر بن عبد العزيز وقال ابن حامد في كتابه الحن كالاس في التكليف والعبادات انتهى كلام الفروع وقال ابن عبد البر الحن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى (يامعشر الحن والاس) وكفوله (بأي آلاء ربكما تكذبان) قال الفخر الرازي أطبق الكل على ان الحن كهم مكلفون قال القاضي عبد الجبار المعتزلي لا نعلم بخلافا بين أهل الطر ان الجن مكلفون

(الثالث) قال ابن مفلح في فروعه ولم يعث اليهم يعني الجن نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال وليس منهم رسول ذكره القاضي أبو يلى وابن عقيل وغيرهما وأجابوا عن قوله تعالى (يامعشر الجن والاس ألم يأتكم رسل منكم) انها كفوله تعالى (يخرج منهما الاول والمرجان) وانما يخرج من أحدهما (١) وكفوله (وجعل الثمر فيهن نورا) وانما هو في سماء واحدة قال والمفسرين قولان والقول بأن منهم رسلا قول الصحاك وغيره قال الامام الحافظ ابن الحوزي وهو ظاهر الكلام وقال الحافظ السيوطي في (لتط المرجان) جمهور العلماء سافوا خلفا على انه لم يكن من الحن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والكافي

(١) مدارع المفسرين الذين أخرجوا القرآن عن ظاهره لجهلهم بأن الاول والمرجان يخرجان من الانهار وهو ثابت لا ريب فيه اه محمد رشيد

وأبي عبيد وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى (يا معشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلُكُمْ) قال ليس في الجن رسل إنما الرسل في الانس والندارة في الجن وقرأ (فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله رسل منكم قال رسل الرسل وقرأ الآية قال ابن جريج وأما الذين قالوا بقول الضحاك فاحتجوا بأن الله أخبر أن من الجن رسلاً أرسلوا اليهم وقالوا لو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى رسل الانس لجاز أن يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن وفي فساد هذا المعنى ما يدل على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم انهم رسل الله لانه المعروف في الخطاب دون غيره وقال أبو محمد بن حزم لم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم الانس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة» قال وباليقين ندري انهم قد أُنذروا وأفصح انهم كان لهم أنبياء منهم في قوله (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلُكُمْ) انتهى وتناول الجمهور كل ما ورد من ذلك ولا يخفى أن ظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك والا كثرون على خلافه وتحقيق ذلك والبحث فيه مما لا فائدة فيه لعدم ترتب شيء عليه غير أنا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الانس لقوله تعالى (اناسمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) وظاهر هذا انهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام وظاهر أن الشياطين الذين سخرهم الله لسايمان كانوا يأتمرون في الشرائع بقوله وهو كان من أنبياء بني اسرائيل وهل كانت على شرع مستعمل أو على شرع لموسى قالت الظاهر كما يفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح وغيره أنه كان على شرع موسى لأن شريعة التوراة استمرت من عهد موسى الى أن بهت عيسى فنسخ بعضها وأمر باتباع بعض وهذا ظاهر في أنه كان على شريعة موسى بل صريح والله أعلم

(الرابع) قال في الفروع قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساوياً لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركون في جنس التكليف

بالأمر والتبهي والتحليل والتحریم بلا نزاع أعلمه بین العلماء فقد يدل ذلك على
منا كحتهم وغيرها قال في الفروع وقد يقتضيه إطلاق أصحابنا وفي المغني وغيره
ان الوصية لا تصح لحنى لانه لا يملك بالتملك كالملة قال في الفروع فيتوجه من
انتفاء التملك منا منع الوطء لانه في مقابلة مال قال الله تعالى (والله جعل لكم
من أنفسكم أزواجا) وقال (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها) قال وقد حمل أصحابنا هذا المعنى في شروط الكفارة فهنا أولى قال ومع
منه غير واحد من متأخري الحنفية وبعض الشافعية وحوزه منهم أبو يونس في شرح
الوجيز قال في مسائل حرب باب منا كحة الحن ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم
واسحق كراهتها وروى من رواية ابن لهيعة عن يونس عن الزهري نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن نكاح الحن وعن زيد العمى اللهم ارزقني جنية أنزوجها
تصاحبني حيث ما كنت قال في الفروع ولم يذكر حرب عن الامام أحمد شيئا
وعن مالك لا بأس به في الدين ولكنني أكره اذا وجدت امرأة حامل فقل من
زوحك قالت من الحن فبكثر الفساد انتهى وذكر الحافظ السيوطي آثارا
وأخبارا عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الجن والانس وقد
حدثني بوقوعه جماعة معهم أنفسهم والله أعلم بصحة ذلك وان ظهر غيائل بثوبه فانا
على شك منه والله الموفق

﴿ وجنة النعيم للابرار مصونة عن سائر الكفار ﴾

﴿ وحة النعيم ﴾ اعلم ان للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها ومساها واحد
باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة
من هذا الوجه وهكذا أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء اليوم
الآخر وأسماء النار فالاسم العام الجنة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من
أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرو وقرة العين وأصل اشتقاقها من السر والتعطية
ومنه الحبين لاستناره في البطن والجنان لاستنارهم عن العيون والحن لستره ووقايته
الوجه والمجنون لاستنار عقله ونواريه والجنان وهي الحية الصغيرة الدقيقة ومه
تسمية البستان جنة لانه يستر داخله بالأشجار ويغطيه فلا يستحق هذا الاسم

الاموضع كثير الشجر مختلف الانوع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره
ومنه قوله تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة) يترسون بها من انكار المؤمنين عليهم ومن
الجنة بالكسر وهم الجن كما تقدم ومنه قوله تعالى (من الجنة والناس)
وذهبت طائفة من المفسرين الى ان الملائكة يسمون جنة واحنحجوا بقوله تعالى (وجعلوا
بينه وبين الجنة نسباً) وقالوا هذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوه بوجهين
أحدهما ان النسب الذي جعلوه انما زعموا انه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه
الثاني قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي علمت الملائكة ان الذين
قالوا هذا القول محضرون العذاب قال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم في كتابه
(حادي الارواح الى منازل الافراح) والصحيح ان الجنة هم الجن أنفسهم كما قال
تعالى (من الجنة والناس) وعلى هذا في الآية الكريمة قولان أحدهما قول مجاهد
قال قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه
فن أمهاتهم قالوا سرورات الجن وقال الكلبي تزوج من الجن فخرج من بينهما
الملائكة وقال قتادة قالوا صاهر الجن والقول الثاني قول الحسن قالوا اشركوا
الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قال ابن القيم والصحيح قول
مجاهد واما قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) فالضمير يرجع الى الجنة أي
قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أي لو كان بينه وبينهم نسب
لم يحضرهم الحساب كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحبوه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلا
لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير في الآية ابلغ في ابطال قولهم من التقدير الاول
انتهى ومن أساء الجنة جنات النعيم قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم) قال في حادي الارواح وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما
تضمنته من الانواع التي يتنعم بها من الماء كول والمشروب والملبوس والصور
والرائحة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن
وقوله في النظم (للابرار) اشارة الى ان هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق
فلا يدخلها ويسكنها غيرهم والابرار جمع بار وهو كثير البر والبر اسم جامع للخير
(٢٨ من عقيدة السفاريني - ٢٨)

وقيل في قوله تعالى (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أن البر الجنة وفي القاموس البر الصلة والحسنة والخير والصدق والطاعة كالبرر وضد العقوق كاللمرة والبر بالفتح من أسماء الله الحسنى والصادق والكثير البر ويجمع البار أيضا على بررة وقد ذكر الله في كتابه عدة آيات يخص الجنة بأهل الإيمان والتقوى كقوله تعالى في الجنة (أعدت للمتقين) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وقال تعالى (وشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) وقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير - أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) وهذا في القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد إيمان وتقوى وعمل خالص لله عز وجل على موافقة السنة فأهل هذه الثلاثة هم الآبرار وهم أهل البشري دون من عداهم من سائر الخلق وعلى هذه الثلاثة أتياء ٧٠ دارت بشارات القرآن والسنة جميعا وهي تجمع في أصلين اخلاص في طاعة الله واحسان الى خلقه وترجع الى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تعالى في محابته ولا طريق الى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله الا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها الى تصديق الرسول في كل ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به إيجابا واستجابا واجتناب ما نهى عنه تحريما وكراهة وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم » فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » رواه البخاري ومسلم وفي غيرها وفي حديث أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حجت النار بالشهوات وحجت الجنة بالمكاره » أخرجه البخاري ومسلم ورواية لمسلم حفت بدل حجت وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » رواه مسلم والترمذي وقد ثبت أن مفتاح الجنة

كلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقد أخرج الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «مفتاح الجنة شهادة لا اله الا الله» قال الحافظ ابن رجب في كتابه التوحيد في سنده انقطاع وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه انه قيل له أليس بمفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس بمفتاح الاوله أسنان فان أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح وفي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها يفتحها فقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس . ورواه الترمذي عنه بلفظ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت في المنام كأن جبريل على رأسي وميكائيل عند رجلي فذكر نحو ما تقدم وفيه قاله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة وأكل مما فيها «مصونة» أي جنة النعيم محفوظة ومحمية «عن سائر» أي جميع «الكفار» سواء كان كفروهم بالشرك أو الجحود أو انكار النبوات أو انكار احدهم الانبياء أو استحلال ما علم تحريمه أو تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة أو جحود ما علم مجيئه . النبي صلى الله عليه وسلم به بالضرورة أو انكار المعاد الجسماني أو جحود الكتاب المنزل أو شيئا منه أو ملكا من الملائكة أو انقاص ملك أو نبي ونحو ذلك فالجنة لا تدخلها النفس مؤمنة باجماع اهل الحق وأما اهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم كل مامر عليهم زمن أولاد لهم الخلود فلا يقر عنهم العذاب ولا ينقطع ولا ان بكا احدهم واستغاث ينتفع فعذابهم متواصل في دار الهوان بما كانوا يكفرون كما قال تعالى (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) لا يقر عنهم وهم فيه مبلسون وقال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال

(لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون) والآيات في مثل هذا كثيرة وسأل الحسن البصري أبا برزة عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (قد وقوا قلن نريدكم الاغذا) فقال «هالك القوم بمعصيتهم لله عز وجل» أخرجه ابن أبي حاتم وفيه ضعف وكذا البيهقي وقال لم أعرفه وفي القرآن العظيم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الى قوله تعالى - فذلك هو الفوز العظيم) فاشترت الآية الكريمة بخنفس النفس الانسانية وعظم مقدارها عذرها فان السلعة اذا خفي عليك قدرها فانظر المشتري لها من هو وانظر الى الثمن المبذول فيها ما هو وانظر الى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله تعالى المشتري لها والتمنجات العبيد والسفيري هذا المقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان ساء الله الجنة» قال الترمذي حديث حسن غريب وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وفي لمظ مؤمنة وفي مسلم عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وذكروا الحديث وفيه «يا ابن الخطاب اذهب فاد في الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون» وفي البخاري معاه وفي كتاب صفة الجنة لابي نعيم من حديث أبان عن أنس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما من الجنة قال لا اله الا الله قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (حادي الارواح) وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلي على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال «تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه فلما ولي قال صلى الله عليه وسلم «من مره ان ينظر الى رجل من أهل الجنة فليظن الى هذا» وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه قال اني النعمان بن قوقل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيت

إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحلت الحلال ادخل الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني آت من ربي فأخبرني أوقال فبشرني أنه من مات من أمتك لا يترك بالله شيئا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قل وإن زنى وإن سرق» وفي الصحيحين أيضا عن عتب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وفي هذا عدة أحاديث تزيد على حد التواتر

﴿ واجزم بأن النار كالجنة في وجودها وإنها لم تلتف ﴾

﴿ واجزم ﴾ جزم إيقان وعرفان وتصديق وإذعان ﴿ بأن النار ﴾ وما فيها من أنواع العذاب والهوان والبوار والزبانية والاغلال والعقارب كالبعال ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن ﴿ ﴾ ما أن ﴿ الجنة ﴾ وما فيها من الولدان والحدود والنعيم والحبور والحلل والتيجان والغواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن وقبل الآن فالنار ﴿ في وجودها ﴾ الآن كالجنة فهما موجودتان قال الإمام المحقق في كتابه (حادي الأرواح) لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم والتابعون وتابعهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فأنهم دعوا إلى الله وأخبروا بها إلى أن نبعت نابعة من القدريّة والمعتزلة فأنكرت أن تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة وقالوا بل الله ينشئها يوم المعاد وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شرعية فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا

وقاسوه سبحانه على خلفه في أفعاله فهم مشبهة في الأفعال ودخل التحميم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة والنار قبل الحزاء عبت فأنها يصيران معطلتين مددا متطاولة ليس فيهما سكنتهما قالوا ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها الآلات والأطعمة والآلات والمصالح وعطلا من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن مافعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العتلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه فنجروا على الرب تعالى بمقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من الذنوص ماخالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها وحرفوها عن مواضعها وضيعوها وضلوا كل من ضلّف بدعتهم هذه القبيحة وبدعوا من انصرف عن شرعتهم هذه الفضيحة والتزموا لها لوازيم أضحكوا عليهم فيها العتلاء وقبح عليهم رأيهم بسببها النبلاء ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان وبذلك من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها منهم الإمام أبو الحسن الأشعري إمام كل أشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصانين) وفيه وإن الجنة والنار مخلوقتان وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدة المستنير ورأى عندها الجنة كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الأسراء وفي آخره ثم أطلق بي جبريل حتى أتى سدة المتهمى فغشيها ألوان ما أدري ما هي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جبابذة اللؤلؤ وإذا ترابها المسك وفي الصحيحين أيضا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالعداء والمشى إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وإن كان من أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» وقد رأى صلى الله عليه وسلم الجنة في صلاة الكسوف حتى هم أن يتناول عنقودا من عنبها ورأى النار فلم ير منظرا أقطع من ذلك وهذا في الصحيحين أيضا وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة ذلك وفيه «لقد أدنيت الجنة (مني) حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أنفها خشية أن تعساكم» الحديث وفي صحيح مسلم من حديث

أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «لورأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قلوا وما رأيتم بارسل الله قال «رأيت الجنة والنار» وفي مسند الامام أحمد وصحيح مسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال اذهب فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها فرجع وقال بعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فأمر بالجنة فحفت بالمكاره فقال فارجع فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها أحد ثم أرسله الى النار فنظر اليها يركب بعضها بعضا فقال لا يدخلها أحد فلما حفت بالشهوات قال وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو منها أحد الا دخلها» قال الترمذي حديث حسن صحيح ودخوله صلى الله عليه وسلم ورويته نهر الكوثر وقصور الجنة وحورها وثمارها ودرها وقصة آدم وخروجه منها واضعاف أضعاف ما ذكرناه من الأدلة القطعية التي يفوت عدها ويتعسر حدها ويعد المنصف ان العدول عن مضمونها مكابرة وردل الاخبار المتواترة والله تعالى أعلم ﴿و﴾ اجزم أيضا بـ ﴿انها﴾ أي النار ﴿لم تلتف﴾ أي لم تهلك وتبطل في القاموس تلف كفرح هلك واتفه افناه والمثلث كالمقعد المهلك يعني ان النار لا تقنى ولا يقنى ما فيها كالجنة وما فيها قال الامام المحقق في حادي الأرواح اما ابدية الجنة وأنها لا تقنى ولا تبطل فما يعلم بالاضطرار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر به قال الله تعالى (واما الذين سمعوا فني الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجدوذ) أي غير مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله (الاماشاء ربك) نعم اختلف السلف في هذا الاستثناء فقال الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه أنهم خالدون في الجنة مادامت السموات والارض الامدة مكشهم في النار (وقالت فرقة) العزيمة وقعت لهم من الله بالخلود الدائم الا ان يشاء الله خلاف ذلك اعلاما لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله وهذا كما قال لنبيه ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) وقوله (فان يشأ الله ينحسم على قلبك) وقوله (قل لو شاء الله ماتلونه عليكم) ونظائر ذلك مما ينحصر به عبادته ان الامور كلها بمشيئته ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن

(وقالت فرقة أخرى) المراد مدة دوام السموات والارض في هذا العالم فلنخبر سبحانه
انهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والارض الا ما شاء الله أن يزيدهم عليه
وكان هذا قول من قال أن الا بمعنى سوى وهذا قول ابن قتيبة فإنه قال المنى
خالدون فيها مدة العالم سوى ما شاء الله تعالى أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم
(وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والارض سما الجنة وأرضها وما باقيتان أبدا
وقيل غير ذلك وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة
والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيعلمون مشفقين ويقال يا أهل النار فيعلمون فرحين
فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ويقال
يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت فيها ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم (وأأنذهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)
وأشار بيده الى الدنيا وفي لفظ للبخاري وهم في غفلة وهو لا في غفلة أهل الدنيا
وهم لا يؤمنون أخرجه في التفسير وفي الصحيحين في هذا الحديث فإذا قيل لهم هل
تعرفون هذا فيشرئبون وبظرون ويقولون نعم هذا الموت فيومر بذبحة فيذبح
قوله فيشرئبون هو يفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الراء بعدها تحية
مهموزة ثم موحدة مشددة أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤسهم للنظر وسيخ
الصحيحين أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يدخل
أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لا موت ويا أهل
أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه» رواية عنه عندهما فيزداد أهل الجنة فرحا
الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم وفي هذا عدة أحاديث عن أبي
هريرة عن الخاتم وابن ماجه وعن أنس عند أبي يعلى والبخاري والطبراني وفيه
فيذبح كما تذبح الشاة فيأمن هؤلاء ويتقطع رجاء هؤلاء فثبت بما ذكرنا من
الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا موبدا كل بما
هو فيه من نعيم وعذاب أليم وعلى هذا اجماع أهل السنة والجماعة فاجمعوا أن
عذاب الكفار لا ينتقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينتقطع ودليل ذلك الكتاب

والسنة وزعمت الجهمية ان الجنة والنار يفتيان وقال هذا امامهم جهم بن صفوان امام المعتزلة وليس له في ذلك سلف قط لامن الصحابة ولامن التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين

وحاصل ذلك كله سبعة أقوال (أحدها) قول الخوارج والمعتزلة إن من دخل النار لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها يخلد فيها أبدا الآباد (والثاني) قول من يقول إن أهلها يعذبون مدة فيها ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول ابن عربي الطائفي في كتاب فصوص الحكم وغيره من كتبه (الثالث) قول من يقول إن أهل النار يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا يقول حكاك اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى أيضا في قوله (وقالوا ان نمسنا النار الاياما معدودة قل أتأخذتم عند الله عهدا فان يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقاتلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساد (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى نارا بها لا يس فيها أحد يعذب ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن بعض أهل الفرق قال والقرآن والسنة يردان هذا القول (الخامس) قول من يقول تغى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد ان لم تكن وما ثبت حدوثه استحالة بقاؤه وأبديةه وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفسى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل الملاف أحد أئمة المعتزلة طردا لامتناع حوادث لانهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول إن الله تعالى يفيها لانهم بها وخالاتها لانه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها امدا تنتهي اليه ثم تغنى ويزول عذابها قال شيخ الاسلام وقد قل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين والشيخ

الاسلام وتأييده الامام المحقق ميل الى هذا القول وذ كر على تأييده بضعاً وعشرين
وجهاً ثم قال وما ذكرناه في هذه المسئلة من صواب فن الله وهو المان به وما كان
من خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريثان منه والله عند اسنان كل قائل
وقصده والله أعلم انتهى وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي المنجلي رسالة سماها
توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين

﴿ تنبيه ﴾

ذهب جمع الى أن الموت عرض ومعنى والاعراض لا تنقلب أجساماً بل زعم
بعضهم ان الموت عدم محض وبه قل الرنخشي وأجابوا عن قوله تعالى (خلق
الموت والحياة) بأن الخلق في هذه الآية التندرفان قبل فعلى هذا كيف يأتي الموت
في صورة كبش فيذبح فالحواب تقل الحكم الترمذي ان مذهب السلف في
هذا الحديث الوقوف عن المحوض في معناه فتؤمن به ونكل علمه الى الله وأجاب
بعض أهل العلم ان لعل هذا الكبش صورة ملائكة الذين يقبضون
أرواح الخلائق ولا فاللوت في نفسه عدم محض راجع الى سلب الحياة أو هو
استعارة وكتابة عن الملود الدائم فضرب المثل بالموت ولا موت هناك حقيقة
انتهى وذهب جماعة الى ان الموت جسم لا عرض وأنه مخلوق في صورة كبش والحياة
في صورة فرس قل الامام أبو حسن الاتمري الموت أمر وجودي لقوله تعالى
(خلق الموت والحياة) والعدم لا يخلق كل هذا ملخص من كلام الشيخ مرعي رحمه
الله تعالى وقل الودوي في شرح مسلم يأول الحديث على ان الله تعالى يخلق
هذا الجسم ثم يذبح مثلاً لان الموت لا يطرأ على أهل الآخرة قبلت وهذا غير
مرضي ولا معول عليه والدليل على ان الموت جسم في صورة كبش ما أخرج ابن
أبي حاتم في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى (خلق الموت والحياة) قال الحياة فرس
جبريل والموت كبش أملح وقال مقاتل والسكاجي خلق الموت في صورة كبش
لا يمر على أحد الامات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء إلا حيي
وأخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الفطنة عن وهب بن منبه قال خلق الله
الموت كبشاً أملح مستترا سواد ويأضله أربعة أجنحة جناح تحت العرش

وجناح في الثري وجناح في المغرب وجناح في المشرق قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز لعزرائيل قلت الذي نذهب اليه ان الموت أمر وجودي وانه جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش ألامح وأن الحياة في صورة فرس كما صحت بذلك الاخبار عن النبي المختار وتلقاها الائمة الابرار ودونها المبالغة الاختيار على أن كثيرا من العلماء أشار الى أن جميع المعاني المعقولة عندنا صورة عند الله تعالى بصور الاجسام وشخصية بهيئة الاشخاص وان كنا لانحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية ناطقة بذلك شاهدة له فانه قدورد عدة أخبار أن الاعمال تعرض في صورة أشخاص الاسلام والصلاة والصيام والمعروف وان ذكر فهذا كله يدل على ما ذكرنا وبالله التوفيق

(نائدة) ذكر في البدور السافرة ان عبد اسماعيل بن زياد الشامي في تفسيره أن الذي يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل يحيى بن زكريا عليهما السلام والله أعلم

(تمة في ذكر مكان الجنة والنار وأين هما على مقتضى الآثار)

اعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال جل شأنه في محكم القرآن (ولقد آتاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وسميت بذلك لأنها ينهمي إليها ما ينزل من عند الله فيه قبض منها وقال تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قول ابن أبي نجيع عن مجاهد هو الجنة وتلقاه الناس عنه وذكر ابن المنذر في تفسيره عن مجاهد قال هو الجنة والنار وقد أخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قال أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن الجنة في السماء وروى أبو نعيم أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنة في السماء السابعة ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة وجهنم في الأرض السابعة وروى ابن منده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الجنة في السماء الرابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الأرض السابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء وقال مجاهد قلت لابن عباس رضي الله عنهما أين الجنة قال فوق السموات قلت فأين

النار قال تحت سعة أربع مائة رواه ابن مده وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» وهذا يدل على أنها في غاية الارتفاع والارتجاع وفي لفظ لهذا الحديث «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما في السماء والأرض أعسدها الله للمجاهدين في سبيله» وشيخ الإسلام ابن تيمية رجح هذا اللفظ وهو لا يبي أن تكون درجة الجنة أكثر من ذلك كما في قوله صلى الله عليه وسلم «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» أي من جملة أسمائه هذا العدد فكون الكلام جملة واحدة في الموضعين ويدل على هذا أن منزله نبيا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة يالها آحاد أمته بالمجاهد وقال في (حادي الأرواح) والجنة مقسمة أعلاها أوسها ووسطها وهو الفردوس وسفقه العرش كما قاله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «إذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأسفل الجنة» وفوقه عرش الرحمن ومنه تنحدر أنهار الجنة قال في حادي الأرواح قال شيخنا أبو الحجاج المري الحافظ والصواب رواه من رواه فوقه نعم الغاب على أنه اسم الطرف أي وسفقه عرش الرحمن فاب قسمل فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فاب الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكرم منه فالحواب لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دوره من الخصال بحيث لا حنة فوقه دون العرش كان سقفه له دون ما تحت من الخصال لعظم سعة إحسه وساية ارتفاعها يكون الصعود من أدنى إلى أعلى بالدرج شدا شدا درجة فوق درجة كما يقال لقارىء امرآن اقرأ وارق فإن مررتك عند آخر آية مرأها وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزله عند آخر حفظه وأن يكون عند آخر الاوارة المحفوظة والله أعلم

وأخرج أبو يعقوب في تاريخ أصحابنا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حبهم بحيلة الدنيا والجنة دور» وهذا كان الصراط على حبهم طريقا إلى الجنة وأخرج حماد بن عيسى في تفسيره عن معمر بن حنبل رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين يمضون يوم القيامة قال «يخرجون بها من الأرض الساعة لها سبعون ألف ربمام معلق كل ربمام سبعون ألف ملك يقصرون إلى أهلي إلى أهلي

فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبته يقول رب نفسي نفسي» وأخرج الامام أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات عن يعلى بن أمية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «البحر هو جهنم» وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن سعيد بن أبي الحسين قل البحر طابق جهنم وأخرج أبو الشيخ في العظمة والبيهقي من طريق سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما رأيت يهوديا أصدق من فلان زعم ان نار الله الكبرى هي البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله في الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور ففسدته وأخرج أبو الشيخ عن كعب في قوله تعالى (والبحر المسجور) قال البحر يسجر فيصهر جهنم وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن وهب انه قال اذا قامت القيامة أمر بالغاق فيكشف عن مقر وهو غطاءها فيخرج منه نار فاذا وصلت الى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرفة العين وهو حاجز بين جهنم والارضين السبع فاذا نشف اشتعلت في الارضين السبع فندعها بحرة واحدة وقيل ان النار في السماء كالجنة لما روى الامام أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أتيت بالبراق فلم تزل اراه طرفة عين انا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت البواب السما والارض الجنة والنار» وأخرج أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء فقرأت هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فكأنني لم أقرأها» وليس في هذا ونحوه حجة على أن النار في السماء لجواز ان يراها في الارض وهو في السماء وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الارض وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآها وهو في صلاة الكسوف وهو في الارض قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة ان ثبت وفيه أنه رأى الجنة والنار في السماء فالسما ظرف للرؤية لا للبرق وفي حديث ضعيف جدا أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والبارق فوق السموات فلو صح حمل على ما ذكرنا. والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسفها العرش وان النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد والله التوفيق

(*) كذا في الاصل وفي كنز العمال «فلا تزل ظهره أنا وجبريل» - مصنفه

ولما انتهى الكلام على الجنة والنار وصح وجودها الآن وبقاؤها أبداً بلا نهاية ولا حسان وبرهن على ذلك وعلى مكانها اعتقب ذلك بقوله

﴿ ونسأل الله النعيم والنظر لربنا من غير ماشين غير ﴾

﴿ فـسأل الله ﴾ العظيم رب العرش العظيم ﴿ العليم ﴾ المقبم في جنات العليم بألوان مـلاذه ودميه مع كواعبها وحورها في خيامها وقصورها وعمراتها ودورها وبنا لا ين رأت ولاذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ و ﴾ نسل الله العظيم الحليم الجواد الكريم ﴿ لـنظر ﴾ وجه ﴿ ربنا ﴾ وخالفنا وها دينا الكريم مع أهل الطاعة والاستقامة والفوز والبجاة يوم القيامة ﴿ من غير ﴾ زائدة أزيد الذي أي من غير ﴿ شين ﴾ أي عذاب ومناقشة حساب وتوبيخ وعتاب والشين ضد الزين فن من جعل له شيء مما ذكر يذهب زينه ويحلفه تينه والمشائين الممايب ﴿ غير ﴾ بفتح النون المعجمة وإياء الموحدة أي ذهب والمراد سبق يعني من غير سابق عذاب ومناقشة حساب يقال عبر عبوراً مكث وذهب ضد وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يحذر فيما غير من السورة أي يسرع في قراءتها قل في النهاية قال الأزهري يحتمل العابرهما الوجهين يعني الماضي والباقي فإنه من الاضداد قال وقول عبر واحد من الأئمة أنه يكون بمعنى الماضي والحاصل أنه سأل الله تعالى أن يمن عليه بالعيم والتعيم بالنظر الى وجهه لكرهم من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب وقد تقدم بعض ما تضمنه من ذكر العيم المقيم وأما النظر الى مولانا الكريم فهو من أصول أهل الحق خلافاً لأهل الضلال والحق ومن ثم قال ﴿ فإنه ينظر بالابصار كما أتى في النص والاخبار ﴾

﴿ فإنه ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ ينظر بالابصار ﴾ في دار المقامة والقرار باتفاق أئمة الدين الأبرار وسلف الأئمة الاخيار ﴿ كما أتى ﴾ أي جاء ﴿ في النص ﴾ القسراتي والنز بل الرحمان أصل النص أقصى الشيء وغايته وفي حديث كعب يقول الجار احذروني فاني لأمانس عبداً لا عذبة أي لا استقصي عليه سيف السر والاحساب وروى الخطابي عن عوف بن عبد الله مثله ومه قول الفقهاء

نص القرآن ونص السنة أي مادل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وفي كلام عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند ﴿و﴾ كما أني في ﴿الآخبار﴾ النبوية والآثار السلفية وأجمع عليه أهل الحق وسلف الأمة وأهل الصدق وأعلام الأئمة وروية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعم الجنة قدرا وأعلاه وأغلاه خطرا وأمرها وهي الغاية القصوى والنهاية العظمى التي شر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا انكار وإنما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال قال الله تعالى في محكم الذكر (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال في حق أهل الكفر والفجور (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال تعالى (ولدينا مزيد) وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قل «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يعني أنه يرفع الموانع عن الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال فذكر الحجاب إنما هو حق الخالق لا الخالق كذا قال الفرطبي في تذكرته وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم يا أهل الجنة إن الله وعدكم الحسنى وزيادة الجنة الحسنى والزيادة النظر إلى وجه الرحمن» وأخرج ابن جرير وابن مردويه أيضا واللالكائي في السنة عن كعب بن عجرة مرفوعا مثله وأخرجوا أيضا وابن أبي حاتم مثله عنه مرفوعا وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله وابن مردويه أيضا وأبو الشيخ واللالكائي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الحسنى والزيادة كالذي قبله سواء ومن حديث أبي هريرة كذلك رواه أبو الشيخ وعن الصدوق رضي الله عنه موقوفا مثله رواه ابن جرير وابن مردويه وابن

المندرج وأبو الشيخ واللالكائي والآخرى وابن مردويه عن علي رضي الله عنه رواه
ابن مردويه وعن حذيفة رضي الله عنه رواه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ
واللالكائي والآخرى وكذا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومثله عن ابن
عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ومثله عن سعيد بن المسيب
والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعيد البجلي وأبي إسحق
السبيعي وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقادة وغيرهم من التابعين قل
الامام الحافظ البيهقي في كتاب الرؤية هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين
الصحابة والتابعين ومثله لا يقال الا شريكاً وفسروا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة) قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنها (١) الى ربها ناظرة قال فطرت
الى الخالق وقال عكرمة ناضرة من النعم الى ربها ناظرة قال تنظروا الى الله ظراً
وقل الحسن الناضرة الحسن الى ربها ناظرة فطرت الى ربها ففطرت بنوره وقال
كعب القرظي نضر الله تلك الوجوه وحسناها لا ظفر اليه ومثله عن مجاهد وأخر
ابن أبي حاتم واللالكائي عن الحسن في قوله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)
قال اذا كان يوم القيامة يزد ساراك ومالي فيراه الخالق ويحجبها كنهه فلا يرويه
وروى اللالكائي عن أشهب قال سأل رجل مالكا هل يرى المؤمنون ربهم يوم
القيامة فقال مالكا لو لم يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعقب الكفار بالحجاب
فقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل فاذن قوما يزعمون ان الله لا يرى فقال
مالك السيف السيف وأخرج اللالكائي عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في
قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيها دلالة على أن أولياء الله يرون
ربهم يوم القيامة وقل ذلك عن الامام الشافعي رضي الله عنه من عدة وجوه وقال الطبراني
قال علي بن أبي طالب وأمر من مالكا رضي الله عنهما في قوله تعالى (لهم ما يشاؤون فيه)
ولذلك ما لا يدعوا الى محبة الله عز وجل قاله من التابعين زبد بن وهب وغيره كما

(١) لعله حسنة لانه تفسيرها حسرة وعدا الذي قاله المصنف رواه البخاري
عن الحسن الا انه قال حسنة بدل حسنها كما صححا، وتنظر الى الخالق عز وجل
بدل فطرت الى الخالق، ورواه عنه ابن جرير ولم يذكر عن ابن عباس شيئا فيها

في حادي الارواح فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه والتابعين بانته مبلغ التواتر عند أئمة الحديث
 واما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في الرؤية فأخرج اللالكائي في
 السنة من طريق مفضل بن عسال قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثا
 في الرؤية كلها صحاح وقد ورد ذلك من حديث الصديق وأنس وجابر وجبريل البجلي
 وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وصهيب وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن
 عمر وابن مسعود ولقيط بن عامر وأبي بن رزين وعلي بن أبي طالب وعدي بن
 حاتم وعمار بن ياسر وفضالة بن عبيد وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري
 وبريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنهم أجمعين ففي البخاري ومسلم وغيرها
 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم
 القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر» قالوا
 لا يا رسول الله قال «تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب» قالوا لا قال
 «فأنكم ترونه كذلك» الحديث وفي الصحيحين وغيرهما عن جبريل البجلي قال كنا
 جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربعة عشر فقال «أنكم
 سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا
 على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» ثم قرأ (فسبح بحمد ربك قبل
 طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد عدد في حادي الارواح رواية من روى رؤية
 الباري عز وجل فزادوا عن الحد قال العلماء كأن التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي
 لا المرئي والمعنى ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك وتنفي معها الرية كرويتكم
 القمر لا تترابون ولا تمسرون وفي لفظ لاتضامون وروي بتخفيف الميم وضم أوله
 من الضيم أي لا يلحقكم في رؤيته ضم ولا مشقة وتشديدها والفتح على حذف
 إحدى التائين والاصل لاتضامون أي لا يضام بعضكم بعضا كما يفعل الناس في
 طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل ادراكه فيمزاجون عند ذلك ينظرون الى جهة يضام
 بعضهم بعضا يريد أنكم ترونه وكل واحد في مكانه وفي الصحيحين وغيرهما
 أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«نعم قبل تضارون في رؤية الشمس بالطهيرة صحوا ليس معها سحب وهل تضارون
في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها اسحاب» قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون
في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما الحديث
وأخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة أسأل
الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الحنة قال سعيد انيها سوق قال نعم أخبرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم
ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الحنة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه
ويقبدي لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر
من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما
فيهم من ذني على كئبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكرامى بأفضل
منهم مجلسا قلت يا رسول الله هل نرى ربنا قال «نعم هل تضارون في رؤية الشمس
والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تضارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك
المجلس رجل الا حاصره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان من فلان
أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض عذراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم
تغفر لي فيقول بلى بسعة مغفرتي بلغت من ترك هذه» الحديث والاحاديث في ذلك
كثيرة جدا في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما
من دخل الجنة يرى الله عز وجل قال نعم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه بحشر الناس يوم
القيامة في صعيد واحد فينادى ابن المتقون فيقومون في كنف الرحمن لا يحتاج الله
منهم ولا يسترقبيل له من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله
العادة فيمرون الى الجنة ولهذا الاخبار اشار بقوله

لأنه سبحانه لم يحجب الا عن الكافر والمكذب

(لأنه) أي الرب (سبحانه) وتعالى (لم يحجب) ضم التحية وسكون الحاء المهملة
وفتح الهمزة مبيغا للم اسم فاعله أي لم يتمتع سبحانه من أن يمكن عباده من رؤيته في دار
القرار (الا عن الكافر) بالله تعالى رسل مكفر انصفه فكل من حكم الشرع بكفره

فهو محجوب عن رؤية ربه قال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال ما حجب الله عز وجل أحدا عنه الا عذبه ثم قرأ (كلا أنهم عن ربهم يومئذ محجوبون) ثم أنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون قال الرواية فقلت له يا أبا عبد الله ان عندنا قوم من المعتزلة ينكرون هذه الاحاديث ان الله ينزل الى مماء الدنيا وان أهل الجنة يرون ربهم فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عن من أخذوا وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوما فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كانه مغضب وقال حدثنا سفيان ابن سعيد ومنذر الثوري وزهير ابن معاوية وحدثنا حسن بن صالح وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي وهو لاء أبناء المهاجرين يحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى ان يهوديا صباغا يزعم ان الله لا يرى يعني بشر المرسي وقال عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون لم يرزل يملئ لهم يعني المبتدعة من الجهمية أو اضربهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه الكريم ونضرتهم اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضرب بها وجوههم دون المجرمين وبفالج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ محجوبون لا يرونه كما زعموا انه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب ألیم ولذا قلنا ﴿ و ﴾ يحجب أيضا عن ﴿ المكذب ﴾ برويته وبشكله لعباده المتقين وكما أشار اليه الامام عبد الله بن المبارك في قوله تعالى (كلا أنهم عن ربهم يومئذ محجوبون) ثم أنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون قال بالرواية كما ذكره ابن أبي الدنيا وقال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه من لم يقل بالرواية فهو جهلي وقال وقد بلغه عن رجل قال ان الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبا شديدا وقال من قال ان الله لا يرى في الآخرة فهو كافر او فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائنا من كان من الناس أليس

يقول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال - (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود سمعت الامام أحمد يقول من قال ان الله لا يرى في الآخرة فهو كافر وقال أبو بكر المروزي قيل لابي عبد الله رضي الله عنه تعرف عن يزيد بن هرون عن أبي العطف عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان استقر الحبل فسوف تراني وان لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة فغضب أبو عبد الله عصباً شديداً حتى تبين في وجهه وكان قاعداً والباس حوله فأخذ نعله واتملم وقال احزى الله هذا لا ينبغي ان يكتب عن هذا ودفع عن يزيد بن هارون رواه أوحدث به وقال هذا حامي كافر محالف لما قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) يخزي الله هذا الحديث وقال الامام أحمد أيضاً من كذب بالرواية فهو زنديق قال رضي الله عنه تؤمن بها أي الرواية وأحاديثها وسلم أنها حق فؤمن بأن الله يرى نرى ربنا يوم القيامة لا شك فيه ولا نرتاب وقال من رعم ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فان تاب والاقتل وقال في رواية حبل وسأله عن أحاديث الرواية فقال هذه أحاديث صحاح تؤمن بها وتقر بها وكل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقرنا به وقال أبو عبد الله اذالم نقر بما (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم ودهمناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

(فوائده)

(الاولى) قال العلامة بن حمدان في كتابه نهاية المتبتدين كسائر علماء السنة ونحزم بأن المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيامة بالابصار ويكلمهم على ما يليق به فيها ولا يراه الكفار ولا يكلمهم قال ومن أنكر الرواية كفر نص عليه الامام أحمد انتهى وفي حادي الارواح الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قوله تعالى (لا تدركه

(١) كتب السامخ في هامس نسخة المصنف هكذا وامل المحذوف « جاء »

الابصار وهو يدرك الابصار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تدركه الابصار ولا تحيط به الابصار وقال قتادة هو أعظم من ان تدركه الابصار وقال عطية ينظرون الى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره تعالى يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قالوا منون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به اذا كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلامه من شاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه فتقوله تعالى (لا تدركه الابصار) من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك فهو لعظمته يتعالى عن أن تدركه الابصار ولا تحيط به ولطفه وخبرته يدرك الابصار فلا يخفى عليه شيء فهو عظيم في لطفه اللطيف في عظمته العاني في قرب المقر يب في علوه الذي (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير — لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) انتهى ملخصا

(الثانية) ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين بن كثير الى ان النساء يرين الله تبارك وتعالى في الآخرة وذهب جماعة أيضا منهم المزني عبد السلام وتبعه صاحب آكام المرجان وابن جماعة الى أن الملائكة لا يرون الله أيضا تبارك وتعالى في الجنة وهذا خلاف التحقيق فان النص الصريح والخبر الصحيح يرد هذا ويبيده ويطله ويدحضه ويطرده فعند الدارقطني مرفوعا «اذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدا بالنظر اليه في كل جمعة قال وبراها المؤمنات يوم الفطر ويوم الاضحى» أي في مثل يوم الفطر ويوم الاضحى وعموم الاحاديث الصحيحة شاملة للنساء من غير توقف وأخرج الآجري عن عكرمة قال قيل لابن عباس رضي الله عنهما كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى قال نعم وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (رب أرني انظر اليك) قال يا موسى انه لن يراني أحد الامات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا نفرق وانما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم وبظاهر حديث الدارقطني أخذ ابن كثير فاختار ان النساء يرين ربهن في الابد دون الجمع وبه جزم الحافظ السيوطي

لكنه يحتاج الى دليل خاص أقوى من حديث الدارقطني واستثنى الحافظ السيوطي
 روجات الانبياء عليهم السلام وبناتهم فينبغي تعالى في غير الاعياد كما ان ابا بكر
 وعمر بريانه تعالى أزيد من غيرها من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام قلت ومريم
 ابنة عمر ان وامرأة فرعون ينبغي أن تكونا من المستثنيات وكذا نحوها كأم موسى
 وأخته والله أعلم وفي آخر البدور السافرة للحافظ السيوطي وقع في كلام بعض
 الأئمة ان رؤية الله تعالى خاصة بمؤمني البشر وان الملائكة لا يرونه واحتج له
 بقوله تعالى (لا ندركه الابصار) فانه عام خص منه بالآية والاحاديث في المؤمنين
 فيبقى على عمومهم في الملائكة قال السيوطي وقد نص البيهقي على خلافه فقال في
 كتاب الرواية ذكر ما جاء في رؤية الملائكة ربههم فأخرج عن عبد الله بن العاص
 رضي الله عنها قال خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا وان منهم الملائكة قياما
 صافين من يوم خلقهم الى يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم
 القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلي لهم تبارك وتعالى فاذا نظروا الى وجهه الكريم قالوا
 سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ثم أخرج من وجه آخر عن عدي بن ارطام عن
 رجل من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة
 ترعد فرائصهم من مخافته ما عندهم ملك ما تنظر دمة من عينه الا وقعت ملكا
 يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا
 يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلي لهم ربههم فينظرون اليه قالوا سبحانك
 ما عندناك كما ينبغي لك انتهى والحق الذي لا مراءية فيه انهم يرونه تعالى بل
 وموسو الحن يرونه اما في الموقف فعزما مع سائر المؤمنين وأما في الجنة ففي بعض
 الأوقات على ما يظهر بل الظاهر انهم يرونه الا انهم دون مؤمني الانس في
 الرواية في كل جمعة

والحاصل ان رؤية الرب حل جلاله في الموقف حاصلة حتى للانبياء والرسل
 والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف في
 غيرهم وقد جزم الحافظ ابن رجب في اللطائف بأن كل يوم عيد للمسلمين في الدنيا
 فانه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على ريادة ربههم ويتحلى لهم فيه فينظرون اليه فإ

أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من ذلك وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ويوم الجمعة في الجنة يدعى يوم المزيدي (١) وبما الفطر والاضحى يجتمع أهل الجنة فيها قال الحافظ ابن رجب في اللطائف روى أنه يشارك النساء الرجال فيها كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة قال فهذا لعموم أهل الجنة فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون فيه ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا لان الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعياداً فصارت أيامهم في الآخرة كلها أعياداً قال الحسن رحمه الله تعالى كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد فالיום الذي

(١) قال الفاسي في شرح دلائل الخيرات ويوم المزيدي هو اسم يوم الجمعة في الجنة وفيه تقع الروايات حسبما في الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم الا انه يؤذن بثبوت الايام في الجنة وهي لآليل فيها اذ لا ظلام فيها فلعلهم تخلق لهم تفرقة أخرى بين الايام بغير الظلام والله أعلم ولعلها بنور يزداد عند تمام اليوم ثم اما ان يقع للتفرقة وينقطع ثم يأتي اليوم بعده على النور المعتاد واما ان يبقى الى تمام اليوم فيكون هو مبدء اليوم ثم يأتي اليوم الذي بعده أنور منه وهكذا كل يوم أنور من الذي قبله فيكون نور الجنة في الترقى على الدوام وذلك الترقى هو الايام ومبدء كل ترقى هو مبدء كل يوم وهذا هو المناسب لحال الجنة كما انهم في جمال صورهم وحسن ثيابهم في الترقى على الدوام حسبما في الحديث والله أعلم ثم وجدت في البدور السافرة مما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن المبارك عن الضحاك في قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) انهم يؤتون رزقهم في الآخرة على مقدار ما يؤتون به في الدنيا من الليل والنهار وأخرج ابن المنذر عن بعض السلف سماه أنه سئل عن الآية فقال ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا لهم مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بأرخاء الحجب وأخرج الحكيم الترمذي في النوادر عن الحسن وأبي قلابة قالاً قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل فان الله يقول في كتابه (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال ليس هناك هو ضوء ونور يرد الغد على الرواح والرواح على الغد ويأتهم طرف الهدا بالمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها ونسلم عليهم الملائكة انتهى بحروفه من هاشم الاصل

يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكركه وشكره فهو له عبد انتهى ملخصا وفي التذكرة للقرطبي ان الناس يرون ربهم في الموقف ثم يحبون الى ان لا يبقى في الابرار من يدخل الجنة أحد فيؤذن لهم فيه وانه في الجنة ثم لا يحبون بعد ذلك أصلا ولا في حال تمتعهم وقد قيل الكفار كالمناققين يرونه تعالى ثم يحبون عنه فتكون الحجة حسرة عليهم وخس النوي الخلاف بالمناقق واما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقا كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله تعالى أعلم

(الثالثة) اختلف العلماء في روية خاتم الانبياء له به آله الارض والسما في ليلة المعراج التي هي في حقه صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر واسمى فاثبتها جبر الامم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ورجحه النووي وقال والحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء الحديث ابن عباس رضي الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والريبع بن سليمان وجماعة من المفسرين قال القرطبي قد ثبت ذلك يعني روية الباري جل شأنه سمعا بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى الموتى كذا قال وقال القاضي عياض روية الله تعالى جائزة عقلا وثبت الاخبار الصحيحة المشهورة وقوعها للمؤمنين في الآخرة واما في الدنيا فقال مالك انما لم ير سبحانه في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالناظر فاذا كان في الآخرة رزقوا أنصارا باقية فأروا الباقي بالباقي قال القاضي عياض وليس في الكلام استحالة الروية الامن حيث القدرة فاذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يتمتع وقد وقع في صحيح مسلم ما يزيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه (واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) وأخرجه ابن خزيمة من حديث أبي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فان جازت الروية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من أثبتها للبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كداني الفتح قال وقد اختلف السلف في روية النبي صلى الله عليه وسلم ربه فذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه وجزم ابن خزيمة عن عروة بن الزبير باثباتها وكان يشتد عليه اذا ذكر له انكار عائشة وبه قال سائر

أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما وجزم به كعب الأخبار والزهري وصاحبه
معمر وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه
وعن الإمام أحمد رضي الله عنه كالفوابين قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري
جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبار مطابقة وأخرى مفيدة قال فيجب حمل
مطلة هاعلى مفيدها فمن ذلك ما أخرجه النسائي بسند صحيح وصححه الحاكم أيضا من
طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما اتمعجون أن تكون الخلعة لإبراهيم
والكلام لموسى والرواية لحمد وأخرجه ابن خزيمة بالنظر أن الله اصطفى إبراهيم
بالخلعة الحديث وأخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر
أرسل ابن عباس رضي الله عنهما هل رأى محمد ربه فأرسل إليه أن نعم ومنها
ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ما كذب
الفؤاد ما رأى) (وانتدراة نزلة أخرى) قال رأى ربه بغوا دمرتين وله من طريق عطاء عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال رآه بقلبه وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من
طريق عطاء عن ابن عباس أيضا قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه أمارآه
بقلبه وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس رضي الله عنه قال رأى محمد ربه
وعند مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال «نوراني»
أراه» وللإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «رأيت نورا» ولا ابن
خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراد أبي ذر رضي الله عنه بذكر
النور أي أن النور حال بين رؤيته له ببصره

والحاصل أن في هذه المسئلة ثلاثة أقوال أحدها ثبوت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
لربه وهو قول ابن عباس وأتباعه وهو ظاهر ما ذهب إليه الإمام أحمد رضي الله عنه فقد
روى الحلال في كتاب السنة عن أبي بكر المروزي قول قتادة لا أحد منهم يقولون أن عائشة
قالت من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قوله قال بقول
النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت ربي» قول النبي صلى الله عليه وسلم كبر من قوله واجتنب ابن
خزيمة في كتاب التوحيد إلى ترجيح الآثبات والطالب في الاستدلال له بما يطول ذكره
وحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله أنه إنما رآه بقلبه على أن الرواية وقعت

مرتين مرة بين ومرة بقله

(الكافي) مع ذلك في الدنيا وهو قد قال عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله
عنها قالت رضي الله عنهم من زعم ان محمدا رأى ربه بعين رأسه فقد أعظم الفرية على الله
وروى الترمذي عن الشعبي قال لابي ابن عباس رضي الله عنهما ما كبا يعرفه فساله عن شيء
فكبر حتى جاوز به الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم وزاد عبد الرزاق يقول
ان محمدا رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه زاد عبد الرزاق بين
موسى ومحمد فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين قال مسروق قد دخلت على
عائشة فقلت هل رأى محمدا ربه قالت لقد قف شعري أي قام من الفزع للحصول
عندها من هبة الله واعتقده من تنزيهه تعالى واستحالة وقوع ذلك ثم قالت له
أين أنت من ثلاث آيات من حديثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب وفي لفظ
من زعم أن محمدا رأى ربه قد أعظم على الله الفرية ثم قرأت (لا تدركه الاصار-
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ولكن رأى جبريل في
صورته مرتين وفي صحيح البخاري وسلم وسنن الترمذي أن مسروقا قال قلت
لعائشة يا أمنا أصله يأأم والماء للكت فأضيف إليها ألف الاستئانة فأبدلت ثاء
وزيدت هاء السكت بعد الألف فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث
من حديثك فقد كذب من حديثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت
الآيتين ومن حديثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا) ومن حديثك أنه كتم شيئا من كتاب الله فقد كذب
ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية ولكنه رأى جبريل
عليه السلام في صورته مرتين ورواه عائشة رضي الله عنها على ما ذهب إليه من
أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يره بعيني رأسه جماعة من الصحابة منهم ابن
مسعود وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وه قال جمع من العلماء بل قل الدارمي
الحافظ اجماع الصحابة على ذلك واعترض الامام الدروي وغيره على من ذهب
الى مذهب عائشة بأنها رضي الله عنها لم تنف وقوع الردية بمحدث مرفوع ولو
كان معها لذكرته وانما اعتدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية

وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولاً وخلفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً والمراد بنفي الادراك في الآية الكريمة نفي الاحاطة وذلك لا ينافي الرؤية انتهى كما قدمنا ذلك موضحاً وجزمه بأن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فانه قال في كتاب التوحيد من صحيحه النبي لا يوجب علماً قال ولم تحك عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها انه لم ير ربه وإنما تأولت الآية انتهى وهذا عجيب منهما ففي الصحيحين والترمذي وغيرهما أن مسروقاً قال كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بهن فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئاً فجاءت فقلت يا أم المؤمنين أنظريتي ولا تعجلي ألم يقل الله (ولقد رآه بالافق المبين - ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الامة سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المراتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً أعظم خلقه ما بين السماء الى الأرض ثم قالت أولم تسمع أن الله تعالى يقول (لا تدركه الابصار) وقرأت الآيتين وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى باسناد مسلم فقالت أنا أول من سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال لا إنما رأيت جبريل منهبطاً نعم خلف ابن عباس عائشة رضي الله عنهم باحتجاجها بالآية الكريمة فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار) قال وبمحض ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نقل عن الامام أحمد رضي الله عنه من اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه إنما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك قال نعم رآه فان روى الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين رأسه وقال شيخ الاسلام أيضاً ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه بقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصيبه موجودة ليس فيها شيء من ذلك قال وافظ الامام أحمد كلفظ ابن عباس قال وأهل السنة متفقون على أن الله تعالى لا يراه أحد بعينه

في الدنيا لا نبي ولا غيره نبي ولم يقع الراجح الا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاتمة
مع أن الأحاديث المروية ليس في شيء منها ما رآه وتعدوي ذلك مستاده وموضع
بإتفاق أهل الحديث انتهى

وإذا علم ما حرمناه فيه كن الجمع بين اثبات من سبب في غيبة رضى الله عنهم بأن
يحمل قبحها على رتبة البصر وإثباته على رتبة القلب كما قاله الحافظ ابن حجر في شرح
البيهقي ثم المراد رتبة الفؤاد رتبة القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم
كان عالما بالله على الدوام بل مراده من أثبت له أمرآه بقلبه ان الرواية التي حصلت له خلقت
في قلبه كاشتغال الرواية العين له بمره والرواية لا يشترط لها شيء متفرد ومن عتقنا ولو جرت
المادة غفلة اني العبد وقد مر عن أبي ذر رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل رأيت
ربك قال «نوراني أراه» ورواه الترمذي أيضا بهذا اللفظ ورواه الامام أحمد عنه قال
«رأيت نورا» ولا بن خزيمة عنه قول رآه بقلبه ولم يره بعبته قال الحافظان حجر وبهذا
تبين مراد أبي ذر بذكر النور اي ان النور حال بين رؤيته له بصره وقال الامام الحق
ابن القيم في عدة مواضع من كتبه كإسلام الموقعين والجبرش وغيرهما سمعت شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نوراني
أراه ويدل عليه ان في بعض ألفاظ الصحيح هل رأيت ربك فقال الحديث رأيت
نورا قال الحق ابن القيم وقد اعفل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى
صححه بعضهم فقال نوراني أراه على انهياء السبب والكافة واحدة وهذا خطأ
لفظا ومعنى وإنما أوجب لهم هذا الفهم أنهم لما اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى ربه وكان قوله اني أراه كالانكار للرواية حادوا في الحديث وبعضهم
رده باضطراب اللفظ وكل هذا عدول عن موجب الدليل قال الحق ابن القيم ويدل
على ما قلنا شيخنا قوله صلى الله عليه وسلم حجاب النور فهذا النور والله أعلم
هو النور المذكور في حديث أبي ذر انتهى وذكر ابن الأثير في حل ألفاظ
جامع الأصول ان الامام أحمد رضي الله عنه سئل عن حديث أبي ذر هذا فقال
ما زالت منكرا لهذا الحديث وما أدري ما وجهه وقال ابن خزيمة في القلب من
صحة هذا الخبر شيء وقال بعض العلماء في هذا الحديث قد أجمعنا على انه تعالى

ليس بنور وخطأنا المجوس في قولهم هو نور والانوار أجسام والباري سبحانه وتعالى ليس بجسم والمراد بهذا الحديث ان حجاب سبجانه النور وكذلك روي في حديث أبي موسى رضي الله عنه فالمعنى كيف أراه وحجابه النور والله أعلم

(الثالث) الوقف عن القطع بالنبي أو الاثبات في هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم فانه قال الوقف في هذه المسئلة أرجح وعزاء لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدلل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وايمست المسئلة من العمليات فيكنفي فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتمدات فلا يكتفي فيها الا بالدليل القطعي ومن استنار قلبه لاقتفاء الآثار وخلع ربة التقليد التي هي منشار التغير في وجوه الاخبار علم ان السلامة في التسليم وفوق كل ذي علم عليم وبالله التوفيق

سبحي الباب الخامس

(في ذكر النبوة وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل أصحابه وأئمة صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وعظم وكرم)

اعلم ان حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية لا ينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا بال الا بذلك فهم أشد احتياجا الى ذلك من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لا بد لهم منه كما في مفتاح دار السعادة للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى واحالة السنية ارسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن أرسله ولا طريق اليه الا الخبر واعلا أنواعه المتواتر وهو لا يفيد عندهم علما فعمل القائل له أرسلك الى قول كذا شيطان مثلاً وزعمت البراهمة بهم طائفة من المجوس ان ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لا غناء العقل عن الرسل لان ما جاء به الرسول ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يأت به وان

كان مخالفا له فيبجا فإن احتاج اليه فعله والا تركه وقالت المعتزلة بوجوب ذلك على الله تعالى بالطريق ذاته والحق انه جائز عتلا في حقه تعالى واجب سمعا وشرعا والى ذلك أشار بقوله

﴿ ومن عظيم منه السلام ﴾ ولطفه بساتر الانام ﴿

﴿ ان أرشد الخلق الى الوصول مينا نال حق بالرسول ﴾

﴿ ومن عظيم منه ﴾ الرب ﴿ السلام ﴾ المنة مأخوذة من المن وهو الاحسان الى من لا يستثيه ولا يطلب الجزاء عليه ومن أسماء الله تعالى المنان وهو المنعم الممطي من المن وهو العطاء وقد يقع الثمان على الذي لا يعطي شيئا الامته واعتد به على من أعطاه وهو مذموم لان المنة تفسد الصنيعة اذا كانت من غير الياري حل وعلا والسلام من أسمائه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقص فيكون من أسماء التثنية وقيل معناه مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى معنى القادر وقيل ذو السلام على المؤمنين في الجنان فيرجع الى الكلام القديم الارلي قال تعالى (سلام قولا من رب رحيم) والفرق بين القدوس والسلام ان القدوس فيه اشارة الى انه بري من جميع العيوب والنقص في الماضي والحاضر والسلام فيه اشارة الى انه لا يطرأ عليه شيء من ذلك في المستقبل ﴿ ومن عظيم ﴾ لطفه ﴿ تعالى أي رفته ﴾ بساتر ﴿ أي جميع ﴾ الامام ﴿ كسحاب والادام بالمد والآنيم كأمير الخلق أو لاس والجن وجميع ما على وجه الارض أي من رفته تعالى بهم في العمل والعلم بدقائق المعاليج وإيصالها الى من قدرها له من خلقه يقال لطف به وله بالفتح يالطف لطفنا اذا رفق به واما لطف بالضم يالطف فمعناه صفر ودفق ومن أسماء الله تعالى اللطيف وهو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم وإنما عدل عن قوله مة المنان ولطفه بساتر الانسان لعدم شمول نحو الجن فيسبب عموم الامام على الانسان عدل اليه لان الانسان كالانسان البشر والممة بالواصل الرسل شاملة للفقهاء بل لكل الخلق والله أعلم

﴿ ان ﴾ بفتح الهمزة وسكون الون حرف مصدري تسبك مع ما بعدها يصدر

﴿ أرشد ﴾ أي هدى ودل ودعا سبحانه وتعالى يقال رشدا كمنصر وفرح رشدا

ورشدا ورشادا هدي واسترشد طلب الرشد والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والرشد من أسماء الله تعالى الهادي الى سواء الصراط والذية حسن تقديره فيما قدر وان وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ والخبر قوله في البيت قبله ومن عظيم الخ والتقدير رشد الخلق الى الوصول كائن من عظيم منة السلام ﴿الخلق﴾ من الثقلين الانس والجن ﴿الى الوصول﴾ الى معرفة الله تعالى وعبادته والقيام بما شرعه من التكليف الذي ثمرته الفوز بالسلامة الابدية والسعادة السرمدية والنعيم النقيم في جنات النعيم رضى الرب الرحمن الرحيم والظر اليه في دار القرار مع الاتقياء الاخيار والاولياء الابرار حال كونه تعالى ﴿مبين﴾ أي مظهر او موضعا ﴿ل﴾ نهج ﴿الحق﴾ بهو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ويقابله الباطل ومن أسمائه تعالى الحق أو من صفاته واما الصدق فقد شاع في الاقوال ويقابله الكذب ويفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع والصدق من جانب الحكم فعلى هذا معنى صدق الحكم مطابقة الواقع ومعنى حتمية مطابقة الواقع اياد والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع ﴿بالرسول﴾ متعلق بمبين والرسول انسان أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه فان لم يؤمر بتبليغه فبني فقط وتقدم في صدر الكتاب وسئل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية وأربعة عشر والاولى عدم حصرهم في عدد معين لان الحديث ضعيف وربما خالف قوله تعالى ﴿منهم﴾ من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فلا يؤمن من دخول من ليس منهم فيهم وخروج بعضهم عنهم وأولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) في قوله ومن عظم منة السلام الى آخر البيتين اشارة الى ان ارسال الرسل ونزال الكتب وشرع الشرائع منة من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك وانما هو على سبيل لالطف بالخلق والفضل عليهم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم الى

محمد صلى الله عليه وسلم (وعليهم) أجمعين الى المكافين لطفاً من الله بهم ليلاهم عنه
سبحانه أمره ونهيه ووعدده ووعدده ويدينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون اليه من
أموال المعاش والمعاد مما جاؤا به من شرائعهم وأحكامهم التي أنزلها الله تعالى في
كتبه عليهم اختصاصاً كالقرآن العظيم واشتراكاً كالتوراة لموسى وهارون وبشرى
ومن بعدهم الى عيسى عليه وعليهم السلام حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات ويقطع
عهم سائر التعللات كما قال تعالى (ولو أنا أهلكتهم بعبادتهم من قبل لألوان ربنا لولا
أرسلنا رسولا فتنع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وقوله تعالى (وما كنا
معذنين حتى نبعث رسولا) وقوله (رسلاً مبشرين ومنذرين لنلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل) فلولا اعتذاره تعالى اليهم تلى السنة الرسل وإقامة الحجة
عليهم بعثه أهل خبرته من ذوي النبوة والفضل لتوهوا أن لهم حجة سائفة ومذرة
بالعلة لوحوده (أحده) أن يقولوا إنما خلقنا ربنا لعبادته وما بين لنا العبادة التي يريدنا
مما هي ولا كم هي ولا كيف هي (ثانيها) أن يقولوا قد ركبنا ربنا في هياكل
وأحسام تقبل السوء والعفلة وسلط علينا الشيطان والشهوة والهوى فكان ينبغي أن يؤيدنا
بما إذا سمعنا فأنهنا وذا مال بالهوى ردنا وذا وسوس الينا الشيطان منعنا بما يرشدنا اليه من
الأذكار وغيرها (ثالثها) أن يقولوا هب اناناهم يقولوا حسن الايمان وقبح الكفر
والعصيان لكنهم يصل ادراك عقولنا الى أن من فعل القبح عذب مع اننا نحن ان لاني
معاملة القبيح لذة وليس على الباري فيه مضرة ولم نعلم ان من آمن وعمل صالحاً
استحق الثواب مع ادراكنا بعقولنا عدم المود بمنفعة له تعالى فلا جرم تناقضنا
الشهوات وأقدمنا على ما فيه لنا اللذات فارسل الرسل لما ضده العقل أمر جاز
في حقه وواجب وقوعه وسمايز يده هذا وضوح (الثاني) أن الرسالة ضرورية للعباد
لاغى لهم عنها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء فان الرسالة روح العالم
ونوره وحياهه فأبى صلاح للعالم اذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مغفلة ملعونة
كأنها الاماطمت عليه شمس الرسالة وكذلك المبدما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة
وتناهى حياها وروحها فهو في ظلمة وهو من الاموات قال الله تعالى أو من كان ميتاً
فأحيياه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها

فهذا وصف المؤمن كأن ميتاً في ظلمة الجهل فأحياء الله بروح الرسالة وبنور
 الايمان وحمل له نوراً يمشي به في الناس وأما في الكافر فميت القلب في الظلمات
 ومضى الله تعالى رسالته روحاً والروح اذا عدم فارقت الحياة قال تعالى (وكذلك
 أوحينا اليك روحاً من أمرنا) الآية فالروح الحياة والنور لا ضاة الا زيلة لظلمة فالكافر
 في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي وان كان فيه حياة بهيمية لكنه عادم
 الحياة الروحية العلوية الناشئة عن الايمان وبها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح
 في الدنيا والآخرة فان الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين
 عبادته في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكليف ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم فبعثوا
 جميعاً بالدعوة الى الله تعالى وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه
 فأرشدوهم الى توحيدته تعالى واثبات صفاته واثبات القدر وذكر أيام الله تعالى في أوليائه
 واعدائه وهي القصص التي قصها على العباد والامثال التي ضربها لهم وارشدوهم الى العلم
 بتفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة والبيان بما يحبه الله ويكرهه وكذلك بينوا
 لهم وجوب الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب وعلى هذه الثلاثة
 أصول مدار الخلق والامر والسعادة والعلاج وموقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها
 الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان
 قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة الى
 الطب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة
 العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعذب بعدم
 الطبيب موت الابدان وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه وموت
 لا ترجى الحياة معه أبداً وشقي شقاؤ ولا سعادة معها أبداً فلا فلاح الا باتباع الرسول
 فان الله تعالى خص بالفلاح اتباعه المؤمنين به وانصاره كما قال تعالى (فالذين
 آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) أي
 لا مفلح الا هم فالهدي والفلاح دائر حول ربح الرسالة وجوداً وعدمها قال شيخ
 الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في قاعدة وجوب الاعتصام بالرسالة وهذا
 مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء وبعثت به جميع الرسل المرسلين وقال الرسالة

ضرورة في صلاح العبد في معاشه ومعاده فكما انه لاصلاح في آخرته الا بانباع
 الرسالة فكذلك لاصلاح له في معاشه ودينه الا باتباع الرسالة فالانسان مضطر
 الى الشرع فانه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره
 والشرع في النور الذي بين ما ينفعه وما يضره فهو نور الله في أرضه وعدله بين
 عباده وحسنه الذي من دخله كان آمنا وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار
 بالحس فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فان الحمار والحمل يفرق ويميز بين الشمبر
 والقراب بل التمييز بين الافعال التي تضر فاعلمها في معاشه ومعاده والافعال التي
 تنفعه في معاشه ومعاده كتنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان
 والامانة والعبادة والشجاعة والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة
 الارحام وبر الوالدين والاحسان الى الخيران والممالك وأداء الحقوق واخلاص العمل
 والتوكل على الله والاستعانة به والرضا بمواقع اقداره والتسليم لحكمه والتوكل عليه
 وتصديق رسوله في كل ما أخبر به ومطاعتهم في كل ما أمر به وغير ذلك مما هو نفع
 وصلاح للعبد في دينه وآخرته وفي ضد ذلك شقاؤه ومضرته في دينه وآخرته ولولا
 الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش والمعاد فمن أعظم نعم
 الله على عباده وأشرف منه عليهم ان أرسل اليهم رسوله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم
 الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام وشر حالا منها فمن قبل رسالة الله
 واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالا
 من الكلاب والخنزير وأحق من كل حقير فالحمد لله الذي أرسل الينا رسولا من
 أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكيها ويعلمنا الكتاب والحكمة وان كنا من قبل لنفي ضلال
 مبين ولا بقاء لاهل الارض الا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم فاذا درست
 آثار الرسل من الارض وانمحت معالم هدايتهم أخبر الله العالم العلوي والسفلي
 وأقام القيامة وليست حاجة أهل الارض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر
 والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوئها والجسم
 الى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقد، ويختار بالبال
 فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في امره ونهيهم

السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين يقول يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة وقال تعالى في حق (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال شيخ الإسلام في قاعدة وجوب الاعتصام بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسول فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه الله رحمة للعالمين ومحبة للساكنين وحجة على الخلائق أجمعين واقرض على العباد طاعته ومحبة وتوقيره وتعزيره والقيام باداء حقوقه وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه وأخذ اليهود والمواثيق بالإيمان به واتباعه على جميع الانبياء والمرسلين وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا فحتم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عبدا وآذانا صما وقلوبا غلفا فاشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتألفت بها القلوب بعد شتاتها فأقام به الملة العوجاء وأوضح به المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الدلة والصغار على من خالف أمره أرسله صلى الله عليه وسلم على حين فرة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم إلى ظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهواهم النادة فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطرائق وأخرج الناس به من الظلمات إلى النور وميز به بين نهج أهل الفلاح وأهل الفجور فمن اهتدى بهدیه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى فصلى الله وسلم عليه وسائر الرسل والأنبياء مالا ح نجم وبدا وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اقتدى

﴿التنبيه الثالث﴾

اعلم أن الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفي الله أنبي البشر آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين

وتصديقهم في كل ما أخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما أمروا به ونهوا عنه ولهذا أوجب سبحانه الإيمان بكل ما أتوا به ولم يوجب بما أتى به غيرهم قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أتى موسى وعيسى وما أتى الذين من بعدهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فاتفق علماء الأمة على كفر من كذب نبيا معلوم السيرة وكذا من سب نبيا أو ادّعى أنه من سب النبيا لأن الإيمان واجب بجميع الأنبياء وإن لا يفرق بين أحد منهم وتصديقهم فيما أخبروا به واتباعهم على جميع ما جاءوا به فهو حق وصدق قال الله تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وتقدم أن جميع الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وإن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففي صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فذكر حديثا طويلا وفيه قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جا غفيرا قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم عليه السلام قلت يا رسول الله أنبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده وفتح فيه من روجه وكلمه قبلا ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشت وخنوخ وهود ودريس وهارون من خط نوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيت وخمسون صحيفة وأنزل على إخنوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزيور والفرقان الحديث وقد تكلم عليه الولي العراقي ورد على ابن حبان جماعة من الحفاظ لادخاله هذا الحديث في الصحيح وفي كتاب شرح الإيمان والإسلام للشيخ الإسلام ابن تيمية روح الله في قوله الإمام

أحمد رضي الله عنه في الرسل وعددهم وأنه يجب الإيمان بهم ويصح الاقرار بهم في الجملة مع الكف عن عددهم وكثرتك ذكر محمد بن نصر المروزي وغيرهما من أئمة السلف قال وهذا يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وإن حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم انتهى والامام أحمد رضي الله عنه ذكر ذلك الزاماً لمن لم يقل بزيادة الإيمان من أجل أنهم لا يدرّون ما زيادته وإنما غير محدودة فقال ما تقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله هل تقرون بهم في الجملة وتزعمون أنه من الإيمان فإذا قالوا نعم قيل لهم هل تحذونهم وتعرفون عددهم أم لا إنما تصيرون في ذلك إلى الاقرار بهم في الجملة ثم تكفون عن عددهم وهذا ظاهر سببه عدم معرفة عدد الأنبياء والرسل والكتب وقد ذكر أهل العقائد في عقائدهم هذا العدد معتدين على حديث أبي ذر على ما فيه وقد روي أن الأنبياء ألف ومائة ألف والمشهور في الكتب أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وتقدم أن الواجب الإيمان بهم جملة لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فالواجب الإيمان بجميعهم أجمالاً وتفصيلاً فيمن ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح أن بني إسرائيل كانوا أكثر الأمم أنبياء بعث إليهم موسى بن عمران عليه السلام بشريعة التوراة وبعث إليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل أنهم ألف نبي كلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئاً إلى أن جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شريعة التوراة بأمر الله عز وجل

﴿وشروط من أكرم بالنبوة حرية ذكورة كقوة﴾

﴿وشروط﴾ مبتدأ ﴿من﴾ أي كل إنسان ﴿أكرم﴾ بضم الهمزة مبنياً للم اسم فاعله أي أكرمه الله تعالى ﴿بالنبوة﴾ بضم النون والباء الموحدة وتشديد الواو ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه يقال نبارئنا وأنبياء فإن قيل روى النسائي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تنهز بأسني فأنا أنا نبي الله فالجواب ما حكاه الجوهري أنه يقال نبات على القوم إذا طمعت عليهم ونبات من أرض إلى أرض إذا خرجت من هذه إلى هذه وهذا المعنى أراد

الاعرابي بقوله يانبي الله لانه خرج من مكة الى المدينة فأنكر عليه الهرز لانه ليس من لغة قريش والماصل ان النبي اما مشتق من النبا أي الخبر لانه ينبي عن الله تعالى أي يخبر قال سيبويه ليس أحد من العرب الا ويقول تنبأ مسبل بالهرز غير انهم تركوا الهرز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والحبية الا أهل مكة فانهم يهزون هذه الاحرف الثلاثة ولا يهزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك واما مشتق من البوة وهي الشيء المرتفع لان النبي صرّفع الرتبة على سائر الخلق قال في القاموس والنبي المخبر عن الله وترك الهرز المختار والجمع أنبياء وأنبياء والبيوت والاسم النبوة ذكره في باب الهزة وقال في باب المعتل والنبوة ما ارتفع من الارض كالنبوة والنبي انتهى

(حرية) خبر المبتدا الذي هو شرط من أكرم النخ وذلك لان الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة والنبي يكون داعيا للناس آنا القيل وأطراف الدمار والريق لا يتيسر له ذلك وأيضا الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما لهم وقسوة وهي أثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك وشرط من أكرمه الله بالنبوة أيضا (ذكورة) أي ان يتصف بالذكورية لقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) فأثبت الرسالة للرجال الموحى اليهم وأشعر نفي ذلك عن غيرهم فلا تكون أنثى نبيه خلافا لاهل التوراة والزاعمين بنبوة مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام وقد خالف في اشتراط الذكورة أبو الحسن الأشعري ثم القرطبي وتبعهما على ذلك أناس من العلماء والحق اعتبار الذكورية لان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة والابوة تقتضي التستروتنائي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التامع وقد حكى العلامة ابن الملقن في شرحه على عمدة الاحكام خلافا في نبوة مريم وآسية وصاره وهاجر وأم موسى عليه السلام واسمها يخابذ بنت لاوي بن يعقوب كما قاله شيخ السنة البغوي والحافظ ابن الجوزي في تبصرته قال الحافظ يرهان الدين الحاجي قيد هذا الاسم على شيخنا الحافظ ابن ناصر الدين حال قراءة التبصرة عليه بمشاة تحية مضومة فوار ساكنة فغاء معجمة مفتوحة فألف مقصورة غباء

موحدة مفتوحة فذال معجزة وهو غير مصروف للمعجزة والتأنيث أي مع العلمية قلت في كتب أهل الكتاب ورأيت في التوراة يوكابد بكاف بدل الحاء وبدال مهلة بدل المعجزة والنطق بالكاف مفخما ومعناه بالعربية جليلة ورأيت الحافظ جلال الدين السيوطي ضبطه بحاء مهلة بدل الحاء المعجزة وبنون بدل الباء الموحدة كما هو في تاريخ الانبياء له وكتوله ﴿كقوة﴾ أي كما يعتبر فيمن أكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكون قويا بأعباء ما حمل من ثقل النبوة والقوة والطاقة والجمع قوى بالضم وبالكسر قل في انقاموس القوة بالضم ضد الضعف يقال قوي كرضي فهو قوي والقوى بالضم العقل وطاقات الحبل ذاعقل صحيح وفهم رجب وعلم بالامور الدينية حسن الخلق والخلق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطتهم وتعليمهم لامور الديانة فان الانبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن والهو والافو وسائر الاخلاق الذميمة كما انهم مهرون من لؤم النسب وشره القلب وحرص النفس على الدنيا ولهذا لم يبعث الله نبيا الا في أشرف منسب أمته فلم يبعث نبيا من ذي نسب مبذول كما لم يبعث نبيا عبدا ولا ثيما ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الانوثة مع طلب عدم الاشتهار من النساء المطلوب للدعوة ولكون النفوس مائلة للنساء في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن والحاصل اختصاص النبوة بأشرف افراد النوع الانساني من كمال العقل والذكاء والفتنة وقوة الرأي ولو في الصبي كعيسى ويحيى عليهما السلام والسلامة من كل مانفر عن الانباع كدلالة الآباء وعبر الامهات والغفلة والفظاظة والعيوب المنفرة للطباع كابرص والجذام والامور المحسلة بالمرورة كالاكل على الطريق والحرف الدينية كالحجامة وكل ما يخل بحكمة البغثة ونحو ذلك وبالله التوفيق

ولما ذكر ما أشعر بانفراد كل النوع الانساني بالنبوة واختصاص الذكور الاحرار المنزهين عن النوائس بها خشي ان يتوهم متوهم بأن ذلك يدرك بالرياضة والتهديب والجد والاجتهاد والتأديب فنفي ذلك بقوله

﴿ولا تنال رتبة النبوة بالكسب والتهديب والفتوة﴾

هكذا بفضل من المولى الاجل لمن يشا من خلقه الى الاجل

(ولا تنال) بضم التاء المشاة فرق مبنيا لما لم يسم فاعله أي لم تعط (رتبة) بالرفع نائب الفاعل يقال ناله ينوله اذا أعطاه قال في القاموس الدوال والنازل العلماء وملكه وملك له وبه أنوله وأنلته إياه ونولته أعطيته والرتبة بالضم والمرتبة المنزلة (البوة) بالجر لضافتها الى الرتبة وهي عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التي هي مطلوبات الله من عباده وأحكامه التي يكافهم بها انكشافا يناسب انكشاف البارلادهن بروية الدخان وانكشاف رائحة المسك بمجذب النفس الى الانف والمراد بها ما يعبر الرسالة كما لا يخفى (بالكسب) متعلق بلاتال (و) لانزال رتبة النبوة ودرجة الرسالة أيضا (التهذيب) أي تقية البدن وتصفية الاخلاق وخلوص البنية من الاخلاق الرذيلة وتقية الاوصاف الجميلة والتعوت الجميلة (و) لاتال رتبة البوة أيضا (الفتوة) أي كرم النفس وتخليصها من الاوصاف المدمومة الى الاوصاف المدوحة قال في القاموس الفتوة الكرم وقد تعني وتغنى يعني تعاطى اوصاف الفتوة وتخلق بها وأراض نفسه حتى صار من ذويها وتوتهم اذا غلبتهم فيها فمذهب أهل الحق ان النبوة لاتنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد وتكاف أنواع العبادات واقتحام أتنق الطاعات وتداب في تهذيب نفسه وتقية خوارطه وتطهير أخلاقه ورياضة نفسه وبدنه وتهذيب ذلك (لكنها) أي النبوة والرسالة (فضل من المولى الاجل) سبحانه وتعالى يرتبه من يشا ممن سبق علمه وارادته الازليان باصطفائه لها فانه أعلم حيث يجعل رسالته وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزمهسم ان من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الحلال وأخلاء نفسه من الشواغل العائنة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرأة باطنه وفتحت بصيرة له وتبين ما لا يتبين له غيره من التحلي بالبوة لان النبوة عندم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص في الانسان احداها الاطلاع علي الغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة كسب ولا تعلم ولا تعلم (الثانية) ظهور خوارق العادات بحيث تطيعه الحيولى المنصرية القابلة للصورة المفارقة

إلى بدن (الثالثة) مشاهدة الملائكة على صور متخيلة ويسع كلام الله تعالى هذا محصل مذهبهم الفاسد وملخص مسلكتهم الباطل فيجعلون كلام الله ما يفيض على نفس النبي من غير أن يثبتوا الله كلاما خارجا عما في نفس النبي وعند التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس إلا من جهة كونها أصفى وأكمل وعندهم أن القرآن كلام النبي وهذا من أعظم الكفر قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو لاء عندهم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون أن يصيروا أنبياء والحاصل أن النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة من الله تعالى يمن بها سبحانه ويعطيها ﴿ لمن يشاء ﴾ أن يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ولا يستحقها بكسبه ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يختص بها من يشاء ﴿ من خلقه ﴾ ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن لا تنقطع وهو مخالف للنص القرآني والاحاديث المتواترة بأن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين عليهم السلام ولهذا قال ﴿ إلى الأجل ﴾ يعني أن النبوة فضل من الله ونعمة يمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء وبريد أكرامه بها وكان ذلك ممتدا من عهد الأب الأول الصفي آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن بعث الخاتم النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال

﴿ ولم تزل فيما مضى الأبناء من فضله تأتي لمن يشاء ﴾

﴿ حتى أتى بالخاتم الذي ختم به وأعلنا على كل الأمم ﴾

﴿ ولم تزل فيما ﴾ أي في الزمن الذي ﴿ مضى ﴾ أي في سائر الأزمان الماضية ﴿ الأنبا ﴾ جمع نبي كالأنبيا والنبيين ﴿ من فضله ﴾ أي من فضل الله سبحانه وتعالى ورأفته ولطفه لا من حيث أنه واجب عليه تعالى كما تقدم بيانه ﴿ تأتي ﴾ بابلاغ الشرائع وبيان الحق وإيضاح السبيل ﴿ لمن ﴾ أي لكل أهل زمن من الأمم الماضية والقرون الحالية ﴿ يشاء ﴾ الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما يشاء على السنة من شاء من أنبيائه لمن شاء من مكاني عباده فلم تخل الأرض من داع يدعو إلى الله تعالى من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيجب الإيمان بجميع الأنبياء

والرسل وانهم صادقون في ما أخبروا به عن الله تعالى اجمالا في من لم يعينوا كمدل على ذلك قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فدلّت الآية الكريمة على الاكتفاء بذلك في الايمان بهم من غير تفصيل الا من ثبتت تسميته فيجب الايمان به على التعمين وكانت محبي الرسل والانبياء في القرون الماضية والازمان الحالية معروفا مستمرا من لدن الاب الاول الصفي عليه السلام (حتى) أي الى ان (أتى) النبي (الخاتم) والرسول القائم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أي الى ان أرسله بخير كتاب وأتم شريعة وأفضل ملة وأكمل دين (الذي ختم) الله (به) البين والمرسلين وأكمل بدينه كل دين قال الله تعالى في محكم الذكر المين (ما كان محمداً بأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم البين) أي الذي ختمهم وختموا به فلا نبي بعده وأخرج الامام أحمد من حديث العرياض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عند الله في أم الكتاب لخاتم البين وان آدم لمعدل في طينته » الحديث وأخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروى معناه من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه أخر مرسله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلون ويمحبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة - زاد مسلم - فجئت فختمت الانبياء » وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه معناه وفيه فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم البين » وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قتالوا لانعله فقال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة لها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجي لنا ابنك فأخرجوه وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي منسبا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال ذهب والله

النبوة من بني اسرائيل وهذا الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد بخاتم النبوة بين كتفيه وخاتم النبوة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كان يعرف بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها وقد روي ان هرقل ملك الروم من البصارى أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من ينظر له خاتم النبوة وفي نبوة شعيا ان سلطانه يعني النبي صلى الله عليه وسلم على كتفه يريد علامة نبوته وفي الجواب الصحيح لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه مانصه قال أشعيا النبي عليه السلام ونص على خاتم النبوة: ولد لنا غلام يكون عجبا وبشرا والشامة على كتفه أركون السلام وسلطانه سلطان السلام يجلس على كرسي داود: فالأركون هو المعظم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون فشهد أشعيا بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخص علاماته وأوضحها وهي شامته فلمعري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ووصفه بأنه يجلس على كرسي داود يعني انه سيرث من بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ويسبغهم رباستهم . قال العلماء رحمهم الله في حكمة وجود الخاتم بين كتفيه أو على نقض كتفه الايسر هو على جهة الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم لما ملي قلبه من الايمان والانوار وجمع له اجزاء النبوة وحواشيها ختم عليه كباختهم على الوعاء المملوء مسكا أودرا فلم يجد نفسه ولا عدوه سبيلا اليه من أجل ذلك الختم لان الشيء المختوم محروس كما بين لنا اذا وجدنا الشيء بختمه زال الشك واقتطع الخصام فيما بين الاميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمان له القلب التي النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كبضة الحجلة كما أشار اليه أبو القاسم السهيلي رحمه الله تعالى

وقوله ﴿واعلنا﴾ معشراة هذا النبي الكريم والرسول الرؤف الرحيم الرب الرحيم والاله الحكيم به صلى الله عليه وسلم ﴿على كل الامم﴾ الماضية والمثلل الحالية بشاهد قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس﴾ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴿وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله﴾ ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس﴾ قال خير الناس للناس باتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وفي الصحيحين وغيرهما من حديث المنيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«لا يزال أناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وروى هذا من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن حديث معاوية روى البخاري ومسلم ومن حديث عمران بن حصين روى أبو داود ومن حديث غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وروى الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل أمتي مثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله» وقال حديث حسن غريب وروى النسائي من حديث ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار عصيبة تنزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام» وأخرج أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الفتن والزلازل والقتل» ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک والبيهقي في الشعب وسفيان الصنجي وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أو كنا أولهم أو ثلثنا من بعدهم وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية في الصحيحين نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أي غير أنهم أو كنا أولهم أو ثلثنا وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما ترضون أن تكونوا ريع أهل الجنة فكبر ثم قل أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبر ثم قال إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم بعين ذلك ما المملون في الكفار إلا كشرة بيضاء في ثور أسود أو كشرة سوداء في ثور أبيض» هذا لفظ مسلم وعد البخاري وكشرة سوداء بغير ألف يعني قبل الواو وروى الإمام أحمد والترمذي بإسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن

الحصيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا» ورواه الطبراني في معجمه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وروى نحوه من حديث ابن مسعود رواه الطبراني وروى عبد الله بن الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم ربع أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة» قال الطبراني تفرد برفعه عبد الله بن المبارك عن الثوري وروى أيضا من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفاروا خيشمة بن سلمان القرشي قال المحقق ابن القيم وهذه الاحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها فلا تنافي بينها وبين حديث الشطر لانه عليه السلام رجا أولا ان يكونوا شطراهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاده عليه شيئا آخر وقد أخرج الامام أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أرجوان يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال فكبرنا قال فارجوان يكونوا الشطر واسناده على شرط مسلم وروى الدارقطني من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الجنة حُرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي» قال المحقق ابن القيم في كتابه حادي الارواح فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم الى أعلا مكان في الموقف وأسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم الى الجواز على الصراط وأسبقهم الى دخول الجنة فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الامم حتى تدخلها أمة وأول من يدخل الجنة من هذه الامة من بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق كما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وروى الامام أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «انكم تتمون—وفي لفظ—

انكم توفون سبعين أمة أحسن خيرا وأكرمها على الله تعالى» وأخرج الترمذي من حديث أبي امامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله فضلي على الأنبياء أو قل أمتي على الأمم وأحل لنا العنايم» وقال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه رفعه «يُنْبِئُ بِرَمِّ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبِ أَمْثَالِ الْجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» وقد روى معنى هذا الحديث عن أبي موسى أيضا من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه والسنن وأخرجه مسلم عن أبي موسى من وجه آخر بلفظ «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فدائك من النار» قال العلامة القرطبي قال علماءنا هذه الأحاديث ليست على عمومها إنما هي في أناس مذنبين تغفل الله عليهم برحمته فاعطى كل واحد منهم فككا من النار وقال معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى أنه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر حرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد كما قال تعالى (ولا تنزل وزره وزر أخرى) وله تعالى أن يضاعف على من يشاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشيته ويقال في الرواية الأخرى وهي قوله لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه يهوديا أو نصرانيا النار معناه أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا في النار بسبب ذنوبه وعنى الله عنه بجمه ورحمته بقي مكانه خاليا معه أضاف ذلك المكان إلى يهودية أو نصرانية ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقه بحسب كفره وقد حاثت أحاديث دالة على أن لكل مسلم من هذه الأمة مذنباً كان أولا منزلياً منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار وكذا الكافر وذلك معنى قوله تعالى (وأولئك هم الوارثون) أي يرث المؤمنون منازل الكفار من الجنة والكفار منازل المؤمنين في النار إلا أن هذه الوراثة تختلف فبعضهم من يرث بلا حساب ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وقال الإمام البيهقي يحتل أن يكون العدا في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم أو في من أخرج من النار يقال لهم ذلك عند الخروج وقال بعضهم بل يحتل أن

يكون الفداء مجازا عن روية المنزلة التي تقدمت الاشارة اليها ورجحه النووي وغيره وقيل المراد بالذنوب التي توضع على الكفار ذنوب كان الكفار سببا فيها بأن سنوها فلما غفرت سيئات المؤمنين بقيت سيئات الذي سن تلك البدعة السيئة باقية على أربابها الكفرة لان الكفار لا يغفر لهم فيكون الوضع كناية عن ابقاء الذنب الذي لحق المكافر بما سنه من عمله السيء الذي عمل به المؤمن وقواه الحافظ ابن حجر والله التوفيق

وقد روي ان لكل واحد من مؤمني هذه الامة نورين كالانبياء السالفة روى أبو نعيم وابن الجوزي في (الوفي) عن كعب الأخبار رحمه الله تعالى أنه سمع رجلا يقول رأيت في المنام كان الناس جمعوا للحساب فدعي الانبياء فجاء مع كل نبي أمته ورأى لكل نبي نورين ولكل ممن اتبعه نورا يمشي به فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما فقال كعب وهو لا يشعر أنها رؤيا من حدثك هذا قال انا والله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في المنام فقال بالله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في منامك قال نعم قال والذي نفس كعب بيده أو قال والذي نفس محمد بيده أنها الصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته وصفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمهم في كتاب الله كأنما قرأه من التوراة وروى الحافظ أبو نعيم والحافظ ابن الجوزي في (الوفي) عن كعب الاخبار أيضا أنه رأى جبرائيل من أخبار اليهوديكي فقال له ما يبكيك قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله لئن أخبرتكم ما أبكاكم لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجدني في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال قال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قل هم أمة أحمد يا موسى قال الخبر نعم الحديث وفيه فقال موسى عليه السلام ليتني من أمة أو من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) الحديث وروى ابن حبان حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم الآخرون السابقون المشفوع لهم فأجابه آمي قال تلك أمة أحمد الحديث وفيه قال يارب فأجعلني من أمة أحمد فأعطني عند ذلك خصلتين فقال (يا موسى اني اصغفنيك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين) قال رضيت يارب وذكره الامام المحقق ابن القيم في كتابه جلاء الافهام وذكر الحافظ ابن الجوزي في تبصرته في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) اني كنتم قولان أحدهما كن وصفيكم في البشارة قبل وجودكم قال الحسن الثاني كنتم في سابق علم الله تعالى وحكمه أو في الالواح المحفوظ وقاله ابن الانباري أي ما زلتهم وقيل ان معنى كنتم أي أنتم مثل قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما قال ابن قتيبة قدياني الفعل على بنية الماضي وهو ذاهب أو مستقبل كقوله كنتم ومعناه أنتم ومثله واذا قال الله أي واذا يقول الله ومثله أني أمر الله وظاهره والله أعلم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى

واعلم أن فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وان كان ذلك باختيار الحق لها اياها الا انه سبحانه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جهلوه فكذلك جعل لتقديم هذه الامة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس فاعتبر حالهم بمن قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق في شق البحر ثم قالوا اجعل لنا الها ثم مال كثير منهم الى عبادة العجل وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولم يقبلوا التوراة حتى تنق عليهم الجبل ولما اختار موسى سبعين منهم وقع في نفوسهم ما أوجب تنزيل الجبل بهم ولهذا لما صعد نبينا صلى الله عليه وسلم على جبل حرا في جماعة من أصحابه تنزيل فقال اسكن فما عليك الانبي اوصديق أو شهيد فكانه أشار الى انه ليس عليك من يشك كقوم موسى ومن تأمل حال بني اسرائيل رأهم قد أمروا بقول حطة فقالوا حنطة وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوه زحفا وآذوا نبيهم فقالوا آدر ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من أعظم التغفيل لان الجسم مؤلف ولا بد

للعوائف من مؤلف ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان الله تعالى جوهر والجواهر
تماثل ولا مثل للخالق ثم مقالهم في عيسى وثبائهم ودعواهم فيه الالهية وأنه
ابن الله تعالى تفشع منه الابدان وتغفر منه النفوس وتحيله المستول وليس للقوم
فهوم ولهذا قال بعض فضلاء أمتنا انهم عار على بني آدم من بين سائر الامم . هذا
قد علم يقين هذه الامة وبذلهم أنفسهم في الحروب وطاعة الرسول صلى الله
عليه وسلم وحفظهم لكتاب الله فلم هذا ونظائره كانوا يوفون سبعين أمة خيرها
وأكرمها على الله تعالى وكل هذا انما هو بسبب كرامة نبينا على الله وجزيل فضله
عند الله وقربه من الله والحمد لله على ما أنعم وفضل وكرم والله أعلم

فصل

﴿ في بعض خصائص النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التي اختصه الحق بها جل شأنه
على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأشار الى اولها بقوله ﴾

﴿ وخصه بذلك كالمقام وبه لسائر الأنام ﴾

﴿ ومعجز القرآن والمعراج حقاً بلايين ولا اعوجاج ﴾

﴿ وخصه ﴾ أي خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم دون
سائر الأنبياء ﴿ بذلك ﴾ أي بكونه ختم به النبوة والرسالة فلان نبى بعده لقوله تعالى
(وخاتم النبيين) بذلك يستلزم ختم المرسلين لان ختم الاعم يستلزم ختم الاخص
بلا عكس ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبدأ نبوة ولا
تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفاً
بنبوته السابقة فلا يتنافى ذلك على ان عيسى عليه السلام اذا نزل انما بعد بشرية
نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة لانها منسوخة فلا تعبد الا بهذه
الشريعة أصلاً وفروعاً فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكماً من حكم
ملكه بين أمة بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله وبظوره في كتاب الله الذي

هو القرآن وستة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقتصر عن رتبة الاجتهاد
المؤدي الى استنباط ما يحتاج اليه أيام مكثه في الارض من الاحكام وكسر
الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبولها مما علم من شريعته لا يقل هذا
نسخ لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم مغيب الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال
صلى الله عليه وسلم «نزل عيسى بن مريم حكما عدلا» فنزوله غاية لا قرار الكفار
يذل تلك الاموال ثم لا يقبل الا الاسلام فلا نسخ لها وقد قدمنا ذلك قريبا
(والثانية) ما أشار اليه بقوله (ك) ما خصه الله سبحانه وتعالى بالمقام
المحمود وهو الشفاعة المعطى كما تقدم الكلام على ذلك وروى النسائي باسناد
صحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه قل يجمع الناس في صعيد واحد فأول
مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك المهدية
من هديت عبدك وابن عبيدك وبك واليك ولا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك
تباركت وتعاليت فهذا قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وصححه الحاكم
قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر
رضي الله عنهما الذي في صحيح البخاري ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيامة
جنا كل أمة تتبع نبيا يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي
الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعث الله مقاما محمودا وأخرج
البخاري أيضا عنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«ان الشمس لتدنو حتى يباغ العرق نصف الاذن فينأى كذلك استعانوا بأدم فيقول
لست بصاحب ذلك ثم يمومي فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع فيقضي الله بين
الخلق فيمشي حتى يأخذ بلحمة باب الجنة فومئذ يبعث الله مقاما محمودا بمحمد
أهل الجحيم كلهم» وذلك لان ما رواه النسائي من حديث حذيفة رضي الله عنه كان
مقدمة الشفاعة قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وروى ابن أبي حاتم من
طريق سعيد بن أبي هلال انه باه ان المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى ان
النبي صلى الله عليه وسلم يكون يوم اقامة بين الجبار وبين جبريل فيبسطه لمقامه

ذلك أهل الجمع ورجاله ثقة لكنه مرسل قال الحافظ ابن حجر في شرح تفسير سورة الاسراء من صحيح البخاري وقيل المراد بالتمام المحمود أخذه بخلفه باب الجنة وقيل اعطاه لواء الحمد وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد وقيل شفاعته رابع أربعة انتهى وتقدم في الشفاعة ما فيه كفاية والله تعالى أعلم

﴿و﴾ الثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بـ ﴿بعثه﴾ نبيا ورسولا ﴿لسائر﴾ أي جميع ﴿الانام﴾ كسحاب الخلق من الانس والجن بالاجماع واختلف في ارساله الى الملائكة على قولين أحدهما انه لم يكن مرصلا اليهم وبهذا جزم جم محققون وهو ظاهر كلام علاننا قال ابن حنبل في نهاية المتبدين ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن كافة قال القاضي أبو يعلى وانه صلى الله عليه وسلم لم خاتم الانبياء وأفضلهم نص عليه الامام أحمد انتهى ونقل الاجماع على ذلك غير واحد والقول الثاني بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة أيضا ورجحه الجلال السيوطي في الخصائص والسبكي قبله وزاد انه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم ان قوله صلى الله عليه وسلم بعثت للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة ورجح هذا القول البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له أيضا بذلك قال الحافظ السيوطي وأزيد الى ذلك انه مرسل الى نفسه وتقدم كلام صاحب الفروع وغيره في التنبيهات الملحمة تحت قوله

وكل انسان وكل جنة في دار نار أو نعيم جنة

فماودة فان قلت قد علم يميننا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع أهل الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عمومها أمر اتفاقي اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه في السفينة فالعموم صار ثانيا وبالعرض على انه لم يبعث للجن والحاصل ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع ورسالته مطبقة لجميع الاكوان ولا التفتات لزعم بعض ملجدي أهل الكتاب

من خصوص رساله لمرب لان هذا مكابرة بامالة ومنه لئلا عاملة لوجهه بلهيبية
البرهان من ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد ائزله عليه في تحكيم القرآن
قل (يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما ارسلناك الا كلمة لا اس) ثم مقالته
لاهل الكتاب وسبي ذراريهم واستباحة دماءهم وضرب الجزية عليهم امر معلوم
بالتواتر والضرورة فالمنطق بهذا هذا والله تعالى الموفق

(و) الرابعة المشار اليها بقوله وخصه : (معجز القرآن) الذي اذعن لاعبازه
الثقلان واحكم عن مبارضته مصاقيع الانس والجان واعترف بالمعجز عن الايمان
باقصر سورة من مثله اهل النصيحة وبلاغته من سائر الاديان كما تقدم الكلام
على ذلك مستوفيا في مبحث القرآن من الباب الاول فراجمه تفانرا بمقتضودك
والله اعلم

(الحامسة) من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما أشار اليها بقوله (ك) ما
اختصه الله سبحانه وتعالى : (المعراج) الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى
مستوى سمع فيه صريف الاقلام فكان كقالب قوسين أو أدنى قال الرازي
عن رجاله كان المسرى والمعراج في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان
في السنة اثنائية عشرة من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ودرى أبيضان
أشياخ له قالوا اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع
الاول قبل الهجرة بسنة وادعى أبو محمد بن حزم فيه الاجماع وهذا قول ابن عباس
وعائنه رضي الله عنهم قال الحافظ ابن الجوزي في الوفي سمعت شيخنا أبا الفضل
يقول قال قوم كان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقال آخرون كان الاسراء قبل
الهجرة بثانية أشهر وقال آخرون بسنة أشهر فمن قال بسنة فيكون ذلك في ربيع
الاول ومن قال بثانية أشهر فيكون ذلك في رجب ومن قال بسنة أشهر فيكون
ذلك في رمضان قال ابن الجوزي وقد قل أنه ليلة سبعة وعشرين من شهر
رجب قلت واختر هذا القول الحافظ عبد العتي المقدسي الحنبلي وعليه عمل
الناس وكان المعراج الى السماء بمجده الشريف وروحه المقدسة كلاسراء من
بمكة المشرقة الى المسجد الأقصى ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء حق

هذا (حنا) ثابتا وأجزم به جزما باننا (بلا مين) أي بلا امتراء ولا كذب ولا ريب يقال ما بين كذب فهو مائن ومبين ومين (ولا اعرجاج) أي ال اعوج اعوجاجا اذا كان غير مستقيما قل في النهاية قد تكرر ذكر العوج في الحديث اسما وفعل ومصدرا وفاعلا ومفعولا وهو بفتح العين المهملة مخنص بكل شخص مرئي كالاجسام وبالكسر فجاء ليس برئي كل رني والقول وقيل الكسر فيها معا والاول أكثر ومنه الحديث حتى يقيم به الملة العوجاء يعني ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها

واعلم ان الاسرى لا خلاف فيه اذ هو نص القرآن العظيم على سبيل الاجمال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله وشرح اعاجيبه فورد عن عدة من الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضي الله عنهم اجمعين وأما ليلة المعراج فختلف فيها ف قيل ليلة الجمعة وقيل السبت كما تقدم عن الواقدي وقال ابن دحية تسفر تلك الليلة عن يوم الاثنين ان شاء الله تعالى لتوافق المولد والمبعث والوفاة فانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ومث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين وقد أخرج الامام أحمد والمخاري وسلم وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه أن مالك بن صعصعة رضي الله عنه حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قول لا يبيننا ما نأثم في الحطيم - وروى اقل قتادة في الحجير - مضطجع اذ أتاني آت فجعل يقول صاحبه اارسط بين اثلاثة قل فأتاني فقد وقال مرة فشق ما بين هذه الى هذه قال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبي ما معنى قتل من ثمرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصه الى شعرته قل فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملوءة فإيماننا وحكمة ففصل قلبي ثم حشي وفي لفظ فافرغه في صدره وملاه علما وحلما وقينا واسلاما ثم أطبقته ثم أعيد ثم أنيت بدابة دون البغل وفرق الحمار أبيض قال فقال الجارود هو ابرق يا أبا حمزة قل نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قل فحملت عليه ولما أراد صلى الله عليه وسلم العروج الى السماء بعد وصوله الى البيت المقدس وصلاته بالانبياء عليهم السلام أوتي بالمعراج التي تعرج عليه ارواح الاتباء من نبي آدم فلم تر الحلائق أحسن

منه له مرقة فضة ومرقة من ذهب وهو من جنة الفردوس منفضدا للؤلؤ عن يمين
 ملائكة وعن يساره ملائكة فارأى عليه هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام
 عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة قل بعض أهل العلم انه
 يختلف انه عرج من ثم وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزي في الوي ان البراق رآه
 به أي النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ثم أتيت بداية درن النمل وفوق الخ
 يقع خلوه عند أقصى طرفه قل خملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي الس
 الديا فاستفتح الحديث طوله وهو في الصحيحين وغيرهما وقال بعضهم قد صح
 الأحاديث بأنه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فأرأى في
 وطأه انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس وجمع بعضهم بأر
 الراوي اختصر فلم يذكر بيت المقدس وبعضهم انه لما وصل في العرواح الى
 السماء الديار رك البراق واحترق به السموات وما فوقها الى ان وصل الى سدر
 المنتهى ثم بعد سوا له صلى الله عليه وسلم ربه ومراجعته له في التخفيف عن أمه
 حتى انتهى ذلك من الخمسين الى الخمس صلوات وسامع الداء من العلي الاعلى قد
 أمصيت فريضتي وشفت نبي وخففت عن عبادي هن خمس صلوات كل يوم
 ولاية وهن خمسون في الاحر لان خمسة بعشر امثلا وسمع قوله (ما يبدل القبول
 لدي) ولا يفسح كتابي وكات المراجعة ما بين الحق جل جلاله وبين الكايم علي
 أفضل الصلاة وأتم التسليم فإنه الذي حدث النبي الكريم على مراجعة الرب الرحيم
 سواه التخفيف عن هذا الخلق الصعيف ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في
 موسى عليه الصلاة والسلام ونعم الصاحب كان لكم أي معشر الامة ثم قال لموسى
 عليه السلام اهبط باسم الله ولما دعا المصطفى من العلي الاعلا وحل في مستوى
 سمع فيه صريف الاقلام وكلمة الجليل جل جلاله فقال له يا محمد قل ليك يارب قال
 سل قال امك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيتك ملكا عظيما وكلمت موسى نكايما
 وأعطيت داود ملكا عظيما وألت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان
 ملكا عظيما وسخرت له الجن والاس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيتك ملكا
 لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجمعت يدي الاك

والابرس ويحيي الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن
للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه وتعالى وتذكر أنك حبيباً قال الراوي وهو
مكتوب في التوراة حبيب الله وأرسلتك للناس كافة بشيراً ونذيراً وشرحت لك
صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا أذكرك إلا نذكركمعي وجعلت أمك
خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمك أمة وسطاً وجعلت أمك هم الأولون والآخرون
وجعلت أمك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أمك عبدي ورسولي وجعلت من أمك
أقواماً قلوبهم أناجيهم وجعلت أول النبيين خلقاً وآخرهم بمشاً وأول من يقضى له وأعطينك
سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك وأعطينك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش
لم أعطها نبياً قبلك وأعطينك الكوثر وأعطينك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة والجهاد
والصدقة والصلاة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأني يوم
خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة - كل هذا
الخطاب في حال قربه من رب العالمين ثم إن الله تعالى خفف عن عباده الفعل
من خمسين إلى خمس وأتى لهم ثواب الخمسين تفضلاً منه تعالى وتكرماً على نبيه
المصطفى وعلى أمته ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى سدة المنهى
غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى
وصل لمستوى سمع فيه صريف الأقلام فدنا من الحضرة الآسية حتى كان
كقباب قوسين أو أدنى أي أو أقرب أي بل أقرب من ذلك ثم انجالت عنه
السحابة فأخذ جبريل بيده فأنصرف سريعاً فرأى إبراهيم فلم يقل شيئاً ثم أتى
على موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الصاحب كان لكم فقال ما صنعت
يا محمد ما فرض عليك ربك وعلى أمك قال النبي صلى الله عليه وسلم فرض علي
وعلى أمي خمسين صلاة كل يوم وليمة قل ارجع إلى ربك فإني التخفيف لك
وعن أمك فإن أمك لا تطيق ذلك فإني خدعت الناس قبلك وبلوت بني
إسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه فأمنك أضعف
أجساداً وأبداناً وقلوباً وأبصاراً واسماعاً فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل
فبشيره فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فرجع سريعاً حتى انتهت إلى الشجرة

فغشيت السحابة وخر ساجدا وقال رب خفف عن أمتي فأبغضت الامم و
وضعت لكم خما وهكذا الى أن بقيت المجلس وهذا في صحيح مسلم من حديث
أنس رضي الله عنه والذي في المسند والصحيحين وغيرهما عن أنس عن مالك
صعصعة رضي الله عنه أنه تعالى خط عنه عشرة ثم عاد فخط عنه عشرة ثم عاد فخط
عنه عشرة وكذلك هو في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه وقال الألبان
الحافظ ابن الحوزي في الوفاء وهذا أصح لانفاق البخاري ومسلم عليه من حديث
أنس عن مالك ومن حديث أنس نفسه أيضا وذكر المراجعة خمس مرات وقا
عن رواية أنه خط خما خطا من الراوي انتهى وقل الحافظ ابن حجر في شرح
البخاري كون الخط كان خما خطا أصح ولعله قد حدثت رواية ثابت ان التخفيف
كان خما خطا وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها انتهى قد
ولما قسنته وحده وحده من أمور أحدها ان كون التخفيف عشرة عشرة أليق بك
الكرام الثاني اتفق الصحيحين عليه من حديث أنس ومن حديث مالك
صعصعة وأما كونه خما خطا من أفراد مسلم وما انفق عليه الصحيحان أصح اثنان
كونه عشرة عشرة أقل مراجعة الرابع ان حديث أنس من كونه كان خما
صادق بأن الخط في الخامسة خمس فيصدق عليه بأن الخط كان خما في الج
والحاصل ان كون الخط كان عشرة عشرة أصح وبالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) تقدم الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لذي الم
والجبروت والالهام واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ذلك وما ينبغي
يألم ان الخلاف المذكور اما هو في وقوعها لاني أمكنها وجوازها اذ هي جائزة
وقلا أما المتل فواضح وأما القتل فما كان كلام الرحمن ان يسأل المستحيل ها
مما لا بد منه من عرف مصعب البيرة فصلا عن الرسول فضلا عن أحد أولي الم
من الرسل ليت شعري من حبل الواجب والعاجز والمستحيل على الله تعالى ما
هذا مما لا يتصوره مؤمن بالله ورسوله يرى الحق ويتبعه أبدا ثم ان رؤية الباري
جل شأنه واقعة للمؤمنين في الآخرة قطعا كما مر وأما من ادعاها في الدنيا بقه

لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف فهو ضال بل قال الكواشي في تفسيره في سورة النجم ومعتقد رؤية الله تعالى هنا يعني في الدنيا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم فرنديق فلو قال اني أرى الله عيانا في الدنيا ويكلمني شفاهها كفر انتهى ونقل عن المهدي المقتس أنه كفر مدعي الرؤية هنا وقد نقل جماعة الاجماع على أنها لا تحصل للأولياء في الدنيا قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة أنه لا يصدق مدعي الرؤية في الدنيا بقظة فإن شئنا منع منه موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام واختلف في حصوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لم يحصل لمقامها مما لا يتوقف فيه أنه لا يحصل لأحد الناس وقد اختلف في رؤية الله تعالى مناما والحق جوازها وبالله التوفيق

(الثاني) اختلف في المراد من قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أسببه حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال أبو عبيدة قاب قوسين أي دار قوسين أو أدنى أو أقرب والقاب ما بين القبض والسية من القوس قال الواحدي هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التي يرمي بها قال وقيل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشيء قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح فقد أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعين (١) ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمي بها لم يمثل بذلك ليجتاح إلى التثنية فكان يقال مثلا قاب رمح أو نحو ذلك وقد قيل أنه على القلب والمراد فكان قابي قوسين (٢) لأن القاب ما بين القبض إلى السية فكل قوس قابان بالنسبة إلى حالته وقوامه أو أدنى أي أقرب قال الزجاج خاطب الله العرب بما الفوا والمعنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لا يزداد عنده وقيل أو بمعنى بل وتقدير بل هو أقرب من القدر المذكور وسية القوس هي الفرضة التي يوضع فيها الوتر والمراد به جبريل عليه السلام قال الحافظ ابن كثير هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضي الله عنهم وقد روى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها (ثم ذني فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)

(١) كذا في الاصل والظاهر الرفع (٢) كذا في الاصل والصواب قابي قوس

قالت ذاك جبريل قال المحقق ابن القيم لان جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول
 السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) هكذا افسره النبي صلى الله
 عليه وسلم في الحديث الصحيح لماثثة قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ذلك جبريل لم أره في صورته التي خالق
 عليها الامرتين رواه مسلم قال ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ثم ساق سبعة
 وجوه دالة على ذلك قال واماما وقع في البخاري من رواية شريك عن أنس وذي
 الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فقد تكلم الناس فيه
 وقالوا ان شريكا غلط فيه وذكريه أموراً منكراً لكن قال المحقق ان الدنو والتدلي
 الذي في حديث شريك غير هذا وحزم ابن كثير بان الدنو والتدلي في حديث
 شريك غير الذي في الآية ولذا قال الرازي في تفسيره فكان قاب قوسين أي فكان
 بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل وهذا على استعمال العرب
 وعادتهم فان الامر بين منهم أو الكبيرين اذا اصطلاحا وتعاقداً أخرجا بقوسيهما
 فجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه
 يكف صاحبه فيمدان باعيهما كذلك فسي مبائة انتهى وقوله أو أدنى قال المحقق
 ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة فانها لا تزيد على قوسين
 البتة كما قال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) تحقيقاً لهذا العدد وأنهم
 لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحداً ونظيره قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
 فهي كالحجارة أو أشد قسوة) أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد
 على قسوة الحجارة لم تكن دونها قال وهذا المعنى أحسن والطف وأدق من قول
 من جعل أو في هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرازي
 ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمل انتهى

(الثالث سدرة المنتهى) السدر شجر النبق واحده سدرة وانما قيل لها سدرة
 المنتهى لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليها ينتهي ما يرج من
 الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل غير ذلك قال
 ابن دحية واحتيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم

لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية وقد وقع عند مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان السدرۃ في السماء السادسة وظاهر حديث أنس رضي الله عنه أنها في السابعة قال القرطبي وهو تعارض لاشك فيه وحديث أنس قول الأكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ويترجح حديث أنس أيضا بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر كذا قال يعني القرطبي ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض أنها في السماء السادسة مادلت عليه الأخبار أنه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان أصلها في السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الاصل ساقها قال ابن حجر والظاهر ان سدرۃ المنتهى مغروسة بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه الا على ما يفهم والباطن لا بد ان يكون سر يانه تحت شيء وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن وقال القاضي عياض دل الحديث على أن أصل شجرة المنتهى في الأرض لكونه قال ان النيل والفرات يجران من أصلها وهما بالمشاهدة يجران من الأرض فيلزم منه ان يكون أصل السدرۃ في الأرض وتعقبه النووي بأن المراد بكونهما يجران من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض والحاصل أن أصلها من الجنة وهما يجران أولا من أصل السدرۃ ثم يسيران الى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان وفي أصل القصة فإذا في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وقال جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ابن أبي جرة هذا يدل على ان النيل والفرات ليسا من الجنة وسدرۃ المنتهى ليست في الجنة حتى يقال انها يجران منها بعد نبعا من السدرۃ وهذا معارض لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة والجحيم بينهما والله أعلم ان الفرات والنيل منبعهما من السدرۃ واذا أنزل الى الأرض يسلكان أولا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الأرض انتهى قلت اذا قلنا سدرۃ المنتهى في السابعة تعين أنها في الجنة لان الجنة ليس سقفها سوى عرش الرحمن والله أعلم

(الرابع) المستوى الذي سمع فيه صلى الله عليه وسلم صريف الاقلام هو المعتمد وقبل المكان المستوي وصريف الاقلام بفتح الصاد المبهمة وكسر الراء وبالفاء هو صوت حركة الاقلام وهو جرياتها على المكتوب فيه من الاقضية الآتية والوحي وما يفسخونه من الالوح المحفوظ أو ما شاء الله من ذلك ان يكتب ويرفع لما أرادته تعالى من أوامره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله من الالوح المحفوظ بالاقلام الذي هو تعالى يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة فكل ما جاء من ذلك فهو حق يبقى على طاهره بمع كيفية ذلك وصورته وجنب مما لا يبله الا الله تعالى ومن أطلعه الله تعالى على شيء من ذلك من الملائكة والرسل وما يتأول هذا أو يحمله الا صعب الايمان اذ جاءت به الشريعة والله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد وهو العني الحيد والله تعالى أعلم

(الخامس) الصحيح المعتمد ان الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة هذا الذي اعتمده أكثر أهل العلم وقيل كان الاسراء وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة أخرى والاول هو الذي ذهب اليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وانهما كانا بقتلة بالروح والجسد جميعاً لاني المتأمن من مكة الى المسجد الأقصى الذي هو في بيت القدس الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله العلي الاعلا قال أهل الحق وهذا هو الحق من غير انراء وعليه يدل القرآن بصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاض استفاضة تكاد تبلغ التواتر أو بلغت ولا يعدل عن الطاهر في الأخبار الواردة في ذلك ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الاذهان من ألماطها الى التأويل الا عند الاستحالة وتعدر حمل اللفظ على حقيقته وليس ثم استحالة تؤذن بالتأويل فلا جرم وجب اعتقاده على طاهره مع تفويض علم مادي الى الحق وبالله التوفيق .

(السادس) رعم بعض الصوابة ان المعراج وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة وقال بعضهم أربعة وثلاثين مرة واحدة منها بحسبه الشريف والباقي بروحه ورد المحقق تعدد ذلك مع عدد فرض الصلاة والمراجعة في الخط والتحفيف قال

الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وما أظن أحدا ممن قال بالتعدد يلتزم إعادة مثل ذلك والله تعالى أعلم

﴿فكم حباه ربه وفضله وخصه سبحانه وخوله﴾

﴿فكم حباه ربه﴾ سبحانه وتعالى بمكرمة ﴿و﴿كم﴾﴾ فضله ﴿على غيره بمزية من المزايا التي لا تحصى والمكرمات التي لا تستقصى فان كم هذه خبرية بمعنى كثير فهي تفيد كثرة ما حباه ربه به من المكرمات والمزايا والحباء بمعنى الاعطاء يقال حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا من أوعام والاسم الحباب ككتاب كما في القاموس ﴿و﴿كم﴾﴾ خصه ﴿الله﴾ سبحانه ﴿وتعالى﴾ بخصوصية يقال خصه خصا وخصوصا وخصوصية ويفتح وخصيص ويمد وخصه وخصه فضله والخاص والخاصة ضد العامة ﴿وخوله﴾ بمعنى أعطاه قال في القاموس خوله الله المال أعطاه إياه مفضلا والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا جليلة غير ما ذكرنا حتى ان ابن سعد ذكر في كتابه شرف المصطفى أوصل الخصائص التي اختص الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بها عن سائر الانبياء والمرسلين الى ستين وبعض متأخري الحفاظ أوصلها الى ثلاث مائة وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها غير انه لم يتعرض في النظم الالبعض المهم منها على انها افردت بالتأليف فلا حاجة الى تعدادها هنا

فصل

﴿في التنبيه على بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدا﴾

وتعريف المعجزة هي اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة وفي القاموس معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين المعجزة هي ما خرق العادة من قول أو فعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها وقال الفخر الرازي المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرر من بالتحدي مع عدم المعارضة قال العلامة التفتازاني انما قال أمر ليتناول الفعل

كانتجار الماء من بين أصابع الذي صلى الله عليه وسلم ويتناول عذمه أي يخدم العمل كخدم أحراق النار إبراهيم عليه السلام واحترزوا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الأولياء والعلامات الارهاسية التي تتقدم البعثة النبوية وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من مضي من الانبياء أو ما تقدم له في السنين الماضية حجة لنفسه وقيد عدم المعارضة عن السحر والشعوذة وقول ابن حمدان وطابقها لمخرج ما إذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فطلق بأنه كذاب مفتر وكما نقل مسيلة في بئر عمار ماؤها وسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك إذا عرفت هذا فقد أشار إلى التنبيه على أن معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شبيهة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله

﴿ومعجزات خاتم الانبياء كثيرة تجعل عن احصائي﴾

﴿ومعجزات﴾ جمع معجزة وتقدم تعريفها آنفاً ﴿خاتم الانبياء﴾ يعني نبيا محمداً صلى الله عليه وسلم والانبياء جمع نبي وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿كثيرة﴾ جداً ﴿تجمل﴾ أي تعظم وتكبر ﴿عن احصائي﴾ أي عن عدي وحفظي لكثرة افرادها وتنوعها من الأقوال والأفعال التي ماسقت لمثله من الانبياء ولم يبلغ أحد من الانبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد الشرف والتكريم وشدة الاعناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته وأيضاً لما كان نبيا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع أجمعين ناسب كثرة المعجزات وتوارد الآيات والنباتات والمعجزات الباهرات قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه الجواب الصحيح الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الانبياء قال ويسمى بالظواهر معجزات ونسب دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك قال وهذه الالفاظ إذا سميت بها آيات الانبياء كانت أدل على المنصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب ولا في السنة وإنما فيه لفظ الآية والنبوة والبرهان وأهل الكلام لا يسمي

معجزا الا ما كان للانبياء فقط واماما ثبت للاولياء من خرق عادة بسمونها كرامة قال والسلف كالامام أحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الانبياء بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه ورماسوا الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل يستلزم المدلول فيمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع ان يكون لغير النبي وقد يقال انهم سموها معجزات لان كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه اولانها تعجز غيرهم وهي آية على صحة طريقهم انتهى قال بعض العلماء معجزات نبينا كثيرة لا تنحصر وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اعطي ثلاثة آلاف معجزة يعني غير القرآن فان فيه ستين أو سبعين ألف معجزة تقريبا ولهذا قال

﴿ منها كلام الله معجز الورى كذا انشقاق البدر في غير امتر ﴾

﴿ منها ﴾ أي من معجزات نبينا خاتم النبيين والمرسلين بل أعظمها وأجلها ﴿ كلام الله ﴾ المنزل على النبي المرسل ﴿ معجز الورى ﴾ كفى الخلق جميعهم انهم وجنهم وأولهم وآخرهم فهو معجز بنفسه ليس في وسع البشر الاتيان بسورة من مثله كما تقدم ذلك موضحا و ﴿ كذا ﴾ من غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴿ انشقاق البدر ﴾ أي القمر قال في القاموس والبدر القمر الممتلئ انتهى وهو أحد الكواكب السيارة التي هي الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري وزحل فانشقاق القمر نصفين ثابت ﴿ من غير امتر ﴾ أي من غير شك ولا جدل مأخوذ من المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه ممرارة ومراء وامترى فيه وتمارى شك كما في القاموس وفي النهاية المراء الجدال والتمازي والمارة المجادلة على مذهب الشك والريبة انتهى وانما قال من غير امتر لثبوت ذلك وظهوره لكل أحد ظهورا تاما وثبوتا جازما وقصة ذلك كافي للصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال شيان عن قتادة فأراهم انشقاق

القمر مرتين وفي حديث ابن مسعود عند البخاري وسلم وغيرها قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ان يعطيه مأمالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة وقال مجاهد انشق القمر فبقيت فرقة من وراء الجبل وقال ابن زيد لما انشق القمر كان يرى بجبل قميعان الصعب وأبي قبيس الصنف الآخر قال في النهاية قميعان جبل بمكة قبل سمي بذلك لان حرهما لما تحاربا كثرت قمعة السلاح هناك وجبل أبي قبيس مشهور معلوم بمكة وروى الامام أحمد من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كما هم فاسألوا السفار فان شهدوا بما أبصروا فهو حق وليس هو سحرا فاسألوا من كان مسافرا عن مكة من أهلها ومن غيرهم فاخبروهم انهم رأوا ذلك فنادوا في كفرهم وعذوبهم ولم يؤمنوا وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السغار يقدمون عليكم فان كان مثل ما رأيتم فقد صدق والا فهو سحر فقدم السغار فاسألوهم فقالوا نعم قد رأينا قد انشق القمر وأخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى (اقترمت الساعة وانشق القمر) قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن العظيم وبالسنة الصحيحة السريجة عن الرسول الكريم وقد بلغت الاحاديث بذلك ملع التواتر وأجمع على ذلك أهل الحق وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي اختص بها عن سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم يشركه في ذلك غيره ولم يقع لاحد سواه وهو

من أمهات معجزاته التي لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدلها آية من آيات الانبياء عليهم السلام لظهور ذلك في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فهو آية ومعجزة جسيمة ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليهما من المعجزات لأن فيهما كفاية عما سواهما والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنجس ودلائل نبوته لا تستقصى

﴿ تبيينات ﴾

(الاول) قد روي انشقاق القمر عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم رضي الله عنهم

(الثاني) الثابت من قصة انشقاق القمر ما ذكرناه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وأما ما قيل أن القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كفه فلا أصل له

(الثالث) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح آياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع (منها) ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة ومعرجه الى السماء قال وأما جعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه أقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون اجزاء الفلك لانه جسم مستدير فيظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهوراً لا ينجارى فيه واذا قيل الانشقاق قبول محله أولى بذلك قال وفيه حكمتان عظيمتان احدهما كونه من آيات النبوة والثانية أن فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل واضح على ما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من انشقاق السموات خلافاً للفلاسفة في زعمهم أن الفلك لا يقبل الحرق والالتئام والله أعلم (ومنها) ما هو في الجو كاستسقاءه وامتهان حوائطه صلى الله عليه وسلم وطاعة السحاب في حصوله وذهابه (ومنها) تصرفه في الحيوانات الانس والجن والبهائم (ومنها) تصرفه في الاشجار والحشب والاحجار (ومنها) تأييده بملائكة السماء (ومنها) كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس (ومنها) اجابة دعائه

صلى الله عليه وسلم (ومنها) اعلامه بالمعيات الماضية والمستقبلية (ومنها) تأثيره في تكثير الماء والشراب والطعام والثمار وغير ذلك من دلائل نبوته واعلام رسالته ومعجزاته الطاهرة وآياته الباهرة

(الرابع) أن نفس صورة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة الباهرة وهيته وطلعت الظاهرة وسنته ودله يدل الغلاء على صدقه ولهذا قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه فلما رأيت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك في نبوته قال الحافظ ابن الجوزي وغيره من الحفاظ وثبت في عدة أخبار انه صلى الله عليه وسلم كان في صمره يعرف بالامانة والصدق وجميل الاخلاق وقد قال هرقل في حديث أبي سفيان ما كان لترك الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الجواب الصحيح قال نفلويه في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) هو مثل ضربه الله تعالى لنبهه محمد صلى الله عليه وسلم بقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لو لم تكن فيه آيات مينة كانت يديه تاتيك بالحبر
وذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء وذكر من هذا القيل طرقا سالما
وبالله التوفيق

(فصل)

في ذكر فضيلة نبينا وأولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿وأفضل العالم من غير امترا نبينا المبعوث في أم القرى﴾

﴿وأفضل العالم﴾ العلوي والسفلي من ملك وبشر وجن في الدنيا والآخرة في سائر خلل الخير وخصال الكمال ونعوت المكارم والجمال ﴿من غير امترا﴾ أي من غير شك ولا ريب قال في القاموس العالم الخلق كله أو ما حواه بطن التلك

(نبينا) خبر المبتدا الذي هو أفضل العالم محمد (المبعوث) رسولا لكافة الناس بل للثقلين الانس والجن قيل والملائكة وتقدم ذلك (في أم القرى) مكة المشرقة وبكة المعظمة قال تعالى (لتندرام القرى) يعني مكة قال الحافظ الجوزي في كتابه مشير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن (في تسميتها بذلك أربعة أقوال) (أحدها) لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن قتيبة لانها أقدمها (الثاني) لانها قبله يومها جميع الناس (الثالث) لانها أعظم اقمرى شأنا (الرابع) لان فيها بيت الله عز وجل ولما اطردت العادة بان بلد الملك وبيته هو المتقدم على الاماكن سمي أمّا لأن الامم متقدمة وانما كان أفضل خلق الله تعالى لأن الله تعالى أيدته بأبهر المعجزات وأظهر الدلالات وأشهر المكرمات فمعجزاته أشهر المعجزات وأبهرها وأتمته أزكى الامم وأطهرها وشريعته أتم الشرائع وأشهرها وصفاته أكمل الصفات وأشرفها وأخلاقه أحسن الاخلاق وأعرفها وأوسعها وشيمه أعلا الشيم وأنفعها

ومن أعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان الله سبحانه وتعالى اقسم بحياته وفي شرعه انما تتعقد الايمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا بدون ذلك قال الامام الحافظ بن الجوزي في الوفاء اقسم الحق عز وجل بحياته وانما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب قال تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) وأخرج الترمذي وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال «ما خلق الله وما ذرأ نفسا هي أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت أقسم بحياء أحد غيره فقال (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال الامام ابن عقيل رحمه الله تعالى وأعظم من قوله تعالى لموسى (واصطنعتك لنفسي) قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وبيان ذلك انه جعل اللام في قوله واصطنعتك لنفسي التي هي للملك أو الاختصاص بينه وبينه ولم يجعل بينه تعالى وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة بل قال (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) المعنى اقسم بك لا بالبلد فان أقسمت بالبلد فلانك فيه ثم قال ابن عقيل: يا موسى اخلع نعليك

ولا تنجي. الا ماشاء، يا محمد اركب البراق ولا تنجي. الا راكبا: وأخرج الطبراني وصححه وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا أنا من جبريل فقال يقول لك ملك أندري كيف رفعت لك ذكرك قال الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي. وأخرجه الشافعي وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من طريق مجاهد قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والشهد والخطبة على المنابر قال ولوان عبدا عبدا لله وصدقه في كل شيء. ولم يشهدان محمد رسول الله لم ينتفع بشيء. وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة ولا أذان الا ينادي أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أغر عليه للبوة خاتم من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الآله اسم النبي الى اسمه اذا قال في الحس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزاياه على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه تعالى دعاهم بأسمائهم (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة - واذا ذكر في الكتاب ادريس - يانوح اهبط بسلام منا. يا ابراهيم اعرض عن هذا. يا موسى اني اصطفيتك. يا داود انا جعلناك خليفة. يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي. - بارك يا انا نبشرك - يا يحيى خذ الكتاب) ودعاني محمد صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والتفخيم فقال (يا أيها النبي - يا أيها الرسول) ولذا ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل - محمد رسول الله والذين معه - وآمنوا بما نزل على محمد - ما كان محمدا ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) ولما ذكر الحليل ومبيدنا رسول الله ذكر الحليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) وقال ابن الحوزي رحمه الله تعالى وكان الانبياء عليهم السلام يحادلون أنفسهم عن أنفسهم كقول قوم نوح (انا لئراك في ضلالة) فقال دافعا عن نفسه (ليس بي ضلالة - وقال قوم هود انا لئراك في سفاهة فقال ليس بي سفاهة - وقال فرعون اني لأطالك يا موسى مسحورا - فقال موسى - اني لأطالك يا فرعون مشبورا أي معصوما

عن الحق مطبوعا على قلبك واما نبينا صلى الله عليه وسلم فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالوا هذا شاعر قال قال تعالى (وما علمناه الشعر) ولما قالوا كاهن قال تعالى (وما هو بقول كاهن) وقالوا ضل فتال (ما ضل صاحبكم وما غوى) وقالوا يمجنون فقال (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) حتى قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال الواحدى أعلمهم الله فضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البرية في المخاطبة وأمرهم ان يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعون بعضهم بعضا بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع وخفض وذكر ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الآية قال كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله تعالى عن ذلك اعظاما لنبية فقالوا يا نبي الله يا رسول الله وحكى عن الحسن نحوه رواه أبو نعيم وهذا بخلاف الامم السالفة فانهم كانوا يخاطبون انبياءهم بأسمائهم وفضائلهم ومزاياه صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فهو أفضل خلق الله تعالى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أناس يد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» وفي الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أسواء لواء الحمد يدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» قال ابن النباري أراد لا أنبجح بهذه الاوصاف لكن أقولها شكرا ومنبها على انعام ربي علي وفي حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما سمعه الا ان يتبعني» فان قبل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم وقال لا تخبروني على موسى وقال لا تفاضلوا بين الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى فالجواب انه صلى الله عليه وسلم اما ان يكون قال ذلك قبل ان يعلمه الله تعالى انه سيد الاولين والآخرين فلما أعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك أخبر به واما انه قال ذلك تواضعا وتادبا واحتراما لحلة

أبراهيم عليه السلام وأما أنه أراد برية عمر إبراهيم أو أن البهي إنما هو عن
تقبيل يودي إلى تنقيص المفضول أو يودي إلى الحصومة والفتنة كما هو المشهور
في سبب ورود تلك الأحاديث أو لأن الهوى عن التفضيل في البرية نفسها وذلك
قد لا يتصور فيها بل في خصائصها وتوابعها والحق أنه ورد النص بتفضيل بعض
الرسل على بعض فقد قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والحاصل
أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الأنبياء والرسل
مع مراعاته لمراتبهم الباذخة وحلالة مصابهم الشامخة ثم أعله الله تعالى بأنه
سيد الأولين والآخرين وأفضل جميع الأنبياء والمرسلين وأمر بتبليغ ذلك قبله
كما أمر لأن اعتقاد ذلك حق لازم وفرض جائز مع مجانية التفضيل المودي إلى
تنقيص المفضول ومراعاة علونك المراتب التي لا تدرك صكته حقائقها أكثر
العقول فالنبي المصطفى أفضل الخلق جميعا بلا خفاء صلى الله عليه وسلم وعلى سائر
الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

وبعد الأفاضل أهل العزم فالرسل ثم الأنبياء بالجرم

(وبعد) أي بعد النبي صلى الله عليه وسلم (الأفضل) من سائر الخلق
(أهل العزم) أي أهل الثبات والجد من الرسل وهم على المشهور إبراهيم الخليل
وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح السبي فيكون خمسة بيننا محمد صلى الله عليه وسلم
وهم المذكورون في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) ومن نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى بن مريم) فانهم أصحاب الشرائع وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم ثم عليه
ونكر ما لشأنه وهو لاء الدين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقريرها وصبروا
على تحمل المشاق من قومهم ومعاداة الطاغين فيها وقيل إنما كانوا أولي العزم
لصبرهم على البلاء من الله تعالى فذبح صبر على أذى قومه فانهم كانوا يضربونه
حتى يشق عليه وإبراهيم صبر على النار وذبح ولده وقد قيل كل الرسل من أولي
العزم فمن تائبين لا للتبويض وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
(فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) ذوو الحرم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر
قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحرم

ورأيي وكال عقل وإنما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشترت أ كسية
من الخز وأردية من البر وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس عليه السلام
لعجلة كانت منه لا ترى انه قيل لاني صلى الله عليه وسلم (ولا تكن كصاحب الحوت)
وقال قوم أولوا العزم نبياء الرسل المذكورن في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله
تعالى بعد ذكركم (أولئك الذين هدى الله فبهم اقمه) وقال ابن عباس رضي
الله عنهما وقادة نوح وابراهيم الخ وهو المشهور كما قدمنا آتفا وأخرج البغوي في
تفسيره وأبو الشيخ ابن حبان عن مسروق قال قالت لي عائشة رضي الله عنها
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد
يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروها والصبر على محبوبها
فلم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) واني
والله لا بد لي من طاعته والله لا صبرن كما صبروا واجهدن ولا قوة الا بالله»

وقد اختلف العلماء في من يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم والمشهور
واختاره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري انه ابراهيم خليل الرحمن لما ورد ان ابراهيم
عليه السلام خير البرية خض منه محمد صلى الله عليه وسلم باجاء فيكون أفضل من
موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم أفضل من سائر الانبياء
والمرسلين قال الحافظ ابن حجر ولم أقف على نقل أيهم أفضل والذي ينقدح في
النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام قال بعض العلماء لعل
تقديم موسى عليه السلام لانه كلمة الله ثم عيسى عليه السلام لانه كلمة الله وقال
بعض المحققين الواجب اعتقاده أفضلية الافضل على طبق ما ورد الحكم به
تفصيلا في التفصيلي واجالا في الاجمالي ثم ان تعين لنا نص من الشارع على الوجه
الذي جعله سببا لافضليته قلنا به والا أمسكنا عنه لان التفضيل راجع لاختيار
الباري سبحانه وتعالى لالعة موجبة وجدت في الفاضل وفقدت من المفضول والله
تعالى ان يفضل من عبده من يشاء بما يشاء على من يشاء منهم وان كان كل واحد
منهم كاملا في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي تليق به من غير ان يحمله على ذلك
وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له سبحانه بحق ربوبيته وسيادته ولا شك ان الافاضل

لا يجب ان يفضل بما لم يجعله الله سببا لتفضيله وأن المفضل لا يجب ان يجعل مفضولا
لسبب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضولته وأن الله تعالى لا يجب ان يفضل أحد بين
احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتعين أن الصواب ما أشير اليه من الوقوف على
المنقول بالنص القرآني والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه
تنصيلا واجمالا وبالله التوفيق ثم بعد أولي العزم ﴿ ف ﴾ الواجب اعتقاده ان يليهم
في الافضية سائر ﴿ الرسل ﴾ المكرمين بالرسالة فهم أفضل من الانبياء عليهم السلام
غير الرسل وبه يعلم ان الرسالة أفضل من النبوة ولو في شخص واحد خلافا للزم
ابن عبد السلام في قوله أن نبوة النبي أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى اذ
هي الايحاء بما يتعلق بالباري جل شأنه من غير ارتباط له بالخلق أما مع تعدد المحل
فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على أن
الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقا والله تعالى أعلم ﴿ ثم ﴾ الافضل بعد الرسل
الكرام ﴿ الانبياء ﴾ عليهم أفضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون في الفضيلة فبعضهم
أفضل من بعض كما قال تعالى ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ فهذا واجب
الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظني صحيح واجمالا
فبما علم منهم وعلم حكمه اجمالا ولهذا قال ﴿ بالجزم ﴾ السديد والقطع المفيد للحكم
المذكور من غير شك ولا ترديد حسبا تقدم على النهج السديد الا قوم وعلم بما ذكر
ولا سيما من قوله بالجزم ردرعم من زعم ان الولي قد يبلغ درجة النبي كما يحكى عن الكرامة
بل زعم بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة قالوا لانها تنبي عن القرب
والكرامة كما هو شأن خواص الملك والمقربين منه والنبوة عن الانباء والتبليغ كما هو
حال من أرسله الملك الى الرعايا لتبليغ الاحكام قالوا الا ان الولي لا يبلغ درجة
النبي بخلاف العكس لان نبوة النبي لا تكون بدون الولاية وقد شنع شيخ الاسلام
ابن تيمية على من يرمع ذلك في محلات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام
او اليهود والنصارى وقال في جواب المسائل الاسكندرية بعد ما ذكر شنيع مقالهم
وزيف ترهاتهم ولهذا يقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة
وينشدون

مقام النبوة في برزخ فوفق الرسول ودون الولي

وبقولون ان ولاية النبي أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ثم قديدي أحدكم أن ولايته وولاية سائر الاولياء اجماعة لولاية خاتم الاولياء ون جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم هي أعظم عندهم من نبوتهم ورسالتهم وانما يستفيدون العلم بالله الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في أصل ذلك ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول يأخذ بواسطة ولهذا جعلوا ما بقي في نفوسهم ويجعلونه من باب الشايطات اللامية والمكاشفات الربانية أعظم من تكليم موسى بن عمران عليه السلام قال وهي في الحقيقة إيجات شيطانية ووساوس نفسانية (وان الشياطين يوحون الى أوليائهم) ولو هدوا لهدوا أن أفضل ما عند الولي ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه وأن أفضل الاولياء الصديقه وأفضاهم أبو بكر رضي الله عنه وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «قرآن قبلكم في الامم محدثون فان يكر في اتي أحد فعمره» وفي الترمذي «لوم أبعث فيكم بعث فيكم عمر» وقال «ان الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» ومع هذا فالصدق الذي تلقى من مشكاة النبوة مطاوعة أفضل لان مأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس معصوما بل يقع له الصواب والخطأ ولهذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة وقال أبو مجلز في قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) قال ان يسأل منازل الانبياء ثم تكلم على زعمهم مازعموا في خاتم الاولياء وأن هذه كلمة لا حقيقة لافضلها ومزيتها وانما تكلم أبو عبد الله الخسكيم الترمذي بثبوت ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخره ومسمى يكون وليس ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما كما يأتي اذا الاولياء يستفيدون من الانبياء كما يأتي وقربهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فان الله تعالى أرسله بالرسالة لم يملح على غيره فقياس مسمى أحمد الانبياء على الآخر في وجوب كونه أفضل من أفسد القياس وقال شيخ الاسلام روح الله روحه في مكان آخر

في التثبيت على من جعل ختم الاولياء اصيل من الرسل والانبياء وزعم هؤلاء أن الرسل جميعهم ولا نبياء يستفيدون من المعرفة بالله تعالى من مشكاة الذي جعله خاتم الاولياء وجعله اصيل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعالم به وأنه يأخذ عن الاصل من حيث يأخذ الملك الذي يوحى الى خاتم الرسل فزخاتم الرسل انما سيدق الشفاعة فيادته في هذا المقام الخاص لاسي العموم قال هؤلاء وايستحق هذا الامانة الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه أحد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعني نوة التشريع ورسالة ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه يعني من الحقيقة والعالم بالله ومعرفة الامن مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا ياتقص ما ذهب اليه هؤلاء في ما يرمعون قولوا فاه من وجه يكون أنزل كما انه من وجه يكون أسلاوذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الزهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وما قسم عليها ماقشة تامة ولا ينبغي على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحابة فالاولياء وان دخل بعضهم في بعض في الجلة والله تعالى الموفق

فصل في

﴿ فيما يجب للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم ﴾
قد تقدم في أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من المذكورة والحرية والقوة على اعباء ما حملوه ونحو ذلك وذكره ما يجب اعتقاده في حقهم

﴿ وان كل واحد منهم مسلم من كل ما نقص ومن كفر عصم ﴾
﴿ كذلك من افك ومن خياه لوصيةهم بالصدق والامانة ﴾
﴿ وان يعرف كل مسلم (أن كل واحد منهم) أي من الانبياء الكرام والرسل

المعظام (س) وتزده (من كل ما) زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيدهم اسلموا منه وزهوا عنه (نقص) يؤدني الى زالة الحشمة واستقاط المروءة وانقضت بفاعلها الازراء والحشة كسرة لذة وتطيف بحجة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدني الى الازراء والدناءة لان الله تعالى يقول (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومن المعلوم عموم ذلك وليس في شيء من فعل ما يزري ما يوجب حب الله ولا حسن اناسي والاقداء في ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل ما يوجب الريب (و) ان كل واحد منهم (من كفر) بجميع أنواعه (عصم) قبل النبوة وبعدها والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامي ولا اعتصام الامتناع بل شيء افعال منه ومنه شعر أبي طالب ه ثمال اليتامى عصمة للارامل ه أي يمنعهم من الضياع والحاجة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه الداس متفقون على ان الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى فلا يستقر في ذلك خطأ بانفاق المسلمين وان كان هل يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته هذا فيه قولان قال واما ثور عن السلف يوافق القول بذلك قال واما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فلا بأس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ومتنازعون في العصمة من الكبار والصغار أو من بعضها أو هل العصمة انما هو في الاقرار عليها لاني فعلها وقيل لا يجب القول في العصمة الا بالتبليغ فقط قل وهل يجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا قال والذي عليه الجمهور الموافق للائثار اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا قال ووقوع الذنب اذا لم يقر عليه لم يحصل منه تنفير ولا نقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها أكثر مما كان أولا وكذلك التأسي بهم انما هو فيما أقروا عليه بدليل التسخ ونحوه انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليس بمعصومين في غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو والصغار في الاشهر لكن لا يقرن على ذلك وقال ابن عقيل في الارشاد انهم عليهم الصلاة والسلام لم يعتصموا في الافعال بل في نفس الاداء قال ولا يجوز عليهم الكذب في الاقوال

(كذلك) كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عصم (من أفك) أي من
كذب قال في النهاية الافك في الاصل الكذب قال في القاموس افك كضرب وعا
افكا بالكسر والفتح افوكا كاذب كافك فهو افك وأفك وأفوك وفي حديث
عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افك قوم كذبوك وظاهرو
عليك أي صرفوا عن الحق ومنعوا منه يقال افكه يافكه افكا اذا صرفه عن الشيء
والحاصل ان انبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب (و)
معصومون (من خيانة) ولو قات (ا) وجوب (وصفهم) عليهم الصلاة والسلام
(بالصدق) الذي هو ضد الكذب (و) وجوب وصفهم (الامانة) التي هي
ضد الخيانة والضدان لا يجتمعان فالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا وهما مطابقا
أخبارهم للواقع إيجابا وسلبا اذ لو حاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع
لحار الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي
في كل ما بلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب
على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد أجمعت الامة على ان ما كان طريقه
الابلاغ فلا نبياء والرسال معصومون فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف الواقع
لا قصد ولا عدا ولا سهوا ولا سطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقد
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار
به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن
شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذ حقيقة الشهادة
بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال تعالى (ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وهو عرق في القلب اذا انقطع
ومات صاحبه وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره
وفي قصة هرقل مع أبي سفيان كفي الصحيح عند سواد هرقل عظيم الروم أبا سفيان
عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم قال هل كنتم تنهون بالكذب أي على الناس

قال لا وزن كان يدعي فينا بالامين فقال لقد علمت انما لم يكن يدعي الكذب على الناس
ثم ليكذب على الله تعالى فيشمر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحالة كذب الانبياء
عليهم الصلاة والسلام

وقوله والامانة أي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى (انا عرضنا
الامانة) أي الفرائض المفروضة والنية التي بعقدتها فينا بظهره باللسان من
الايان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لان الله تعالى ائتمنه عاينها ولم يظهرها
لاحد من خلقه فيما اضمر من التوحيد مثل ما ظهر فقد أدى الامانة كما في القاء وس
وقل في النهاية الامانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان والمراد
بها في حق رسل الله تعالى وانبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم
وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولونهم كراهة عند بعض العلماء أي كونهم
لا يتصور ان يكونوا الا كذلك اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو
مكروه على قول لجاز ان يكون ذلك المهي عنه من حيث انه منهي منه ما هو رايه
لان الله تعالى امرنا بتابعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر
بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والمراد
بما لم تقم قرينة على الخصوصية كمنكاح ازيد من أربع فتمتص بهم دون أمهم وفي
الآية الكريمة (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالتك والله يعصمك من الناس) قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الشريعة ومعالم
أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً فان كان ما أنزله
الله تعالى اليه يناقض موجب الرسالة كما ان الكذب يناقض موجب الرسالة قال
ومن المعلوم في دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم
من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله تعالى وبين ما أنزل
اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر به

(تمة) ذكر أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفاعة يجب على
المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز على طريق لما ذكره والاعلم ان يلتزم
في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيره ومطاعه

وبراقب حال يائه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكره ما قاسا عليه السلام من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والتمنيظ على عدوه ومودة المدا لاني صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه الصرة له لو أمكنه وإذا أخذ في أبواب المعصية وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام نحوى أحسن اللفظ وأدب العبار ما أمكن واجتنب بشع ذلك وهجر من تلك العبارة ما يتبع كالمظة الماهل والكذب والمصيبة فاذا تكلم في الاقول قال هل يجوز الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة وتجنب لفظه الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الاما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح لفظه وشاعته وإذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في ماضى الامر والموافقة في بعض الحاضر فهو أدب وأولى من قوله هل يجوز ان يعصي أو ان يذنب أو ان يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقيره واعظام قدره وأما ما يورده على جهة الدفي والتمنيظ عنه فلا حرج في شرح العبارة وتصريحها كقوله لا يجوز علي عليه السلام الكذب جملة ولا إيان الكبار بوجهها ولا الجوار في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عدم مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم انتهى ما خلا ومثله في ذلك جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد فهم مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم مما تضمنوا منه صلوات الله وسلامه عليهم وأشار إلى الجائز في حقهم بقوله

وجائز في حق كل الرسل النوم والنكاح مثل الاكل

(وجائز) غلاد شرعا (في حق كل) الانبياء (والرسل) عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان فهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل عليهم فأن ما لم يكن واجب الثبوت لهم ولا واجب الدفي عنهم فوجوده عند جائز في حقهم لكن به بما ذكره لا يوضح قسم الجائز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم (النوم)

وهو راحة من الله تعالى على عباده لتسريح أبدانهم عند تعبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع لمعرفة الاشياء لكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله عليه وسلم كان أبدا مستيقظا متيقظا لا يدرك ما يلقي اليه من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الجلوس والمشي والبكاء والضحك وكل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم في النكاح والتسري وجماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات أو مطلقا على المعتمد ونحو ذلك في مثل الاكل والشرب للحلال وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما تعافه النفس ولا مما يؤدي الى النفرة حتى انه لا يجوز عليهم الاحتلام والحاصل انهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات والتغيرات والالام والاسقام ونجس كاس الحمام ما يجوز على البشر مما لا تقبض فيه فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يمرض ويتألم ويتشكى وكان يصيبه الحر والقر والجوع والعطش والقضب والضرع والنصب والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه ولا يوجب الانصاف به نوع نفرة عند كل نبيه والله تعالى أعلم

فصل في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم

﴿ في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴾

اعلم انه لما كان أفضل خلق الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم بقية أولي العزم ثم الرسل ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعد الانبياء أفضل البشر الصحابة رضي الله عنهم ويأتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم وبين الملائكة أعقب ذكر الانبياء بالصحابة حسب اصطلاح أصحابنا ومن وافقهم وبدأ بأفضلهم الامام علي التحقيق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصديق الصديق الأعظم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال

(٢) ش عقيدة السفاريني (٣٨)

ووليس في الامة بالتحقيق في الفضل والمعرف كالصديق

(وليس في الامة) أي امة الاسلام وهم امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم آل فيها للعهد الذهني وتقدم انما افضل الامة فيكون الصديق افضل البشر بعد سائر الانبياء (بالتحقيق) اثبات المصوص والتدقيق اليات المخصوص (في الفضل) بجميع انواع الفضائل (و) بذل (المعرف) من مكارم الاخلاق ومخامن الشيم (كا) بي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة كما قاله ابن عبد البر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه با (اصديق) قال ابن قتيبة ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم عليه عتقا لحمال وجهه وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يحلف بالله ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق فهو أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأم الصديق أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم أبيه ماتت هي وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو مسلمين رضوان الله عليهم فان الصديق رضي الله عنه جاء بأبيه يوم الفتح الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ونوفي بعد موت أبي بكر رضي الله عنهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول الناس ايمانا بالنبي صلى الله عليه وسلم على قول جمع من أهل العلم وفي سنن الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال أبو بكر رضي الله عنه ألت أول من أسلم ألت صاحب كذا ألت صاحب كذا الحديث وقيل بل أول من آمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه واستنكر هذا من وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وادعى الثعلبي الاجماع فيه وأن الخلاف انما هو في من بعدها وصوبه كثير واستظهر البرماوي وغيره وقيل أولهم بلال بن حمزة وقيل خباب بن الارت حكاهما المسعودي وقيل خالد بن سعيد بن العاصي ونقل الماوردي في اعلام النبوة عن ابن قتيبة أن أول من آمن به أبو بكر بن أسعد الجعفي ونقل ابن سبع في الحصاص عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال كنت أولهم اسلاما ويروى عن أبي خنيفة الامام

رضي الله عنه أنه قال الاورع ان يقال أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر
ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال وهذا من
أحسن ما قيل لجمعه الاقوال . وأسلم على يد الصدّيق عثمان بن عفان والزبير وطلحة
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص قال الحافظ ابن الجوزي في منتخب
المنتخب وهو أول من جمع القرآن وقام نحر جاً من الشبهات وأول من سعى القرآن
مصحفاً وأول من سعى خليفة وأخرج الامام أحمد عن ابن أبي مليكة قال قيل
لأبي بكر يا خليفة الله فقال أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا راض به
وأول من ولي الخلافة وأبوه حي وأول خليفة مات وأبوه حي وأول من اتخذت
المال ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى ومزاياه ومآثره لا تستقصى وهو أفضل الصحابة
وخيرهم بإجماع أهل السنة فقد أجمع أهل السنة والجماعة على ان أفضل الصحابة
والناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم
سائر العشرة ثم باقي الصحابة هكذا إجماع أهل الحق فأبو بكر الصدّيق أفضل
هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك الا زائغ وقد أخرج الامام
أحمد وغيره عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه
الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر قال الحافظ الذهبي هذا متواتر عن علي رضي الله عنه
فلعن الله الرافضة ما أجملهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية قد
نقل عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجهاً خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما وذكر نحو ذلك لابن الحنفية كما في البخاري والرافضة
تكذبه فهم مع علي كالنصارى مع المسيح واليهود مع موسى عليها السلام وأخرج
الحاكم عن الزّوال بن ميسرة قال قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين
أخبرنا عن أبي بكر فقال ذلك امرؤ ساء الله الصدّيق على لسان جبريل وعلى لسان محمد
كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي له لدينا فرضينا له دينانا استاده جيد
وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي دحي قال لا أحصي كم سمعت علياً يقول على
النبر إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صديقاً وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن
عكرمة بن سعد قال سمعت علياً يحلف بالله لا أنزل الله اسم أبي بكر من السماء

الصديق وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) هو أبو بكر فاخرج البزار وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه قال في تفسيرها إن الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به هو أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولما قرأه لم يأنهى وقيل أنه إنما سمي صديقا لأنه أول من صدق بناء على أنه أول من آمن ولهذا قال أبو محسن الثقي في

وسميت صديقا وكل مهاجر مواء يسمى باسمه غير منكسر

سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليسا في العريش المشهر

وأول ما اشتهر أبو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الأسراء فقد أخرج الحاكم في المستدرک عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنهما قالت جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قال ذلك قالوا نعم وقال لقد صدق أبي لاصدقه ما بعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ولذلك سمي أبو بكر الصديق: أسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة عند ابن عساكر ومن حديث أم هانئ أخرجه الطبراني وأخرج سعيد بن منصور في سننه ثنا أبو معشر عن ابن وهب مول أبي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بندي ملوى قال يا جبريل إن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق وأخرجه الطبراني في الأوسط موصولا عن ابن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد والطبراني في الكبير عن الشعبي قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما أي الناس كان أول إسلاما قال أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان

إذا نذرت شعوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية ألقاها وأعد لها بعد النبي وأوفها بما جملا

والثاني التالي المأمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران قلت علي أفضل أم أبو بكر وعمر قال فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال

ما كنت أظن أني أبقى الى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الاسلام قلت
 فأبو بكر كان أول اسلاما أم علي قال والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه
 وسلم زمن بحيرا الراهب حين أمر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى نكحها
 أباه وذلك كله قبل ان يولد علي . واخرج ابن اسحق عن ميسرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع من يناديه يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق
 هاربا فأسر ذلك الى أبي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وفي صحيح البخاري عن أبي
 الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنتم تاركون لي
 صاحبني اني قلت يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو
 بكر صدقت »

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الاسلام وانتمهم صحب أبو بكر
 رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى ان توفي لم يفارقه
 سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج أو غزو
 وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قال تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول
 لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وانفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 أجود الصحابة قال تعالى (وسبجنها الاتقى الذي يؤتي ماله) الى آخر السورة قال
 الحافظ ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه
 وأخرج الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « ما نفعتني مال قط ما نفعتني مال أبي بكر الصديق » فبكى أبو بكر وقال
 هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله
 عنها مرفوعا مثله قال الحافظ ابن كثير رويناه أيضا من حديث علي وابن عباس
 وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم وأخرجهم الخطيب
 عن سعيد بن المسيب مرسلًا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي
 في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وقد أخرج ابن عساكر من طرق عن
 عائشة وعروة بن الزبير ان أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون

ألف دينار فاعطها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر و خيث ان يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا الا رجل من المسلمين وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم قال عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون عمر من رواية أنس وابن عباس رضي الله عنهم وأخرج ابن سعد عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار الميف وقد طاف العدو به اذ صعد الجبل
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
فصحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا أحسان
هر كما قلت وقد أجمع المسلمون أن المراد بقوله تعالى (ثاني اثنين) هما في الغار
اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا أن صاحب المذكور هو أبو بكر وفي سنن
أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «أما الله يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمي» وفي الصحيحين من حديث
أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام» وقد ورد هذا الحديث من رواية
ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء بن عازب وكمب
بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وأبي واقد الليثي وأبي العلاء وعائشة وابن عمر
رضي الله عنهم فهو من الاحاديث المتواترة وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر
رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر «أنت صاحبي على
الحوض وصاحبي في الغار» وأخرج عبد الله بن الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبو بكر صاحبي ومونس في الغار» وأخرج
ابن مسعود عن طريق مجمع بن يعقوب الانصاري عن أبيه قال كانت حلقة رسول

الله صلى الله عليه وسلم تشبكت حتى نصير كالسوار وأن مجلس أبي بكر منها لفارغ ما يطمع فيه أحد من الناس فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وأتى إليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي» وخرج مثله من حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «الناس كلهم يحاسبون إلا أبا بكر» والاحاديث في فضائله كثيرة شهيرة يعسر استقصاؤها وقد أشهرنا بقطرة من بحر ليلي وبذرة من رمل عالج وقد أفردت مناقبه بالتصنيف فدع المحادع والمعالج وبالله التوفيق

قال الامام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وهو من خريته كان أبو بكر رضي الله عنه أبيض نحيفاً خفيف العارضين احتمل لا يستمسك ازاره يسترخي عن حقويه معروف الوجه غائر العينين ناتي الجبهة عاري الاشاجع وله من الولد عبد الله وأسما وأمهما قتيلة وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان ومحمد وأمه أسماء بنت عيسى وأم كاثوم وأمه حبيبة بنت خارجة وهي التي قال في حقها لعائشة انمسا هو اخواك واختاك وتوفي الصديق رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر الا عشر ليال وقيل وثلاثة أشهر وتسع ليال وغسلته زوجته أسماء بنت عيسى بوصية منه رضي الله عنها وصلى عليه عمر بن الخطاب وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين ٧ حديثاً منها في الصحيحين ثمانية عشر حديثاً المتفق عليه منها ستة وانفرد البخاري بأحد عشر ومسلم بحديث وسبب قلة روايته رضي الله عنه أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماها وقد ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في قصة بيعة الصديق أنه لم يترك شيئاً أنزل في الانصار الا ذكره ولا شيئاً ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم الا ذكره وهذا يدل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن وقد روى عنه من الصحابة عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان ويزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأبو هريرة وابن عمرو بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس وأبو سعيد الخدري وعتبة بن عامر الجهمي

وعمران بن حصين وأبو برزة الاسلمي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة وأما رضي الله عنهم ومن التابعين خلائق ودفن رضي الله عنه في الحجرة الشريفة الى جانبه النبي صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل في يوم بارد فغم خمسة عشر يوما ومات وقيل سبب موته غير ذلك

وبعد الفاروق من غير اقترا وبعدة عثمان فترك المراء (وبعد) أي بعد أبي بكر الصديق الاعظم أي يليه في الفضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (الفاروق) سماه بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسلم لأن الله فرق به بين الحق والباطل فهو عمر بن الخطاب بن فضيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء التحتية غاء مهلة بن عبد الله بن قرط بضم القاف وسكون الراء فطاء مهلة ابن رزاح بفتح الراء والراء في غاء مهلة بعد الألف بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المدري وأمه حنمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقال ابن الأثير بنت هاشم قال وقال ويوسف هاشم بندي الرعيين قال وقال الأمير ابن ما كولا ومن قال بنت هشام فقد أخطأ كذا قال وقد قال ابن الجوزي في منتخب المنتخب انها بنت هشام وهي أخت أبي جهل عمرو بن هشام فابو جهل خال عمر رضي الله عنه كنيته أبو حفص كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما نهى عن قتل رجال بني هاشم قائمهم انما خرجوا مكرهين فقال أبو حذيفة والله لئن لقيت العباس لأجلنه السيف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال «يا أبا حفص بصرب وجه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف» فقال والله انه لا أول يوم كنانتي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص رواه ابن الجوزي وغيره والحفص في اللغة ولد الأسد وسبب تلقيبه بالفاروق ما رواه الحافظ ابن الجوزي في سيرة العمرين عن ابن عباس رضي الله عنهم قال سألت عمر رضي الله عنه لأي شيء سميت بالفاروق فذكر حديث اسلامه وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سألت عمر لأي شيء سميت

الفاروق قال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام وسبب اسلام حمزة ان أبا جهل أسرع الى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ويؤذيه فاخبر حمزة بذلك فأخذ قوسه ووجد المسجد الى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكئ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر اليه فعرف أبو جهل الشمر في وجهه فقال مالك يا أبا عمارة فرغ القوس وضربه به فشبهه فالت الدماء فأصلحت ذلك قريش بخافة الشمر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخف في دار الارقم الخزومي فانطلق حمزة فأسلم قال عمر رضي الله عنه وخرجت بعده بثلاثة أيام فاذا فلان الخزومي قتلت أرغبت أنت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال ان فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً قلت ومن؟ قال أختك وختك فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت ماذا فإزال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختي فضربت وأدميته قامت الي أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك وقد أدميت رأسها فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت (لا يمسه الا المطهرون) فقممت واغتسلت فاخرجوا لي صحيفة فاذا فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) قلت اسماء طيبة طاهرة وفيها (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى - الى قوله تعالى - له الاسماء الحسنى) فعظمت في صدري وقلت من هذا نفرت قريش فاسلمت وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند أبي يعلى والخامس والبيهقي قال خرج عمر منتقدا سيفه فلقية رجل من بني زهرة فقال الى أين تعمد يا عمر فقال أريد ان أقتل محمداً قال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً قال ما أراك الا وقد صبوت قال أفلا أدلك على العجب ان ختك واختك قد صبوا وتركك دينك فشى عمر فأتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل عمر فقال ما هذه الهينة وكانوا يقرءون طه قالوا ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال فلعلي كما قد صبوتها فقال له ختنه يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطأه وطأ شديداً فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها ففجأها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبي وكان الحق في غير دينك اني أشهد ان لا إله الا الله وان محمداً عبده ورسوله فقال عمر اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فاقرأه وكان يقرأ الكتاب فقالت أخته انك رجس

وانه لا يمس الا المطهرون نعم واغتسل أو توشأ فقام وتوشأ ثم أخذ الكتاب قرأ
(وله) حتى انتهى الى (اتي انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لله كرمي)
فقال عمر دلوني على محمد لما سمع خباب قول عمر خرج وقال أبشر يا عمر فاني
أرجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس هـ اقيم أعز
الاسلام عمر بن الخطاب أو بمرو بن هشام وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة
وملحة وياس فقال حمزة هذا عمر ان يرد الله به خيرا يسلم وان يكن غير ذلك
يكن قتله عليا هيناً قال والنبي صلى الله عليه وسلم يرحى اليه فخرج حتى أتى عمر
فأخذ بمجامع ثوبه وحماثل السيف فقال اما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من
الحزبي والنكال ما ارسلنا ليدن الميرة فقال عمر اشهد ان لا اله الا الله وانك عبد
الله ورسوله وفي حديث البرار والطبراني وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل عن أسلم
نحوه وفيه فكير المسنون تكبيرة سمعت بفجاج مكة فجئت خالي أبا جبل بن
هشام وكان شرباً ففرغت عليه الباب فقال من هذا قلت ابن الخطاب وقد صبوت
قال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني وفي حديث ابن عباس عند أبي نعيم
في الدلائل وابن عساكر فقلت يا رسول الله أسألك على الحق قال بلى قلت فقيم
الاختفاء فخرجنا صفيين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت
قريش الي والى حمزة فأصابهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه
وسلم الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال قلت
لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق قالت النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج
ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد
لقد استشر أهل السماء باسلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل
الله تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وأخرج البخاري وغيره
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال مازنا أمة منذ أسلم عمر وأخرج ابن سعد عنه
أيضاً قال كان اسلام عمر فتحاً وكانت هجرة نصرته وكانت امامته رحمة ولقد

رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم عمر قائلهم حتى تركوا سبيلنا وقال
حذيفة لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما قتل كل
الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعداً وكان اسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان
اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلاً أو أربعين أو خمسة وأربعين واحدى عشرة امرأة
ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه

وقد وردت الاحاديث الكثيرة والاعبار الشهيرة بفضائله في الصحيحين عن سعد
بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا ابن الخطاب والذي
نفسى بيده ما لي بك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجعك» وفي صحيح البخاري
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد كان في من
كان قبلكم من الأمم محدثون فان يكن في أمتي أحد فانه عمر» أي ملهمون
وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «قد كان يكون في الأمم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر
بن الخطاب» ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال ابن عينة محدثون
أي مضمون وقال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون وأخرج الترمذي عن ابن
عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله جعل الحق على
لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال انزل القرآن
على نحو ما قال عمر وأخرج الترمذي أيضاً عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان بعدي نبي لكان عمر» وأخرج من حديث
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اني لانظر الى شياطين الجن
والانس فورا من عمر» وفي الصحيحين والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يئنا أنا نائم رأيت
الناس يعرضون عليهم قصص فمنها ما يبلغ الشدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض
على عمر بن الخطاب وعليه قبض يجره - قالوا فما أولته يا رسول الله - قال الدين» وفي
الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب نفسي
فقلت لمن هذا قالوا لعمر فذكرت غيره فقلت مدبراً فبكي عمر رضي الله عنه
وقال عليك أغار يا رسول الله وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال «دخلت الجنة فإذا أنا بقعر من ذهب فقلت لمن هذا قالوا
لشاب من قریش فقلت أني أنا هو قالوا عمر بن الخطاب » وقد قال أبو بكر
الصديق رضي الله عنه ما على وجه الأرض أحد أحب إلي من عمر أخرجه ابن
عساكر وقيل لابي بكر ماذا تقول لربك وقد وليت عمر قال أقول له وليت عليهم
خيرهم أخرجه ابن سعد وقال علي رضي الله عنه إذا ذكر الصالحون فخي هلا
بعمرو ما كما نمدان السكية لا تنزل الا على لسان عمر أخرجه الطبراني في الاوسط
وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان علم عمر وضع سيفه كفة ووضع علم أحياء
الأرض في كفة لروح علم عمر ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة أعشار العلم
أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم وقال حذيفة رضي الله عنه والله ما أعرف رجلاً
لا تأخذه في الله لومة لائم الا عمر وعلى كل حال فأمر المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بعد الصديق الاعظم أفضل هذه الامة (من غير اقتران) أي من
غير كذب يقال فري فرياً وفرياً وفرياً ففرياً أي كذب فهو افتعال منه
وفي الآية الكرمة (ولا يأتين يهتان يهترينه) وفي الحديث «من أفرى الفري ان بري
الرجل عنه ما لم يرباه فالفري جمع فرية وهي الكذبة وأفرى أفعال منه لتفضيل وتقديم
الكلام على ذلك في الكلام على الحوض عند قوله «عنه يذاذ المقتري كما ورده» ولما كان
الحكم بأفضلية أبي بكر ثم عمر الفاروق رضي الله عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله
من غير افتراء إشارة لرد قول الخطاية الراعبين بأن عمر رضي الله عنه أفضل الخلفاء
وهذا الرعم بالنسبة للصديق زور وافتراء وكذب وضلال من زاعميه نعم بالنسبة
إلى من بعد الصديق حق لا مريبة فيه وكذلك فيه إشارة إلى رد قول الراوندية
في زعمهم ان أفضل الصحابة العباس بن عبيد المطلب رضي الله عنه والرد على
الشيعة في زعمهم ان أفضلهم علي رضي الله عنه كما يأتي في الكلام عليه قريباً
وقد أخرج الحاكم في الكنى وابن عدي في الكامل والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة رضي

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أبو بكر وعمر خير الاولين والاخرين وخير أهل السموات وخير أهل الارض الا النبيين والمرسلين» وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر» وأخرج الامام أحمد والترمذي عن علي رضي الله عنه وابن ماجه عنه أيضا وعن ابن أبي جحيفة رضي الله عنه وأبو يعلى في مسنده والضياء في المختارة عن أنس والطبراني في الاوسط عن جابر وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين» يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وهاجر عمر رضي الله عنه الى المدينة جهرا وذلك انه تقلد سيفه وأخذ بيده أسهما وأتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شامت الوجوه من أراد ان تشكله أمه ويستم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد وشدة عمر وشجاعته لا تخفى حتى أنه وصف في التوراة بأنه قرن من حديد شهد المشاهد كلها وكان شديدا على الكفار والمنافقين ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد وافق ربه في عدة أحكام مأثورة وموافقات في الآيات القرآنية مخبورة

ولي الخلافة بعده من خليفة رسول الله الصديق الاكبر أبي بكر رضي الله عنه يوم توفي وذلك يوم الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فقام بالامر أمم قيام وكثرت الفتوحات في أيامه ففي سنة أربع عشرة فتحت دمشق بين الصلح والعنوة وحص وبعليك صلحا وأيلة عنوة وفيها جمع الناس على صلاة الترابيح وفي الخامسة عشرة فتحت الاردن عنوة الاطرية فانها فتحت صلحا وفيها كانت وقعة اليرموك والقادسية وفيها حاصر عمرو مصر وسعد الكوفة وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين واعطى العطايا وفي السادسة عشرة فتحت الاهواز والمدائن وأقام بها سعد الجمعة في ايران كسرى وهي أول جمعة جمعت بالعراق وفيها كانت وقعة

جلولا وهرمز ويزدجرد بن كسرى وتقهر الى الراي وفيها فتحت تكريت وفيه
سار بنفسه رضي الله عنه ففتح بيت المقدس صلحا وخطب بالجالية خطبته المشهورة
وفيها فتحت قنسرين عنوة وحلب واسطاكية ومنيح صلحا وفيها كتب التاريخ
في ربيع الاول من الهجرة بمشورة علي رضي الله عنه وفي السابعة عشرة زاد عمر
رضي الله عنه في المسجد النبوي وفيها كان الفتح بالحجاز فسي عام الرمادة
واستقى عمر بالعباس فأخذ عمر رضي الله عنه بيد العباس رضي الله عنه ثم رفاها
فقال اللهم انا نستشفع اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ان تذهب عما المحل وان
تسقي العيث فلم يدرحوا حتى سقوا فاطبقت السماء عليهم أياما وفي الثامنة عشرة
فتحت جنذا سابور صلحا وحلوان عنوة وفيها وقع طاعون عمواس وفيها فتحت
الرهاة وشباط وحران وهصيين وطائفة من الجزيرة عنوة وكذا الموصل ورواحيا
وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل
صلحا واسكندرية عنوة والمغرب كله عنوة وفيها فتحت تسر وفيها هلك قيصر
ملك الروم وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادي القرى
وفي سنة احدى وعشرين فتحت نهاوند عنوة ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة وفي
سنة اثنتين وعشرين فتحت كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل وأصبهان
وبواحيا وفي آخرها كانت وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك
بعد رجوعه من الحج قال ابن المسيب لما نفر عمر من منى أناخ بالابطح ثم استأق
ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رغبتي
فاقصي اليك غير مصيب ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل شهيدا وكان
قال له كعب الاحبار اني أجسدك في الكتاب الاول تقتل شهيدا قتال وأنى لي
بالشهادة في جزيرة العرب ثم قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك
واجعل موتي في بلد نبيك وكان قد قال في خطبته رأيت كأن ديكا تقرني نقرة
أو تقرين واني لأراه حصور اجلي وان قوما يأمروني ان استخلف وان الله لم
يكمل ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بي أمر فالخلافة شوري بين هؤلاء السنة
الدين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قال الزهري كان عمر

رضي الله عنه لا يأذن لكافر قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن
شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنائع يستأذنه ان يدخل المدينة ويقول
ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس وأنه حداد ونقاش ونجار فاذن له ان يرسله
الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء الى عمر يشتكي شدة
الحراج فقال له ماخراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم قال له عمر رضي الله عنه ألم
أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحي تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال
لاضمن لك رحي يتحدث الناس بها فلما ولي قال لاصحابه أوعدني العبد وهو أبو
لوثة ثم انه الخبيث اشتمل على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فككن في
زاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر هو قتل الناس
للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات كما أخرجه الحاكم وطعن معه اثني عشر
رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه
قال أبو رافع كان أبو لوثة عبدا للمغيرة يصنع الارحاء وحمل عمر رضي الله عنه
الى أهله وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالناس
أقصر سورتين وأتى عمر بن عبد العزيز فخرجه من جرحه فلم يلبث في فسقوه لبنا فخرج
ثانيا فقالوا لا بأس عليك فقال إن يكن في القتل بأس فقد قتلت فجعل الناس
يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وددت اني خرجت منها كفافا
لاعلي ولاي وان صعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي فأتني عليه ابن
عباس فقال لو أن لي طلاع الارض ذهبالا فتدبت به من هول المطلاع وقد جعلتها
شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأجلهم ثلاثة أيام وقال
يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الامر شيء فإن اصابته الامرة سعدا
فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة وأمرصهيا
أن يصلي بالناس قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان أبو لوثة مجوسيا وكان
اسمه فيروز وقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل مني بيد رجل لا يدعي
الاسلام وكانت اصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين
ودفن يوم الأحد وصح ان الشمس كسفت يوم موته وناحت الجن عليه ثم قال

عمر رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجد ثلاثين الفا أو نحوها فقال ان وفي مال آل عمر أده من أموالهم والا فاسأل في عدي فان لم تنف أموالهم فاسأل في قريش واذهب الى ام المؤمنين عائشة و يستأذن عمر أن يدفن عند صاحبيه فذهب اليها فقالت كنت أريده تعني المكة لنفسه والله لا وثرته اليوم على نفسي فأبى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله ثم قال رضي الله عنه أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالماجر والانصار وأوصيه بالامصار خيرا فلما توفي رضي الله عنه صلى عليه صهيب في الماء وخرج الناس يمشون وعبد الله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقال عائشة رضي الله عنها ادخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه رضي الله عن أبي بكر وعمر وصلوات الله وسلامه على رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وروى لا مبر المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وروى ثلاثون حديثا أخرجه في الصحيحين منها احدى وثمانون اتفاقا على ستة وعشرين واغرد البخاري بأربعة وثلاثين ومسلم بأحد وعشرين

﴿ تنبيه ﴾

اعلم ان خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه مرتبة ولازمة لحقيقة خلافة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وقد قام الاحبار واشارات الكتاب والسنة على حقيقة خلافته فما ثبت للاصل الذي هو الصديق من حقيقة الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لاحد من فرق الصلال في الطعن والنزاع في حق خلافته وقد علم أهل العلم علما با ضروري ان الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدر في ذلك من غير مبرية فقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سي » وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم ان يستخلف أبو بكر فهذا صح عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم فعكس الاجماع الصحابة على خلافة أبي بكر ولذلك كان هو أحق بها عند جميع أهل السنة والجماعة

في كل عصر ومصر وكذلك عند المعتزلة وأكثر فرق الامة على انه أحق بهامن جميع الصحابة روى البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اجمع الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر فولوه رقابهم وأخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ان أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه الا خليفة رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا على ضلالة وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما مما باع التواتر وعلم من الدين بالضرورة ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بايعه واعتذر اليه عن تأخره لعدم مشورته وان له حقاً في الشورى حتى ان سيدنا علياً رضي الله عنه بايع أبا بكر على المنبر لازالة شبهة التخلف وفرح الناس بذلك والنصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة ومن أعظم فضائل الصديق وأتم فراسته على التحقيق وأكمل نصحه لهذا الدين القويم استخلافه أمير المؤمنين عمر الفاروق لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الاسلام الظهور التام ووقع أهل الكفر وعبد الأصنام فان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ثقل به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر أنت أعلم به مني فقال أبو بكر وان كان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من وراءك ورأيك فيه أتم رأي فدعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به وقال لعلي كذلك فقال علمك في ذلك فقال للصديق علمي به ان سريره خير من علانيته وانه ليس فينا مثله وشاور معهما زيدا وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والانصار فقال اللهم علمه الخير ثم دعا عثمان فكتب عهده لعمر ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر رضي الله عنه عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال اللهم اني لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيراً وأقوامهم عليهم وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من

أمرك ما حضرني فاخلني فيهم فهم عبادك ونواصيهم يدك أصلح ولايته واجعله
من خلافتك الراشدين وأصلح له رعيته وقد قال ابن مسعود أنرس الناس ثلاثا
أبو بكر استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره والعزير حين تقرس
في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه وأخرج ابن عساكر عن بسار بن حمزة قال
تتل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهدا أفرضون
به فقال الناس دعتنا يا خليفة رسول الله فقام علي رضي الله عنه فقال لأرضي
الا ان يكون عمر قال انه عمر رضي الله عنهم أجمعين

(وبعد) أي بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي يليه في الافضلة أمير
المؤمنين أبو عمر أبو عبد الله ذو النورين (عثمان) بن عفان بن أبي العاص واسمه
الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي
قال ابن الاثير يقال كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما ولدت له رقية رضي الله عنها
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ا كنى به وأمه أروى وأما أم حكيم
البيضاء بنت عبد المطلب حمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو أروى أم عثمان
كريز بضم الكاف وفتح الراء فراي مصفر كرز وكريز بن ربيعة بن حبيب بن
عبد شمس ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديما على
يد الصديق الاعظم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر
المجرتين الى الحبشة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البث
بانت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة
بدر العطي ولم يشهد عثمان رضي الله عنه بدرأ لتخلفه بأذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمرض رقية رضي الله عنها فجاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها
فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ولما ماتت رقية زوجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم أختها أم كلثوم ونوفيت عنده أبضا سنة تسع من الهجرة قال العلماء ولا
يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي بندي النورين فهو من السابقين الأولين
وأول المهاجرين وأحد المشرة المشهود لهم بالجنة وأحد السادة الذين توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن وصر

ان الصديق جمعه أيضا وانما تميز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع وكان رضي الله عنه ذاجال مفرط روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا وروى عنه من الصحابة زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع وأبو امامة وأبو قتادة وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وخلائق من التابعين وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان رضي الله عنه إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان أعلمهم بالمسالك عثمان وبعده ابن عمر رضي الله عنهم وأخرج ابن عساكر ان عثمان رضي الله عنه كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض مشرب بحمرة بوجهه نكتات جدري كبير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين جزل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس أصلع أحسن الناس نفرا جمته أسفل من أذنيه يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وقال بعضهم رأيت عثمان فما رأيت قط ذكرا ولا اتى أحسن وجها منه وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان قال لها «ان بعلك أشبه الناس بمحمدك إبراهيم وأليك محمد» صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عدي أيضا وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا لنشبه عثمان بأبينا إبراهيم» وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال «ألا استحي من رجل نستحي منه الملائكة» وأخرج البخاري ان عثمان رضي الله عنه حين حوضر أشرف عليهم وقال أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزهم أنستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه بما قال وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه يساره فكانت يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من يمن نفسه وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فنة قتال يقتل فيها هذا مفاولما لعثمان قال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه وأخرج أبو تميم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان احيا أمتي وأكرمها وأخرج عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا أن أشد هذه الامة بعد نبيا حيا عثمان بن عفان وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان عثمان لأول من هاجر بأهله الى الله بعد لوط» وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان الله - وفي لفظ - لعل الله مقصك - وفي لفظ - بمصك قيصا فان أرادوك (على) خلعه فلا تخلعه حتى يخلعه وفي لفظ فلا تخلعه حتى تلقاني وأخرج الترمذي عن أبي سهرقة قال سمعت عثمان رضي الله عنه يقول يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الى عبد فانما يمثل له وصار عليه ان شاء الله فصر حتى قتل رضي الله عنه شهيدا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن طلحة بن عبيد الله وقال غريب وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان» وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي الاشعث الصنعاني ان خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقت وذكر القنن فقرئها وصر رجل مبتقع في ثوب فقال «هذا يرمئ على الهدى» فمات اليه فاذا هو عثمان بن عفان فاقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مظلوم وأنه يرمئ على الهدى واما ذكر خلافة رضي الله عنه فتقدم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعلها شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد

جعلت أمرني إلى علي وقال سعد قد جعلت أمرني إلى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمرني إلى عثمان فقال عبد الرحمن بن عوف أنا لا أريد هذا فأيكما يريد من هذا الأمر ونجعله إليه والله عليه والاسلام لينظر أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الأمة فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه إلي والله علي أن الوكهم ٧ عن أفضلكم قالوا نعم فخلا بعلي وقال له لك من القدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لأن أمرنا لك لتعدلن ولأن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعين قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال وكان عبد الرحمن بن عوف قبل أن يتخلى عنها أحد قد خلا بعثمان فقال له فإن لم نبايعك فمن تشير علي قال علي وقال لعلي أن لم نبايعك فمن تشير علي قال عثمان ثم دعا الزبير فقال إن لم نبايعك فمن تشير علي قال علي أو عثمان ثم دعا سمدا فقال له من تشير علي فأما أنا وأنت فلا تريدان فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن أعيان المهاجرين والانصار فرأى هوى أكرهم عثمان فبايعوه جميعاً فثبتت بيعة عثمان باجماع الصحابة عليها ولهذا قال ﴿فأترك المراءى الجدال والشك قال في القاموس المربة بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومراءاً وامترى فيه وتمارى شك وفي الحديث «لا تماروا في القرآن فإن مراءيه كفر» المراء والجدال والتماري والمارة المجادلة على مذهب الشك والريبة كما في نهاية ابن الاثير وتقدم فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جملة من بايعه وقد غزا معه وكان يقيم الحد بين يديه كما أخبر بذلك عن نفسه رضوان الله عليه وخلافة عثمان فرع عن خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق رضوان الله تعالى عليهم أجمعين واستشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في داره سنة خمسة وثلاثين في أوسط أيام التشريق وصلى عليه الزبير وكان أوصى اليه ودفن في حش كوكب بالقيع وهو أول من دفن به والاش بالحاء المهملة والشين المعجمة البستان وضم الحاء أجود من كسرها وكوكب بجرجل من الإنصار وروى الخلافة إحدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومدة حصاره في داره إلى أن قتل سبعة وأربعون يوما وقيل شهران وعشرون

يوما واستشهد وهو يومئذ صائم وهذا يريد كون قتله بعد أيام التشريق أو قبل
 قد قيل كان قتله ثمان عشرة خلت من ذي الحجة أو سبع عشرة وفيل له
 خلون منه يوم النروية وقبل ليلتين بقيتا منه وقدم في جامع الاصول وفي اثر
 السام انه قتل في ثمانية عشر من ذي الحجة واختلف في من باشر قتله ف
 كثير انه لا يعرف قاتله وقيل الاسود التميمي من اهل معرو قبل جيلة بن الاعم
 من مصر ايضا وقيل سودان بن حمدان وقيل رومان الياني وقيل سواد بن وردان
 وقيل رومان بن مريحان رجل أزرق قصير وقيل قتله رجل من اهل مصر يقال
 له حمار أزرق أشهر وقيل قتله اثنان وقيل غير ذلك وله يومئذ من المصراة ثمان وعشرون
 سنة وقبل ثمان وعشرون وقبل تسعون ويزعم انه كان المصحف بين يديه يقرأ في
 فوتمت قلعة من دمه أو قطرات على قوله تعالى (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم
 وأخرج الحاكم عن الشعبي رحمه الله قال ما سمعت من مراتي عثمان أحسن من قول
 كعب بن مالك رضي الله عنه

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن ان الله ليس بقاتل

وقال لاهل الدار لا تتكلم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم الـ مداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس اذ بار الرباح الجوافل

وأخرج الامام أحمد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه انه دخل على عثمان رضي
 الله عنه وسر محتضر فقال انك امام العامة وقد نزل بك ما ترى واني اعرض عليك
 خصالا ثلاثا اختر احدها ان تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وانت على
 الحق وهم على الباطل واما ان تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتعد على
 رواحلك فتلحق بمكة فإنيهم لن يستحلوك وانت بها واما ان تلحق بالشام فان اهل
 الشام فيهم معاوية فقال عثمان رضي الله عنه فاما ان اخرج فاقتل فلن اكون أول من
 حالت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء واما ان اخرج الى مكة
 فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يلحد رجل من قريش بمكة يكون
 عليه نصف عذاب العالم» فلن اكون انا واما ان ألحق بالشام فلن أقارب دار

هجرتي وبجأورة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور التميمي قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا اني لرابع أربعة في الاسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحني الأخرى و اتعنت وما تمتعت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعنق فيها رقبة الا أن لا تكون عندي فاعتقها بعد ذلك ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ولا زينت في جاهلية ولا اسلام ولقد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضم الى هذه العشرة تجهيزه جيش العسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم لما جاءه بالمال وكان ألف دينار فقتلها في حجرة صلى الله عليه وسلم «ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم» مرتين رواه الترمذي وقال حديث حسن ويضم اليها أيضا ما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي عن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت يوم الدارحين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اثوني بصاحبكم اللذين ألّبأ عليّ فجيء بهما فقال أنشدكم بالله والاسلام زاد رزين ولا أنشد الا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ما يستعذب الا بثررومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويحمل دلوها فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من مالي وأنا اليوم أمنع أن أشرب منها حتى أشرب من ماء المالح قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آكل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وأنا اليوم أمنع ان أصلي فيه ركعتين قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهازته قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون اني كنت على ثبير مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فتحرك الجبل حتى نساقت حجارتها بالحضيض فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيد قالوا اللهم نعم فقال الله أكبر شهدوا لي بالجنة

ورب الكعبة ثلاثا وفي رواية شهدوا لي ورب الكعبة أني شهد ثلاثا وفيه يقول
حسان بن ثابت رضي الله عنه

من سره الموت صرنا لا مزاج له فليات مادونه سيف في دار عثما
ضجوا بأشبه عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
أبسم من وشيكنا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثما
وعلى كل حال قتل عثمان رضي الله عنه ظلما لا محال وهو واحد العشرة
المشهودة لهم بالحنة واحد السابقين الأولين إلى الإسلام واحد الخلفاء الراشدين
وأحد المهاجرين المفريين وأحد أختان سيد الأولين والآخرين ومناقبه كثيرة
ومأثرة غزيرة وإياديه شيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى جميع أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم روي لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وأربعون حديثا منها في العجيبين
سنة عشر اتفاقا على ثلاثة وانفرد البخاري بثمانية وعلم بخمسة

وبعد فالفضل حقيقا فاسمع نظامي هذا للبطين الانزع

مجدد الابطال ماضي العزم منزع الاوجال وافي الحزم

وفي الندي مبدي الهدى سردي العدا

مجلي الصدى يا ويل من فيه اعتدى

(وبعد) بينما هم على الغم لحذف المضاف اليه ونية ثبوت معناه أي وبعد عثمان بن
عفان رضي الله عنه على القول الرجيع والمذهب الصحيح (فالفضل) الشامخ والقرب
الراسخ والحد الباذخ من سائر الامة واتفاق الائمة (حقيقا) أي في حقيقة الامر
غير شك ولا نكر (فاسمع) فل أمر بني على السكون وحرك بالكسر ثقافية مني
(نظامي) أي منظومي (هذا) الذي ادرجت فيه عقيدة السلف الصالح وضمت
ما يقتضيه كل محقق فالح ثابت ذلك الفضل ومستقر (الامام المهام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب (البطين الانزع) قال ابن الاثير في تهافته وفي وصفة علي

رضي الله عنه البطين الانزع أي العظيم البطن وفي حديث علي أيضا رضي الله عنه: أيت مبطانا وحولي بطون غرثي؟ المبطان الكثير الاكل والعظيم البطن ذكر ذلك على سبيل الاستفهام الانكاري والمراد بكونه بطينا ان باطنه عظيم لتضلمه من العلوم والمعارف والمراد بالانزع المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين والنزعتان عن جانبي الرأس مما لا شعر عليه قال في النهاية كان الامام علي رضي الله عنه أنزع الشعر له بطن وقيل معناه الانزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان ﴿مجدل الابطال﴾ قال في القاموس جدله فأنجدل وتجدل صرعه على الجدالة كسحابة الارض مطافا أو ذات رمل دقيق وتقدم حديث «أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وان آدم لمنجدل في طينته» أي ملقى على الجدالة وهي الارض وفي حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وقف على طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وهو قتيل فقال اعز عليا أبا محمد أنت أراك مجدلا تحت نجوم السماء أي مرميا ملقى على الارض قتيلًا والابطال جمع بطل بفتح الموحدة والطاء المهملة وكشداد بين البطالة أو البطولة الرجل الشجاع سمي بذلك لأنه يبطل جراحته فلا يكثر بها أو يبطل عنده دما الاقران كما في القاموس ولا شك ان عليا رضي الله عنه قتل من الابطال عدة مثل الوليد بن عتبة يوم بدر وعمر بن عبدود يوم الخندق ومرحوب من ابطال خيبر وغيرهم وقوله في الماضي العزم في اشارة الى شدة قوته ووفور شدته والماضي من مضى في الامر مضاء ومضوا نفذ ومضى السيف أي قطع والمضو كالمضو المتقدم والعزم الجد والصبر ومنه قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقوله في مفرج في أي كاشف في الاوجال في يقال فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه والاولجال جمع وجل بفتح الواو والجليم الخوف ورجل وجل كفرح ياجل ويجل ويوجل وييجل بكسر أوله وجملا وموجلا كقعد ويجمع أيضا على وجلين والمرأة وجلة اشارة الى ما كانت عليه من كشف الغموم وتفريج الحسوم والاقدام في المواقف الصعبة والبروز الى الاقران المستصعبة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه

يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله « فبات الناس يدورون أي يخوضون ويتحدثون بينهم بمساها لما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنهم يرحون أن يمساها فقاتل أين علي بن أبي طالب قتل بشكي عينيه قال فارتلوا إليه فأتى به فيثق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية الحديث وقوله « وافي الحزم » إشارة إلى وفور عقله وغرارة فطنته وفضله والحزم ضبط الرجل أمره والحذر من فرائده مأخوذ من قولهم حزمت الشيء إذا شدته وفي الحديث « ما رأيت من نائصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من أحد » أي النساء أي اذهب لعقل الرجل المحترز في الأمور المستطهر فيها وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم سئل ما الحزم فقال « لتشتير أهل الرأي ثم تطيعهم » وفي القاموس الحزم ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة كالخزامة والخزومة يقال حزم ككرم فهو حازم وحزيم والجسم حزمة وحزماء وفي قوله « وافي » أي كثير « الهدى » أي السخاء والكرم يقال فلان يهدي على أصحابه أي يسحق كلبي الهاية وفي القاموس تندى سخي وأفضل كأندى فهو ندى الكف والنداء الثراء والشحم والمطر والبلل وشيء يتغلب به كالبخور وفي محل آخر أندى كثر عطاياه انتهى إشارة إلى غزارة كرمه وجزالة عطاياه وحزمه « ميسدي » أي مظهر « الهدى » أعني العلوم الغامضة والفهم الرائضة والهدى بصم الماء وفتح الدال المبهمة الرشاد والدلالة « مردي الهدى » اسم فاعل من أرداه إذا أهلكه وكسره وأوقع أعداءه في الردى واللفظ والهلاك « مجلي » أي مزيل ومفرق وكاشف « الصدى » أي العطش والظما والمراد به كاشف الكرب ومجلي الوب « ياويل » هذه يراد بها الدعاء بالحزن والمهلاك والمشفقة ومعنى النداء فيها أي يا حزن ويا مهلاك ويا عذاب احضر فذا وقتك وأوانك « من » أي إنسان مكلف من ذكر وأنثى « فيه » أي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب « اعتدى » بانتقاصه وانحطاطه عن منزلته الشائخة ودرجته لباذخة وهضم من حقوقه الطاهرة وفضائله الطاهرة أو غلا فيه غلوا خارجا عن لوره ونسب إليه ما ليس له من نحو الوهية كنفلة أهل الرضى أو نبوة أو فضيلة

علي من هو نفسه اعترف بأنه أفضل منه وقد أخرج البزار عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ان فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس به» ألا وأنه يهلك في اثنان محب يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يسمه شاكّي علي ان يبهتي ورواه أبو يعلى والحاكم أيضاً وأخرج الامام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي «أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضر بك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى يبل منه هذه» يعني لحيته - وقد ورد ذلك أيضاً من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم رضي الله عنهم وروى الطبراني وأبو يعلى بسند رجاله ثقات الا واحدا منهم وقد وثق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوماً من أشقى الاولين قال الذي عقر الناقة يا رسول الله قال صدقت قال فمن أشقى الآخرين قال لا علم لي يا رسول الله قال الذي يضر بك على هذه وأشار صلى الله عليه وسلم الى يافوخه فكان علي رضي الله عنه يقول لاهل العراق يعني عند ضجره منهم وددت انه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعني لحيته من هذه ووضع يده على مقدم رأسه وصح أيضاً ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لعلي لا تقدم العراق فاني أخشى ان يصيبك بهاذباب السيف فقال علي وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو الاسود الدؤلي فما رأيت كاليوم محارب يخبر بهذا عن نفسه

اذا علمت هذا فاعلم ان أمير المؤمنين علي الانزع البطين ابن أبي طالب واسمه عبد مناف وقبل اسمه كنيته ابن عبد المطلب واسمه شيبه الحمد قاله ابن اسحق وقيل عامر قاله ابن قتبية قال ابن عبد البر ولا يصح وكنيته أبو الحارث والحارث أكبر أولاده ويكنى أيضاً أبا البطحاء وأما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب أردفه حين أتى به من المدينة صغيراً فكان يقال له من هذا فيقول عبيدي وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي الخ النسب الشريف فعلي رضي الله تعالى عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميافي الاسلام وقد أسلمت وهاجرت وأمير

المؤمنين علي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالحق وأحد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مأمواة وصهره على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأحد السابقين إلى الإسلام
 وأحد العلماء الزمانيين والشهداء المشهورين والرهاد المدكورين والثلثاء
 المعروفين وأحد الحكماء الراشدين وأحد من جمع القرآن المس وأول خليفة من
 بني هاشم وأول السطس السعديين أسلم على رضي الله عنه قدما قال ابن عباس
 وأسن من مالك ويريد من أرقم وسلمان الفارسي وخاتمة من الصحابة رضي الله عنهم
 أنه أول من أسلم حتى نزل بعصم الإجماع عليه وقد ورد في ذلك عدة أحاديث وتقدم ذكر
 الصديق ما يجمع الأقوال على التحقيق ويدل لهذا ما قاله أمير المؤمنين رضي الله عنه ما
 بلغه افتحار معاوية فقال له لعله اكتب إليه ثم ألقى عليه رضي الله عنه قوله

محمد السبي أبي وصهري	وحجرة سيد الشهداء عني
وحمص الذي يمشي ويصحي	يطير مع الملائكة أس أي
وسنت محمد مكى وعمرى	موط لها يدي ولحي (١)
وسطا أحمد اساي مها	فأيكم له سهم كسبي
مسقةكم إلى الإسلام طرا	علاما ما ملعت أوان لحبي

قال الامام الخاط السبي ان هذا الشعر مما يحب على كل متوا في على

رضي الله عنه حفظه لعلم معارفه في الإسلام اسبي

واعلم ان مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثيرة
 ومآثره عريرة وفضائله شهيرة حتى قال سدا الامام أحمد رضي الله عنه ما جاء
 لاحد من الفضائل ما جاء لعلي رضوان الله عليه وكذا قال اسماء العاصي
 والساني وأبو علي اليسابوري لم رد في حق أحد من الصحابة الا ما يمد الحسن
 أكثر مما جاء في علي رضي الله عنه قال بعض العلماء وسب ذلك والله أعلم ان الله
 تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده مما اسلي به علي وما وقع من
 الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة واهصى ذلك نصح الامة بأشهاد تلك الفضائل

(١) قوله موط لها يدي وموط بالسين أي مخلوط وممزج دمه ولحمها

في ولديها اه مصححه

انحصل النجاة لمن تمسك به عن بلفته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من
 سمع من الصحابة تلك الفضائل وبشها نصحا للامة ايضا ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة
 من بني أمية بتنقيصه وسبه حتى على المنابر ووافقهم على ذلك الخوارج اشتغلت جهابذة
 العلماء والحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للامة ونصرة للحق
 وقد أخرج الساجي في الطيوريات عن عبد الله ابن الامام أحمد رضي الله عنهما قال
 سألت أبي عن علي ومعاوية فقال اعلم أن عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداءه وشيئا فلم
 يجدوا فجاءوا الى رجل قد حاربه وقاتله فاصروه كيادا منهم له رضي الله عنه وقال شيخ
 الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه الكل مقرر بأن معاوية ليس كفوا لعلي رضي الله
 عنهما في الخلافة ولا يجوز ان يكون معاوية خليفة مع امكان استخلاف علي لسابته
 وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله فانها كانت عندهم ظاهرة معروفة كفضل اخوانه
 أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولم يكن بقي من أهل السورى غيره وغير سعد لكن
 سعدا كان قد ترك هذا الامر وكان الامر قد انحصر في علي وفي عثمان رضي الله
 عنهما فلما توفي عثمان لم يبق لها معين الا علي رضي الله عنه وانما وقع ما وقع من السر
 بسبب قتل عثمان رضي الله عنه وقال شيخ الاسلام ومعاوية لم بدع الخلافة ولم
 يبايع له بها حين قاتل عليا ولم يقاتله علي رضي الله عنه على انه خليفة ولا انه
 يستحق الخلافة ولا كانوا يرون ان يسدوا عليا بقتال بل لما رأى علي ان لهؤلاء
 شوكة وهم خارجون عن طاعته رأى ان يقاتلهم حتى يردوا الى الواجب وهم رأوا
 ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما باتفاق وقتله في عسكر علي رضي الله عنه وهم
 غالبون لهم شوكة وعلي رضي الله عنه لم يمكنه دفعهم لما لم يمكنه الدفع عن عثمان
 فرأوا من الآراء الفاسدة ان نبايع خليفة يقدر على ان ينصفنا ويبدل لنا الانصاف
 وكان في جهال الفرقيين من يظن بالامامين علي وعثمان رضي الله عنهما ظنونا كاذبة
 منهم من يزعم ان عليا رضي الله عنه أمر بقتل عثمان رضي الله عنه وكان علي رضي
 الله عنه يخلف وهو البار الصادق بلا يمين انه لم يقتله ولا رضي بقتله ولم يمالى على
 قتله قال شيخ الاسلام وهذا معلوم بلا ريب من علي رضوان الله عليه فكان
 اناس من محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه فمحجوبه يقصدون الطعن على

عثمان وانه كان يستحق القتل وان عليا امر بقتله ومبعضوه يقتلوهون السمن علي
 علي رضي الله عنه رآه أعين على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذي صبر نفسه ولم
 يدفع سها ولم يسدك دم ولم يفي الدمع عنه فكيف في طلب طاعته وأمثال هذه
 الأمور التي تنسب الى المشركين العنانية والمؤوية وكل من العائتين مقرر بأن
 معاوية ليس بكعوف لعلي رضي الله عنه ولي الخلافة ووقعت له المبايعة برا المعلن
 قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة فانه لما قتل عثمان جاء الناس بهرسون
 اليه فقالوا له نبايعك فقد يدك فلا بد للناس من أمير فقال علي رضي الله عنه ليس
 ذلك اليكم انما ذلك الى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد
 من أهل بدر الا أتى عليا فقالوا ما نرى أحدا أحق بها منك مسديك نبايعك
 فابعوه وهرب مردان وولده وجاء علي الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان
 قالت لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت
 عليا والناس بما صنع فدعا محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب
 قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله قد كرلي أبي قتلت عنه وأنا نائب الى الله
 سبحانه وتعالى والله ما قلته ولا أمسكته فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه أدخلها
 وذلك ان محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما دخل كما ذكر فأخذ باحبة عثمان فقال
 له عثمان رضي الله عنه والله لو رأك أبوك لسأله مكالك مني فتراخت يده ودخل
 عليه الرجلان فتوحياه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت
 امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت الى الناس فقالت
 ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبحا وبلغ الخبر عليا وطلحة
 والريبر وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبير الذي أتاهم
 حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وضرب علي الحسن ومصدر الحسين
 وشتم محمد بن طلحة وكان أرساهم يذبون عن عثمان وقال لابنيه كيف قتل وأنا
 على الداب وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله فهرع الناس اليه فابعوه جميعا وزعم
 بعض الناس ان طلحة والريبر اما بإيعا كل هين غير طائعين ثم خرجا الى مكة وأم
 المؤمنين عائشة بها فأخذها وخرجها الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا

فخرج الى العراق فالتقى طلحة والزبير ومن معهما وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى
الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا
وأقام علي رضي الله عنه بالبصرة خمسة عشر ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج
عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين
ودام القتال بها أياما فرجع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من
عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا ان يوافقوا رأس الحول بأذرح فينظروا في أمر
الامة فافترق الناس ورجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وبلغت القتلى
ثلاثين ألفا قال القرطبي في التذكرة وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر
وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر وقيل بل قتل في ثلاثة أيام وهي الايام البيض
ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين ذكره
الثقة العسدي أبو اسحق ومن تلك الايام ليلة الهرير جعل يهر بعضهم الى بعض
والهرير الصوت يشبه النباح لأنهم تراموا بالنبل حتى فئت وتطاعنوا بالرماح حتى
اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضبت حتى نزل القوم عشي بعضهم الى بعض
وقد كسروا أجفان سيوفهم وتضاربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد فلا يسمع
الاغممة القوم والديد في الهام ثم تراموا بالاحجار ثم جثوا على الركب فتحاتوا
بالنراب ثم تكادموا بالافواه وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وضلت
الاولوية والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات لان القتال كان من بعد صلاة
الصبح الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين كما
في تاريخ الامام أحمد رضي الله عنه وغيره وكان عدة أهل الشام الذين مع معاوية
مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا وكان أهل العراق الذين مع علي رضوان الله عليه
عشرين أو ثلاثين ومائة ألف ذكر ذلك الزبير من بكار واستشهد في صفين أبو
اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان مع علي رضوان الله عليه وكان عمار
يومئذ ابن ثلاث وتسعين سنة وكان قد سماه رسول الله الطيب المطيب فقد روى
الترمذي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال جاء عمار بن ياسر
يستأذن علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال «انذبوا له مرحبا بالطيب المطيب» قال

الترمذي حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أخبرني من هو خير مني أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار «تقتلك فئة باغية» وأخرجه مسلم أيضا من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار «تقتلك الفئة الباغية» وفي الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار «أبشر تقتلك الفئة الباغية» واستسقى يوم صفين فأني بقعب فيه لبن فلما نطرا إليه كبر ثم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آخر رزقي من الدنيا ضياح لبن في مثل هذا القعب ثم حمل فلم يثن حتى قتل أخرج الترمذي المسند منه وقال حسن صحيح والباقي ذكره رزين وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل ينفذ التراب عن عمار وهم يبنون المسجد النبوي ويقول «ويح عمار يدعوك إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال وجعل عمار يقول أعوذ بالله من الفتن وفي رواية «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوك إلى الجنة ويدعونه إلى النار» ولم يذكر البخاري هذه الزيادة يعني تقتله الفئة الباغية وهذه الزيادة صحيحة ثابتة وهي في صحيح مسلم وغيره وكذلك في بعض نسخ البخاري كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ومن رضي بقتل عمار رضي الله عنه كان حكمه حكما أي حكم الفئة الباغية التي قتلته ويروى أن معاوية تأول أن الذي قتلته هو الذي جاء به إلى ميون مقاتله فاقته إلا الذي أخرجه فالزمه علي رضي الله عنه بقوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه لتقاتل المشركين ولا يخفى أن حجة معاوية هذه أروى من بيت المنكوت ومن ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ولا ريب أن قول علي رضي الله عنه هذا هو الصواب انتهى ولا يرتاب ذرو الباب أن الحق والصواب مع أمير المؤمنين أبي السبطين وزوج سيدة نساء العالمين علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين

وأما معاوية رضي الله عنه فهو مجتهد فخطي وليس له يومئذ في الخلافة حق ومن ثم قال له أبو مسلم الحولاني أنت تنازع عليا في الخلافة وأنت مثله قال لا وأني لأعلم

انه أفضل ولكن ألسنهم تملدون ان عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه ووليه أطلب
 بدمه فأتوا عليا فقولوا له يدفع لقاتلة عثمان فأجاب معاوية أهل الشام فأرسل
 الى علي أبا مسلم يطلب بدم عثمان وأنه وليه وابن عمه فقال أمير المؤمنين علي
 يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكم المدعى عليهم عندي فأحكم بما أنزل الله
 فأبى معاوية حتى جرى ماجرى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان أهل الشام
 يسمون قتل عمار فتح الفتوح رقي قتله يقول الحجاج بن غزية الانصاري
 قال النبي له تقتلك شر ذممة سيطت لحومهم بالبغي فجار
 فالיום يعلم أهل الشام أنهم أصحاب ذاك ومنهم شبت النار
 وقال ابن عبدون في عمار رضي الله عنه

ومارعت لابي اليعقظان صحبته ولم تزوده الا الضيغ في العمر

قال في النهاية الضياح والضيغ بالفتح اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط وهو بفتح
 الضاد المعجمة وسكون التحتية فحاء مهملة وفي القاموس اللبن الرقيق المزوج وكذا
 الضياح بفتح الضاد المعجمة ولما رفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها قال
 علي رضي الله عنه نعم نحن أحق بالاجابة الى كتاب الله تعالى فقال القراء الذين
 صاروا بعد ذلك خوارج خوانا يا أمير المؤمنين ما ننظر الى هؤلاء الا نمشي عليهم
 بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف يا أيها الناس اتهموا رأيكم فأك
 الامر الى أن كتبوا بينهم كتابا ان يوافوا رأس الحول بأذرح كما تقدم فخرجت
 عن طاعة أمير المؤمنين الخوارج وهم القراء فقالوا كفر علي وكفر معاوية فاعتزلوا
 عليا رضي الله عنه ونزلوا حرورهم بضعة عشر ألفا فأرسل علي اليهم ابن عباس
 رضي الله عنهم فناشدهم الله ارجعوا الى خليفتكم فبم نقيم عليه أفي قدمة أو
 قضاء قالوا نخاف ان ندخل في الفتنة قال فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة العام
 القابل فرجع بعضهم الى الطاعة وقال آخرون نكون ناحية فان قبل القضية يعني
 التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين وان نقضها قاتلناه معه فصاروا
 حتى قطعوا النهر وافرقت منهم فرقة يقتلوا الناس فقال أصحابهم ما على هذا
 فارقنا عليا فلما بلغ أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه صفهم وكان متجهزا لقتال أهل

الشام بعد التحكيم فإن الناس اجتمعوا بأفروح في سبعين من سنة ثمان وثلاثين وحضر في هذه القضية سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة الذين اعترفوا بالثقة رضي الله عنهم فقدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري مكيداً منه فكلمهم فافتتح على خلق الاثنين علي ومعاوية وبصير الأمر شورى فمن رضى أهل بدر من المهاجرين والأنصار فهو الحليفة فتقدم أبو موسى فقال قد خلت علياً فقام عمرو فقال إن أبا موسى قد خلع علياً وإنني نصبت معاوية فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمراً ويقول أنك غدرت فرجع علي إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام وصار علي على خلاف من أصحابه حتى صار رضي الله عنه بعض على أصبه ويقول أعصى ويطاع معاوية وربما قال ويطاع ابن آكلة الأكباد إشارة إلى أكل هند بنت عتبة أم معاوية من كبد حرة رضي الله عنه يوم أحد فلما تبحر علي رضي الله عنه لقتال أهل الشام شعله أمر الخوارج وما أوفكيه من المناسد قتال لأصحابه أنسيرون إلى عدوكم أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم فقالوا بل فرجع إليهم فقال رضي الله عنه اسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة فكان كذلك فقال اطلبوا في القتلى رجلاً صفته كذا وكذا وذكر من نفعه إن له ثدياً كشدي المرأة فطلبوه فوجدوه على العت الذي ذكره أمير المؤمنين لهم فقال رجل الحمد لله الذي أنادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده إن منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «تورق مارقة على حين فرقة من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين إلى الحق» رواه مسلم في صحيحه فقتلهم علي رضي الله عنه وفرح على قتال الخوارج بخلاف وقعة الجمل وغيرها فإنه كان يظهر منه الحزن والكآبة والأسف ومن بقايا الخوارج القرامطة وهم الباطنية والاسماعيلية والملاحدة وأضرابهم

(غريبة تعجبية) ذكر الحلال السيوطي في تلخيص المرجان قال ذكر في كتاب نزعة المذاكرة من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حضرت مع علي بن أبي طالب رضي الله

عنه قتل الحرورية بالنهران فالتمس علي ذا الثدية فلم يجدوه فقال اطلبوه فوجدوه
بعد ذلك فقال علي رضي الله عنه من يعرف هذا فقال رجل من القوم نحن نعرفه
هذا قوس وأمه ههنا فأرسل علي الى أمه فقال لها من أبو هذا قالت ما أدري
الا اني كنت أرعى غنما لاهلي في الجاهلية بالمدينة ففشي شيء كثيرة الظالة فخلت
منه فولدت هذا انتهى تعي ان أباه من الجن وهذا غريب جدا والله أعلم

﴿ تنبيه ﴾

علم مما تقدم ان احق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمة أعني أبا بكر وعمر
وعثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم باتفاق أهل الحل والعقد كطاحنة والزبير
وأبي موسى الاشعري وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان ومحمد
بن مسلمة وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قال بعض
محققي علمائنا قد اتفق على بيعة علي رضي الله عنه عمار ومن حضر المدينة من
البدرين والانصار كاجتماع أهل السقيفة على بيعته أبي بكر رضي الله عنه قال
الحسن البصري رضي الله عنه والله ما كانت بيعة علي رضي الله عنه الا كيعة أبي
بكر وعمر رضي الله عنهم وقال أبو عبد الله بن بطانة من علمائنا كانت بيعة علي رضي الله
عنه (بيعة) اجماع ورحمة لم يدع الى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشرته
ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو
قدره ولقد أباهما فأجبروه وتقاعس عنها فأكرهوه وقال سيدنا الامام أحمد رضي
الله عنه ان عليا رضوان الله عليه لم تزنه الخلافة وانكن علي زانها وروى الشعبي
قال دخل اعرابي على علي رضي الله عنه حين أفضت اليه الخلافة فقال والله يا أمير
المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهي كانت أحوج اليك
منك اليها قال أبو عبد الله بن بطانة رحمه الله تعالى قد أحسن الاعرابي وصدق في ما قال
فان عليا ومن تقدمه من الخلفاء رضي الله عنهم زينوا الخلافة وجعلوا أمة محمد صلى الله
عليه وسلم وآعوا الدين وأظهروه وأسسوا الاسلام وأشهروه وأنشد الامام الحافظ
أبو الفرج ابن الجوزي في تبصرته في حق علي رضي الله عنه

ما زانه الملك اذ حواه بل كل شي به يزان جري فذات الملوك سبعا

فليس قدامه غيان قالت يده ذرى معال يعجز عن مثاها العيان
وفي شرح المقاصد عن بعض المتكلمين انعقد على بيعة علي رضي الله عنه
الاجماع ووجه انعقاده ما انحصر الامر فيه وفي عثمان زمن الشورى على انه
او لعثمان وهذا اجماع على علي رضي الله عنه لولا عثمان فلما توفي عثمان رضي الله عنه
بقيت على اجماع ومن ثم قال بعض محققي علماء الكلام لا اكتماث بقول من قال
لا اجماع على امامة علي رضي الله عنه وقد تقدم في كلام شيخ الاسلام ما ينههم
منه هذا المقام والله ولي الانعام

ولما قتل علي رضي الله عنه الخوارج بالهروان واستأصل جمهورهم ولم ينج
منهم الى القليل انتدب من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والحجاج بن
عبد الله الصريحي وياسر بن البرك ودادويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم
فاجمعوا رأيهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وان يكون قتلهم
في ليلة واحدة وهي ليلة سبعة عشر من رمضان او احدى عشر وقيل ليلة
احدى وعشرين من شهر رمضان وكان تعاقدهم وتماهدهم على ذلك بمكة المشرفة
فضمن ابن ملجم قتل علي وقيل له وكيف لك بذلك قال اغتائه وضمن البرك
قتل معاوية وضمن دادويه قتل عمرو بن العاص وزعموا ان هذه الثلاثة قد افسدوا
امر هذه الأمة ولو قتلوا لعاد الامر الى مستحقه كذا زعموا لعنهم الله تعالى
فتوجه كل واحد منهم الى صاحبه فاما البرك الصريحي فقدم على معاوية بدمشق
فغضبه فخرج أليته وهو في الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل منه فما أحبل النساء
بعد تلك الضربة واما دادويه بن حذافة العنبري فقدم مصر لقتل عمرو بن
العاص فانفق انه تلك الليلة استخاف على صلاة الفجر خارجة بن حذافة بن
خاتم بن عبد الله بن عوف بن عتبة بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب
القرشي العدوي شهيد فتح مصر وكان أمير ربيع المدد الذين أمدهم أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في فتح مصر وكان على شرط مصر في
أمره عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم قال في جامع الاصول
كان خارجة بن حذافة هذا أحد فرسان قریش فيقال انه كان يعدل بألف

فارس قاله ابن عبد البر وكان كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستدعه بثلاثة آلاف فارس فأمدته بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمزدد بن الأسود رضي الله عنهم. فراد الخارجي دأبوه قتل عمرو بن العاص فقتل خارجة بن حذافة فلما قتله الخارجي أخذ وأدخل على عمرو فقال الخارجي من هذا الذي أدخلتموني عليه قالوا عمرو بن العاص قال ومن قتلت قالوا خارجة فقال: أردت عمرا وأراد الله خارجة: فذهبت مثلا والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبيدون الاندلسي في قصيدته الرائية التي رثى بها بني الافطس ملوك بطليوس بقوله

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

واما أشقى الآخر بن عبد الرحمن بن ملجم اللعين فقدم الكوفة ولقي بها من اخوانه الخوارج فسارهم بما أراد فاشتري سيفا فيما زعموا بألف وسقاه السم حتى لفظه وكان في خلال ذلك يأتي عليا رضي الله عنه فيسأله فوقعت عينه على قطام بنت عاتمة من تيم الرباب وكانت خارجية ترى رأي الخوارج وكانت جميلة رائعة في الجمال فأعجبته فخطبها فقالت آليت ان لا أتزوج الا على مهر لا أر يدسواه فقال ما هو فقالت ثلاثة آلاف وعبد وجارية وقتل علي بن أبي طالب فقال والله ما آيت الا لآلتك به ولا أقدمني هذا المصر غير ذلك ولكن لما رأيتك أردت تزويجك فقالت ليس الا الذي قلت لك فقال وما يبغي منك اذا أنا قتلت عليا اعلم اني لم أفك فقالت ان قتله ونجموت فهو الذي أردت تبلغ شفاء نفسك ويهنيك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا فقال لهالك ما اشترطت ثم قال لعنه الله تعالى

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمم

فلا مهر أغلام من علي وان غلا ولا فلك الادون فلك ابن ملجم

فقال له ورأيت من يشد ظهرك فبعثت الى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقي ابن ملجم شبيب بن شعيرة الاشجعي فقال يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والاخرة فقال ما هو فقال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب فقال ثكلتك أمك لقد جئت شيئا إدا كيف تقدر على ذلك قاله انا رجل لا حرس له

ويخرج الى المسجد منفردا فتمكن منه وقد كما له في المسجد فقتله قال سعد بن
نعونا وان قتلنا فقد سعدنا بالدكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة فقال ويك
عليك ذوابقة في الاسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم وماتنشرح نفسي لله قتل
ويك انه حكم الرجال في دين الله وقتل اخواننا الصالحين فقتله ببعض من
قتل فلا تشكن في ذلك فأجابه وأقبل حتى دخلا على قطام وهي معنكة في المسجد
الأعظم في قبة ضربتها لنفسها فدمعت لما وأخذتا سيفيهما وجلسا قبالة السدة
التي يخرج منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فخرج الى مائة
الصبح فبدره شبيب فصر به فأخطاه وضربه عبد الرحمن على رأسه وقال الحكم قد يأملي
للك ولا لصحابك فقال علي رضي الله عنه فزت ورب الكعبة لا يفر منكم كتاب
وشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم ابن ملجم فأفروا له فقتله الميرة
ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطالب فرمى عليه قطيفة كانت عنده واجتهد
وضرب به الأرض وقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف من يده وحل من
حضر موت وصرعه وقعد على صدره فجعل الناس يصيحون عليهم بصاحب السيف
خاف المصري على نفسه فرمى بالسيف وانسل شبيب من بين الناس فأخذ ابن
ملجم فدخل به على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال ان أعش فالأمر لي
وان أمت فالأمر لكم فالفغو أو القصاص واجتمع الأطباء عنده وكان أبصرهم
بالطب أثير بن عمرو السكري وكان من أطباء كسرى فأخذت شاة حارة فنبع
عرقا منها فأخرجه فأدخله في جراحة علي رضي الله عنه ثم نفخ المرق فاستخرج
فاذا عليه ياض دماغ واذا الضربة قد وصلت الى أم رأسه فقال يا أمير المؤمنين
أعهد عهدك فأنت ميت وسمع ابن ملجم لعنه الله الرنة من الدار فقال له من
حضره أي عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال ابن ملجم
فعلى من تبكي أم كلثوم أعلى تبكي اما والله لقد اشتريت سبني بألف ومائة
أعرضه فما يعنيه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولقد
صربت ضربه لو قسمت على من بالشرق لانت عليهم ثم مات أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلة الاحد لتسع عشرة ممت من رمضان سا

أربعين وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وصلى عليه
الحسن ودفن بدار الإمارة بالكوفة ثم أحضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط
والبوازي وقطعت يده ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير الحديد محجمة ثم قطع لسانه
ثم أحرق في قوصرة وقيل أنه قطعت أطرافه لعنه الله ولم يتأوه بل (كان) يتلو القرآن
فلما أرادوا قطع لسانه امتنع من إخراجهم فتعبدوا في ذلك فقل له قطعت يدك ورجلك
فما تمنعت فما هذا التمانع عند قطع لسانك قال لئلا يفوتني من تلاوة القرآن شيء
واناحي فشقوا شذقه وأخرجوا لسانه بكلاب فقطعوه وكان عمر أمير المؤمنين
للمات ثلاثا وستين سنة كأبي بكر وعمر كعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
تعالى أعلم

ولما بلغ عائشة رضي الله عنها موت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قالت لتصنع العرب ما شاءت بعده فليس لها من ينهاها وكان عبد
الرحمن بن ملجم قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان من العباد
المعدودين قبل خروجه حتى يقال إن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله أن
يوسع دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس الفقه والقرآن ثم كان من شيعة أمير
المؤمنين علي رضي الله عنه وشهد معه صفين ثم فعل بعد هذا ما فعل فنسأل الله
حسن الخاتمة في عافية وعند الخوارج إن ابن ملجم أفضل الأمة وكذلك النصيرية
يعظمونه قال أبو محمد بن حزم يقولون أنه أفضل أهل الأرض لأنه خلص روح
اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره وعند الروافض أنه أشقى الخلق في الآخرة
قلت ولا يخفى أنه استحل قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بل عد قتل من
أعظم القرب وهذا كفر بلا ريب حتى إن عمران بن حطان الخارجي قبحه الله تعالى
قال يمدح ابن ملجم لعنه الله

يا ضربة من تقى ما أراد بها الأليبلغ من ذي العرش رضوانا
أني لا ذكره يوما فاحسبه أو في البرية عند الله ميزانا
وعارضه بعض أهل الحق بقوله

قل لابن ملجم والاقدار غالبه هدمت وملك للإسلام أركاننا

قلت أفضل من يجشي على قدم
واعلم الناس بالإيمان ثم بما
صهر النبي ومولاه وناصره
وكان منه على رغم الحسد له
وكان في الحرب سيفاً ماضياً كرا
دكرت قتله والدمع منحدر
أبي لأحسبه ما كان من بشر
أشقى مراد إذا عدت قبائلها
كهاقر الناقة الأولى التي جلبت
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تحمله
لقوله في شقي ظال مجترماً
بأضربة من تقي ما أراد بها
بل ضربة من غوي أورثته لطي
كأنه لم يرد قصداً بضربته
وما أحسن ما قل عمارة اليميني في الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم

أردت علياً وثماناً بمخلبا
ومن أراد التأمي في مصيبتيه
فلا يرى في رسول الله معتبر
واعلم أن مناقب علي رضي الله تعالى عليه كثيرة ومآثره شهيرة ولقد
فيه ابن عباس رضي الله عنهما كان لمي خدس قاطع في العلم وكان له الأدم
الاسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه في السنة والجد في الحزم
والجود في المال وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يثمد بالله من معضلة له
لما أبو حسن يعني علياً رضي الله عنه وأخرج الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الله
ابن الخوزي في تبصرته بسنده عن أبي صالح قال قال معاوية بن أبي سفيان
لضرار بن ضمرة صف لي علياً قال أوتعتني يا أمير المؤمنين قال بل تصف

قال أوتعفيني قال لا أعفيك قال أما إذا لبد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا وبحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يجهيننا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أئنه ويأتينا إذا دعوانه ونحن والله مع تقربه لنا وقربه منا لا نسكاه هبة ولا نبتدئه لعظمته كان إذا تبسم فعن مثل الأول المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطعم القوى في باطله ولا يبأس الضعيف من عدله فأشهد بالله رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته ينامل نمل السليم ويبكي بكاء الحزين فلكت في اسمه وهو يقول يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم لي تشرفت هيئات غري غيري قد بتك ثلاثاً لارجعة لي فيك ولا مشوية فعمرك قصير وعيشك حزين وخطرك كبير ويروي أنه قال حلالك حساب وحرامك عذاب ثم انشد رضي الله عنه

دنيا تخادعني كأني لست أعرف حالها مدت الي عينيها فردتها وشالها
حظر الآه حرامها وأنا اجنبت حلالها وعامها خداعة فركت جملتها لها

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكه وقد اخنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله أباً الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترق عبرتها ولا تسكن حسرتها وأنشد الحافظ ابن الجوزي في النبصرة من نظم الامام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووصف نفسه

إذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر

وان برقت في محل الصواب عياء لا يجليها البصر

مقنعة بغيوب الأمور وضعت عليها صحيح الفكر

لساني كشفتة الاربيحي أو كلسان الحسام الذكر

وفي الطيور يات قال قال رجل لعلي رضي الله عنه نسمةك تقول في الخطبة

اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فانور رقت عيناه قال
هم أحبائي أبو بكر وعمر اماما المهدي وشيخا الاسلام وجلا قريش والمقتدى بهما
بمذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي
الى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو في حزب الله

والامام علي أمير المؤمنين رضي الله عنه أول من وضع علم الحق قال أبو القاسم
الرجاجي في أماليه عن أبي الأسود الدؤلي قال دخلت على أمير المؤمنين فرأيت مفكرا
قلت فيم تفكر قال اني سمعت ببلدكم هذا الخنا فأردت ان أضع كتابا في أصول العربية
فقلت ان فعلت هذا أحييتا وبقيت فينا هذه اللة ثم أتيت بعد ثلاث فأتني الي صحيفة
فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى
والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل: ثم قال واعلم
يا أبا الأسود ان الاتيائه ثلاثة طاهر ومضمر وشي: ليس بظاهر ولا مضمر: ثم قال تتبعه
وانح نحوه وزد فيه: وهذا مشهور وما تحيط الدفاتر بالبحر الحضم والشئ الاعم
والسواد الاعظم فكل ما ذكرناه بالنسبة لما تركناه كقطرة ماء من بحر لجي أو
كرملة واحدة من رمال فجي وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة خماسة
وسبعة وثلاثون حديثا منها في الصحيحين أربعة وأربعون حديثا اتفقا منها على
عشرين وانفرد البخاري بسبعة ومسلم بخمسة عشر والله ولي التوفيق ثم قال في نظبه
﴿حبه كحبهم حتما وجب ومن تعدى أو قلا فقد كذب﴾

﴿حبه﴾ أي حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿كحبهم﴾
أي الخلفاء الراشدين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق الامام
المبجل على التحقيق المسمى بمبدأ الله والملقب بعقيق فمن أحبه فهو مؤمن ومن
بغضه فهو زنديق وكذلك عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق وكذلك عثمان بن
عفان الذي بكل مكرمة مر موق فان كنت مؤمنا فأحبهم جميعا وحتم ذلك على
نفسك وعلى كل أناء جنسك ﴿حما﴾ أي خالصا محكم الامر ﴿وجب﴾ على
جميع الامة بانفاق الأئمة لا يزوغ عن حبهم الا هالك ولا يروغ عن وجوب ذلك
الا آفك ومن ثم قال ﴿ومن﴾ أي أي مكلف من هذه الامة المحمدية ﴿تعدى﴾

في حبه أولم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة ﴿أوقلا﴾ هم أو أحدا منهم أي أبغضهم أو أحدا منهم يقال قلاه كرماء رفضه قلا وقلا إذا أبغضه وكرهه غاية الكراهة وتركه وهجره وقال الامام أبو المظفر عون الدين بن هبيرة القلي بغض بعد حب ﴿فقد﴾ الزاء في جواب من وقد حرف تحقيق ﴿كذب﴾ في كل واحدة من الخصماتين من تعديه في الحب أو بغضه لهم أو لأحد منهم رضي الله عنهم أجمعين

﴿تنبيهات﴾

(الاول) اعلم ان الواجب اعتقاده ان أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فهم الذين وليوا الخلافة التي هي النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المؤمنين من إقامة الدين وصيانة المسلمين بحيث يجب على كافة الخلق الانبعاث ويحرم عليهم المخالفة وقديين صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة بعده بأثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضواً فكانت مدة خلافتهم فأخرج الامام أحمد من حديث سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون من بعد ذلك الملك» ورواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الاربعة وأيام الحسن رضي الله عنهم وأخرج البزار بسند حسن من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أول دينكم نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً وجبرية ثبت بالنص ان مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكذا مدة سيدنا الحسن رضي الله عنه وكانت سنة أشهر وأياماً والله أعلم

(الثاني) ترتيبهم في الخلافة وهذا قول عامة أهل السنة من أهل الحديث والفقه والكلام من الاثرية والاشعرية والماتريدية وغيرهم قال الامام أحمد رضي الله عنه علي رضوان الله عليه رابعهم في الخلافة والتمصيل وقال من فضل عليا على أبي بكر وعمر أوقدمه عليهما في الفضلة الامامة دون النسب فهو رافضى مبتدع

فاسق ذكره القاضي أبو يعلى قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين فإن فصله يعني عليا رضي الله عنه سلى عثمان رضي الله عنه فكذلك يعني أنه يكون رافضيا مبتدعا فاسقا وفي رواية أخرى لا يكون رافضيا مبتدعا تفصيل علي على عثمان رضي الله عنهما وتبرأ الامام أحمد رضي الله عنه ممن ظلمهم أو أحاداهم اهـ

(الثالث) اعلم ان الذي أطبق عليه علماء الملة وعلماء الامة وروساء الاثمة ان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الصديق الاعظم أبو بكر ابن أبي قحافة ثم عمر الفاروق بن الخطاب رضي الله عنهما ثم اختلفوا فلا كثرون ومنهم الامام أحمد والامام الشافعي وهو المشهور عن الامام مالك رضي الله عنهم ان افضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفصيل علي على عثمان وقيل بالوقف عن التفصيل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبد الله الساردي عن المدونة ان مالكا سئل أي الناس افضل بعد نبيهم فقال أبو بكر ثم عمر ثم قال أوتي ذلك شك فقبل له وعلي وعثمان فقال ما أدركت أحدا ممن اقتدي به يفضل أحدهما على الآخر انتهى وقوله أوتي ذلك شك يريد ما سحره ان تفصيل أبي بكر وعمر على بقية الامة قطعي نعم حكى القاضي عياض عن الامام مالك انه رجع عن التوقف الى تفصيل عثمان قال القرطبي وهو الاصح ان شاء الله تعالى وقد نقل التوقف ابن عبد البر عن جماعة من السلف منهم الامام مالك ويحيى القطان وابن معين قال الامام يحيى بن معين ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفصله فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فصله فهو مذموم ومن ثم يعلم ان حكاية الاجماع على ان عثمان افضل من علي رضي الله عنهما مدخول بل الخلاف معلوم نعم معتمد محقق أهل السنة ان الخلفاء الراشدين في ترتيب الافضل على نسق ترتيب الخلافة وهذا مخصوص الامام أحمد وغيره من أئمة الاسلام لكن التفصيل في طرف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قطعي على المعتمد وقيل طي كما عند الباقلاني وغيره

(الرابع) سئل الامام أبو زرعة الوري العراقي عن اعتمد في الخلفاء الاربعة

الأفضلية على الترتيب المعلوم ولكن يحب أحدهم أكثر هل ياتهم أولا فأجاب بأن المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر ففى اعتقدنا فى واحد منهم أنه أفضل ثم أحبنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا نعم ان أحبنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض فى ذلك ولا امتناع فمن اعترف بأن أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ولكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه انتهى وعلى كل حال المحبة الدينية لازمة للأفضلية على حسب زيادتها ونقصها والله التوفيق

﴿ وبعد فالأفضل باقى العشرة فاهل بدر ثم اهل الشجرة ﴾

﴿ وبعد ﴾ أي بعد الخلفاء الراشدين ﴿ فالأفضل ﴾ من سائر الصحابة المكرمين ﴿ باقى العشرة ﴾ المشهود لهم بالجنة على لسان سيد العالمين وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وهم الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وضوان الله تعالى عليهم أجمعين

أحدهم أبو محمد طالحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي النسي وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد الحضرمي أخت العلاء الحضرمي أسلمت وأسلم طالحة قديما على يد أبي بكر الصديق وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان أنفذه مع سعيد بن زيد يعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء بدر وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ووقاه بيده فثلت أصبعه وجرح بومئذ أربعة وعشرين جراحة وقبل كانت فيه خمسي وسبعون بين طلعة وضربة ورمية كفاي

جامع الاصول وماء النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد طلحة الخدير وسماه يوم غزوه ذات المشيرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود وكان آدم كثير الشعر ليس بالحمد انقطع ولا بالبسط حسن الوجه دقيق العينين لا يغير شمره . قال رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس له شريقتان من بجادى الآخرة ست وست وثلاثين ويقال ان مروان بن الحكم قتله وقيل أصابه سهم في حلقه ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة وقيل اثنتان وستون يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين سبعة المتفق عليه منها حديثان وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة وروى عنه السائب بن يزيد وعبد الرحمن بن عثمان ابن عبيد الله التيمي وأبو عثمان النهدي وقيس بن أبي حازم وموسى بن طلحة وغيرهم

(الثاني) أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الاسدي وأمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو ابن ست عشرة سنة فطلبه عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم يفعل وهاجر الى أرض الحبشة المجرتين وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وهو أول من سل سيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكان أبيض طويلا ويقال لم يكن بالطويل ولا بالقصير يميل الى الخفة في اللحم ويقال كان أسمر خفيف العارضين قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ودفن بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره بها مشهور يجتمع سبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين تسعة المتفق عليه منها حديثان وباقيها للبخاري روى عنه اسامه بن عبد الله وعروة وغيرهما وهو أحد الشجعان المشهورين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الثالث) أبو اسحق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب ويقال

أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي
 الزهري وأمه حمة بنت سفيان وقيل بنت أبي سفيان بن عبد شمس بن عبد مناف
 أسلم قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال
 كنت ثالثا في الاسلام وأنا أول من رى بهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قصيرا غليظا ذاهما شثن الاصابع آدم افطس
 أشعر الجسد وفداه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بأبويه أي قال له «أرم فذاك
 أبي وأمي» مات رضي الله عنه في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب
 الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة من قبل
 معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين وله بضع وسبعون
 سنة وقيل اثنان وثمانون وهو آخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة وكف بصره
 في آخر عمره رضي الله عنه روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون
 حديثا منها في الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثا انقضا منها على خمسة عشر وانفرد
 البخاري بخمسة ومسلم بثمانية عشر روى عنه عبد الله بن عمر وجابر بن سمرة
 وعامر ومحمد ومصعب بن وهاب وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن المسيب وأبو
 عثمان الزهدي وقيس ابن أبي حاتم وغيرهم

(الرابع) أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وباقي
 نسبه معروف من نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي وأمه فاطمة
 بنت بعجة بنتح الموحدة وسكن العين المهمله والجيم ابن أمية بن خزاعة أسلم
 قديما قبل ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم شهد المشاهد
 كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فإنه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان
 خبر عير قریش كما تقدم آفقا وضرب لها النبي صلى الله عليه وسلم بسهميهما في
 الغنمية والاجر كان آدم طويلا أشعر مات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها
 ودفن بها سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل
 مات بالكوفة ودفن بها يجتمع مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي روي
 له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعون حديثا منها في الصحيحين

ثلاثة المتفق عليه منها اثنان راثالث للبخاري

(الحامس) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن
 رهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري كان اسما
 في الجاهلية بعد عمرو قساة النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وأمه الشفاء بنت
 عوف بن عبد الحارث بن زهرة أسلمت وهاجرت وفي الزهر البسام اما صفية بنت
 عبد مناف بن زهرة ويقال الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء بنت عوف وأسلم
 هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهاجرا الى الحبشة المجربة
 وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد وعلى
 النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته . كان ملو بلا رقيق البشارة
 أبيض مشربا بحمرة ضخم الكفين أفتى وقيل كان ساقط الثنيتين أعرج أصيب
 يوم أحد وجرح عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فخرج . ولد بعد
 الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة
 وقيل خمس وسبعون سنة ويأتي نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة
 روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وستون حديثا منها في الصحيحين سبعة
 أحاديث المتفق عليه منها حديثان وبقايا للبخاري روى عنه ابن عباس وأبوه إبراهيم
 وبجالة بن عبد وغيرهم رضي الله عنهم

(السادس) أمين الامة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال
 بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري
 أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجرا الى الحبشة المجربة الثانية وشهد المشاهد كلها
 مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد ونزع الحاتين التين دخلنا
 في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حاق المنفر بفيه فوقعت ثنيته
 فكان أحسن الناس همتا كان رضي الله عنه طولا معروق الوجه خفيف الاحية مات
 في طاعون عمواس بالاردن سنة ثمان عشرة ودفن هناك وقبره مشهور يزار
 ويترك به زروبي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا ولم يخرج
 له البخاري في صحيحه شيئا ولا أخرجه له مسلم الا في حديث العنبر من رواية أبي

الزبير عن جابر بن عبد الله رضي عنهم وهو قوله يعني قول أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى تام فسموه حديثاً فهو لا العشرة المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطاح في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» رواه الترمذي وأخرج أبو داود والترمذي عن رباح بن الحارث قال كنت قاعداً عند فلان في الكوفة في المسجد وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعده على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس ابن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد من سب هذا الرجل فقال يسب علياً فقال لا أرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسهون عندك ثم لانسكر ولا تغير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأني لغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيت «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطاح في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» وسكت عن العاشرة لولا أن هو العاشر قال سعيد بن زيد يعني نفسه ثم قال يعني سعيد بن زيد رضي الله عنه: والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغفر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمرو بن زاذرن ثم قال لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله تعالى أن لا ينقطع الاجر عنهم إلى يوم القيامة والشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم ولفظ الترمذي: أشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قال: عبد الله بن ظالم المازني قلت أي لسعيد ابن زيد رضي الله عنه من التسعة فذكرهم قلت ومن العاشر فتلكاً هنية ثم قال أنا والترمذي في رواية أخرى عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «عشرة في الجنة فعد التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم نشدك الله يا أبا الأعور من العاشر قل: نشدوني بالله أبو الأعور في الجنة: أبو الأعور هو سعيد بن زيد والاحاديث في هذا المعنى كثيرة ويكفي ما أخرجه الترمذي عن عقبة بن علقمة

البشكري قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول يعني بعد وقعة الجمل
سمعت اذني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول طلحة والزبير جارايس
في الجنة. وبعد المشرة أي الذين يلونهم في الافضلية

﴿ مأهل ﴾ غزوة ﴿ بدر ﴾ المعظمي وهي البطشة الكبرى ويقال لها بدر القتال ويوم
الفرقان كما رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهي التي أعز الله بها الاسلام وقم
بها عبدة الاصنام وبدر قرية مشهورة ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة
على نحو اربعة مراحل من المدينة النبوية قبل نسبت الى بدر بن عجلون النخعي بن
كنانة وقيل الى بدر بن الحارث وقيل الى بدر بن كلفة وقيل بل بدر اسم للبر
التي بها سميت بذلك لاستدارتها أولصاعها فكان البدر يري فيها وقيل بل هو سلم
على البلد المذكورة كغيرها من أسماء البلاد قال البهوي وهو قول الأكثر وكانت
وقعة بدرتها الجمعة لسمع عشر خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان عدد
للمسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله
عنهما قال كما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب
بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزوه معه الا مائة من بضعة
عشر وثلاثمائة وفي حديث أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه عند ابن جرير
وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ننتدفعه فاذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مدتنا فسر بذلك وحمد الله تعالى وقال عدة أصحاب طالوت وروى الامام أحمد
وابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي وأبو عوانة وابن حبان من حديث
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم ثلاثمائة وضة عشر ولفظ مسلم تسعة عشر
رحلا ونظر الى المشركين فاذا هم الف وزيادة الحديث وروى البزار بسند حسن
عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كانت عدة أهل بدر عدة أصحاب
طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر وفي المتنح ثلاثة عشر بدل سبعة عشروفي

الصحيح عن موسى بن عقبة عن الزهري قال جميع من شهد بدرا من قريش من ضرب له سهمه أحد وثمانون مع أن البخاري واسحق بن راهويه أخرجا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان المهاجرون يوم بدر نيفا على السنين والانصار نيفا وأربعين ومائتين قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذين الحديثين ان حديث البراء في من شهد بدرا حسا وقول الزهري في من شهد بها بالعدد حكما من ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له سهمه وأجره او المراد بالعدد الاول الاحرار والثاني بانضمام مواليهم واتباعهم واذا انحرح هذا فجميع من شهد القتال ثلاثمائة وخمسة أو ستة ففقد عد ثمانية أنفس من أهل بدر ولم يشهدوها وانما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم اكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان وطلحة ومسيعة والحارث بن حاطب والحارث بن الصمة وخوات بن جبير وعاصم بن عدي وأبولبابة رضي الله عنهم واستشهد من المسلمين في وقعة بدر أربعة عشر نفسا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي الله عنهم أجمعين وقتل من الكفار سبعون واسر سبعون وقدرى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن الثمانية عشر الذين قتلوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى ارواحهم في الجنة في طبر خضر تسرح في الجنة فينبأهم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول عبادي ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد ارواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقني رضي الله عنه وكان من أهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال كذلك من شهد بدرا من الملائكة وروى نحوه الامام أحمد من حديث رافع بن خديج قال الحافظ ابن الجوزي في جامع المسانيد كذا وقع في مسند الامام أحمد والظاهر أنه غلط من بعض الرواة وانما هو حديث رافع بن رفاعة الزرقني لا ابن خديج ويحتمل أن يكون سمعه ابن خديج من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الامام أحمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية

وروى أبو داود وابن ماجه والطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وروى الامام احمد عن أم الامين حفصة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اني لأرجوان لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرًا والحديبية» قالت قلت أليس الله تعالى يقول (وان منكم الا واردة) قالت فسمعت يقول (ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وأخرج مسلم والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه ان عبداً خاطب جاء بشكرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا فقال يا رسول الله ليدخان خاطب النار فقال «كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرًا والحديبية» وفي الصحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة كتاب خاطب وان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» أو قال - قد وجبت لكم الجنة وفي المعنى أحاديث غير ما ذكرنا

﴿تأنيبه﴾

قد استشكل جمع قوله «اعملوا ما شئتم» فان ظاهره انه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع واجيب بانه إخبار عن الماضي أي كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده انه لو كان لا يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي ولقال فأسغره لكم وتعقب بأنه لو كان لا تنبي لما حسن الاستدلال به في قصة خاطب لانه صلى الله عليه وسلم خاطب بذلك عمر رضي الله عنه منكر عليه ما قال في أمر خاطب وهذه القصة كانت بعد بدر يستسبب فدل على ان المراد ما سيأتي وأورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه فان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال لحاطب قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانتاب وتكتب الى قريش تحذروهم دعني يا رسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك يا عمر أن الله عز وجل اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فاغرورقت عينا سمر وقل الله ورسوله أعلم حين سمعه

يقول في أهل بدر ما قال وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا عدوي وعدوكم أولياء - إلى قوله - والله بما تعملون بصير) وقيل ان صيغة الامر في قوله اعملوا للتشريف والتكريم فالمراد عدم المؤاخذة بما يصدر عنهم وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم - اللفظة وتأهلوا لان يغفر لهم الذنوب اللاحقة أي كلما عملوا به بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور وقيل المراد ان ذنوبهم تقع اذا وقعت مغفورة وقيل هي شهادة بعدم وقوع الذنوب منهم وفيه نظر ظاهر لما ثبت في قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه متأولا فحده عمر ثم هاجره بسبب ذلك فرأى عمر في المنام من يأمره بمصالحته وكان قدامة بدريا والذي يفهم من سياق القصة الاحتمال الثاني وافق العلماء على ان البشارة المذكورة فيما يتعلق باحكام الآخرة لا فيما يتعلق باحكام الدنيا من اقامة الحدود ونحوها والله أعلم على أنه زعم أناس ان قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية وفيها) فأعقبهم نفاقا (الآية نزات في ثعلبة ابن حاطب أو ابن أبي حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عوف الانصاري الاوسي وقد ذكره من البدرين وقد عده الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب من أهل بدر ثم عده في الكتاب المذكور من جملة المنافقين ثم قال قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين قال ابن الجوزي وقد كان فيهم من شهد بدرا فتغيرت حاله كثعلبة ومعتب بن قشير فعوذ بالله من الخذلان انتهى وقال ابن الكلبي ان ثعلبة البدرى قتل باحد وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة في ترجمة ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الانصاري ذكره ابن اسحق في من نبى مسجد الضرار قال الحافظ ابن حجر وفي كون صاحب القصص انصح الخبر ولا نكذه يصح هو البدرى المذكور قد تغير وقد تأكدت المغارة بينهما بقول ابن الكلبي ان البدرى استشهد باحد ويقوي ذلك أيضا ان ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية المذكورة

بني ارمهم من عاهد الله. قال نزل ذلك في رجل يقال له ثعلبة بن أبي حمزة من
الانصار أني محمداً وأشهدهم قتالاً بيني وآتانا الله من فضله: الآية قد ذكر
القصة مطولة فقال إنه ثعلبة بن أبي حاطب والسدي المنقوا على أنه ثعلبة بن
حاطب وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قل لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية
وحكى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون
بهذه المثانة كيف يعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل قالوا لا والله غيره
والله تعالى أعلم

(ثم) بعد أهل بدر قال فضيلة (أهل) بيعة الرضوان تحت (الشجرة) الممهودة ونسب شجرة البيعة وشجرة الرضوان وهي شجرة خضراء سرة
بفتح الميملة رضم الميم من شجر العالج وهو نوع من العضاء أو من سدر كما
رواه مسلم عن جابر ولما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بلغه أن ناساً يذهبون إلى الشجرة فيصلون تحتها ويتبركون بها فأمر رضي الله عنه
بها ففعلت وأخي مكانها خشية الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت
لما أمن من تعظيم أهل الجبل لها حتى ربما أفضى بهم جهلهم إلى أن بها قوة تقع
وضر كما هو مشاهد من شأن الناس في هذه الأريمان ومذ أزمان من تعظيم ما هو
دونها من الشجر والبقاع ومن ثم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كانت رحمة من الله يعني إخفاءها بعد ذلك أو كانت موضع رحمة من الله وعمل
رضوانه لا نزاهة الرضى على المؤمنين عندها

وقيل أهل أحد المقدمه والأول أولى للنصوص المحكمه

وقوله (وقيل أهل) غزوة جيل (أحد المقدمه) أي في الزمن والافضلية إشارة إلى أن
الاصح الافضل أهل بدر فاهل أحد فاهل البيعة وقوله (والأول) وهو تقديم أهل
البيعة في الافضلية على أهل غزوة أحد (أول) وأحق وأحرى بذلك وذلك (إ) و
ورد (النصوص المحكمه) من الكتاب والسنة من أحاديث نبي الرحمة صلى الله عليه
وسلم وكانت غزوة أحد في نصف شوال سنة ثلاث أول نهار السبت وفي الفتح لأحدى
عشر خلت منه وقيل تسع وقيل ثمان وقيل سبع وأحد بعم المدة والماء والليل

المهملتين هو جبل أحد ليس بذئ شخاب بينه وبين المدينة أقل من فرسخ وهو في شمالها إلى الشرق روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه وابن أبي شبة والطبراني بسند جيد عن سويد بن عامر الأنصاري والبخاري عن أبي حميد الساعدي والبخاري عن سهل بن سعد والطبراني عن أبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له «أحدًا جبل يحبنا ونحبه» وتكرره صلى الله عليه وسلم هذا القول مرارًا وفي الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعاً «أحد ركن من أركان الجنة» قال ياقوت أحد اسم منجبل لهذا الجبل وقال السهيلي سمي أحدًا لتوحيده واتقطاعه عن جبال آخر هناك أولما وقع من أهله من نصرة التوحيد ولا أحسن من اسم مشتق من الاحدية وأهله هم الأنصار نصرُوا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا وميتًا إذا علمت هذا فظاهر كلام متكلمي الأشاعرة أن أهل غزوة أحد يلون أهل بدر في الافضالية وكان عدة أهل غزوة أحد بعد انخزال ابن أبي سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف وعد من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون رجلاً منهم أربعة من المهاجرين وهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبد بن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الأنصار وزاد بعضهم من المهاجرين سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة وثقف بن عمرو الأسدي حليف بني عبد شمس وهذا يوافق ما رواه ابن حبان والحاكم عن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة والذي يظهر لي والله أعلم أنه أن أريد شهداء أحد فنعم والافيتحاج إلى توقف فنظن له فقد وردت الأحاديث في فضل شهداء أحد كقوله صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله والد جابر رضي الله عنهما «ما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفعتهم» رواه البخاري وأخرج ابن المنذر عن أنس رضي الله عنه قال لما قتل حمزة وأصحابه يوم أحد قالوا ياليت لنا مخبرًا يخبر أخواننا بالذي صرنا إليه من كرامة الله تعالى لنا فأوحى إليهم سبحانه وتعالى أنا رسولكم إلى أخوانكم فأُنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا - إلى قوله - لا يضيع أجر المؤمنين) وأخرج الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عباس رضي الله

عنها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصيب اخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أمهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وحسن مقبلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا وفي لفظه قالوا من يبلغ اخواننا انا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا يشكّوا عن الحرب فقال الله عز وجل اما أبلغهم عنكم فانزل الله تعالى هؤلاء الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) إلى آخر الآيات وروى نحوه عبد الرزاق في المصنف وابن أبي شيبة والامام أحمد في المسند ومسلم في الصحيح من حديث ابن مسعود وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد فإذا بلغ فرضة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعمة عتيق الدار» ثم كان أبر بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكذا عمر وعثمان رضي الله عنهما ولما أجرى معاوية رضي الله عنه العين فرت على الشهداء فأخرجهم طرايا تنثني أطرافهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فأميّطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم قل جابر رجل درأبت أبي في حضرة كانه نائم والتمرة التي كفن فيها كما هي وكان ذلك بعد أحد بست وأربعين سنة وأصابته المسحاة رجل رجل منهم وهو حمزة فانبعث الدم قتال ابن سعيد الخدري رضي الله عنه لا ينكر بعد هذا منكر وكانوا وهم يعمرون فيبعث عليهم من القبور ريح المسك وروى الحارث في مسنده عن سعد بن أبي وقاص والحاكم عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر أصحاب أحد يقول «أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي فنحس الجبل» (١) يعني شهداء أحد والاحاديث في ذلك كثيرة جدا

وأما أهل الشجرة بني أهل البيعة وهم أصحاب المدينة فقد وردت النصوص المحككة في فضاهم كما سنذكر طرفا من ذلك والمدينة بمحاء مضمومة فدا لهما

(١) في مجمع بحار الأنوار عن نهاية ابن الأثير : انه ذكر قتلى أحد فقال «يا ليتني غودرت مع أصحابي فنحس الجبل» هو بالضم أصل الجبل وسفحه تمي ان يكون استشهد يوم أحد

والدال مفتوحة فمؤحدة مكسورة فتحبة، مفتوحة بالتخفيف واتشد بد قال النحاس سألت كل من لذيت من أنق به من أهل العلم عن الحديبية فلم يختلفوا على قرأتها مخففة ونص في الباع على التخفيف وحكي التثنية عن ابن سيد في الحسم قول في تهذيب الناطع ولم أره لغيره وزعم بعضهم أن التثنية لم يسمع في فصيح وقول الامام النووي هما وجهان مشهوران قال البكري قريبة من مكة أكثرها في الحرم وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه والحديبية بئر قول حافظ ابن حجر يشير إلى أن المكان المسمى بالحديبية سمي بئر كانت هناك هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك وبينها وبين مكة نحو مبرحلة واحدة ومن المدينة سبع مراحل وكانت في ذي القعدة من السنة السادسة وكان عدة المسلمين الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أربعة عشر مائة وأكثر من ذلك ولعل الزائد على الألف وأربع مائة من الخدام والاتباع وأما نفس المقاتلة فاربعة عشر مائة وأما قول ابن اسحق كانوا سبعمائة فغلط لم يوافق عليه وكان سبب البيعة أن قريش لما صدت أنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن المسجد الحرام فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال له أذهب إلى قريش وأخبرهم أننا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارا وأدعهم إلى الإسلام ثم لما هان عثمان رضي الله عنه قد قتلته قريش فدعا الناس إلى البيعة وقال «لا نبرح حتى نأجز القوم» روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه واليقي عن عروة وابن اسحاق عن الزهري ومحمد بن عمر عن شيوخه قال سلمة رضي الله عنه بينما نحن نأكلون الزادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فخرجوا على اسم الله قال سلمة فسرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وفي صحيح مسلم عنه قال بايعته أول الناس ثم بايعته وسط الناس ثم بايعته آخر الناس والصحيح أن الذي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الناس في تلك البيعة أبوسنان الأسدي فقال بسط يدك يا بأك فقال صلى الله عليه وسلم علام تباهني قال على ما في نفسك قل وما في نفسي قال النبي اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهر لك الله أو أقتل فبايعه وبايعه الناس على بيعة أبي سنان وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الأخرى عن عثمان بن

عقان رضي الله عنه وقال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنهم لم يبين كذب الخبر يقتل عثمان رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وكانوا عشرة وذلك بعد البيعة ثم كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا في الحديبية ألفاً واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله أيضا رضي الله عنهما وسلم عن ام بشر رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» وأخرج الامام أحمد أيضا بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لاهل الحديبية «لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولأمدكم» وسأل أبو الزبير جابراً كم كانوا يوم الحديبية قالوا كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمرأخذ يده تحت الشجرة وهي مسرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعير وقال بايعناه على ان لا نفر وعند ابن اسحاق قال جابر رضي الله عنه فكانني انظر اليه يعني الى الجد بن قيس لاصفا باسط ناقته قد ضبا اليها وهو يفتح الضاد والموحدة مهموزاً أي لختبأ بها يستتر بها من الناس فبايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وهذا الجد بن قيس الذي لم يبايع كان يرمى بالفراق وعده الحافظ ابن الحوزي في منتخب المنتخب من المواقين وقد نزل في حته في غزوة تبوك ما يشعر بذلك وهو ابن عمه البراء بن معرور وكان سيد بني حنيفة بكسر اللام في الجاهلية فسود النبي صلى الله عليه وسلم عليهم غمرو بن الجموح وقيل سود عليهم شر بن البراء بن معرور ومال اليه ابن عبد البر وأخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر» ومن ثم قال ابن عبد البر ليس في غزواته صلى الله عليه وسلم ما يدل بدراً أو يقرب منها الا غزوة الحديبية وقيل صاحب الجمل الاحمر غير الجد بن قيس يدل له ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي

بيده لقد غفر للركب أجمعين الا رويكبا واحدا على جبل أحر التفت عليه رجال القوم ليس منهم» وقال صلى الله عليه وسلم «كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر» قال أبو سعيد رضي الله عنه فطلب في العسكر فاذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل والرجل من بني ضرة من أهل سيف البحر يظن انه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقتل لسعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا فقال له سعيد ويحك اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك وقال جابر فقتلنا له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب الي من أن يستغفر لي واذا هو قد أضل بعيرا له فانطلق يطلب بعيره بعد ان استبرأ العسكر وطلبه فيهم فيضا هو في جبال سراوغ اذ زلقت به نعله فتردى فمات فما علم به حتي اكلته السباع وقصة هذا قبل البيعة اذ هذا ليس من عسكر المسلمين بخلاف الجند بن قيس والله اعلم

﴿تأسيهات﴾

(الاول) ظاهر كلام علما ان افضل الصحابة بعد العشرة أهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة اولا فأولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم رتب وهذا الذي قدمه ابن هجران في نهاية المبتدئين ثم ذكر ان امة محمد خير الامم وأفضلهم القرن الذي صحبوه وشاهدوه وآمنوا به وصدقوه ونصروه وأفضل القرن الذي صحبوه اربع عشرة مائة الذين بايعوا بيعة الرضوان وأفضلهم أهل بدر الذين نصروه وأفضلهم أربعون في الدار كنفوه يعني السابقين الاولين وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه وشهد لهم بالجنة ومات وهو عنهم راض وأفضل هؤلاء العشرة الخلفاء الاربعة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهذا موافق لما حررنا من تقديم أهل البيعة على أهل غزوة أحد فالتحقيق ان أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدر في الافضية لما قدمنا من النصوص ولان الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال في أهل غزوة أحد (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استنزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلِيم) وفي

الآية الاخرى (ثم صرفهم عنكم لينايكم واتدفعوا عنكم) فصرفهم في الموضعين
بالعنود ووصف أهل البصرة بالرضى وهو أصل وأسن وأصل من العنود وهو دا طاهر
والله تعالى أعلم

(الثاني) المراد بالسنة من الاولين الذين أعتقوا قبل الفتح وقولوا والمراد
بالفتح أمر الحديبية قال تعالى لا ينزي منكم من أعتق من قبل الفتح وقال
(أولئك أعظم درجة من الذين أعتقوا من بعد وقالوا) قال شيخ الاسلام ابن
تيمية في الفتاوى المصرية المراد بالفتح فتح الحديبية لما مع النبي صلى الله عليه
وسلم أصحابه تحت الشجرة وكان الذين تابعوه أكثر من ألف وأربع مائة وهم
الذين فتحوا خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل المارأحد تابع تحت الشجرة
وصورة الفتح أنزلها الله تعالى قل فبحسبكم وكانت الامة تحت الشجرة سبعة عشر
من المحجرة كما تقدم وبذلك الدليل الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين
المشركين في الحديبية حصل الفتح والخير الكثير الذي لا يعلمه الا الله تعالى مع
كوبه كل قد كرهه خلق من المسلمين ولم يعلموا ما فيه من حسن العاقبة ثم
فتح الله تعالى على نبيه وعواده المسلمين مكة في شهر رمضان من العام ثمان وكان
قد أنزل في سورة الفتح (ندخل المسجد الحرام ان شاء الله آمين محتلين رؤسكم
ومقصرين - على قولك محمل من دون ذلك فتحا قريبا)

(الثالث) المراد الافضية من حيث الحيلة ولا يلزم تفضل كل فرد مثلا
من المأخرين على كل فرد من المتقدمين وانما نقول الصحبة أصل من غيرها
ولا أحد من غير الصحابة يساوي أحدا من الصحابة وكذلك الهجرة وكذلك
كل ما امتازت به جملة على غيرها من غير خصم لافضل من الفضائل
والكمالات التي امتاز بها على غيره من غير تلك الخسبة التي فصله فيها غيره
كما يأتي بآب ذلك وتجربته والله أعلم

وعائشة في العالم مع خديجة في السبق فافهم المكتبة النتيجة
(وعائشة) الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أم المؤمنين وحيمة
رسول رب العالمين فقد عليها وهي بت ست سنين قبل الهجرة بستين وقيل ثلاثون في

بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الاولى وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة
وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة رضي الله عنه سنة ثمان
عشرة وخمسين فحسب رضي الله عنها وعن أبيها أفضل نساءه صلى الله عليه وسلم (في العلم)
النافع والمفهم الناصح فليأمن من الفضل في ذلك ما ليس لغيره من سائر أزواجه صلى الله عليه
وسلم حتى كان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم إذا
أتمكل عليهم أمر من الدين استغفروها فيجدون علمه عندها رقة وقع الخلاف بين علماء
السلف في التفاضل بينها وبين أم المؤمنين خديجة فتقدم البالبا في متأخري علماء التابعين
لابن حمدان في نهاية المبتدئين أن عائشة أفضل النساء وقال الامام موفق الدين أفضل
النساء خديجة قول المحقق ابن القيم في كتابه جلاء الافهام وقد اختلف في تفضيل خديجة
على عائشة على ثلاثة أقوال ثالثها الموقف قال وصلت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس روحه عنها فقال اختص كل واحدة منهما بخاصة وتولى هذا أشرت بقولي مع
خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أم المؤمنين وأول أزواج
رسول رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة
وبقيت معه الى أن أكرمه الله تعالى برسالة فأمنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير
صدق ومأنت قبل الهجرة بثلاث سنين في الاصح وقيل بأربع وقيل بخمس ولم
يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها غيرها وكل أولاده منها الذكور والاناث لابراهيم
عليه السلام فانه من سرية مارية القبطية فخديجة المذكورة أفضل نساء النبي
صلى الله عليه وسلم (في السابق) الى الاسلام وموازرة خير الانام قال شيخ
الاسلام في جوابه للمحقق ابن القيم خديجة كان تأثيرها في أول الاسلام وكانت
تسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبتته وتبذل دونه ما لها فادركت غرة الاسلام
واحتملت الاذى في الله وفي رسوله وكانت نصرته للرسول صلى الله عليه وسلم في
أعظم الحاجة فلما من النصر والبذل ما ليس لغيرها قال وعائشة رضي الله
عنها تأثيرها في آخر أوقات الاسلام فلها من النفقة في الدين وتبليغه الى الامة
وانتفاع بنبيها بما أدت اليه من العلم ما ليس لغيرها لعائشة رضي الله عنها في آخر
الاسلام من حمل الدين وتبليغه الى الامة وأدراكها من العلم ما لم تشركا فيه

خديجة ولا غيرها ما نيمرت به عن غيرها وقال المحدث في كتابه مدافع الموائد
 الخلاف في كون عائشة رضي الله عنها أفضل من فاطمة عليها السلام أو فاطمة
 أفضل إذا حُرر محل التفضيل لا يستقيم أي الخلاف فإن أريد بالتفضيل كثرة
 الثوب عند الله فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالصلاة بحسب تعادل أعمال السلوب
 لا بمجرد أعمال الجوارح وكما من عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه والآخري
 أرفع درجة منه في الجنة وإن أريد بالتفضيل التفضيل بالعلم فلا ريب أن عائشة
 أعلم وأنفع للامة وأدت من العلم ما لم يؤد غيرها ولتحتاج إلى علمها خواص الامة
 وعامتها وإن أريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة
 أفضل فإنها نعمة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه
 غير أخواتها وإن أريد السيادة فعاطمة سيدة نساء الامة وإذا تبين وجوه
 التفضيل وورد الفضل وأما ما صار الكلام به علم وعدل وأكثر الناس إذا تكلم
 في التفضيل لم يفعل جهات الغرض ولم يوازن بينها فيبجح الحق وإن أضاف إلى
 ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفصله تكلم بالجهل والظلم قال وقد مثل شيخ الاسلام
 ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفضيل الثاني وإلى
 هذا التفضيل اشرنا بقولنا **فاهم** فهم بتحقيق واذهان وتدقيق وإيقان **لم** بكثرة
 النتيجة أي ثمر فائدة الخلاف فإن الكثرة أثر قليل كالقطة شبه الأثر الذي يكون في
 المرأة والسيوف ومنه حديث الجمعة وإذا فيها نكتة سوداء أي أثر قليل كالقطة
 شبه لوسح وأصله من النكت بالحصى ونكت التراب والارض بالقصيب والنتيجة المراد
 بها هنا الحكم المتولد من القصيبين بالتفصيل في التفضيل وأصله من نتجت الباقية إذا
 ولدت وهي متوحة وانتجت إذا حملت وهي نتوج ولا يقال منتج ونتاج الباقية
 انتجها إذا ولدتها والحكم الناتج مما نحن فيه أن خديجة أفضل بحسب السبق
 والواردة وانفاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته وحمل المشاق بسببه ونحو
 ذلك وعائشة أفضل بحسب تحملها للعلوم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فإنها أحد
 المكثرين ونشرها لسنته صلى الله عليه وسلم ونعمها للامة فإنها كانت عالمة فقيهة فصيحاً
 فاضلة كثيرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عارفة بأمر العرب وأشمارها وفصائلهم

ومناقبها كثيرة لا تحصى ومجبة النبي صلى الله عليه وسلم أياها وتفضيلها على سائر زوجاته صلى الله عليه وسلم مما لا يخفى قال الامام المحقق ابن القيم في جلاء الافهام ومن خصائص خديجة رضي الله عنها ان الله سبحانه وتعالى بعث اليها السلام مع جبريل فبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ورواه مسلم أيضا وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها وأما عائشة رضي الله عنها فان جبريل سلم عليها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته قالت وهو يرى مالا أرى قال ابن القيم من خواص خديجة رضي الله عنها انها لم تسوء قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه ايلا ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهذه منقبة ومن خواصها انها أول امرأة آمنت بالله من هذه الامة ومن خصائص عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بغيرها وانها كانت ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها ولما نزلت آية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فخيرها وقال لها «فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبويك فقالت في هذا استأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت ومن أعظم خصائصها انها كانت أحب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه كما ثبت عنه ذلك في الصحيح والمسأنيد والسنن وقد قال صلى الله عليه وسلم «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» رواه البخاري ومسلم وغيرها ومن أعظم خصائصها ان الله تعالى برأها بمارماها به أهل الافك وأنزل في براتها وحيا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم الى يوم القيامة وشهد لها بانها من الطيبات فله من حصان عظمت فضائلها وجات مناقبها وورسخت قدمها في الدين وعظم شأنها عند سائر المسلمين واحتاج لعلها ائمة الصحابة وشهد لها أهل

التحقيق بالقدم والاصابة فقد أخرج الترمذي عن أنى موسى الأشعري رضى الله عنه قال ما أشكل عليا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت قضا وألعاثة لا وحدا بعد هامه لما قال الترمذي حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن أنس رضى الله عنه وصححه بن رحلا قال من عانته رضى الله عنه عدا عدا عمار بن ياسر رضى الله عنه قال أعرف من وحام وحام أنس بن حذيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الترمذي عن عبد الله بن رباب الأسدي قال سمعت عمار بن ياسر رضى الله عنه يقول هي روحني الدنيا والآخرة يعني عائشة رضى الله عنها وقال حدثت حسن صحيح وما قبلها كثيرة وفصلها عبرة رضى الله عنها وعن سائر أرواح رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصل في

في ذكر الصحابة الكرام عارفي لأحوالهم وبيان مراياهم على تبرهم والتعريف ما يجب لهم من المحبة والتحمل والبر والتمسك على سائر الامة وتصفح ن آدام وأشامهم والكف عما حرم عليهم مما لم يفتح عليهم وما فتح الله لأوليائه ساعة وإذا كن لأحد منهم هبات مع مكفرة مستهلكة في نفوسهم وحسبهم ومجاهداتهم ثم لا يبين لهم رحاب وطدا قال

﴿وليس في الامة كالمصحة في الفصل والمعروف والاصابة﴾

﴿وليس في الامة﴾ المصحة المصداق على سائر الامة المصداق، وعلى الله ما به راعى، أفضل ما حابه من المدكر الحكيم والدين القوم والضرط المسقط فيكون الصحابة أفضل حاق الله تعالى مد أنبياء الله صلى الله عليه وسلم في كماله الكرام الذين وأروا صحة خير الانام ما به أفضل اصالة واهم السلام وتقدم في صدر الكتاب تعريف الصحابة وطريق ثبوت الصحة وبيان مدله الصحابة وبيان مدلتهم ودرجاتهم ومقدمتهم المحول عند الامة ان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم مدلول بالكتاب والامة واحكام أهل الحق المعتبرين قال الله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قيل اتفق المسلمون ان ذلك في الصحابة لكن الخلاف في التاميم مشهور وروى

كثير عموماً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) وهذا خطاب للموجودين حينئذ وقيل تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات فليس في سائر الأمة المحمدية مثل الصحابة الكرام (في الفضل) بشاهد ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وهذا وإن ورد على نسب وهو ما جرى بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد رضي الله عنهما فاعبرة بعموم اللفظ ولا ينافي ذلك كون الخطاب لأصحابه فإن المراد لا يسب غير أصحابي ولا يسب بعضهم بعضاً فالمراد الهي عن حصول السب لهم مطلقاً وقوله لو أن أحدكم بالخطاب يمكن جملة على أن المراد من جاء من غيرهم ينزل نفسه منزلةهم وقد يأتي الخطاب لقوم تعريضاً لغبرهم كثيراً اعتماداً على القرائن وهذا الموضع منه والتصنيف أحد اللغات الأربع في النصف فإنه يقال نصف بكسر التون وفتحها وضمها ونصف بفتح التون وزيادة الياء والمعنى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك نفقة أصحابي مداً ولا نصف مد لأن اتفاقهم كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته وذلك معدوم بعده فتضمن ذلك أفضليتهم على غيرهم مطلقاً وإن فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم وفي الصحيحين وغيرهما عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خبر الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فما أدرى إذ كر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن - زاد في رواية - ويشلفون ولا يستحلفون» ورواه أبو داود ولفظه «خير أمتي أقرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم» والله أعلم إذ كر الثالث أم لا الحديث ورواه النسائي بنحوه ورواه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه وفيه والله أعلم إذ كر الثالث أم لا: وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يلع الخاضر الغائب الى الله في أصحابي لا يتخذونهم غرضا عدي فمن أحبهم فحبي أحبهم ومن أبغضهم فبغضي أبغضهم ومن آذهم متآذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك ان لا يفك» وأخرج الترمذي أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذا رأيتم للذين يسون أصحابي يقولوا لعنة الله على شركم» وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الربير يا ابن أخي أمرنا ان نستمعوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيبهم وأخرج الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض الابعث لهم نورا وقائدا يوم القيامة» وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «سألت ربي عن اختلاف أصحابي من عدي فأوحى الي به محمد ان أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور من أخذ شيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى» قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصحابي ككنجوم أبهم اقتدبتهم اهتديتم» ذكره في جامع الاصول

(و) ليس في الامة كالصحابة الكرام في (المعروف) وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله واتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما نذب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والممتنعات وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه والمعروف الصفة وحسن الصفة مع الاهل وتبرهم من الناس ضد المكار في ذلك جميعه وفي حديث «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة وقبل اراد من بذل جاهه لأصحاب البارئ التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى ذلك قول يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم وفي حسناتهم جملة فيعطونها ما زادت سيئاته على حسناته

فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان الى الناس في الدنيا والآخرة ولا يرئب أحد من ذوي الالباب ان الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات سبق واستولوا على مالي الامور من الفضل والمعروف والصدق فاسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقفى منهمجهم القويم والتميس من عدل عن طريقهم ولم يتحقق بتحققةهم فأى خطبة رشده لم يستولوا عليها وأى خصلة خير لم يسبقوا اليها تالله لقد وردوا ينبوع الحياة عذبا صافيا زلالا واطدوا قواعد الدين والمعروف فلم يدعوا لاحد بعدهم مثالا فتحو القلوب بالقرآن والذكر والايمان والقرى بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن فلا معروف الا ما عنهم عرف ولا برهان الا ما بعلمهم كشف ولا سبيل نجاة الا ما سلكوه ولا خير وسعادة الا ما حققوه وحكوه فرضوان الله تعالى عليهم ما تحلت المجالس بنشر ذكركم وما تمت الطروس بعرف مدحهم وشكرهم

﴿ و ﴾ ليس في الامة أيضا كالصحابه رضي الله عنهم في ﴿ الاصابة ﴾ للحكم المشروع والهدى المتبوع فهم أحق الامة باصابة الحق والصواب واجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال من كان مناسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم أبر هذه الامة قلوبا وأعمدةا علما وأقلاما تكلموا وأقروها هديا وأحسنها حالا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم فاسلمهم واتبعوا آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم فأحق الامة باصابة الصواب أبرها قلوبا وأعمدةا علوما وأقروها هديا من غير شك ولا ارتياب وروى أبو داود انطياشي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الله نظر في قلوب العباد فجاءه محمد بن عبد الله فوجد قلوب العباد فبعثه برسائله ثم نظر في قلوب العباد فجاءه محمد بن عبد الله فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبة نبيه ونصرة دينه فإرآه المسلمون حسا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح فخير قلوب العباد أحق الخلق باصابة الصواب فكل خير واصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم إنما عرفت لدينا ووصلت اليها من الرعييل الاول والسرب الذي عليه المعول فهم الذين نقلوا

(إعلام الموقعين) كان الملح به صلاح الطعام فالصواب به صلاح الانام فلو أخطأ الصحابة فيما أفترأ به لاحتاج ذلك الى ملح يصلحه فاذا أفترأ من بعدهم بالحق كان قد أصلح خطأهم فكان ملحا لهم انتهى أي والغال أنهم هم الملح المصلح فكيف يكون غيرهم مصلحا لهم فهذا خلاف ورؤى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا وأن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتهم ضلالا بعيدا قال في أعلام الموقعين ومن المحال ان يكون الصواب في غير طريق من سبق الى كل خير على الاطلاق وقال فيه أيضا من تأمل المسائل الفقهية والحوادث الفرعية وتدرّب بمسالكها وتصرف في مداركها وسلك سبلها ذللا وارتوى من موردها غللا ونهلا علم قطعا ان كثيرا منها قد يشبه فيها وجوه الرأي بحيث لا يوقف فيها بظاهر مراد أو قياس صحيح تنشرح له الصدور ويثليج له الفؤاد بل تعارض فيها الظواهر والاقيسة على وجه يقف المجتهد في أكثر المواضع حتى لا يبقى للظن رجحان بين لاسيما اذا اختلف الفقهاء فان عقولهم من أكمل العقول وأوفرها فاذا تلددوا وتوقفوا ولم يتقدموا ولم يتأخروا لم يكن ذلك وفي المسئلة طريقة واضحة ولا حجة لاثمة فاذا وجد فيها قولاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم سادات الامة وقدوة الائمة وأعلم الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم وقد شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم في العلم اليهم نسبتهم اليهم في الفضل والدين كان الظن والحالة هذه بأن الصواب في جهةتهم والحق في جانبهم من أقوى الظنون وهو أقوى من الظن المستفاد من كثير من الاقيسة هذا مما لا ينهري فيه عاقل منصف وكان الرأي الذي يوافق رأيهم هو الرأي السديد الذي لا رأي سواه واذا كان المطلوب في الحادثة انما هو ظن راجح ولو استند الى استصحاب أو قياس علة أو دلالة أو شبه أو عموم أو خصوص أو محفوظ مطلق أو وارد على سبب فلا شك ان الظن الذي يحصل لنا بقول الصحابي الذي لم يخالف أرجح من كثير من الضنون المستندة الى هذه الأمور أو أكثرها فظهر بهذا ان الصحابة رضي الله عنهم أولى الامة بالاصابة

فبأثبت عنهم فأنهم رضي الله عنهم كانوا أئمة فلو با وأتقى علما وأفضل فكيف
وأقرب إلى أن يقنوا بصواب من غيرهم لما خدمهم الله به من توفيق الأخذ
وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الأخذ وحسن الإدراك وسرعة نقله المرفوض
أو عدمه وحسن التصدد وتقوى الرب فلهذا رتبة طريقتهم وسمايتهم والمعاني
الصحيحة مكررة في فطرتهم وغنولهم ولا حاجة بهم إلى النظر في الاسناد وأحوال
الرواة وعلى الحديث والجرح والتعديل ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع
الاصوليين فقد أجمعوا عن ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران أحدهما قال الله
تعالى كذا وقال رسوله كذا والثاني معناه كذا وكذا وهم أسعد الناس بهاتين
المقدمتين وأحلى الأمة بهما فتوابع متوافرة بمنفعة شامخة وبالله التوفيق
ولهذا يقول في العظم

﴿ فأنهم قد شاهدوا المخار ﴾ وعابوا الاسرار والاثوار ﴿
﴿ وجاهدوا في الله حتى بانا ﴾ دين الهدى وقد سما الادبانا ﴿
﴿ وقد أتى في محكم التنزيل ﴾ من فضلهم ما يشفي للعيل ﴿
﴿ وفي الأحاديث وفي الآثار ﴾ وفي كلام القوم والأشعار ﴿
﴿ ما قدرنا من أن يحيط نظمي ﴾ عن بعضه فاقنع وخذ عن علم ﴿

﴿ فأنهم ﴾ أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان من الملك السلام ﴿ قد
شاهدوا ﴾ وصحبوا ﴿ المختار ﴾ مآل الإطلاق في المختار من سائر الانام عليه
أفضل الصلاة وأتم السلام ﴿ وعابوا ﴾ في صحبتهم لسي المختار ﴿ الاسرار ﴾ القرآنية
وعلموها من الحضرة النبوية وعلموا التنزيل وأسبابه والتأويل وآدابه ﴿ و ﴾
عابوا ﴿ الاموار ﴾ القرآنية والاشعة المصطفوية فهم أسعد الأمة بأصابة الصواب
وأحدر الأئمة بلم منه السنة والكتاب لفوزهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم
ومشاهدة نزول الوحي ومعرفة الآيات فلا يجاروا في علمهم ولا يباروا فيه
فهم فكل علم وفهم وخبر عنهم وصل وكل سعادة وسيادة وفهم من شأهم
وسببهم حصل فرصوات الله عليهم ما رين ذكرهم الدفاتر وشرف نشرهم

المبارك ﴿ وجاهدوا في سبيل الله ﴾ لاعلا كلمة الله وبذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله ﴿ حتى باننا ﴾ بألف الاطلاق أي ظهر ووضح واستعان في دين الهدى ﴿ أسى دين الاسلام الذي به الهدى والدلالة الموصلة والفوز والملاح وأشرق نور الاعتقاد وشعاع الوصول فلاح ﴾ وقد سما ﴿ أي علا دين الاسلام والله الحمد ﴾ الادبانا ﴿ أي سائر الاديان التي كانت قبله وتقدم تعريف الدين لغة واصطلاحاً فسائر الاديان غير دين الاسلام الذي جاء به سيد ولد عدنان منسوخة وكل عبادة لم يأت بها فني باطله ممسوخة كما قل تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال (ان الدين عند الله الاسلام)

﴿ وقد أتى في محكم التنزيل ﴾ من الكتاب العظيم والذكر الحكيم ﴿ من فضلهم ﴾ أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام ﴿ ما ﴾ أي الذي يعني من الآيات المحكمات والكلمات الباهرات ﴿ يشفي ﴾ من شفى يشفي أي يبري ﴿ للنايل ﴾ بالعين المعجمة كأمير المعاش أو شددته أو حرارة الجوف كما في التماموس والمراد ما يبني حرارة الجول بمقاماتهم الباذخة وينفي الوهم والنمل عن أطوار علومهم الراسخة كقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وكقوله (والسابقون الاولون) الآيات وكقوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقوله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله تعالى (يا أيها الناس آمنوا بالله وكونوا مع الصادقين) قال غير واحد من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أئمة الصادقين وكل صادق بعدهم فيهم يأتهم في صدقه بل حقيقة صدقه ابتداء لهم وكونهم مع وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أي أمة خياراً تدولاً فإن هذا حقيقة الوسط فهم خير الامم وأعدلها في أقوالهم وأفعالهم وأراد انهم ونبياتهم وبهذا استحقوا ان يكونوا شهداء

لرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه وإدراكه
نوره بهم ورفع دكرهم وأنتى عليهم وقول تعالى (وحاهدوا في الله حق جهاده هو
احتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين
من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الآية
الى غير ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الرحامية

(و) قد أنى أيضاً (في الأحاديث) السوية (وفي الآثار) السامية (و) قد
أتى (في كلام القوم) من المحدثين والمفتاه والصوفية وأهل المعارف والحقائق
والمهم الوفية والعلوم الشرعية والافهام الدكية (و) في (الاشعار) المرضية من
العرب والمولدين من مدحهم والثناء سلمهم (ما) أي شيء (قد رما) أي راد
وعلا رنما (من ان يحيط لطفي) في هذه الارحوزة ويصدق (عن بعضه) فضلاً
عن عاله وكله (فواقع) بما ذكرناه لك من الآيات البانه والاحاديث الثابتة
عن سيد بني آدم وصفوة جميع العالم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وخذ)
ذلك واعتمد عليه وصبره اليك واعتصم به واستند اليه فانه (عن علم) ويقين
وايضاح وتبيين ومعرفة وتمكين وقوله واقع من اقوع وهو الرضا بالسير من
العطاء وقد وقع يقع قوعاً وقامة بالكسر اذا رصى وقع بالفتح يقع قوعاً
اذا سأل ومعه حديث «انما كبر لا يبي» لان الاتفاق منها لا يقطع فكلاما
تعدر عليه شيء من أمور الدنيا وقع ما دونه ورصي وحديث «عن من وقع ودل
من طمع» لان النافع لا يبدله الطالب ولا يرال عرياً ولى كل حال فلا مقام يعدر
مقام اسوة أسطم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحة نبيه صلى الله عليه
وسلم ونصرة دينه القويم وصراطه المستقيم قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقدر (والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه من تأمل في ما ذكرنا
حق التأمل وأعطى المقام حقته نعماً من قسيح ما اتعدت الرادضة واصبح ما
ذهبت اليه من الإلحاد في آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الافك والمناقضة والمذر المذر من أدنى شائبة ترري تلك الماصب الشائخة

والعلوم الراسخة ولهذا نقول

﴿واحد من الخوض الذي قد يزري بفضلهم مما جرى لو تدري﴾
 ﴿فانه عن اجتهاد قد صدر فاسام أذل الله من لهم هجر﴾
 ﴿واحد﴾ حذر اذعان وتسليم مع سلامة صدر وامثال أمر النبي الكريم
 ﴿من الخوض﴾ المفضي الى التوسع والتعقيب والتبجح والتأنيب ﴿الذي قد يزري﴾
 وينقص ويحبط ﴿بفضلهم﴾ العلوم من الكتاب والسنة عند ذوي العلوم مما
 ذكرنا في ما تقدم شذرة صالحة منه ﴿مما﴾ أي من الاختلاف والخصام والتشاجر
 الذي ﴿جرى﴾ بينهم ﴿لو﴾ كذا ﴿تدري﴾ غيب ذلك الخوض المفضي
 الى توليد الاحن وحزازات القلوب والحقد على أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وذلك من أعظم الذنوب فانهم خير اقرون وهم السابقون الاولون
 وذلك أنه جرى بين علي ومعاوية وقبائلهم وبعدهما من المنازعات والمقاتلات
 ما لو صدرت من سواهم أو كانت من غيرهم لم تقصر عن التفسق فضلا عن غيره
 والجواب عن ذلك ما أشير اليه بقوله ﴿فانه﴾ أي النخصم والنزاع والقتال
 والدفاع الذي جرى بينهم كان ﴿عن اجتهاد قد صدر﴾ من كل واحد من
 رأسا للفرق ٧ ومقصد سائغ لكل فرقة من الطائفتين وان كان المصيب في ذلك
 للصواب ٧ واحدا وهو علي رضوان الله عليه ومن والاه والمخطي هو من نازعه وعاداه
 غير ان المخطي في الاجتهاد أجرا وثوابا خلافا لاهل الجفاء والعماد فكل ما صح
 مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجهه في عنهم الذنوب والآثام
 فقوله علي مع العباس رضي الله عنهما لا نفضي الى شين وتقاعد علي رضوان الله
 عليه عن مبايعة الصديق الاعظم في بدء الامر كان لاحد أمرين اما لعدم مشورته
 كما عتب عليه بذلك واما وقفا مع خاطر سيدة نساء العالم فاطمة البتول عليها
 السلام مما ظنت أنها ليس الامر كما هنالك ثم ان عليا بايع الصديق رضي الله
 عنهما على رؤس الاشهاد فاتحدت الكلمة والله الحمد وحصل المراد وتوقف علي
 رضي الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان اما لعدم العلم بالقاتل واما خشية زياد
 (٢ ش عقيدة السفاريني - ٤٧)

الفساد والظلمان وكانت عائشة وطالحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم و
 انبيهم مايس مجتهد ومقلد في جواز عمار به أمير المؤمنين سبدا أبي الحسين
 الأنزع الطين رضوان الله عليه وقد اتفق أهل الحق ان المصيب في تلك الحروب
 والتنازع أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه من غير شك ولا تدافع والحق الله
 ليس به نزول أنهم كلهم رضوان الله عليهم عدول لانهم مثاولون في تلك
 المحاصيات مجتهدون في هاتيك المقالات فانه وان كان الحق على المتمد عند أهل
 الحق واحد فالخطي مع بذل الوسع وعدم التقصير مأجور لا مأزور وسبب تلك
 الحروب اشتباه القضايا فشدت اشتباها احتلف اجتهدهم وصاروا ثلاثة أقسام
 قسم ظهر لهم باحتداد ان الحق في هذا الطرف وان مخالفه باع فوجب عليهم
 نصره الحق وقتال الماعي عليه فيما اعتقدوه فعملوا ذلك ولم يكن لمن هذه
 صفته التأخر عن مساعدة الامام العادل في قتال البعثة في اعتقاده وقسم عكسه سواء
 سواء وقسم ثالث اشبهت عليهم القضية فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين
 واعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لانه لا يحمل الاقضاء
 على قتال مسلم حتى يظهر ما يوجب ذلك وبالحمله فكلامهم معذورون ومأجورون
 لا مأزورون ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به في الاجماع على قبول شهادتهم
 ورواياتهم وثبوت عدالتهم ولهذا قل علماءنا كثيرهم من أهل السنة ومنهم ابن
 حمدان في نهاية المبتدئين بحسب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتمان
 وقراءة واقراء وسماعا وتسميعا ويجب ذكر محاسنهم والترضضي عنهم والمحبة لهم
 وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم انما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائح لا
 يوجب كفرا ولا فسقا بل ربما يثابون عليه لانه اجتهاد سائح ثم قل وقيل
 المصيب علي ومن قائله فخطاؤه معفو عنه وانما نهى عن الحوض في العلم
 لان الامام أحمد كان يسكر على من خاض ويسلم أحاديث الفضائل وقد تبرأ
 رضي الله عنه من ضلالمهم أو كمرهم وقال السكوت عما جرى بينهم وقال بعض المحققين
 البحث عن أحوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وعما جرى بينهم من المواقف
 والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس هو مما ينتفع

به في الدين بل ربما أضر باليقين وإنما ذكر العلماء منها تنفا في كتبهم صوة
 للخاصين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ورواياتهم ليتجنبها
 من لا يتصل إلى حقيقة علمها ولأن الخوض في ذلك إنما يصلح للتعليم والرد على
 المنعصين أو لتدريس كتب تشتمل على تلك الآثار فيأول ذلك وبينه للعوام
 لفرط جهلهم بالتأويل مع أن غالب أوكل ما يحكيه الرافضة موضوع وأكثره باطل
 مصنوع فلا جرم السلامة في انسابهم وكف اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم
 ولهذا قال ع قاسم من الخوض في تلك البحور واحذر من العثار في ذلك الغطش
 الذي يحور فإن من قارف الفتنة افتتن ومن تعرض بدينه للشبهات والشبهات اختبئ
 ثم إن التناظم دعا على طائفة الجفا والفجور وأهل الرفض والضلال ممن حاد
 عن الأمر المأمور فقال ع اذل الله ع سبحانه وتعالى وقد فعل ع من ع كل مبتدع
 من الرافضة ومن واقعهم ع لهم ع أي للصحابة الكرام أول بعضهم ع هجر ع وعادى
 ولم يوال ويحب وقد روى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه «إذا أراد الله
 تعالى رجلا من أمي خيرا أتى حب أصحابي سيفه قلبه» وأخرج الترمذي من
 حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه مرفوعا «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
 بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
 آذاني فقد آذنى الله تعالى ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» والذي أجمع عليه أهل
 السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم
 والكف عن الطعن فيهم وإنشاء عليهم فقد شئ الله سبحانه عليهم في عدة آيات من
 كتابه العزيز على أنه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لا وجبت الحال
 التي كانوا عليها من الهجرة والعجاء ونصرة الدين وبذل المهج والاموال وقتل
 الآباء والأولاد والمناصرة في الدين وقوة الإيمان واليقين والقطع (١) بتعديلهم
 والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم هذا مذهب كافة الأمة
 ومن عليه الممول من الأئمة وأما من شذ من أهل الزيغ والابتداع ممن ضل وأضل

(١) انظر أين مفعول (لا وجبت) وما عطفت عليه كلمة (القطع) ولعله سقط قبلها
 (حبهم) أي لا وجبت الجلال التي كانوا عليها من كذا وكذا حبهم والقطع بتعديلهم

فلا التفات إليهم ولا معمول عليهم وإلهذا قال الامام أبو زرعة العراقي من أجل شيعة مسلم اذا رأيت الرجل ينتص أحدنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانلم أنه زنديق وذلك ان القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى اليه ذلك كله الا الصحابة فمن حرحم أما أراد ابطال الكتاب والسنة فيكون العرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلal أقوم وأحق وقال ابن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقالوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (إن الذين سبقت لهم ما الحسنى أولئك عنها مبعدون) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة والحاصل أنه لا يهجر الصحابة ويعاديهم الا عدو لله وموود ٧ من رحمة الله خيث زنديق والله ولي التحقيق قال العلامة ابن حمداني في نهاية المبتدئين من سب أحدا من الصحابة مستملا كفر وان لم يستحل فسق عنه بكفره طائفا وان فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر والله تعالى أعلم ولما انتهى الكلام على الصحابة الكرام حسبا يقتضيه المقام وان كان ما ذكر في جنب ما سكت عنه كقطرة من بحر طام وذاتة من نور عام ذكر التابعين لهم باحسان ثم تابعيهم كما قاله خير الالمام فقال

﴿وبعدهم فالتابعون أخرى بالفضل ثم تابعوهم طرا﴾

﴿وبعدهم﴾ أي بعد الصحابة المخصوصين بالفضل والعدلة العامة والاصابة ﴿فالتابعون﴾ لهم باحسان ﴿أخرى﴾ أي أحق وأجدر ﴿بالفضل﴾ والاتقان والتقديم على غيرهم من سائر أهل الايمان وتعريف التابعي هو كل من صح الصحابي ومطالنه مخصوص بالتابعي باحسان ويقال للواحد تابع وتابعي ولا بد في التابعي من زيادة على ما تعتبر به الصحبة في الصحابي كما تقدم لان الصحبة خصوصية كما بيناه ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة أو ثلاثة من الصحابة وبالعلم والزهد وغير ذلك وقد اختلف في أفضل التابعين قال سيدنا الامام أحمد وغيره من أهل العلم أفضل التابعين سعيد بن المسيب وقال قوم أفضل التابعين أويس بن عامر ويقال عمر بن عمر وكنيته أبو عمرو وهو القرني واستدلوا له بحديث «خير التابعين أويس» رواه الحاكم عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى

الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم «أن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدَةٌ وكان به بياض» (١) فدروه فليستغفر لكم» قال النووي هو أويس بن عامر كذا رواه مسلم وهو المشهور وقال ابن ما كولا ويقال أويس بن عمرو وهو القرني يفتح القاف والواو هو بطن من مراد وهو قرن بن رديان وغلطوا من نسبة إلى قرن المنازل الجبل المعروف بمقات أهل نجد في الأحرام وفيه طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم فإن قيل كيف استجاز الامام أحمد ومن نحوه تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين مع وجود النص الصريح بالنقل الصحيح في تفضيل أويس القرني فالجواب أن مراد سيدنا الامام أحمد واضرا به أفضلية سعيد في العلوم الشرعية كال تفسير والحديث والفقه ونفع الأمة بذلك وبما بلغه عن الصحابة الكرام عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فإنه الامام الحافظ الثقة المؤمن حتى قيل فيه أعلم أمة محمد بدين محمد بعد محمد سعيد بن المسيب رحمه الله ورضي الله عنه والدليل على أفضلية التابعين قول النبي صلى الله عليه وسلم «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة— ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهرون فيهم السمن» زاد في رواية ويخلفون ولا يستخلفون رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ورواه أبو داود ولفظه «خير أمي القرن الذي بعث فيهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ورواه مسلم من حديث أبي هريرة وفيه والله أعلم أذكر الثالث أم لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمس النار مسلما رأيي أو رأيي من رأيي رواه الترمذي من حديث جابر قال طلحة فقد رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجو الله تعالى قال الامام المحقق بن القيم في أول كتابه اعلام الموقعين ألقى الصحابة الكرام إلى التابعين

(١) سقط من الحديث شيء وأصله «وله والدَةٌ هو بها بر لو أقسم الله على

ما تناقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكان سندهم عن نبيهم صلى الله عليه و
عن جبريل عن رب العالمين سندا صحيحا عاليا وقالوا هذا عهد نبينا والينا و
عهدنا اليكم وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم تحري
التابعون لهم باحسان على مهاجمهم القويم واقفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا
قال في ثم في الفضل بعد التابعين في تابعهم في أي اتباع التابعين لما تقدم من
صحيح الاخبار وصريح الآثار في طرا في أي جميعا وهو منصوب على المصدر أو
الحال لانهم سلكوا مسلكهم الرشيد (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
الحمد) وكانوا بالنسبة الى من قبلهم كما قال أصدق القائلين (ثلاثة من الاولين وقبل
من الآخرين) ثم جاء الائمة من الترتيب الرابع المفضل في احدى الروايتين كما ثبت في
الصحيح من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وعمران بن حصين رضي
الله عنهم أجمعين من قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني الحديث والقرن
أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الامور المقصودة والاصح انه
لا يضطرب بمدة قدرته صلى الله عليه وسلم هم أصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى آخر
من مات من أصحابه وهو أبو الطفيل مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من نحو
مائة الى سبعين سنة وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين وفي
هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها وأظهرت الجهمية
نخطتها ورفعت الفلاسفة رؤسها وامتحننت أئمة الدين وعلماء المسلمين ليقولوا بخلق القرآن
وكان المقصود الاعظم منهم امامنا الامام أحمد فقام بأمر السنة أنم قيام وعاضده
عليها ائمة اعلام وحماة الدين فخام شكر الله سبعهم وثبتنا على نهجهم آمين وظهر
مصدق قوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية ثم ينشؤ الكذب قال في النهاية خير الناس
قرني يعني الصحابة ثم التابعين والقرن أهل كل زمان وهو مقدار الوسط في أعمار كل
زمان مأخوذ من الاقران فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم
وأوامهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر
قرن يقترن قرنا قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور القرن أهل كل
زمان وهو المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم

فصل ١٠

في ذكر كرامات الاولياء واثباتها

وهذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها وإهالها وهذا قال
 ﴿ وكل خارق أتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح ﴾
 ﴿ فأنهم من الكرامات التي بها نقول فاقف للدلالة ﴾
 ﴿ ومن تشاها من ذوي الضلال فقد أتى في ذلك بالحال ﴾
 ﴿ فأنها شهيرة ولم تزل في كل عصر ياشقأ أهل الزلل ﴾

﴿ وكل خارق ﴾ معادة من الخوارق وهي ستة أنواع (الاول) المعجزة وتقدم الكلام عليها (الثاني) الارهاص وكل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة والارهاص المقدمة لها قبلها كقصص أصحاب الفيل (الثالث) الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهرا الصالح ملتزم لمناجاة بني كلف شر يعضه مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بهاذلك العبد الصالح لم يعلم (الرابع) الاستدراج والمكر (الخامس) المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تخليصا لهم من المحن والمكاره (السادس) الاهانة والاحتقار كما فعل مسيلة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ومن ثقله في بئر عذبة ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا أجاجا ومن الخوارق الفاسدة السحر والشعوذة ونحوها

والحاصل ان الكرامة لا بد أن تكون أمرا خارقا للعادة ﴿ أتى ﴾ ذلك الخارق ﴿ عن ﴾ أمرى ﴿ صالح ﴾ وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر واثني ولا بد أن يكون صدر ذلك الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من ﴾ انسان ﴿ تابع لشرعنا ﴾ معشر المسلمين لان سائر الشرائع سواء قد نسخت وان يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى النبوة فإلا يكون مقرونا بالابتن والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة

كما تقدم آتفا ولا اعتبار كون من صدرت عنه الحوارق عارفاً معلوماً فظهر الصلاح
متابعا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أشار بقوله { وناصح } لله ولرسوله ولكتابيه
ولشريعة النبي صلى الله عليه وسلم أي أتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخدامهم
عامتهم فإن الدين الصحيح فما يصدر من الحوارق المؤكدة لكذب الكذابين
ونزوات المقترين من قبيل المكر والاستدراج والخن والاعوجاج وأما إذا صدرت
عن ذكر من الصالح الناصح امتناع لشرعاً للقويم وديننا المستقيم { فأنها } تكرر
{ من الكرامات التي بها } أي بجوازها ووقوعها { تقول } معشر أهل السنة من
السلف والخلف قال ابن حبان في نهاية المبتدئين وكرامة الأولياء حق وأكره الإمام
أحمد رضي الله عنه على من أكرها وضاله قل وتوجد في زمن النبوة واشترط
الساعة وغيرها ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى
ولا على ولايته لجواز سلها وإن تكون استدراجاً له يعني أن مجرد الحارق لا يدل
على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا
طلبه تشريفاً له طهرها ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره أنه ولي الله تعالى غالباً
بذلك وقيل بل لا يلزم من صحة الكرامات ووجودها صدق من يدعيها بدون
بينة أو قرائن حاله تعيد الحزم بذلك وإن مشى على الماء وفي الهواء أو سخرت
له الحن والسباع حتى تنظر خاتمه ومواقفه لا شرع في الأمر والنهي وإن وجد
الحارق من نحو حاهل فهو محرقة ومكر من إبليس واغواء واضلال ولا شيء
على من طس الخبر ممن يراه منه وإن كان في الباطن شيطاناً وحسن الظن بأهل
الدين والصلاح حسن { فاقف } في اعتقادك الصالح ونهيك المايج أي البيم
{ للادلة } الشرعية والمشاهدات الحسية والقواطع العقلية فإن كرامات الأولياء
ثابتة بالبيان والبرهان أما أولاً فإن وجودها جائز عقلاً واقع عياناً وشرعاً فإن
حمل مرهم بلا ذكر ووجود الرق عندها بلا سبب من فاكهة الصيف في الشتاء
وفاكهة الشتاء في الصيف من الحوارق وليستنا بتميزتين لعدم شرط المعرفة وهو
دعوى النبوة والتعدي تبيين كرم ذلك كرامة لها وأيضاً قصة آصف بن برخيا
فإن احصاره عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر خارق للمادة تماماً وأيضاً قصة

أصحاب الكهف فإن بقاءهم ثلاثمائة سنين بلا آفة من أعظم الخوارق وثانيًا ما تواتر معناه وإن كانت تفاصيله آحادًا من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم وإلى وقتنا هذا مما ذاع وشاع وملاً الآفاق والاسماع وضاعت عن احصائه الدفاتر وشهدت بوجوده الاكابر والاصاغر ولا ينكره الا معاند ومكابّر فلا جرم فهو الحق الصراح الرادع لاهل الانكار والكفاح وهو مع كونه كرامة لمن ظهرت على يديه غالباً فهو دليل على صحة نبوة متبوع من ظهرت على يديه وحقيقة دينه واستقامة منهجه ومن ثم قلنا ﴿ ومن ﴾ أي أي انسان كائنًا من كان ﴿ فهاها ﴾ أي كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلاً عن وقوعها ﴿ من ذري ﴾ أي أصحاب ﴿ الصلال ﴾ والزيف عن نهج أهل السنة والاعتزال وكذا من نحأ نحوم من أهل السنة كالاسناد أبي اسحق الاسفرايني وعبد الله الحلبي من الاشاعة ﴿ فقد أتى في ذلك ﴾ النفي وعدم التجويز لهما ﴿ بالمحال ﴾ المابذ للبرهان والعيان وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن فدم هذه الادلة المتواترة والوقائع المنكثرة فالانكار لها مكابرة غير منظور اليه ولا معول عليه وزعمهم ان الخوارق لو جاز ظهورها من الاولياء لا لبس النبي بغيره اذ الفرق ما بينهما انما هو بالمعجزة وبأنها لو ظهرت لكثرت الاولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة والقرص كونها خارقاً فاذا خرجت عن كونها خارقاً لكثرتها نافيت المقصود وخالفته ولانها لو ظهرت لافرض التصديق لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز أن يكون ما يظهر من النبي افرض آخر غير التصديق وبأن مشاركة الاولياء للانبياء في ظهور الخوارق يخل بعظيم قدر الانبياء ووقعهم في النفوس باطل المأخذ غير صالح للتمسك به والتعويل عليه والالتفات له والمصير اليه حتى ولو لم تكن الادلة بكرامات الاولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة فكيف والأدلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية والمشاهدات العيانة أكثر من ان تحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى ولهذا قال معللاً المارئيكيه في نفيها من المحال ﴿ لانها ﴾ أي كرامات الاولياء كثيرة ﴿ شهيرة ﴾ للعيان ثابتة بالبرهان ﴿ ولم تزل ﴾ تظهر على يد الاولياء الصالحين وهل التحقيق العارفين ﴿ في كل عصر ﴾ من الاعصار الماضية وإلى الآن والعصر مثله

وبصتين الدهر ويجمع على اعصار وعصور وأعصر وعصر ويطلق العصر على اليوم واللييلة والعشى الى احرار الشمس وذلك كما تقدم من حكاية قصة مريم وعرش بلقيس وقصة اصحاب الكهف والمشي على الماء كما نقل عن كثير من الاولياء من الصحابة وغيرهم كما في قصة العلاء بن الحضرمي من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فانه لما ذهب الى البحرين سلكوا مفارة وعطشا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فدل فصلى ركعتين ثم قال يا احلم يا سليم يا علي يا عظيم اسعاجات سحابة فأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا الى خلع من البحر ماخض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سماء فصلى ركعتين ثم قال يا احلم يا عظيم يا علي يا عظيم اجبنا ثم أخذ يمدان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله قل أبو هريرة فمسيا على الماء فوالله ما تبل لنا قسم ولا خوف ولا حار و كالخيش اربعة آلاف - والظبران في الهواء كما في قصة حمزة بن ابي طالب ذي الجراحين رضي الله عنه وكقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويته لجيش سارية وهو على المبر بالندبة - الوليد فنادى وهو على المبر لا مبر الجيش سارية فقال يا سارية الجبل عذيرا له من العذر ومكرم له من وراء الجبل وسماع سارية مع بعد المسافة وكشرب خالد بن الوليد رضي الله عنه السم من غير أن يحصل له ضرره وكجربان الليل بكاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وامثال ذلك من كرامات الصحابة رضي الله عنهم مما لا يحصى الا بكلمة وكذلك كرامات السابقين ومن بعدهم ما هو طافح مشهور لا يمكن رده واسكاه لانه في غاية البيان والظهور ولذا قال لمن انتحل المحال (يا شقا أهل الرلل) بما ارتكبوا ويا خادتهم لما انتحلوا من رد المحسوس وتكذيبهم للبرهان بوساوس الدموس ومكابرهم لامسكار البيان بمجرد الوهم والهموس وقد قال علماؤنا ان كرامة الولي وظهور الحارق على يده من كونه من آحاد الامة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لانه يصح ان كرامة انه ولي وان يكون وليا الا وان يكون محققا في ديانته ودبائته هي الا رر بالماء والمان والافتقاد بالخوارج والاركان لمساخا به فبیه المنبوع وسوله الذي عليه المعول والى ما حابه الرجوع والطاعة لا امره والانذار من زواجره

في السر والاعلان حتى لو ادعى هذا الذي ظهرت على يده الكرامة الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر الخارق على يده ولو فرض ظهوره فهو حينئذ من قبيل الاستدراج والحاصل ان الامر المخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته وهو بالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله فالنبي لا بد من علمه بكونه نبيا ومن قصده اظهار خوارق العادات وظهور المعجزات وأما الولي فلا يلزم أن يعلم بولايته ويستتر كرامته ويسرها ويجهده على اخفاء أمره كما تقدمت الإشارة الى ذلك كله

﴿تنبيهات﴾

(الاول) وافق أبو حسين البصري المعتزلي ومن نحا منحاه أهل السنة في جواز كرامات الاولياء ووقوعها (الثاني) يحوز في الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها ولو كقلب العصاحية وكوجود ولد من غير أب لا يمثل ما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذي هو أعظم المعجزات وأخص الآيات وقال قوم الكرامات تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه قال الامام النووي وهذا عاط من قائله وادسكار للحسن بل الصواب جريها حتى في قلب الاعيان (الثالث) الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يهصل الولي مادام عاقلا بالغاً الى مرتبة سقوط التكليف عنه بالاوامر والنواهي ومن زعم ذلك فهو الحاد وزندقة ومن الزندقة مازعمه من زعمه من بعض الكرامية ومن نحا منحوم من أن الولي قد يبلغ درجة النبي بل أعلا وقدمه الكلام في نزييف هذا المقام بما يحصل به المرام والله ولي الانعام (الرابع) قال بعض المحققين للولي أربعة شروط (أحدها) أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمتنبي (الثاني) أن يكون عالما بأحكام الشريعة تقلا وفهما ليكتفي بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفي عن ذلك في أصول التوحيد فلو أذهب الله تعالى علما أهل الارض لوجد عندهما كان عندهم ولا أقام قواعد الاسلام من أولها الى آخرها (ثالث) وهذا غير معتبر ولا مشروط في مطلق الولي من غير تردد نعم يعتبر هذا في المجتهد المحدد دون مطلق الولي والله أعلم (الثالث) أن يتخلق بالاخلاق الحميدة

التي دل عليها الشرع والعقل من الورع عن المحرمات بل والمكروهات وأمثالها
 الأمور وأحلاص العمل وحسن المناجاة والافتداء (الراحم) أن يلزمه الخوف
 أبدا واحتقار النفس سرمدًا وان يظفر إلى الخلق بعين الرحمة والصيحة وأن يبد
 جهدة في مراقبة محاسن الشريعة ومطالعة عيوب العس وآفاتهم والخوف بملاحه
 السابقة والحاجة ويجمع ذلك كله وبز يد عليه قوله تعالى (ألا أن أولياء الله لا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون) الذين آمنوا وكانوا يتقون اللهم البشري في الحياة الدنيا والآخرة
 لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم والله تعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

في المفاصلة بين البشر والملائكة وهي مسئلة عطية قد كثر فيها الاختلاف
 وثبتت فيها الأقوال وعظمت فيها المحن والجدال ولكثرة الخلاف فيها وتباين
 أقوال الأئمة من المتكلمين وغيرهم في تفاصيلها قلنا في النظم

﴿ وعندنا تفضيل أعيان البشر على ملاك ربنا كما اشتهر ﴾

﴿ قال ومن قال سوى هذا افتري وقد تعدى في المثال واجتري ﴾

﴿ وعندنا ﴾ معشر أهل السنة خصوصًا أهل الأثر وسلب الأمة وكبار الأئمة فانهم يقولون
 ويعتقدون ﴿ تفضيل أعيان البشر ﴾ بحركة الإنسان ذكر أو أنثى ويطلق البشر
 الواحد والجمع وقد بنى ويجمع إشارات والمراد بأعيانهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
 والأولياء فالأنبياء أفضل من الأولياء وهما أفضل من الملائكة وقيل كل صاب
 وأفضل من الملائكة قال الامام أبو الوفا ابن عقيل الصحيح تفضيل الأنبياء
 الصالحين على الملائكة والملائكة أفضل من الفسقة وقال تارة الأنبياء أفضل
 من الملائكة وجبريل وإسرافيل وميكائيل أفضل من الأولياء وقال سيد
 الامام أحمد رضي الله عنه بنو آدم أفضل من الملائكة ولنا قلنا ﴿ على ملا
 ربنا ﴾ تارك وتعالى ﴿ كما اشتهر ﴾ ذلك من نصوص إمامنا الامام أحمد ربه
 الله عنه والملاك هو الملك وجمعه ملائكة وحذفت همزة ملاك لكثرة الاستعمال
 وأصل وزنه مفعول فتيل ملاك وقد تحذف الهاء من الجمع فيقال ملائك وأه
 ما لك بتقدير همزة من اللوكة وهي الرسالة ثم قدمت اللام على الهمزة في ا-

كما في النهاية وغيرها ﴿ قال ﴾ امامنا الامام أحمد رضي الله عنه ﴿ ومن ﴾ أي انسان ﴿ قال ﴾ بلسانه وأعتقد بجنانه ﴿ سوى هذا ﴾ أي غير القول بتفضيل بني آدم على الملائكة ﴿ اقرى ﴾ أي أنني بكلام خطأ بشعر بالافتراء ﴿ وقد تعدى ﴾ أي تجاوز الحد المنقول والثابت عن الرسول والسلف الفحول ﴿ في المقال ﴾ الذي اعتمدته ﴿ واجترى ﴾ أي افتات على الشارع بالاعتقاد الذي اعتقده وانظر النص بخطي من فضل الملائكة وقيل كل مؤمن أفضل من الملائكة قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وقل الامام العلامة أبو بكر عبد العزيز ابن جعفر المشهور بغلام الحلال رحمه الله تعالى من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة ومن كان شره أكثر من خبره فالبهائم خير منه وقيل من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه هذا محصل قول جل أصحابنا وقال الامام المحدث ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد سئل شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه عن صالحى بني آدم والملائكة أيهما أفضل فأجاب بأن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية فان الملائكة الآن في الرفيق الاعلا منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقين في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الاحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحى البشر أكمل من حال الملائكة قال وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين وبصالح كل منهم على حقه قال ابن القيم فعلى المتكلم في هذا الباب يعنى باب التفاضل بين الاشياء ان يعرف أسباب الفضل أولاً ثم درجاتها ونسبة بعضها الى بعض والموازنة بينها ثانياً ثم نسبتها الى من قامت به ثالثاً كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعاً فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد لشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس بفقهِه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا قال فهذه أربع مقامات يضطر اليها المتكلم في درجات التفضيل وتفضيل الانواع على الانواع أسهل من تفضيل الاشخاص على الاشخاص وأبعد من الهوي والغرض انتهى ما خلاصه

تسبيحات

(الاول) قد علمت ان هنا ثلاث صور (الاولى) التفضيل بين الانبياء والملائكة وفي هذه ثلاثة أقوال (أحدها) الانبياء أفضل وعليه جمهور أهل الحق من أهل السنة وهو الصواب (الثاني) الملائكة أفضل وهو قول الممثلة واختاره من الاتساعرة أبو اسحق الاسفرائيني وأبو بكر الباقلاني والحاكم والمحبسي وفخر الدين في المعالم وأبو شامة واختار فخر الدين (الاول) في الاربعين وفي المحصل (الثالث) الوقت عن القول بالتفضيل لاحد الدواعين على الآخر ومحل الخلاف على هذا القول في غير نبي محمد صلى الله عليه وسلم أم هو بأفضل الخلق بلا خلاف لا يفصل سلبه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره غير واحد ممن حكى الخلاف كالسيوطي في الحبايك والشيخ السبكي في منع الموانع والسراج البلقيني في منهج الاصلان وندر الدين الزركشي وتقتل فخر الدين الرازي الاجماع على ذلك وكأنه أراد اجماع أهل السنة

(الصورة الثانية) المناظرة بين خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الانبياء وهذه الصورة زعم بعض نبي الخلاف بان خواص الملائكة أفضل من أول السعد ائمتنا في شرح عقائد السفي الاجماع على ان خواص الملائكة أفضل من أولياء الشر بعد الرسل والانبياء وهذا مردود مدحول فقد قدمنا ان معتد القول عند علمائنا ومن وافقهم ان الاولياء أفضل من خواص الملائكة نعم ابن عقيل حالهم في ذلك فقال خواص الملائكة من جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت أفضل من الاولياء وقال في القول بخلاف هذا شناعة سطحية على قتله كذا قال مع أنه هو نفسه صرح ان الانبياء والاولياء أفضل من الملائكة وصحح ذلك (الصورة الثالثة) التفضيل بين أولياء البشر وغير الخواص الملائكة وفي هذه قولان (أحدهما) تفصيل جميع الملائكة على أولياء البشر وحرم به ابن السبكي في جمع الجوامع وذكر المقيني في منحه انه قول أكثر العلماء واثني تفضيل أولياء البشر على الملائكة وحرم به الصغار من الجمعية وهو المختار عندهم ومال البلقيني الى مضمه وهو انه قد يرجح من أولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة وقال قوم من أهل السنة

ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من انبشرا افضل من الاولياء من الملائكة وذهب آخرون الى ان الملائكة لا علاءة فصلون على سكان الارض وفصل جماعة من محمدي الملائكة ومن وافقهم فقالوا رسل البشر كموسى عليه افضل الصلاة والسلام افضل من رسل الملائكة كجبريل عليه السلام ورسل الملائكة كاسرافيل عليه السلام افضل من عامة انبشرا وهم اولياؤهم غير الانبياء كابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعامة البشر كاولياؤهم غير الانبياء افضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحاملة العرش والكروبيين وهذا نحو ما حكينا عن ابن عقيل واحتج أهل هذا التفضيل بالاجماع وقد علمت انه مدخول بل ادعوا فيه الضرورة واحتجوا على تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة بوجوه سند كراهوا نقل البلقيني في منبج الاصلين ان الحصار عندنا نية ان خواص البشر وهم الرسل افضل من جملة الملائكة والملائكة الخواص افضل من الانبياء غير المرسلين والانبياء افضل من غير الخواص من الملائكة قل ومنهم من وقف في التفضيل بين صالحى البشر والملائكة كذا قال والحق المعتمد عندهم ان خواص البشر كالانبياء افضل من خواص الملائكة كرسامهم وخواص الملائكة كرسامهم افضل من عوام البشر كالاولياء وعوام البشر افضل من عوام الملائكة وهم غير الرسل منهم والله اعلم

(التذية الثاني) في بعض أدلة مذهب أهل الحق من تفضيل صالحى البشر على الملائكة خلافاً للمثلة والفلاسفة ومن نحا نحوهم منها قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فالمسجود له افضل من الساجد فان قيل لم لا يجوز ان يكون المسجود لله تعالى وآدم كالقبلة فالجواب انه لو لم يكن المسجود دالاً على منصب المسجود على الساجد لما قال ابليس (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) اذ لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا المسجود فدل ذلك المسجود على ترجيح منصب المسجود له على الساجد (ومنها) ان آدم عليه السلام كان أعلم من الملائكة والاعلم افضل لقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقد قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) الى قوله قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) (ومنها) ان طاعة البشر أشق

والاشق أفضل فان البشر يحبون على الشهوة والحرس والغضب والهوى (نحوها وهذه من أكبر الموانع وهي مفقودة في الملك (ومنها) قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) والعالم عبارة عما سوى الله تعالى والآل يراد به الرحل نفسه ويراد به اقاربه الاذن ويراد به اتباعه فان قيل يشكل هذا في قوله تعالى في بني اسرائيل (واني فضلنكم على العالمين) فذلزم على ظاهر هذا تفضل انبياء بني اسرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم بالجواب أولا الآية تحتل اختصاصا وثانيا من شرط العالم المعدل عليه أن يكون موجودا (١) حال وجود انبياء بني اسرائيل اما الملائكة فهم موجودون حال وجود محمد صلى الله عليه وسلم (ومنها) ان الملائكة لهم عقل بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل والآدمي له عقل وشهوة ثم ان الآدمي ان رجعت شهوته على عقله كان أخس من البهائم كما قال تعالى (أولئك كالأغنام بل هم أضل سبيلا (٢)) واذا رجح عقله على شهوته كان أفضل من الملائكة فمن يطع الله وأوامره ويطيته معجونة بالشهوة والهوى ويقمع شهوته ويخالف هواه تكون عبادته أفضل ألا ترى من ابتلى من الملائكة بالشهوة كيف وقع في المعصية على ما قيل وذكر نحو هذا البيهقي وقال كما وقع لهاروت ماروت وساقها من ثلاثة طرق ثم أخرج البيهقي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال ان أكرم خليفة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قبل رحمة الله وأبن الملائكة قال الملائكة خالق كخالق الارض وخلق السموات وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلق وان أكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وأخرج البيهقي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا على أهل السما وعلى الانبياء قل وما فضله على أهل السما قال ان الله قال لأهل السما (ومن يقل منهم اني له ان دونه فذلك نجزيه جهنم) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك

(١) لعل هاحذقاهو «ولم يكن محمد (ص) موجودا» اهـ - مصححه

(٢) قوله تعالى (سبيلا) ليس من هذه الآية بل نسبتها «أولئك هم الغالون» وفي آية أخرى «انهم الاكلا لنامل هم أضل سبيلا» اهـ - مصححه

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وأخرج أيضا عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما شيء أكرم على الله من بني آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قل الملائكة محبوبون بمنزلة الشمس والقمر» قال البيهقي تفرد به عبيد الله بن غانم السلمي عن خالد الحذاء وعبيد الله قال البيهقي عنده عجائب قال ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفا على ابن عمرو وهو الصحيح قال البيهقي ومن قال بالقول الآخر هو تفضيل الملائكة على سكان الأرض أتبه ان يقول اذا كان التوفيق للطاعة من الله تعالى وجب ان يكون الافضل من يكون توفيقه له وعصمته اياه أكثر ووجدنا الطاعة التي وجودها بتوفيقه وعصمته من الملائكة أكثر فوجب ان يكونوا بذلك أفضل وأخرج البيهقي أيضا حديث «ما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة رب خفتهم يا كلون و يشر بون و ينكحون و يركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله تبارك وتعالى لا أجعل من خائفته يدي ونفخت فيه من روحي كن قلت له كن فكان» قال وفي ثبوته نظر انتهى وقال العز بن عبد السلام في اتناء كلامه في انواع التفاضل بين الحوادث من الجواهر والاجسام لا يفضل الملائكة على الانبياء الا بهجم بنى التفضيل على خيالات توهمها وأوهام فاسدة تعدها ولم ينفروا الخيالات والتوهجات في امور يعلم انه خلافها انتهى وقال الامام بن عقيل من علمائنا في كتابه الارشاد مؤمنوا اولاد آدم من الاولياء والزهاد والانبياء من طريق الاولى اشرف من الملائكة على قول أصحابنا قل وعندي ان فيه تفصيلا وذلك ان في الملائكة من لا يجوز ان يفضل عليه الاولياء مثل جبريل وميكائيل ومملك الموت والمقرئين ولكني افضل عليهم الانبياء ومنهم من يفضل عليه اولياء بني آدم وهم من عدا المقرئين من الملائكة السيئة وغير ذلك قل والدلالة على ان خواص الملائكة المرسلين والمقرئين خير من الاولياء خلافا لأصحابنا ان هؤلاء ساوهم في العبادة وفضلوا بالفرب والرسالة وسماع الكلام من الله تعالى الذي شرف بسماعه موسى عليه السلام على غيره وهذه الرتبة عظيمة لمن عتياها وفارق الانبياء لانهم فضلوا بالرسالة والنبوة ومعاونة الامم والتعليم وجعل الملائكة خدما لهم ولان في قولنا بان صالحا من بني

آدم خير من جبريل شناعة عقوبة عليهما من حيث سويتايتهن وبين رتبة الانبياء مع جلالة جبريل وعظمته وشرفه عند الله فأن جبريل سفير الرحمن وحامل وحيد الى الانبياء ثم قال واستدل من قل بالمعوم بما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن خلبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال «اوسعوا لمن خلفكم فأنتم أولن توروا» يارسول الله قال للملائكة انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من خلفكم واما يكونون عن ايديكم وشانكم» قلوا امن فضلا عليهم أو من فضاهم عليه قل «انتم افضل منهم» وأيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم «مؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» وأيضا اللفظ المشهور «ان الله تعالى يباهي ملائكته بأهل عرشته ولا يباهي الا بالافضل وأيضا فان جبريل فتخر بأن يسى من أهل البيت وسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء وكان تحته طامة والحسن والحسين انتهى والجواب عن هذا اما حديث أبي هريرة الاول فهو مضع لان عمل رواية فقهه عن الاحتجاج به وعن حكم بوضعه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية وأورد الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات باختصار فلم يذكر قوله قالوا من فضلا عليهم الخ وحكم بوضعه وأما حديث «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» والمعروف من لفظ الحديث «المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته» كذا رواه أبو ماجه وهذا اللفظ لا يدل على تفضيل الاولياء على جميع الملائكة بل على بعضهم وحديث المباهاة لا يدل على الافضلية وأما حديث ان جبريل عليه السلام افتخر بأن يسى من أهل البيت وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء فلا أصل له قال الحافظ السهوتي لم أقف له على أصل في شيء من كتب الحديث وكيف يجسر أحد على تفضيل غير الانبياء من البشر على جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل مع ما في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة قال أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون الفائق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايام جبريل وميكائيل وقال سراج الدين البهائيني الاكثر من الاشاعة على تفضيل الانبياء على الملائكة وذهب القاضي أبو بكر الباقلاني والخلعي الى ان الملائكة العلوية افضل وينبغي أن يكون محل الخلاف في غير النبي صلى الله عليه وسلم

أفضل خلق الله أجمعين قال وأما الصالحون من البشر غير الانبياء فأكثر العلماء على تفضيل الملائكة عليهم وعندنا ان من كان منهم تقيا نقييا موافيا لموت على ذلك فقد يفضل على الملك باعتبار المشقات في عباداته مع ما فيه من الدواعي الى الشهوة وغيرها لا سيما من كان خليفة سيد الاولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والسلام وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع أما تفضيل الانبياء على الملائكة فهو عقيدة الاشعري وجمهور اصحابه وهو آخر أقوال أبي حنيفة فيما ذكره شمس الأئمة لاجتماع العصمة مع التركيب المعرض للنوائب التي يجب الصبر عليها والشهوات التي يجب الصبر عنها ومن أحسن الأدلة قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الانبياء (وكلًا فضلنا على العالمين) والملائكة من العالمين فدل على أنهم أفضل منهم وقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) وأراد بني آدم لان الملائكة لا يجازرون بل هم خدام أهل الجنة ولان الانبياء قامت حجة الله على خلقه بخلاف الملائكة حتى قال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) ولان آدم سجد له الملائكة والمسجود له أفضل من الساجد كما تقدم ثم في الانبياء من هو أفضل من آدم ولان الناس في الموقف أنما يتشفعون بالانبياء لا بالملائكة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لاشك ان للبشر طاعات لم يثبت مثلها (للملائكة) كالجهاد والغزو وخالفه الهوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلاء والمحن والرياء وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويبشرون بالحلال رضوانه عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة وقال بعض المحققين انفقوا على ان العصاة من المؤمنين دون الانبياء والملائكة فاما المطيعون فاختانفوا في المفاضلة بينهم وبين الملائكة على قولين وقال ابن يونس من الشافعية في مختصره في الاصول بعد ذكر القولين وقال الاكثر من المؤمنين الطائع أفضل من الملائكة وقال ابن المنبر مذهب أهل السنة ان الرسول أفضل من الملك باعتبار الرسالة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجرد ما أفضل من الملائكة ومعاذ الله والله أعلم

(التنبيه الثالث) قد أشرنا فيما تقدم ان المعترلة ذهبت الى تفضيل الملائكة

على الشر حتى على الرسل ولا نبياء واختاره من الاشاعة افاض أبو بكر
 البلاغاني وأبو اسحق الاسفراييني واما فاضل أبو عبد الله المامق والبيهي والمغتر
 الرازي في المعالم دون الاربعين وأبو شامة ومن نعمائهم واحتجوا بمجمع
 مها قوله تعالى (لن يستكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) قالوا
 فهذا يقتضي كون الملائكة أفضل من المسيح ألا ترى أنه يقال ان فلاناً لا
 يستكف الورع من خدمته ولا السلطان ولا يقال إنه لا يستكف السلطان من
 خدمته ولا لورع فلان ذكر المسيح أولاً والملائكة ثانياً علمنا ان الملائكة أفضل
 من المسيح والجواب عنه من وجوه (الاول) ان محمداً صلى الله عليه وسلم وكذا ابراهيم
 الخليل أفضل من المسيح عليه السلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح كونهم
 أفضل من محمد ولا من ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (الثاني) ان قوله ولا الملائكة
 المقربون صيغة أجمع فتناول الكل فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من
 المسيح فلم قلتم أنه يقتضي كون كل واحد من الملائكة أفضل من المسيح (الثالث)
 ان الواو في قوله ولا الملائكة المقربون حرف عطف وهو انما يفيد الجمع المعان
 لا الترتيب والمال الذي ذكرتموه ليس بحجة لان الحكم الكللي لا يثبت بالمثل
 الجزئي ثم أنه معارض نحو قولك ما أعاني على هذا الامر لا عمرو ولا زيد
 فهذا لا يفيد كون المأخر في الذكر أفضل من المتقدم معه قوله تعالى (ولا الهدي
 القلائد ولا آمين البيت) ولا اختلفت الامة امتنع التعويل عليها ثم في التحقيق في
 المسئلة أنه اذا قيل هذا العالم لا يستكف من خدمة الوزير ولا السلطان فمن
 علم بقولنا ان السلطان أعلم درجة من الوزير فعرفنا ان الفرض من ذكر الثاني
 هو المبالغة فهذه المبالغة انما عرفناها بهذا الطريق لا بمجرد الترتيب في لذكر فلا
 يمكن ان نعرف ان المراد من قوله ولا الملائكة المقربون بيان المبالغة الا اذا
 عرفنا قبل ذلك ان الملائكة المقربين أفضل من المسيح وحينئذ يتوقف صحة
 الدليل على صحة المطلوب وذلك دور (الرابع) هو ان الآية الكريمة دالة على
 ان منصب الملك أعلى وأزيد من منصب المسيح لكن لا تدل على الزيادة من
 جميع الوجوه فالملك أزيد من جهة القوة والتقدير والبطش فان جبريل عليه السلام

قلع مدائن قوم لوط والبشر لا يتدرون على مثل ذلك فلم قلتم ان الملك أفضل من البشر في كثرة الثواب الحاصل بسبب مزيد الخشوع والعبودية وتمام التحقيق ان الفضل يختلف فيه في هذه المسئلة هو كثرة اثواب ثم ان كثرة الثواب لا تحصل الا بنهاية التواضع والخضوع وكون العبد موصوفا بنهاية التواضع لله تعالى لا يلائم ضرورته مستكفا من عبودية الله تعالى بل يناقضها وينافيها فامتنع ان يكون المراد من الآية هذا المعنى وأما اتصاف الشخص بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فانه مناسب للمرد ورك العبودية فالصاري لما شاهدوا من المسيح احياء الموتى وابراء الاكف والابرص أخرجه بسبب هذا انصر من القدرة عن عبودية الله تعالى فقال تعالى ان عيسى لا يستنكف بسبب هذا القدر عن عبوديتي ولا الملائكة المقربون الذين هم فوقه في القدرة والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين وعلى هذا الوجه ننظم دلالة الآية على ان الملك أفضل من البشر في الشدة والقوة والبطش لكنها لا تدل البتة على ان الملك أفضل من البشر في كثرة اثواب ويقال ايضا انما دعت الصاري إلى عبودية عيسى لانه وجد لامن أب قبل لهم الملك حصل ووجد لامن أب ولا من أم فكيف يستنكف المسيح عن العبودية لكونه وجد من أم لا من أب والملك الذي وجد لامن أب ولا من أم لا يستنكف عنها فالملائكة أعجب في هذا من المسيح في هذا الباب مع أنهم لا يستنكفون عن عبودية الله تعالى

ونها قوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته والاستدلال هذه الآية الكريمة من وجهين (الاول) انه تعالى احتج بعدم استكبار الملائكة عن عبادته على ان البشر يجب ان لا يستكبر عنها ولو كان البشر أفضل من الملائكة لما تم هذا الاستدلال فان السلطان اذا أراد ان يقرر على رعيته وجوب طاعتهم له فانه يقول للملك لا يستكبرون عن طاعتي فمن هؤلاء المساكين وبالجملة فظاهر ان هذا الاستدلال لا يتم الا بالقوى على الاضعف (الثاني) انه قل ومن عنده وهذه عندية الفضيلة والقرية والجواب عن هذا فهم عما قبله وهو ان الملائكة مع تمام قوتهم وشدة بطشهم لا يتمرّدون عن طاعة الله تعالى ولا يستكبرون فبالا البشر يتمرّدون عن طاعة الله مع غاية ضعفهم وهنأ

يجب كون الملك أقوى من البشر لا كونه أفضل منه بهي كثرة الثروات
ويجاب عن الثاني أنه مباحض بقوله تعالى في صفة البشر (في متعدد صدق عند
ملك مقتدر) وقد عاين السلام حكمية عن الله تعالى لأنها عند المنكسرة قلوبهم
وهذا أفضل لأنه قال في الملائكة أنهم عدد ربهم وقال في وصف المنكسرة قلوبهم
أن ربهم عديم

ومما أن عبادات الملائكة أديم وأشق فوجب أن تكون أفضل شاء
قوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وإلى هذا التقدير لو كانت أعزاه
مساوية لأعمار البشر لكن طاعتهم أديم وأكثر فكيف ولا نسبة للمركب
البشر إلى عمر الملائكة وإنما يدل الأديم لأنه أشق فكان أفضل وفي الحديث
« خيركم من طل عمره وحسن عمله » والمواب عن هذه بأن لا حجة لم في
شيء من ذلك أما كون عبادتهم أشق ل عبادة لبشر أشق لما فيهم من
دواعي التخليف والتفاد والتعود وأما يدل جميع ذلك على قوة الملائكة وهذه
مسلم ولا حجة لم أيضا في الحديث لأنه خطاب لبشر خاصة ولا يلزم من تفاضل
أحد الأنواع شيء انتفضل به في غيره كما لا يخفى وأنت إذا تأملت ما نقلناه
حق أثبات وجدته غير دال على معادهم وقد قامت الأدلة من الطرف الآخر
على تفضيل الأنبياء وكذلك من ألقاهم بهم في الفضل في الحلة ولا يذهب
عليك أنه لا خلاف في فضيلة الملائكة وإنما الخلاف في أفضليتهم على خواص بني آدم
هذا وقد قل بعض العلماء مسألة تفضيل البشر على الملك أو الملك على البشر ليست
بما يضر اعتقاده ويضر الجمل به ولو اتفق العبد ربه سادحا من المسئلة بالكتابة
لم يكن عليه ثم قما هي مما كلف الناس بمعرفة

وقد القاضي ناج الدين السبكي أناس ثلاثة رجل عرف أن الأنبياء أفضل من
الملائكة واعتقده بالليل وآخر حمل هذه المسئلة ولم يشتغل بها بالكتابة وهذا لا ضرر
عليها قول وثالث قضى أن الملك أفضل وهذا على خطر وهل يقال زمن قضى بتفضيل
الأنبياء على خطر بكون الساذج أعلم منه أو أنه ناج لأصالة الحق من الخطر هذا وضع
ظفر نال والذي أفهمه عن الروايات السلام في السكوت عن هذه المسئلة وأن الدخول في

التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دلائل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسا أهلا للحكم فيه وقد جاءت أحاديث نحسم اشارتها مادة المدخول في ذلك فان قوله صلى الله عليه وسلم «لا تدخلوني على بنون مني» ونحوه ونحن على قلع بأنه صلى الله عليه وسلم أفصل من بنون عليه السلام ولم يخلف في ذلك أحد الله اشارة الى أنكم لا تدخلون في أمر لا يعنيكم ومال السوقة والدخول بين الملوك وأعني بالسوقة في هذا مثالا والملوك الانبياء والملائكة عليهم السلام وقد علمت مذاهب الناس مما أسلفنا والله أعلم

(التنبيه الرابع) اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام، عدمه قال العلامة شمس الدين بن مفلح في كتابه الفروع ما نصه قال ابن حامد في كتابه الجن كالانس في التكليف والعبادات قال ومذاهب العلماء اخرج الملائكة من التكليف والوعود والوعيد انتهى ونقدم من الكلام على الجن وكذا قال في الفروع قبيل باب الامامة في كلام أبي المهيدي ان كشف العورة خاليا هي مسئلة سترها عن الملائكة والجن قال وكلام صاحب المحرر وظاهر كلامهم يجب عن الجن لا مهم مكلفون أجانب وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لان الآدمي مكلف وقب أمر الشارع في خبر مهز بن حكيم بحفظها عن كل أحد لا من زوجته وأمه وهذا مع العلم بحضورهم انتهى ملخصا ولعل مراده اخراجهم عن التكليف بما كلفنا به لا مطلقا والافهم مكلفون قطعاً قل ابن جماعة في شرح بدء الاله الى المسكائون على ثلاثة أقسام قسم كف من أول الفطرة قطعاً وهم الملائكة وآدم وحواء عليهم السلام وقسم لم يكف من أول الفطرة وهم أولاد آدم وقسم فيهم نزاع وظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجن انما هي قالت الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة إذ فيه لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرن - ومن يزعم منهم عن أمرنا نذقه من عذاب العير - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - يخاضون ربهم من فوقهم) وقل (وهم من خشيته مشفقون - اذ اوحيت الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وهذا كله تكليف وناشي عن التكليف والاحاديث طائفة بمعنى ذلك والله أعلم

(الحامس) في ذكر بعض التفضيل بين المعلومات قال العز بن عبد السلام الجواهر

والاحسام كلها مساوية من جهة ذواتها وانما ينزل بعضها على بعض نصفها واعرافها
 واتسابها الى الارصاف الشريفة في التفاضل النفيسة وأوصلها انما يهذه انقراطي في كتابه
 أنوار الفروق الى عشرين قاعدة أولها تفصيل المعلوم على غيره بذاته دون سبب به مرض
 له يوجب التفصيل له على غيره وله مثل أحدها الواجب لذاته المستغني في وجوده
 عن غيره كدات الله تعالى وصفاته الثماني العلم حسن لذاته وهو أفضل من العلم لان العلم
 عدم الجهل معه ونحوه من الجهل مع العلم وذلك لذات العلم لا لصفة قامت به كذا ان الجهل
 تقيصة لذاته لا لصفة قامت به أوجبت تمصه بخلاف الجهل والعالم نقص الجاهل
 لصفة قامت به وهي الجهل وفصل العالم بصفة قامت به وهي العلم الثالث الحياة
 أفضل من الموت لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك وسبب تفضيلها كونها تنافي معها
 العلوم والقدر والارادات وغير ذلك من التصرفات وصفات الكمال كاشية
 والرسالة والولاية وغيرها وتعدر جمع ذلك مع الموت يعني ابتداء ذلك وان لم تقطع
 هذه الاشياء بالموت ولا نفى ولا تصحاح بل تدوم وتستمر وذلك الحياة لذاتها
 لا لمعنى أوجب لها ذلك الثمانية التمسك بالصمات الحقيقة القائمة بالمفضل كتفضيل
 العالم على الجاهل والتفاضل المختار على الموحب بالذات بسبب الارادة والاختيار
 القائم به وتفضيل القادر على العاجز بسبب القدرة الوجودية القائمة به فهذا كله
 تفضيل بالصفات القائمة بالمفضل لذاته وبه خالف القاعدة الاولى ثمانية التفضيل
 بطاعة الله تعالى كتفضيل المؤمن على الكافر وتفضيل أهل الكتاب على عبدة
 الاوثان فأحل تعالى ذبايحهم وأباح تزويجنا من نسائهم دون عبدة الاوثان فانه
 جعل ما ذبحوه كالميتة وتصرفهم فيه مالهذابة كنصرف الحيوان البهيم من السباع
 والكواسر في الانعام لا أثر لملك وجعل نسائهم كائنات الخيل والحمير محررات
 الوطء كل ذلك اهتمام لهم لجحدهم الرسالة والرسول وكتفضيل الولي على آحاد
 المؤمنين المقصرين في الطاعة وقيل لاقتصارهم على أصل الدين الواجب وكثرة
 طاعة الولي وبذلك سمي وليا أي تولى الله بطاعته وقيل لأن الله تعالى تولاها بملكه
 ولذلك أيضا تفاضل الاولياء بينهم بكثرة الطاعة فمن كان أكثر تقربا الى الله
 تعالى كانت رتبته في الولاية أعظم وكتفضيل الشهيد على غيره من حيث الجملة

لأنه أطاع الله تعالى ببذل نفسه وماله في نصرته دينه وأعظم بذلك طاعة وكنفضيل العلماء على الشهداء كما جاء في الحديث «ما جمع الأعمال في الجهاد إلا كنقطة في بحر وما الجهاد وجميع الأعمال في طلب العلم إلا كنقطة في بحر» وفي حديث آخر «لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء لرجح (١)» بسبب طاعة العلماء لله تعالى بضبط شرائعهم وتعظيم شعائره التي من جعلها الجهاد وهداية العباد إلى الملك الجواد وتوصل معالم الأديان إلى يوم الدين ولولا سعيهم في ذلك من فضل الله تعالى لا قطع الجهاد وغيره ولم يبق على وجه الأرض من يقول الله وكل ذلك من نعم الله عليهم قلت هذا انتصار لا قول بأفضلية العلم على الجهاد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما فعندما العلم تعلمه وتغايبه أفضل من الجهاد وهي رواية عن الإمام أحمد أيضا لأن العلم هو الدليل المرشد وقد قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل «وما انعم الله علي أن حجب إلي العلم فهو أسنى الأعمال وأشرفها قال ابن مفلح في فروعه واختاره أي القول بأن العلم أفضل الأعمال غيره من علمائنا ولفظ الرواية العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته قيل فأي شيء تصحيح النية قال ينوي ٧ يتواضع فيه وينفي عنه الجهل تقلدها

الرابعة التفضيل بكثرة الثواب الواقع في العمل وله مثالات منها الإيمان أفضل من جميع الأعمال بكثرة ثوابه فإن ثوابه الخلود في الجنان والخالص من النيران ومن غضب الديان ومنها صلاة الجماعة فإنها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين صلاة ومنها الصلاة في أحد المساجد الثلاثة ومنها صلاة القصر أفضل للمسافر من الأتمام وإن كان الأتمام أكثر عملا

الخامسة التفضيل لشرف الموصوف منها صفات الله تعالى من علمه وكلامه وقدرته وإرادته وسائر الصفات المنسوبة إلى الله تعالى أفضل من غيرها لوجوه منها شرف الموصوف ومنها صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم كعلمه وكرمه وشجاعته وحلمه

(١) لعله سقط من الأصل شيء ولفظ المازوي «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء» ذكره في الأحياء وقال العراقي أخرجه ابن عبد البر بسند ضعيف وذكر له سارح الأحياء تخاريج أخرى ضعيفة وفيها زيادة «فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء» أه مصححه

وجميع ما هو صفة لنفسه الكريمة له الشرف والفضل على صفاتها من وجوه أحدها شرف الموصوف

السادسة التفضيل بشرف المدلول وله أمثلة منها تفضيل الاذكار الدالة على ذات الباري وصفاته العلى وأسمائه الحسنى ومنها تفضيل الآيات المتعلقة بالله كقول هو الله أحد على الآيات المتعلقة في أي لُحِب كُتِبَت يدا أبي لُحِب ومنها الآيات الدالة على الوجوب والتحريم أفضل من الآيات الدالة على الإباحة والكرهية والدب لاشتمالها على الحث على أعلا رُتَب المصالح والزجر عن أعظم المفاسد

السابعة النفوذ بشرف الدلالة لا بشرف المدلول كشرف الحروف الدالة على الاوصاف الدالة على كلام الله تعالى فان ذلك أوجب شرفها على جميع الحروف لهذه الدلالة وأمر الشرع بتعظيمها فلان مسك الأعلى طهارة ويكفر من أهانها بالقاذورات وله وقع عظيم في الدين فلا يجوز اخراجها عن بلاد المسلمين الى بلاد الكافرين خشية ان نالها أيديهم قلت وهذا على حسب اعتقاده من أنها مخلوقة وليست هي من كلام رب العالمين والحق ان ما بين دفتي المصحف كلام رب العالمين وحبله المتين والله أعلم

الثامنة التفضيل شرف المتعلق كتفضيل العلم على الحياة فان الحياة لا تتعلق بشيء بل لها موصوف فقط والعلم له موصوف ومتعلق فله مزية شرف بذلك وكذلك القدرة والارادة والسمع بالاصوات والبصر بجميع الموجودات البصريات التاسعة التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل المتعلق بذات الله وصفاته على غيره من العلوم كتفضيل الفقه على الطب لثقله بأحكام الله تعالى وهذا القسم عين المدلول فكل مدلول متعلق وليس كل متعلق مدلول لان الدلالة والمدلول من باب الالفاظ والحقائق الدالة كالصنعة على الصانع فانها تدل عليه وأما العلم ونحوه فلا يقال له دال بل هو مدلول في نفسه وليس بدليل على غيره بل له متعلق خاصة وهو معلومه وكذلك الارادة المتعلقة بالحير أفضل من الارادة المتعلقة بالشرور والنية في الصلاة أفضل من النية في الطهارة لأنها متعلقة بالمقاصد والثاني بالوسائل والمقاصد أصل من الوسائل والمتعلق بالافضل أفضل

العاشرة التفضيل بكثرة التعلق كتفضيل علم الله تعالى على قدرته وإرادته وسمعه وبصره لتعلقه بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات واختصاص الإرادة بالممكنات وجوداً وعدمها والقدرة بوجود الممكنات خاصة واختصاص السمع بالمسموعات على ما تقدم

الحادية عشر ٧ التفضيل بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود الثانية عشر التفضيل بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على جميع بقاع الأرض وحكاه القاضي عياض أجمعاً والمراد والاعضاء الشريفة فيه وفي بدائع الفوائد للمحقق ابن القيم قال ابن عقيل سألت أياً أفضل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو الكعبة فقلت إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وإن أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح انتهى

الثالثة عشر التفضيل بسبب الإضافة كقوله تعالى (أولئك حزب الله) أضافهم إليه تعالى لإشرفهم بالإضافة إليه وإضافة البيت إليه تعالى وكذا النافذة ونحوها الرابعة عشر التفضيل بالانساب والأسباب كتفضيل ذريته عليه السلام على جميع الذراري بسبب نسبهم المنصل برسول الله صلى الله عليه وسلم كتفضيل نسائه على جميع النساء وإن تفاوت في ذلك

الخامسة عشر التفضيل بالثمرة والجدوى كتفضيل العالم على العابد لأن العلم يثمر صلاح الخلق وهدايتهم إلى الحق بالتعاليم والارشاد وأما العبادة فقاصرة على محلها ومن هذا الوجه تفضيل الرسالة على النبوة

السادسة عشر التفضيل بأكثريّة الثمرة بأن تكون الحقيقتان لكل واحد منهما ثمرة لكن ثمرة أحدهما (٧) أعظم وجدواها أكثر كثرة علم الفقه وعلم الهندسة فإن كلاهما مشتمل أحكاماً شرعية لأن الهندسة يستعان بها في الحساب والمساحات والحساب يدخل في المواريث وغيرها والمساحات تدخل في الاجارات ونحوها من نواذر المسائل الفقهية لأنها بالنسبة إلى مسائل الفقه قليلة ثمرة الفقه أعظم وعلم النحو أنفع من علم المنطق وعلم الأصول أنفع من علم النحو وكل علم يحسب ثمرة والله أعلم

السابعة عشر التفضيل بالتأثير كقدرة الله تعالى على العلم والكلام بالنسبة للتأثير فانها مؤثرة في تحصيل وجود الممكنات والعلم تابع فن حيث سعة المتعلق والعموم فالعلم أفضل ومن حيث التأثير فالقدرة والله أعلم وكذلك الارادة بالنسبة الى الحياة فان الارادة مؤثرة لتخصيص في الممكنات بزمانها وصفاتها الجائزة عليها والحياة لا تؤثر ايجادا ولا تخصيصا وليس في صفات الله السببه التي تثبت الصفاتية الا القدرة والارادة فقط.

الثامنة عشر التفضيل بجودة البنية والتركيب كتفضيل الملائكة الكرام عليهم السلام على الجان بسبب جودة أبنيتهم وحسن تركيبهم فانهم خلقوا من نور فجبريل يسير من العرش الى العرش مسيرة سبعة آلاف سنة لحظلة واحدة ويحمل مدائن قوم لوط الخمسة من تحت الارض على جناحه ولا يضطرب منها شيء بل يتنقلها من تحتها ويصمد بها الى الجو ثم يقلبها وهذا عظيم والملاك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجان ولهذا سأل سليمان عليه السلام ربه ان يولي على الحان الملائكة ففعل له ذلك فحسم الزاجرون لهم عند العزائم وغيرها التي يتعاطاها أهل هذا العلم فيقسمون على الملائكة بتلك الأقسام التي تعظمها الملائكة فتفعل في الحان ما يريد المقسم عليهم بتلك الاسماء العظيمة كذا روى القرافي (١) قال وكانوا قبل زمن سليمان عليه السلام يخاطبون الناس في الاسواق ويعبثون بهم عبثا شديدا فلما رتب سليمان عليه السلام هذا الترتيب وسأله من ربه انحازوا الى الفلوات والحراب من الارض فقلت أذيتهم والملائكة عليهم السلام تراقبهم في ذلك فمن عبث منهم وعثا ردوه أو قتلوه كما يفعل ولاية نبي آدم مع سفهائهم قال وما سبب اقتدار الملائكة على الحان افاضل أبنيتهم ووفور قوتهم فهم مفضلون على الجان من هذا الوجه مضافا لبقية الوجوه ومن هذه الحشية فضلت الملائكة على البشر قال القرافي فان الصحيح أن البشر أفضل على تفصيل فيه فاذا ورد نص في تفضيل الملك حمل ذلك انتفضيل واثناء على الابنية

(١) أشار المؤلف الى البراءة من هذا القول وله الحق فهو من الخرافات والقول في عالم الغيب بغير برهان ومثله عامة ما قاله القرافي في هذا الباب لم يصححه

وجودة التركيب اذا كان النص يحتمل ذلك فتندفع أكثر الاسئلة والنقوض عن المستدل على افضلية الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا نزاع أن الملائكة في أبنيتهم ٧ وأبنية بني آدم ضعيفة بالنسبة الى أبنية الملائكة فتحمل نصوص التفضيل على ذلك وكذلك تفضيل الجان في الابنية وجودة التركيب على بني آدم ومن ثم الجان يعيشون الآلاف من السنين ولا تعرض لهم الامراض والاسقام التي تعرض لبني آدم بسبب ان أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الاغذية فلا يحصل لهم التعفن والآفات الناشئة عن الرطوبات ومن حيث جودة العنصر وحسن التركيب فضل الذهب على الفضة

التاسعة عشر التفضيل باختيار الله تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما يشاء على ما يشاء فيفضل أحد المتساويين على الآخر من كل وجه كتفضيل شاة الزكاة على شاة التطوع وتفضيل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض على الفاتحة خارج الصلاة وقال ابن عبد السلام الفضائل ضربان أحدهما فضل الجمادات كفضل الجواهر على الذهب وفضل الذهب على الفضة وفضل الفضة على الحديد وفضل الانوار على الظلمات وفضل الشفاف على غير الشفاف وفضل اللطيف على الكشيف والنير على المظلم والحسن على القبيح والضرب الثاني فضائل الحيوان وهي اقسام أحدها حسن الصور (الثاني) قوة الاجسام كالقوى الجاذبة والممسكة والدافعة والغاذية والقوى على الجهاد والقتال وحمل الاعباء والاثقال (الثالث) الصفات الداعية الى الخير والوازعة عن الشر كالغيرة والنخوة والحياء والشجاعة والسخاء والحكم (الرابع) العقول (الخامس) الحواس (السادس) العلوم المكتسبة وهي اقسام كعرفة وجود الاله وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ومعرفة ارسال الرسل وانزال الكتب وتنبية الانبياء ومعرفة ما شرع الله من الاحكام الحسنة وأسبابها وشر وطها وموانعها ومعرفة الاحوال الناشئة مما ذكر من المعارف كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والتعظيم والاجلال والقيام بطاعة الله تعالى في كل ما أمر به ونهى عنه وماربه الله تعالى على هذه المعارف والاحوال والطاعات من لذات الآخرة وافراحها بالنعيم الجمائي والروحاني كإذنة الامن من عذاب

الله والانس بقربه وجواره وسامع كلامه وسلامه مصحوبة بالرضا الدائم والنعيم
المقيم والنظر الى وجهه الكريم مع الخلاص من العذاب الاليم فهذه فضائل بعضها أفضل
من بعض فمن اتصف بافضلها كان أفضل البرية ولا شك ان معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته ولذات رضاء والطرا الى وجهه الكريم أفضل مما عداهن وأفضل الملائكة من
قام به أفضل هذه الصفات وان تساوى اثنان من الملائكة في ذلك لم يفضل أحدهما
على الآخر وكذا ان تساوى الملك والبشر في ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر
فان فضل الملك على البشر بشي من ذلك كان أفضل منه وان فضل البشر على
الملك بشي من ذلك كان أفضل منه والفضل منحصر في أوصاف الكمال والكمال
إما بالمعارف والطاعات والاحوال وإما بالافراح والذات فاذا أحسن الله تعالى الى
أجساد الانبياء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأحسن
الى أرواحهم بالمعارف الكاملة والاحوال المتواليه وأذا قدم لذة النظر اليه وسرور
رضاء عنهم وكرامة تسليمه عليهم فابن للملك مثل هذا واعلم ان الاجساد مساكن
الارواح وللساكن والمسكن أحوال أحدها ان يكون الساكن أشرف من المسكن
الثانية ان يكون المسكن أشرف من الساكن الثالثة ان يستويا في الشرف فلا
يفعل أحدهما على الآخر واذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بمخاضة المسكن
واذا كان الشرف للمسكن فلا يتشرف به الساكن والاجساد مساكن الارواح
ذكر اختلاف الناس في التفضيل الواقع بين البشر والملك فقال ان فاضل بينهما
حمة تفاوت الاجساد التي هي مساكن الارواح فاجساد الملائكة أشرف وأفضل
من اجساد البشر المركبة من الاخلاط وان فاضل بين أرواح البشر وأرواح الملائكة
مع قطع النظر عن الاجساد التي هي مساكن الارواح فارواح الانبياء أفضل من
أرواح الملائكة لانهم فضلوا عليهم بالارسال ورسول الملائكة قليل لأن رسولا
الملائكة يأتي الى نبي واحد ورسول البشر يأتي الى الامم والى أمة واحدة فيهديه
الله تعالى على يديه فيكون له أجر تبليغه ومثل أجر من اهتدى على يديه وليس مثل هذا
للملائكة وبالجهاد في سبيل الله وبالصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله تعالى يحب
الصابرين ولا عسيرة بفضل أجساد الملائكة على أجساد الانبياء لان الاجساد

مساكن ولا شرف بالمساكن وإنما الشرف بالادّعاء القائمة بها الساكن فلا اعتبار
 بالساكنين دون المساكن فإن الانبياء قد سكنوا في بطون أمهاتهم مع القطع بأنهم
 أفضل من أمهاتهم فروح المسيح أفضل من جسد مريم وكذلك روح إبراهيم
 أفضل من جسد أمه وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جسد أمه
 فإذا انظر رهنذا في أسباب التفضيل فاعلم أن هذه الأسباب الموجبة للتفضيل قد تتعارض
 فيكون الأفضل من حاز أكثرها وأفضلها وقد يختص المفضل ببعض الصفات
 الفاضلة ولا يقدح ذلك في التفضيل عليه كقوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي
 وأقرضكم زيد وأقروكم أبي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأزهدكم أبو
 ذر رضي الله عنهم مع أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل من الجميع وكذلك
 الانبياء فخص سليمان بالملك العظيم ونوح بالإنذار المبين من السنين ٧ وآدم أبا
 البشر مع تفضيل محمد صلى الله عليه رعليهم أجمعين فلو لا جواز تخصيص المفضل
 بما ليس للفاضل لازم التناقض فلا جرم علمنا أن التعاضل ما بين الملائكة والانبياء
 عليهم السلام إنما هو بالطاعات وكثرة المثوبات والأحوال السنيات وشرف النبوات
 والرسالات والدرجات العليات فكل من كان فيها أنتم فهو أفضل وفيما ذكر
 من تعداد أسباب التفضيل الرد على المأمون بن هرون الرشيد الخليفة في زعمه أن
 أسباب التفضيل أربعة وكلها في علي رضي الله عنه أكل منها في غيره فزعم أنه أفضل
 الصحابة وهي العلم والشجاعة والكرم وشرف النسب وأخذ يرد على الصحابة
 رضوان الله عليهم أجمعين ويرد على أهل السنة فبطل بما ذكر دعوى هذا الحصر
 وكان المأمون هذا رافضيا معتزليا قدريا ومائل التفضيل كثيرة بين الانبياء
 والصحابة والملائكة والله تعالى أعلم وقد بسطنا العبارة وذكرنا ما لم يفيده المطلوب
 غير أن الاعراض عن كثير مما ذكر كان أليق بشرح هذه الأرجوزة وبالله التوفيق

سجل الباب السادس

في ذكر الامامة ومتعلقاتها

ولا غنى لامة الاسلام في كل عصر كان عن امام
يذب عنها كل ذي جحود ويمتني بالفتو والحدود
وفل معروف وترك نكر ونصر مظلوم وقمع كفر
وأخذ مال التبيء والخراج ونحوه والصرف في منهاج

قال علماؤنا كغيرهم نصب الامام الاعظم فرض كفاية لان الصعابة رضي الله عنهم أجمعوا على ان نصبه واجب بعد اقراض زمن النبوة بل جعلوه أم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم في تعيينه لا يقدح في الاجماع المذكور وتلك الاهمية لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فلا بد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم قالوا صدقت تنظر فيه فهذا قلنا (ولا غنى) ولا مندوحة ولا بد (لامة) دين (الاسلام) وهي بالضم الجماعة أرسل اليهم رسول والجيل من كل حي ومن هو على الحق مخالف لسائر الاديان والرجل الجامع للحير وفي نسخة مللة بدل أمة وهي بكسر الهمزة الشريعة أو الدين (في كل عصر) من الاعصار وزمن من الازمان (كل) أي وجد وحصل واستمر (عن امام) متعلق بقوله لا غنى بل هو فرض لازم وواجب جازم ووجوده عند أهل السنة أكثر المعتزلة بالسمع يعني التواتر والاجماع وزعم جمهور المعتزلة أن وجوبه بالعقل ووجوبه شرعا لميسر الحاجة اليه فانه صلى الله عليه وسلم أمر باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الحيوت للجهاد وحماية البيضة والذب عن الحوزة ولذا قال (يذب) بفتح الميم المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وتشديد الواو أي يدفع ويمنع (عنها) أي عن الاسلام وبيضة الدين (كل) ملك جبار وملحد مفوار ومعتد بهذا

وظلم كفار ﴿ ذي ﴾ اي صاحب ﴿ جحود ﴾ اي انكار يقال جحدته حقه وبحقه كمنه جحدا وجحود انكره مع علمه والمراد به هنا الجاحد للدين القويم والضال عن الصراط المستقيم واضرا به ﴿ ويعني ﴾ ذلك الامام المنصوب يقال عنه الامر بعينه ويعنوه عنائه وعناية وعنايته واعتنى به اهم ﴿ بالغزو ﴾ اسية غزو الكفار وقهر اهل البغي وانفجار يقال غزاه غزوا اراده وطلبه وقصده كاستزاه وغزا العدو سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانا وغزاة فهو غاز فيقاتل من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم او يدخل في الذمة ﴿ و ﴾ يعني الامام المنصوب ايضا باقامة ﴿ الحدود ﴾ جمع حد وهو لغة المنع والفصل بين شيئين وحدود الله تعالى محارمه كقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تقربوها) وحدود الله ايضا ما حده وقدره والحدود العقوبات المقدرة سميت بذلك لانها تمنع من الوقوع في مثل الذنب الذي رتب تلك العقوبة عليه أو لكونها زواجر عن أي المحارم التي حرمها الله تعالى فيقيم الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك ﴿ و ﴾ يعني أيضا بالامر : ﴿ ففعل معروف ﴾ وقد تكررت ذكره في الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكلما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المجهنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه ﴿ وترك نكر ﴾ معطوف على ما قبله أي ويعني أيضا بالنهي عن كل منكر وهو ضد معروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر ﴿ و ﴾ يعني المنصوب : ﴿ نصر مظلوم ﴾ من ظلمه بتخليصه من نحو سجنه ورد ظلامته عليه من ظلمه وأخذ حقه ممن هو عليه ونحو ذلك ﴿ وقع ﴾ أهل ﴿ كفر ﴾ أي قهرهم وذلمهم يقال قمعه كمنعه واقمعه والمقموع المقهور لان ذلك من أجل المقاصد الشرعية والمصالح الاسلامية ﴿ و ﴾ يعني أيضا : ﴿ أخذ مال ألفي ﴾ اصل ألفي مصدر فاء بفي فيه اذا رجع ثم أطلق على المال الحاصل من جهاته المذكورة في كتب الفقه سمي قبيلا لانه راجع منها الى أهل الاسلام كأنه في الاصل لهم ثم يرجع اليهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في السياسة الشرعية سمي قبيلا لان الله

تعالى أفاض على المسلمين أي رده عليهم من الكفار فان الأصل ان الله تعالى إنما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه تعالى إنما خلق الخلق لعبادته فالسكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدهن فأفاض اليهم ما يستحقونه كما يعاد على الرجل ما غصب من ميراثه وإن لم يكن قبضه قبل ذلك وهو ما أخذ من مال كافر بحق الكفر بلا قتال كالجزية (والخراج) وزكاة تغلبي وعشر مال تجارة حربي ونصفه من ذبي (ونحوه) أي نحو ما ذكر كالمال الذي تركه الكفار فرعا وهربا وبذلوهم فزعا مافي الهندنة وغيرها وخمس المحس من المنية ومال من مات من الكفار ولا وارث له ومال المرتد اذا مات على رده يقتل أو غيره أو لحق بدار حرب (و) يستني أيضا (الصرف) لذلك المال المذكور (في منهاج) أي طريق وجهة مصرفه المينة له شرعا فيصرف في مصالح أهل الاسلام ويبدأ من ذلك بالام فالام من المصالح العامة لأهل الدار التي بها حفظ المسلمين وطوائف جند الاسلام وعمارة الثغور وكفاية أهلها وما يحتاج اليه من يدفع عن المسلمين من السلاح والكرع وسد البشوق وكري الانهار وعمل القناطر على الطرق والمساجد وارزاق القضاء والأئمة والمودنين والفقهاء ومن يحتاج اليه المسلمون وكلما يعود نفعه على المسلمين فان فضل منه شيء قسم بين المسلمين غنيهم وفقيرهم نعم لا يفرد العبد بالمعطاء بل يزاد سيده واحتار شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أنه لاحظ لرافضة فيه ذكره المحقق ابن القيم في كتابه راد المعادي هدي خير العباد عن الامامين مالك وأحمد رضي الله عنهما وكل ما ذكر من اقامة الحدود وسد الثغور وحفظ بيضة الاسلام واجب وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فلهذا قلنا ولا غنا لمة الاسلام عن اقامة امام فنصبه فرض كفاية اذ في نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تستقصى وكل ما كان كذلك فهو واجب فان جلب المناقم ودفع المصار المترتبة على نصب الامام تكاد تلحق بالضرورات بل بالمشاهدات بشهادة ما تراه من الفتن والفساد وانفصام أمور العباد بمجرد موت الامام وان لم يكن على ما ينبغي من الصلاح والساد فاقامة الامام فرض كفاية عند أهل السنة ومن وافقهم بالاجماع

وعند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كابي الحسن والجاحظ والخياط والكمي
 في الضرورة وأما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا اعتداد بها لان مخالفتهم
 كسائر المبتدعة غير قادح في الاجماع ولا يخل بما يفيد من القطع بالحكم المجمع
 عليه ودعوى ان في نصبه ضررا من حيث ان الزام من هو مثله بامثال أو أمره
 فيه اضرار به فيؤدي الى الفتنة ومن حيث أنه غير معصوم من نحو الكفر والفسوق
 فان لم يعزل أضرب بالناس وان عزل أدى الى محاربة وفيها ضرر أي ضرر باطلا لا ينظر
 اليها لان الاضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لانسبة بينهما واذا اجتمع
 ضرران دفع أعظمهما باخفهما وجوبا وفرض انتظام الناس بدون امام محال عادة
 كما هو مشاهد

﴿ ونصبه بالنص والاجماع ﴾ وقهره فحل عن الخداع ﴿
 ﴿ وشرطه الاسلام والحرية ﴾ عدالة سميع مع الدرية ﴿
 ﴿ وان يكون من قريش عالما ﴾ مكلفا ذا خبرة وحاكما ﴿

﴿ و ﴾ يثبت ﴿ نصبه ﴾ أي الامام الاعظم ﴿ بالنص ﴾ من الامام على
 استخلاف واحد من أهلها بان يعهد الامام بالامامة الى انسان ينص عليه بعده ولا
 يحتاج في ذلك الى موافقة أهل الحل والعقد (١) كما عهد أبو بكر الصديق بالخلافة
 الى عمر الفاروق رضي الله عنهما ﴿ و ﴾ يثبت نصبه أيضا ﴿ الاجماع ﴾ من أهل
 الحل والعقد من المسلمين كإمامة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وخليفة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بايعه أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس
 الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت امامته وكذا يجعل الامر شورى
 في عدد محصور ليتفق أهل البيعة على أحدهم فانفقوا على واحد منهم صار اماما
 كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جعل أمر الامامة بين ستة أنصار
 حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهم أجمعين ﴿ و ﴾ يثبت
 نصبه أيضا ﴿ قهره ﴾ الناس بسيفه حتى يذعنوا له ويدعوه اماما فتثبت له الامامة

(١) ان أهل الحل والعقد رضوا بهم فقبولهم هذا دليل عليه

قال الامام أحمد رضي الله عنه في رواية عبدوس بن مالك العطار ومن غلب عليه بالسيف حتى صار خليفة ومسي أمير المؤمنين فلا يحمل لاحد يؤمن بالله نيت ولا يراء اماما برا كان أو فاحرا انتهى لان عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير رضي الله عنهما فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ودعوه اماما ولما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين واراقة دماهم وذهاب أموالهم ولهذا قال ﴿ محل ﴾ أمر ارشاد أي امد وزل ومنه ﴿ لا يذرون عنهم احولا ﴾ ﴿ عن الحداد ﴾ متعلق بحل من خدعه كمنه خدعا وليكسر خنقه وأراد به المكره من حيث لا يعلم كاختدعه فانخدع والاسم الخديعة يعني ترك مخادعة أهل البدع وترويق ما يظهرون من جواز الخروج على الامام وعن طاعته وزعمهم علم وحرب نصه فانهم ضالون ومن واقعهم صار منهم ثم أخذ في ذكر شروط الامام المصوب وما يعتبر ان يكون فيه ومتصفا به على سبيل الوحوب ﴿ وشروطه ﴾ أي يشترط فيه ﴿ الاسلام ﴾ لان غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل ﴿ والحرية ﴾ لان الرقيق بجميع أنواعه عليه الولاية فلا يكون واليا على غيره فضلا عن عامة المسلمين وخاصتهم وأما حديث «اسمعوا له وأطيعوا» ولو ولي عليكم عبد اسود كان رأسه زينة محمول على نحو أمير سرية . وشروطه أي يشترط فيه أيضا ﴿ عدالة ﴾ لاشتراط ذلك في ولاية القضاء وهي دون الامامة العظمى نعم ان قهر الناس غير عدل فهو امام كما تقدم نص الامام أحمد رضي الله عنه في مثل ذلك . ويعتبر فيه أيضا ﴿ سمع ﴾ أي ان يكون سميما بصيرا ناطقا لان غير المتصف بهذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق ﴿ مع الحرية ﴾ بفتح الدال المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية بها تأييد من الدراية وهي العلم والخبرة يقال دريت الشيء ودريت به دريا ودريا بالكر ودريا كحبل علمته أو بضرب من الحيلة كما في القاموس وأريد به اعتبار كونه عالما بالاحكام المتعلقة بالسياسة والحروب ذ بصيرة قد علم بأحوال الناس ومكرهم وختلهم وخبر أحوالهم لاحتياج الامام الى جميع ذلك بخلاف المغفل فلا يصلح للامامة العظمى ﴿ و ﴾ يعتبر أيضا ﴿ أن يكون ﴾ الامام ﴿ من قریش ﴾ وهو من كان من نسل فهر بكسر الفاء وسكون

الحاء بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمه بن مدركة واسمه
 عمرو بن الياس واسمه حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فقهري جماع
 قر يش في قول الكلبي وغيره من العلماء في أنساب العرب وسوا قر يشا لانهم كانوا
 يترشون عن نخلة الناس بفتح الحاء المعجمة أي حاجتهم وفقيرهم ومعناه ينقبون
 عنها ويستعملونها ليفنوم ويسدوا خاتمهم وكان ذلك من قولهم تقارشت الرماح
 اذا تداخلت في الحرب لان المستعلم المستخير يداخل أحوال الذي يطلب علم حاله
 ليحصل له مقصوده وقيل أنه مأخوذ من القرش وهو التقيش لانهم كانوا
 يعبدون الحاج فيطعمون الجائع ويكسون العاري ويحملون المنقطع قال الجوهري
 القرش الكسب والجمع وقد قرش بقرش بالسكسر قال الفراء وبه سميت قر يش
 وقيل سموا بدابة عظيمة تأكل الدواب في البحر وقيل غير ذلك وانما اشتراط
 كونه من قر يش لقوله صلى الله عليه وسلم «الائمة من قر يش» رواه الامام أحمد وأبو
 يعلى في مسنديهما والطبراني من حديث أبي برزة رضى الله عنه وروى الترمذي
 نحوه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا ولفظه «الملك في قر يش» وسنده
 صحيح وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال «الخلافة في قر يش» رواه
 الطبراني أيضا وروى البزار من حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «الامراء من قر يش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها
 أمراء فجارها» وفي الحديث «قدموا قر يشا ولا تقدموها» وقول الصديق
 والمهاجرين للانصار ان العرب لا تدين الا لهذا الخمي من قر يش ورووا لهم في ذلك
 الاخبارو يعتبران يكون في عالمهما بالاحكام الشرعية لاحتياجه الى مراعاتها في
 أمره ونهيه وان يكون في مكلفهما أي بالغا عاقلا لان غير البالغ العاقل يحتاج لمن
 يلي أمره فلا يكون واليا على أمر المسلمين وان يكون في ذا خبرة في تدبير الامور
 المذكورة في البلاد والعباد في ان يكون في حاكما أي قادرا على ايصال الحق
 الى مستحقه وكف ظلم المعتدي وقمع أهل الافراء والاعتداء وقادرا على اقامة
 الحدود وقمع أهل الضلال والجمود لاأخذه رافة في اقامة الحدود والذب عن
 الإمامة فان عقدت لاكثر من واحد فهي للاول فان فسق الامام بعد العدالة

المقارنة للعدل لم ينزل على الاصح الاشهر ولا تشترط عصيته في حال من الاحوال ولا كونه افضل الامة ولا كونه هاشبيا أو اظهار معيزة على يده . يعلم بها صدقه خلافا للرافضة وهذا من خرافاتهم وجهالاتهم ومن جهالاتهم أيضا زعمهم ان غير المعصوم يسمى طالما يتداوله قوله تعالى (لا يزال عهدي الطالمين) اذ الطالم لمة من يضع الشيء في غير محله وشرعا المعاصي ولا يلزم من كونه غير معصوم ان يكون عاصيا ولا طالما لمواز كونه محفوظا فلا يصدر عنه ذنب أو اذا صدر عنه ذنب تاب منه توبة نصوحا

وكن مطيعا أمره فيما أمر مالم يكن بمنكر فيحذر

(و) اذ اعتدت له الامامة فصار اماما للمسلمين (فكن مطيعا) أنت وساير رعيته (أمره فيما) أي في الشيء الذي (أمر) به ان كان طاعة والحاصل ان طاعته تجب في الطاعة ونسب في المسنون وتكره في المكروه فاذا أمر بمعروف وجب امتثال أمره (مالم يكن) أمره (في) شيء (منكر) ضد المعروف (في) الايطاع في ذلك بل (يتحذر) ويحجب فلا تجب طاعته في المعصية بل تحرم اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال شيخ الاسلام ابن تيمية في صدر كتابه السياسة الشرعية ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه قال «ان الله يرضى ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تصاحبوا من ولاة أمركم» قال وآية الامراء في كتاب الله تعالى هي قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعماء يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) قال نزلت الآية الاولى في ولاة الامور عليهم أن يؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك الا أن يأمروا بمعصية الله تعالى فاذا أمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شيء فردوه الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم وإن لم يفعل ولاية الأمور ذلك أطيعوا في ما يأمرون به من طاعة الله لأن ذلك من طاعة الله ورسوله وأديت حقوقهم البهم كما أمر الله ورسوله وأعينوا على البر والتقوى ولا يعاونون على الآثم والعدوان فعلى ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجحد أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» رواه الحاكم في صحيحه وفي رواية «من قلد رجلا عملا على عصاة وهو يجحد في تلك العصاة من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أقرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين : والله تعالى الموفق

﴿ فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

ولما كان صلاح العباد في المعاش والمعاد لا يتم ولا يصلح ولا يستقيم لهم حال إلا بذلك قال

﴿ واعلم بأن الأمر والنهي معا فرضا كفاية على من قدوعا ﴾
 ﴿ وإن يكن ذا واحدنا تبينا عليه لكن شرطه أن يأمننا ﴾
 ﴿ فاضرب وزل باليد واللسان لمنكر واحذر من التقصان ﴾

﴿ واعلم ﴾ أيها المتبحر في علم أصول الدين المحرر لدعائم الدين وقواعد الحق المبين ﴿ بأن الأمر ﴾ أي بالمعروف وتقدم أنه اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والاحسان إلى الناس كما تقدم قريبا ﴿ والنهي ﴾ عن المنكر وهو ضد المعروف ﴿ معا ﴾ أي كل واحد منهما منفردا وكلاهما ﴿ فرضا كفاية ﴾ على جماعة المسلمين يخاطب به الجميع ويسقط بمن يقوم به بخلاف فرض العين فإنه يجب على كل واحد ولا يسقط عنه بفعل غيره ﴿ على من ﴾ أي انسان أو الذي ﴿ قدوعا ﴾ أي حفظ حكمه وعلمه وذلك لأن إصلاح المعاش والمعاد إذاهم بظاعة الله ورسوله واعتشال أوامره والالتناء بغير زواجه ولا تتم ذلك إلا

بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبه صارت هذه الامة خير امة اخرجت للناس
قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)
وقال تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون) وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال عن بني اسرائيل (كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي الحديث الثابت عن أمير المؤمنين أبي بكر
الصادق رضي الله عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية وتضمنونها على غير موضعها (يا أيها الذين
آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وأناي سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول «ان الناس إذا رأوا المكر لم يغيروه أو شك أن يعهم
الله بعقاب منه» وفي لفظ من عنده رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح وابن ماجه والسنائي ولفظه أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«ان القوم إذا رأوا المكر لم يغيروه عهم الله بعقاب» وفي رواية لابي داود سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يتدرون على
أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعهم الله منه بعقاب» وفي رواية ان الناس
إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعهم الله بعقاب من عنده
(وان يكن ذا) أي الذي علم بالمكر وتحققه وشاهده وهو عارف بما ينكر (واحد)
أو كانوا عدداً لكن لا يحصل المقصود الا بهم جميعاً (تعيناً) أي الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وصاروا فرض عين (عليه) أو عليهم للزومه عليهم (لكن
شرطه) أي شرط افتراضه على الجماعة أو الواحد سواء كانا فرض كفاية أو عين
(ان يأما) بألف الاطلاق على نفسه وأهله وماله ولم يخف سوطاً ولا عصا ولا
أدى ولا فتنة تزيد على المكر وقيل ان زادت وجب الكف وان تساوى يسهل
الانكار قال الامام أحمد رضي الله عنه يأمر بالرفق والخضوع وان اسعره ما يكره
لا يعضب فيكون يريد ان يتصر لفسه ولهذا قال (فأصبر) على الاذى من
تأمره وتنهاه ولا تغضب لنفسك بل لله (وزل) المنكر وغيره من زاله عن مكانه

يزيله زيلاً وأزاله إزاله وإزالاً ﴿بالباء﴾ وهو أعلا درجات الانكار وإزالة المنكر كإزالة
الحجر وكسر أواني الذهب والفضة والخليلة بين الضارب والمضروب ونحوه ورد
المغضوب إلى ماله ﴿و﴾ غير المنكر ﴿بالتاء﴾ حيث لم تستطع تغييره باليد بأن تعظه
وتذكره بالله وأبهم عقابه وتوبخه وتعنفه مع لين وإغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال
وقد يحصل المقصود في بعض الحالات بالرفق والسياسة بازيد واتم مما يحصل
بالعنف والرياسة كأن يقول إن رأه متكشفاً في نحو حمام استرسترك الله ونحو ذلك
﴿للمنكر﴾ متعلق بزل وفي نسخة بدل زل «ذد» أي اطرد وامنع للمنكر باليد واللسان
﴿واحذر﴾ من النزول عن أعلا المراتب حيث قدرت على أن تغير المنكر بيدك إلى
أوسطها وهو الانكار باللسان الامع المجز عن ذلك ثم انه لا يسوع لك العدول
عن التغيير للمنكر باللسان وانت تقدر عليه إلى الانكار بالقلب فان لم تستطع تغيير
المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل إلى الانكار بقلبك وهو اضعف الايمان فلا احذر
﴿من نقصان﴾ وأشار بذلك إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» رواه مسلم والترمذي
وابن ماجه والنسائي ونظفه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من رأى منكم
منكراً فغيره بيده فقد برى ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد بري»
ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برى وذلك أضعف الايمان» وفي
صحيح مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون
مالا يفعلون ويفعلون مالا يأمرون فنم جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه
فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة تخردل»
وفي هذا الباب عدة أحاديث وقد دلت كلها على انكار المنكر بحسب القدرة
عليه وإن انكاره بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان
من قلبه وقد روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه قال قال علي رضي الله عنه

ان أول ما نملكون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالستكم ثم العزم
 بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه المعروف ويشكر قلبه المنكر عكس فحمل أعلاه أس
 وقال ابن مسعود رضي الله عنه هلك من لم يعرف المعروف ويشكر المنكر بق
 يشير الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرف
 هلك وأما الانكار باليد واللسان فانما يجب بحسب الطاقة وفي سنن أبي داود
 عن العرس بن عميرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا عمل
 الخليفة في الارض كان من شهدا فكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها وصي
 كان كمن شهدها » وخرج ابن أبي الدنيا نحوه عن أبي هريرة مرفوعا واعلم
 الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كون ذلك واجبا ثارة بحمل عليه رجاء الثواب
 وتارة خوف العقاب في تركه وتارة اغضب الله على انتهاك محارمه وتارة النصيحة
 للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب
 الله وعقوبته في الدنيا والآخرة وتارة بحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبهه وأه
 أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يقتدى من
 انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت ان الخلق كلهم أطاعوا
 الله وان لحني قرض بالمقاريض فمن لحظ ما ذكرناه فإن عليه ما يلقاه من الاذى
 في الله عز وجل قال سفيان الثوري قدس الله روحه لا يأمر بالمعروف وينهى عن
 المنكر الا من كانت فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر
 عدل بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى وقال الامام أحمد رضي الله عنه: الناس
 يحتاجون الى مداراة ورفق، الامر بالمعروف بلا غلظة الارجل معلن بالفسق فلا حرمة له
 ولا اعتبار كون الامر بالمعروف والناهي عن المنكر عدلا بما ينهى أشار بقوله

هو ومن نهى عما له قد ارتكب فقد أتى بما به يقضى العجب

١ هو فلو بدأ بنفسه فزادها عن غيرها لكان قد أفادها

(ومن) أي أي انسان أو الذي (نهى) الخلق (عما) أي الشيء الذي (له) أي لـ
 الشيء الذي نهى الناس عنه (قد ارتكب) وهو له وخالف قوله عمله من فعل المحظور

وترك الأمر **﴿فقد﴾** والله **﴿أنى﴾** من قاله وحاله **﴿من ما﴾** أي من العمل الذي **﴿به﴾** أي منه **﴿يقضى﴾** بآنيائه لما لم يسم فاعله **﴿العجب﴾** نائب الفاعل أي يقتضي العقلاء وأهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجب أي يحكون ويقطعون بالعجب وهو انكار ما يرد عليك ويخفي سببه والمراد أنه يعظم عليهم ذلك ويكبر لديهم أن ينهى عن التبسح ويأتيه ويأمر بالحسن ولا يأتيه وقد ورد التحذير عن مثل ذلك كقبي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه أي أمعاؤه ومعنى تندلق أي تخرج فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية» رواه البخاري ومسلم وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بقاريض من نار قلات من هؤلاء يا جبرائيل قال خطباء أممك الذين يقولون مالا يعلمون» وروى نحوه ابن أبي الدنيا من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا وفيه فقال الخطباء من أممك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وروى الطبراني بإسناد حسن عن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» وروى الاصبهاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعا «إن الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخاف قوله عمله ويأمن جاره بوائقه» كان الحسن البصري رحمه الله إذا خرج إلى الناس فكأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها فكأنوا إذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئا وكان الامام أحمد لا تذكر الدنيا في مجلسه ولا تذكر عنده إنما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوي الذراعين فيولم ضربه فيردع فاما من هو سقيم البدن لا قوة له فإذا ينفع تأديبه بالضرب والنفوس مجبولة على عدم الاتقاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا يتنفع به وهذا

بمنزلة من يصف له الطبيب دواء لمرض به مثله والطبيب قمعرض عنه غير ملتفت
اليه بل الطبيب أحسن حالا من هذا الأمر المخالف لما أمر به لانه قد يقوم عند
الطبيب دواء آخر مقام هذا الدواء وقد يرى ان به قوة على ترك التداوي بخلاف
الواعظ فان ما يعظ به طريق السعادة لا يقوم غيرها مقامها فلا بد منها ولهذا النفرة
قال شعيب عليه السلام لقومه (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) وقال
بعض السلف اذا أردت ان يقل منك الامر والنهي واذا أمرت بشي فكن أول
الفاعلين له المؤمنون به واذا نهيت عن شيء فكن أول الممتنعين عنه ولهذا قال
(فلو بدا) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أمره ونهيه لغيره (بنفسه)
متعلق سدا (فذاها) أي منها وردها (عن غيبا) متعلق بذاها أي عز
ضلالها والتي الضلال والأنهماء في الباطل ومنه حديث الاسراء «لو أخذت الحمر
غوت أمتك» أي ضلت (لكن) بدايته بإرشاد نفسه وردها عما هي فيه من
ارتكاب مهاري الهوى والضلال والعي والوبال (قد أفادها) السعادة والسلامة
والرشد والاستقامة فان الناصح الشفيق والمرشد الرفيق يبدأ في إرشاده من الام
بالام فالام والاقرب فالاقرب من ذوي الرحم ولا أم ولا أقرب اليه من نفسه
النبي بين جنيته وقد قال من أفصح في المقال ونصح لمن كان له قلب أو التي
البال وترك الوبال

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء الذي السقام من الضنا	كي يشتفي منه وانت سليم
لانه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدأ نفسك فامها عن غيبا	فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقل ما تقول ويقتدى	بالقول منك وينفع التعليم

ولما جلس عبد الواحد بن ريد الواعظ أته امرأة من الصالحات فانشده

يا واعظا قام لاحتساب	يزجر قوما عن الذنوب
نهى وانت المريب حقا	هذا من المنكر المعجب
لو كنت أصلحت قبل هذا	عيبك أو تبت من قريب

سكان لما قلت يا حبيبي موقع صدق من القلوب
تنهى عن النفي والنمادي وأنت في النهي كالمرئيب

وقال آخر

وغير تقي بأمر الناس بالثقي طيب يداوي الناس وهو مستقيم
وجاء رجل لابن عباس رضي الله عنهما فقال أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن
المنكر فقال إن لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل والا فابدأ بنفسك
ثم تلا (أأمر من الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وقوله تعالى (لم تقولون مالا تفعلون
كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام
(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)

﴿تنبيهات﴾

(الاول) ما قدمنا من اعتبار كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
مستقيم الحال هو عين السكال والمؤثر أمره ونهيه في القلوب والذي قاله وحاله
ترياق الذنوب في ظهور الانجراح وإدراك الفلاح وأما الوجوب فلا يستقط عن
المسكاف وإن كان بغير تلك الاوصاف بل من غير أهل العدالة والعفاف فعلى مرتكب
الذنب النهي عن مثل ما ارتكب لأن تركه للمنكر ونهيه فرضان متميزان ليس لمن
يترك أحدهما أن يترك الآخر فيجب على متعاطي السكاس أن ينكر على الجلاس
لأن النهي عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلال باحد الواجبين
لا يمنع وجوب فعل الآخر وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناد فيه ضعف عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن فروعاً «مروا الناس بالمعروف وإن لم تعملوا به وإنهوا عن
المنكر وإن لم تتناهوا عنه كله» وقيل للحسن أن فلانا لا يعظ ويقول أخاف أن
أقول مالا أفعل فقال الحسن وأيتنا يفعل ما يقول ود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم
يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال الامام مالك عن ربيعة قال سعيد بن
جبير لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء
مأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر قال الامام مالك ومن ذا الذي ليس فيه شيء
(الثاني) متعلق وجوب الانكار الرواية للمنكر وتحققه فلو كان مستورا فلم يره

ولكن علم به فالذهب بحجبه عليه الانكار لتحققته والمنصوص عن الامام أحمد في أكثر الروايات أنه لا يتعرض له ولا يقتض على ما استتراب وقد روي عنه أنه يكسر المظلي اذا تحققت وهذا المتمد وأما اذا سمع صوت ملهاة ولم يعلم مكانه فلا شيء عليه وأما ستور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الأئمة مثل صفيان الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي عنه نعم قال القاضي أبو يعلى في كتابه الاحكام السلطانية ان كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستمرار به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة بقوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس والاقدام على الكشف والبحث حذرا من فوات استدراك انتهاك المحارم وان كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه انتهى وحكمة عدم وجوب التنفيس مع وجود النصوص على التجسس ان المعاصي اذا أخفيت انما نضر من يعملها واذا أعلنت ضرت العامة فأخرج الامام أحمد من حديث عدي بن عمير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرايهم وهم قادرين على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» وخرج الامام أحمد أيضا من ما جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول مامعك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت الناس وأخرجنا من حديثه أيضا مرفوعا «لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال - يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله له يوم القيامة مامعك ان تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول اياي كنت أحق ان تخشي» فهذا مجبول على ان المانع له من الانكار مجرد الهيبة دون الخوف المستقط للانكار فان خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الاذى أو خاف مثل ذلك على أهله أو جيرانه سقط وجوب الانكار وقد نص على ذلك الأئمة منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم قال الامام أحمد لا يتعرض للسلطان فان سبغه مسلولا وقتل ابن شيرمة الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد ان يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منها ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك وأما مجرد خوف السب أو سماع الكلام السيء فلا يسهط الانكار نص عليه الامام أحمد وان احتمل الاذى وقوي عليه فهو أفضل نص عليه وقال «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وهذا رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا وخرج ابن ماجه معناه من حديث أبي امامة وفي مسند البراز عن أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قالت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال «رجل قام الى امام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله وحديث «لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه» يدل على انه اذا علم انه لا يطيق الاذى ولا يصبر عليه فلا يتعرض حينئذ للامر والنهي وهذا حق وأما الكلام في من علم من نفسه الصبر كذلك قاله الامام أحمد وسفيان والفضيل بن عياض وغيرهم

(الثالث) اذا علم انه لا يقبل منه فهل يسقط وجوب الامر والنهي حكى القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد رضي الله عنه في ذلك روايتين وصحح القول بوجوبه قال الحافظ ابن رجب وهو قول أكثر العلماء . وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال تكون معذرة وهذا كما أخبر الله عن الذين أنكروا على المعتدين في السبت أنهم قالوا لمن قال لهم (أتعظون) قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون) وقد ورد ما يستدل به على سقوط الامر والنهي عند عدم القبول والانتفاع في سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قيل له كيف تقول في هذه الآية (عليكم أنفسكم) فقال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «بل اتشبهوا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام» وقد روى معنى هذا من عدة وجوه وقال العلامة ابن حنبل في نهاية المبتدئين «يجوز الانكار فيما لا يرجى زواله وان خاف أذى وقيل لا وقيل يجب ولا يجب الانكار فيما فات ومضى الا في العقائد والآراء»

(الرابع) الذي يجب انكاره من المنكر هو ما كان مجمعا عليه فأما المختلف فيه فمن

علمائنا من قال لا يجب انكاره على من فعله مجتهدا فيه أو مقلدا لمجتهد تقاييدا سائنا واستثنى القاضي في الاحكام السلطانية ماضف فيه الخلاف وكان ذريعة الى محطور متفق عليه ككساح المتعة فان ذريعة الى الزنا المجمع على تحريمه وذكر من أبي اسحق بن شاقلا انه ذكر ان المتعة هي الزنا صراحا وقال ان بطلانها لا يفسخ نكاح حكم به قاض اذا كان قد تناول فيه الا ان يكون قضى لرجل بعقد متعة والمنصوص عن الامام أحمد رضي الله عنه الاسكار على اللاعب بالشطرنج وتأوله القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد أو تقليد سائغ ونظر فيه الحافظ ابن رجب بأن المنصوص عنه أيضا ان يجد شارب النبيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضمه الخلاف فيه لدلالة السنة على تحريمه وان لم يخرج فاعده المتأول من العدالة بذلك والله أعلم وكذا نص الامام أحمد رضي الله عنه على الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك لضعف مثل هذا الاختلاف لمصادمته للنصوص عن صاحب الشريعة والله أعلم

(الخامس) وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ودليله بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فمكة قوله تعالى (ولئن كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وأولئك هم المفلحون (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وتقدم في أول الفصل وأما السنة فقد ذكرنا منها ما يحصل به المتصود وأما الاجماع فلان المسلمين كانوا في الصدر الاول ومن بعدهم يتواصون بذلك ويومنون تاركه مع القدرة فعلى الناس اعانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصره على ذلك وما يختص علمه بالعلماء يختص انكاره بهم وعن يأمرونه به من الولاية والعوام ومن التزم مذهبا أنكر عليه مخالفته بلا دليل ظاهر ولا تقليد سائغ أو عذر ظاهر والله تعالى الموفق

الختام

(نسأل الله تعالى حسن الخاتمة)

في فوائد جليلة وفرائد جزيلة لا يسع من خاض في مثل هذه العلوم الجبل بها وهي في الأدلة وما يتعلق بها وهي قسمان مفردات ومركبات كما قال الامام الموفق ولذا قال

﴿مدارك العلوم في العيان محصورة في الحد والبرهان﴾

﴿وقال قوم عند أصحاب النظر حس وإخبار صحيح والنظر﴾

﴿مدارك العلوم﴾ المدارك جمع مدرك من أدرك الشيء بالشيء واستدركه حاول ادراكه به وأدرك الشيء أحاط به وبلغ وقته وانتهى الى العلم به والاحاطة بحكمه والمراد المدرك بالعقول لأننا نشاهد قطعا آثار العقول في الآراء والحكم والحيل وغيرها متفاوتة وذلك يدل على تفاوت العقول في نفسها والعقول جمع عقل وهو لغة المنع سمي بمنع صاحبه عن الرذائل والقبايح ولذا لا يطلق عليه تعالى العاقل واصطلاحا ما يحصل به الميز بين المعلومات وعن الامام الشافعي انه قال العقل آلة التمييز والادراك وهو غريزة قاله الامام أحمد رضي الله عنه وقاله الحارث المحاسبي ليس مكتسبا بل خلقه الله تعالى يفارق به الانسان البهيمة ويستعد به لقبول العلم وتدبير الصنائع الفكرية فكأنه نور يقذف في القلب كالعلم الضروري والصبا ونحوه حجاب له قال القاضي وغيره انه غير مكتسب كالضروري وقال البرهاري من أصحابنا ليس العقل بجوهر ولا عرض ولا اكتساب وانما هو فضل من الله تعالى قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا يقتضي أنه القوة المذكورة كما دل عليه كلام الامام أحمد لا الادراك وهو بعض العلوم الضرورية عند أصحابنا والاكثر يستعد بها لفهم دقائق العلوم وتدبير الصنائع الفكرية وقاله أبو بكر الباقلاني وابن الصباغ وغيرهما فخرجت العلوم الكسبية لان العاقل يتصف بكونه عاقلا مع انتفاء العلوم النظرية وانما قالوا بعض (٢ ش عقيدة السفاريني - ٥٣)

العلوم الضرورية لانه لو كانت جميعها لوجب أن يكون الفاعل للعلم بالمدرجات غير عاقل لعدم الادراك المعلق عليها والمشاهد خلافه ومحل العقل القلب عندنا وعند الشافعية والاطباء وله اتصال بالدماغ وروي عن الامام أحمد أن محل الدماغ وهو قول أبي حنيفة والطوفي من أصحابنا وقيل في الدماغ ان قلنا إنه جوهر والا فني القلب والصحيح أن العقل يختلف كالمدرج به وقال الامام ابن عقيل من علمائنا والاشاعرة والمعتزلة العقل لا يختلف لانه حجة عامة يرجع اليه الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك وقال غير واحد العقل عقلان غريزي ونجري مكنسب فالعقل الغريزي لا يختلف وأما الكسبي فيختلف وحمل العلامة الطوفي الخلاف على ذلك وقوله ﴿ في الميان ﴾ أي المشاهدة وباديء النظر لذوي الرقان ﴿ محصورة ﴾ في شيئين لا ثالث لهما أي محبوسة ومنوعة فيهما ومقصورة عليهما لا تتجاوزهما ﴿ في الحد ﴾ ويأتي الكلام عليه قريباً ﴿ و ﴾ في ﴿ البرهان ﴾ هو الحجة والدليل وفي الحديث الصدقة برهان أي أنها حجة لطالب الاجر من أنها فرض بجازي الله به وعليه وقيل بل هي دليل على صحة ايمان صاحبها لطيب نفسه باخراجها وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال والبرهان عند أهل الميزان قياس مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقينيات واليقين اعتقاد أن الشيء كذا مع اعتقاد أنه لا يكون الا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تنغيره

﴿ وقال قوم ﴾ بل مدارك العلم ﴿ عند أصحاب النظر ﴾ الفكر والتدقيق والبحث والتحقيق أعني علماء النظر وهم النظار من المتكلمة والمنطقيين وعلماء الاصول ثلاثة أحدها ﴿ حس ﴾ أي ما يدرك بأحد الحواس الخمس وهي جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس فخلق الله تعالى كلا من تلك الحواس لادراك أشياء مخصوصة فالسمع للاصوات والذوق للطعوم والشم للروائح والبصر للرثبات واللمس للملوسات وهي القوة المثبتة ٧ في جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسة ونحو ذلك عند التماس والاتصال فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالخاصة الاخرى والمدرج بشيء منها يقال له محسوس

﴿ و ﴾ الثاني ﴿ أخبار صحيح ﴾ ثابت رجيح مطابق للواقع فان الخبر كلام محتمل

الصدق والكذب احتمالا متساويا بقطع النظر عن قائله وله نسبة خارجة فان طابقته فصادق والافكاذب وهذا الخبر الذي يفيد العلم على نوعين (أحدهما) المتواتر الثابت على السنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب ومصادقه وقوع العلم من غير شبهة وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الماضية في الأزمنة الخالية والبلدان النائية كوجود مكة وبغداد فان من لم يحسن الاكتساب ولا ترتيب المقدمات من النساء والصبيان يدرك ذلك فلو لم يكن العلم بذلك ضروريا لما أحسنوا ذلك وأما خبر النصارى بقتل عيسى عليه السلام واليهود بتأييد دين موسى عليه السلام فتواتره ممنوع لأن مستنده مجرد الوهم والهوى فان قبل خبر كل واحد لا يفيد الا الظن وضم الظن الى الظن لا يوجب اليقين وأيضا جواز كذب كل واحد يوجب جواز كذب المجموع لأنه نفس الآحاد فالجواب الهيئة الاجتماعية أوجبت له من القوة ما لم تكن لأفراده كقوة الجبل المؤلف من الشعر مع الشعرات فان قبل الضروريات لا يقع فيها تفاوت ولا اختلاف ونحن نجد العلم بكون الواحد نصف الاثنين أقوى من العلم بوجود اسكندر والمتواتر قد أنكر افادته العلم بجماعة من العقلاء كالسمنية والبراهمة فالجواب هذا ممنوع بل قد يتفاوت أنواع الضروري بواسطة التفاوت بالالف والعادة والممارسة والاختار بالبال وتصورات أطراف الاحكام وقد يختلف فيه مكابرة وعنادا كالسوفسطائية في جميع الضروريات كما سنبه عليه قريبا (النوع الثاني) من نوعي الخبر المفيد للعلم خبر الرسول المؤيد بالمعجزة الخارقة المقرونة بالتحدي كما مر فيوجب العلم الاستدلالي للقطع بأن من أظهر الله تعالى المعجزة على يده تصديقه في دعوى الرسالة لا يكون الا صادقا فيما أتى به من الاحكام واذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعا وانما كان استدلاليا لتوقفه على الاستدلال واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات وكل خبر هذا شأنه فهو صادق ومضمونه واقع والعلم الثابت بخبر الرسول يشابه العلم الثابت بالضرورة كالحسوسات والمتواترات في الثيقن والثبات

(و) الثالث من مدارك العلم (النظر) أي الفكر الذي يطلب به علم أو ظن قال العلامة شهاب الدين أحمد ابن قاضي الجبل من محققي علمائنا النظر لغة الانظار والرؤية والرأفة

والتفكر وعرفا الفكر المطلوب به علم أو ظن فينتقل من أمور حاصلة ذهنا إلى أمور مستحصلة وقد يطلق على حركة النفس التي يليها البطن الأوسط من الدماغ المسمي بالدودة أي حركة كانت في المعقولات وفي المحسوسات تسمى تخيلا لا فكرا وقال الامام ابن عقيل في الواضح النظر هو الاصل في تحصيل هذا الامر والطريق اليه وهو اسم مشترك يقع على الرؤية بالبصر كما قال تعالى (وجوه يومئذ ضرة إلى ربها ناظرة) وعلى الانتظار المنتظر والتوقع له (فناظرة بهم يرجع المرسلون) وهو ههنا أي في عرف الاصوليين التأمل والتفكر والاعتبار بمعرفة الحق من الباطل والفصل بين الحجة والشبهة وهو فكرة القاب وتأمله ونظرة المطلوب به علم هذه الامور وغلبة الظن لبعضهما وقد يصيب الناظر فيها وقد يخطئ وكلاهما نظر منه وقد ينظر في شبهة وفي دليل وقد يصل بنظره الى العلم تارة اذا سلك فيه المسلك الصحيح ورتبه على واجبه ومقتضاه وقد لا يصل اليه اذا قصر وغلط. وخاط في أو نظر فيها هو شبهة وليس بدليل وللنظر آلة وغرض فالآلة هو المطلوب من أجل غيره والغرض هو المطلوب من أجله في نفسه فالغرض كمرقة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انتهى

والحاصل أن اسباب العلم ثلاثة الخواص السليمة والخبر الصادق والعقل ووجه الحصر أن السبب ان كان من خارج فالخبر الصادق والا فان كان آلة غير المدرك فالخواص والا فالعقل وان كان المؤثر في العلوم كلها في الحقيقة هو الله تعالى لانها بخلقه وإيجاده والله اعلم

❦ فالحد وهو اصل كل علم وصف محيط كاشف فانتمهم ❦

❦ وشرطه طردوعكس وهوان أنما عن الذوات، فالتام استبين ❦

❦ وان يكن بالجنس ثم الخاصه فذلك رسم فافهم الخاصه ❦

(ف) اذا عرفت ما ذكرناه لك من التمهيد وطلبت تعريف الحد المذكور (الحد) في اللغة المنع ومنه مبي البواب حدادا لانه يمنع من يدخل الدار والحدود حدودا لانها تمنع من العود الى المعصية وسمي التعريف حدا لمنعه الداخل

فيه من الخروج عنه والخارج عنه من الدخول فيه وقوله ﴿وهو﴾ أي الحد
 ﴿أصل كل علم﴾ جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو الحد وخبره الذي هو وصف الخ
 وإنما كان أصلاً للمعلوم لأن من لا يحيط به علماً لا ينتفع بما عنده قال الفخر أبو محمد
 اسماعيل البغدادي من علمائنا الحد على الحقيقة أصل كل علم فن لا يحيط به علماً
 لا نفع له بما عنده وقاله غيره وهو صحيح كما في شرح مختصر التحرير ﴿و﴾ الحد
 في الاصطلاح ﴿وصف محيط﴾ بموصوفه قال الامام القاضي أبو يعلى من أئمة علمائنا
 معنى الحد هو الجامع الجنس ما فرقه التفصيل المانع من دخول ما ليس من جملة
 فيه وفي التحرير المحيط بمعناه أي بمعنى المحدود فكأنه قال حد الشيء الوصف
 المحيط بمعناه ﴿كاشف﴾ بالرفع عطف على محيط الذي هو نعت لوصف أي مميز
 للمحدود عن غيره ولذا قال الغزالي قيل حد الشيء نفسه وذاته وقيل هو اللفظ
 المفسر لمعناه على وجه يجمع ويمنع وقال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين
 انه قول يكشف حقيقة المحدود وذكر فيه ثمانية أقوال ﴿فاقسم﴾ أمر بالانفعال
 لقبول الفهم بالفهم والفهم ادراك معنى الكلام بسرعة كما في واضح ابن عقيل
 واستظهروا عدم تقييده بسرعة كما قاله الطوفي في شرح مختصره وتبعه العلامة
 ابو بكر الجراعي في حواشي أصول ابن اللحام قال الطوفي لان من سمع كلاماً
 ولم يدرك معناه الا بعد شهر أو أكثر قيل فهمه وبذلك يقال الفهم اما بطيء
 أو سريع فينقسم اليهما ومورد القسمة مشترك بين الاقسام نعم السرعة قيد في
 الفهم الجيد انتهى وقيل الفهم جودة الذهن من جهة تهيئته لاقتباس ما يرد عليه
 من المطالب والذهن قوة النفس المستعدة لاكتساب الحدود والاراء
 (وشرطه) أي شرط كون الحد صحيحاً والشرط في اللغة العلامة وفي العرف ما يعتبر
 للحكم وهو ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم فلا يوجد المشروط مع عدم شرطه ولا يلزم
 من وجود الشرط وجود المشروط وهو عقلي ولغوي وشرعي فالعقلي كالحياة للعلم
 واللغوي كقوله ان دخلت الدار فأنت طالق والشرعي كالطهارة للصلاة ﴿طرد﴾
 خبر المبتدأ الذي هو شرطه وهو المانع الذي كلما وجد الحد وجد المحدود ﴿وعكس﴾
 وهو الجامع الذي كلما وجد المحدود وجد الحد فهذا عكس الاطراد ويلزم من

ذلك أنه كلما اتفنى الحد اتفنى المحدود وقال الجراعي في الحواشي المطرد هو الذي اذا وجد الحد وجد المحدود وهو المانع قال والمنعكس هو الذي اذا عدم الحد عدم المحدود وهو الجامع قال وهذا قول الجمهور منهم الغزالي وابن الحاجب وابن مفلح قال وعكس القراني والطوفي قتالا المطرد هو الجامع والمنعكس هو المانع وذكر أبو علي التميمي في كتاب التذكرة في أصول الدين ان هذا التعريف للحد قول المتكاملين وأما الماطقة فقالوا انه القول الدال على ماهية الشيء وهو ما يتحصل من جنس التعريف وفصله قال ولا يحتاج فيه الى ذكر الطرد والعكس لأن ذلك يشبع الماهية واعلم أن الحد من حيث هو تام ورسمي ولفظي ولذا قال ﴿وهو﴾ أي الحد ﴿ان أبنا﴾ أي دل وكشف ﴿عن الذات﴾ أي ذاتيات المحدود الكلية المركبة كما اذا قيل ما الانسان فيقال حيوان ناطق ﴿ف﴾ هو أسية الحد الذي أبنا عن ذاتيات المحدود الحقيقي ﴿التام﴾ وهو الأصل وله حد واحد لأن ذاتيات الشيء لا يكون له حدان مثاله حيوان ناطق فانه حد للانسان فان قيل جميع ذات الشيء عين الشيء والشيء لا يفسر نفسه فالجواب أن دلالة المحدود من حيث الاجمال ودلالة الحد من حيث التفصيل فليس عينه من كل وجه فصح تعريفه به ولذلك لم يجعل اللفظان مترادفين الا اذا كان الحد لفظيا فلذا قال ﴿استبين﴾ أي اطلب البيان والكشف عن حقيقة الحد فان هذا هو الحد الحقيقي التام المنبني عن ذاتيات المحدود وان كان بفصل قريب فقط من غير ذكر جنس فحد حقيقي ناقص كما اذا قيل ما الانسان فقلت ناطق وكذا ان كان بفصل وجنس بعيد كجسم ناطق بالنسبة الى الانسان ﴿وان يكن﴾ الحد مركبا ﴿بالجنس﴾ أي من الجنس القريب ﴿ثم الحاصه﴾ مثال ذلك حيوان ضاحك بالنسبة الى الانسان ﴿فذلك﴾ المركب من جنس قريب وخاصة نحو الضاحك ﴿رسم﴾ تام فان الضاحك عرض في فبالفعل مفارق لا بالقوة وسمي خاصة لاخصاصه بحقيقة واحدة بالقوة أو الفعل بالنسبة الى الانسان لأن الضحك بالقوة لازم لماهية الانسان مختص بها وبالفعل مفارق لما يختص بها وتعريف الخاصة هي كلية يقال علي ماتحت حقيقة واحدة فقط قولاً عرضياً وان كان الحد

بها أي الخاصة فقط كقولك الانسان ضاحك سمي رسماً ناقصاً وكذا ان كانت الخاصة مع جنس بعيد كقولك الانسان جسم ضاحك ﴿ فافهم الخاصه ﴾ بفهم الميم فاء مهمله مفتوحة فألف فصاد مهمله مدغمة في مثلها ففاء تأنيث أي المقاسمة يقال حصص الشيء ت حصيصاً و حصص بان وظهر وتخاصوا و خاصوا اقتسموا حصصاً كما في القاموس قال والحصة بالكسر النصيب والمراد افهم التقسيم ما بين الحد الحقيقي الثام كالحیوان الناطق بالنسبة الى الانسان والحقيقي الناقص وله صورتان الأولى أن يكون بفصل قريب فقط كالناطق بالنسبة الى الانسان أو بالفصل مع جنس بعيد كالجسم الناطق بالنسبة الى الانسان أيضاً وكذا افهم الرسم الحقيقي الثام والرسم الناقص على ما ذكرنا والجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو كالحیوان بالنسبة الى أنواعه نحو الانسان والفرس والنوع كلي مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة في جواب ما هو كالانسان بالنسبة الى زيد وعمر ونحوهما من أفرادہ والفصل غير مقول في جواب ما هو بل في جواب أي شيء هو في ذاته وهو الذي يميز الشيء عما يشاركه في الجنس كالناطق بالنسبة الى الانسان والحد اللفظي ما كان بلفظ مرادف أظهر عند المسائل من المستول عنه كما لو قال قائل ما الخندر يس فيقال له هو الخمر والله أعلم

﴿ وكل معلوم بحس وحجى فنكره جهل قبيح في المهجا ﴾

﴿ فان يقم بنفسه فجوهر أولاً فذاك عرض مفتقر ﴾

﴿ الجسم ما الف من جزئين فصاعداً فترك حديث المين ﴾

﴿ وكل معلوم بحس ﴾ من الحواس الخمس الظاهرة التي لاشك فيها ولا آفة تعتبرها فانكاره قبيح جداً اذ هو بمجرد مكابره قال في شرح الجواهر وينسب انكار الحواس الى بطليموس وأفلاطون وأرسطو وجالينوس قال ويجب أن يكون مرادهم بذلك أن جزم العقل ليس بمجرد الحس بل بتوسط ضمنية لا أن حكم الحس غير معتد به أصلاً والا يلزم انتفاء علوهم المبنية على الأحكام الحسية واستدل من قال بالانكار بأن الحس كثير الغلط فلا يعتبر ويأنه أنه يرى العنبة

في الماء كالأجاسة أو القطرة النازلة كالخط المستقيم ومنها أن الحس حاكم بياض الثلج وهو مركب من أجزاء شفاقة ليس في الواقع له يابض وأن النائم يجزم بما رأى في النوم جزمه في اليقظة وكذا صاحب البرسام ونحوه فيمكن مثل ذلك في غيرهم وذلك كاف في رفع الثقة وأيضاً الأمثال متواردة أعم من أن تكون جواهرها كالأجسام عند النظام أو عرضاً كالألوان عند متكلمي الأشعرية ومن واقعهم والحس حاكم باستمرارها فيقوم الاحتمال في الشكل ولا جزم مع قيام الاحتمال وجواب شبههم عما أوردوه بأنه غير دال على عدم الوثوق بجزم العقل في المحسوسات بعدم الجزم بل على عدم جزم العقل بمجرد الحس وهو غير منكور قال الحاكم في هذه الصور العقل بتوسط الحس لا الحس فقط كذا قيل والحق أن انكار الوثوق بالمدرك بالحواس مكابرة (و) كذا ما يدرك (وحي) كالي هو العقل (فكره) أي انكاره وردّه بعدم الوثوق به (حمل قبيح) متناه في القبيح (في الهجاء) أي في الشكل والمثل يقال هذا على محاذ أي على شكله أي قبيح في العادة المستمرة ومردود عند ذوي المحام المجيدين في التبحر والكشف عن حقائق الأشياء يقال هجي البت كرضي هجيا انكشف قال العلامة نجم الدين بن حمدان في نهاية المبتدئين كل مؤد إلى حقيقة ثابتة تعلم عقلاً أو حساً فأنكاره سفسطة انتهى والسوفسطائية أنكروا كلام الحسيات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم في كل منهما فأوردوا عليهم جزمهم بالشك فالجزموا عدم الجزم فيه أيضاً فقالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون وهؤلاء ثلاث فرق عندية وعنادية ولا أدرية فالعندية قالت مذهب قوم حق بالقياس إليهم باطل بالنسبة إلى خصومهم ولا حق في نفس الامر والعنادية مامن قصية بديهية كانت أو نظرية الا ولها معارض يساويها في القوة والقبول وأما اللاأدريّة وهم أمثالهم فتالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون ونسكوا بان دليل كل من منكري الحسيات والبديهيات دال على انتفاها والبطر متفرع عليها منتف بانتفاها ولا طريق إلى الجزم غير الحس والبدية والنظر فأم يكن الجزم تحقق أصلاً وإذا كان الامر كذلك لم يكن للمناظرة معهم فائدة لا لها لا فائدة المجهول بالمعلوم وليس عندهم معلوم فتتجر المناظرة إلى التزام مذهبهم ولذا منع المحققون منها معهم ولكن يقال لهم هل ميزتم بين الالم

واللذة أو بين مذهبكم وما يناقضه فإن ابوا الا الاصرارا أوجعوا ضربا وعذبوا بالنار ليعترفوا أو يهلكوا وسوف سطا اسم للحكمة الموهبة والعلم المزخرف لان سوفاً معناه العلم والحكمة واسطاً معناه المزخرف والغلط ومنه اشتقت السفطة كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف أي محب الحكمة

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اعلم ان العلم منه ماهو ضروري ومنه ماهو كسبي فالضروري مايلزم نفس الخلق لزوما لايجد الى الانفكاك عنه سبيلا كالتصديق بأن الكل أعظم من الجزء وان الواحد نصف الاثنين وان العلم البديهي أخص من الضروري لان البديهي هو ما يثبت بمجرد العقل من غير احتياج الى شيء آخر ويمكن الاحتياج في الضرورييات الى شيء آخر غير العقل كوجدان أو تجربة أو غيرهما وأما الكسبي فهو مقابل للضروري وهو النظري والاستدلالي وهو ما يتضمنه النظر الصحيح وعرفه غير واحد بما يحصل بالذات عقيب النظر وفي مختصر التحرير وشرحه الدال الناصب للدليل وهو لغة المرشد وشرعا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري ويدخل في المطلوب الخبري ما يفيد القطع والظن وهو مذهب أصحابنا وأكثر الفقهاء والاصوليين وقيل ان ما أفاد القطع يسمى دليلا وما أفاد الظن يسمى اشارة وقال يحصل المطلوب المكتسب بالنظر الصحيح في الدليل عقيه عادة وعلى هذا أكثر العلماء لانه قد جرت العادة بأن يفيض على نفس المستدل بعند النظر الصحيح مادة مطلوبة وصورة مطلوبة الذي توجه بالنظر الى تحصيله وقيل يحصل عقب النظر ضرورة لانه لا يمكنه تركه . ثم ان الادراك لماهية الشيء بلا حكم عليها بنفي أو اثبات تصور لانه لم يحصل به سوى صورة ذلك الشيء في الذهن وتصور ماهية الشيء مع الحكم عليها بالاجاب أو سلب تصديق فالتصور ادراك الحقائق مجردة عن الاحكام والتصديق نسبة محكمية بين الحقائق بالاجاب أو السلب والعلم الحاصل بالضرورة والكسب هو صفة يميز المنتصف بها بين الجواهر والاعراض والواجب والممكن

والممنوع تميزاً جازماً مطابقاً لواقع بحيث لا يحتمل النقيض والحق أنه يتفاوت كالعلوم وكما يتفاوت الايمان قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العوالم ان جميع الصفات المشروطة بالحياة تقبل التزايد وروي عن الامام احمد رضي الله عنه في المعرفة الحاصلة في القلب في الايمان أهل تقبل التزايد والنقص روايتان قال والصحيح من مذهبنا ومذهب جمهور أهل السنة امكان الزيادة في جميع ذلك انتهى وتقدم وجوب اعتقاد قبول الايمان للزيادة والنقصان أو دليل ذلك بالعقل والقرآن والله أعلم

(الثاني) اعلم ان المسلم يطلق لمة وعرفاً على اربعة أمور (احدها) ما لا يحتمل النقيض كما تقدم (الثاني) يطلق ويراد به مجرد الادراك سواء كان جازماً أو مع احتمال راجح أو مرجوح أو مساو (الثالث) انه يطلق ويراد به التصديق قطعياً كان أو ظاهرياً (الرابع) يطلق ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم ومنه قوله تعالى (ما عرفوا من الحق) اي علموا وقد يطلق الظن ويراد به العلم كقوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) اي يعلمون والمعرفة من حيث انها علم مستحدث أو انكشاف من بعد لبس اخص من العلم لشموله غير المستحدث وهو علم الله تعالى والمستحدث وهو علم العباد ومن حيث انها يقين وظن اعم من العلم لاختصاصه حقيقة باليقين وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب والله اعلم

ثم ان كل شيء لا يخلو اما ان يقوم بنفسه اولاً ﴿فان يقم﴾ ذلك الشيء ﴿بنفسه﴾ اي بذاته ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين ان يتميز نفسه بغير تابع يتميزه لتحيز شيء آخر وعند الفلاسفة معنى قيام الشيء بذاته استغناؤه عن محل يقومه فلا يخلو القائم بنفسه من أحد أمرين اما أن يكون مركباً من جزئين فصاعداً وهو الجسم كإثباتي الكلام عليه أو غير مركب فان قام بنفسه وكان غير مركب من جزئين فصاعداً ﴿ف﴾ هو ﴿جوهر﴾ والجوهر هو العين الذي لا يقبل الانقسام لا مملاً ولا وهماً ولا فرضاً وهو الجزء الذي لا يتجزأ وعند الفلاسفة لا وجود للجوهر الفرد أعني الجزء الذي لا يتجزأ وزعموا ان تركيب الجسم انما هو من الميولي والصورة وأقوى الأدلة على اثبات الجزء الذي لا يتجزأ عند القائلين به

انه لو وضع كرة حقيقة على سطح حقيقي لم تماسه الا بجزء غير منقسم اذ لو ماسة بجزئين لكان فيها خط بالفعل فلم تكن كرة حقيقة وأشهرها عند محققي المتكلمة وجهان (الاول) ان لو كان كل عين منقسما لا الى نهاية لم تكن الحردلة أصغر من الجبل لان كلا منهما غير متناهي الاجزاء والعظم والصغر انما هو بكثرة الاجزاء وقلتها وذلك انما يتصور في المتناهي (الثاني) قالوا ان اجتماع الجسم ليس لذاته والا لما قبل الافتراق فאלله تعالى قادر على أن يخلق فيه الافتراق الى الجزء الذي لا يتجزأ لان الجزء الذي يتنازعوا فيه ان أمكن افتراقه لزم قدرة الله تعالى عليه دفعا للعجز وان لم يمكن ثبت المدعى الذي هو وجود الجزء الذي لا يتجزأ والضعف هذه المدارك لم يثبتها شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وان كان في اثباته نجاة من كثير من ظلمات الفلاسفة مثل اثبات الهوى والصورة المؤدي الى قدم العالم ونفي حشر الاجساد وامتناع الخرق والانتقام مما هو معلوم الفساد من دين الاسلام بالضرورة والله أعلم ﴿أولا﴾ يقوم بنفسه ﴿فذلك﴾ الذي لا يقوم بنفسه بل لا بد أن يكون قائما بغيره تابعا له في التحيز أو مختصا به اختصاص الناعت بالمنعوت فهو ﴿عرض مفترق﴾ الى محل يقومه فوجود العرض في الموضوع هو ان وجوده في نفسه هو وجوده في الموضوع فيمتنع الانتقال عنه فالعرض مفترق الى محل يقوم به ويحمله وقيل هو الموجود في شيء غير متقوم به لا كجزء منه ولا يصح قوامه دون ما هو منه وقيل ما بطراً على جوهر من كون ولون لا انه بمعنى انه لا يمكن تعلقه بدون المحل كما قد توهم ذلك بعضهم نعم يوجد ذلك في بعض الاعراض كلابوة مثلا

والجسم ما ﴿أي شيء﴾ أو الذي ﴿ألف﴾ أي ركب ﴿من جزئين فصاعدا﴾ أي أكثر يعني ذاهبا الى جهة الصمود والارتفاع عن اثنين فيكون أقل ما يتركب من جزئين ولا حد للكثرة ﴿فأترك حديث﴾ أي كلام ﴿المين﴾ أي الكذب يعني الكلام الكذب وأراد بهذا الرد على من زعم انه لا يتركب من أقل من ثلاثة أجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة أغني الطول والعرض والعمق وعلى من زعم انه لا يتركب من أقل من ثمانية أجزاء لتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة وقيل

الجسم ما يقبل الزيادة بالوصف بجوهر الجسم منه وقد قدمنا التكلام على الجوهر والجسم والعرض عند قولنا في الباب الاول

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العالم
فراجع ان شئت وانما أعاده هنا بما للأصحاب في إلحاقهم أو آخر العقائد كلمات
يكثر دوراتها في هذا العلم ومن هذا القبيل قوله

❦ ومستحيل الذات غير ممكن ❦ وضده ما جاز فاسمع زكي ❦
❦ والضد والخلاف والتقيض ❦ والمثل والغيران مستفيض ❦
❦ وكل هذا علمه محقق ❦ فلم نطل به ولم نتمق ❦
❦ ومستحيل الذات غير ممكن ❦ أي المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور اذ لو
تعلقت به القدرة لصار ممكنا لانها لا تتعلق الا بالممكنات كما مر وضده أي
ضد المستحيل ❦ ما ❦ أي الذي ❦ جاز ❦ وجوده وعدمه والحاصل ان
الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده
والممكن ما جاز وجوده وعدمه يعني قبل ايجاده وتقدم الكلام عليه في
الباب الاول ❦ فاسمع زكي ❦ أي علمي وفهمي وتفرسي في اختصار الكلام
مع تمام الاحكام يقال زكن كفرح وازكنه علمه وفهمه وتفرسه وظنه او
الزكن ظن بمنزلة اليقين عندك او طرف من الظن وازكنه اعلمه وافهمه والازكان
ان تزكن شيئا بالظن فيصيب ثم اشار الى بعض ما ذكره النجم ابن حمدان في
آخر نهاية المبتدئين فقال ❦ والضد ❦ يعني مع ضده فالضدان هما ما امتنع اجتماعهما
في محل واحد في زمن واحد كالسواد والبياض والحركة والسكون والاجتماع
والافتراق اذا الشيء الواحد لا يكون اسود ابيض في زمن واحد ولا يكون
ساكنا متحركا في زمن واحد ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا اسود ولا
ابيض قال في نهاية المبتدئين وقبل الضدان الوصفان الوجوديان للذات يتمتع
اجتماعهما لذاتهما كالسواد والبياض وقبل كل ذاتين يتعاقبان على موضع واحد
ستحيل اجتماعهما فيه بينهما عاية الخلاف والبعد انتهى وهي عبارات متقاربة المعنى

في الجملة (والخلاف) أي الخلافان يجتمعان ويرتفعان كالحركة والبياض في الجسم الواحد (والنقيض) ان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم المضامين الى معين واحد (والمثلا) ان ما قام احدهما مقام الآخر وسد مسده وعمل عمله والجواهر ماثلة وقيل هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة فهما لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة كبياض وبياض واما المتشابهان فهما اللذان يتقاربان اما في الصورة واما في استحقاق المعنى المجوز عليهما او في السبب الذي تعلق به وجودهما ونحو ذلك مما تقع به المشابهة والمتشابهان من وجه قد يختلفان من آخر والمثلان لا يختلفان من وجه وال مختلفان قد يختلفان من وجه ويشبهان من وجه آخر (والغيران) هما المختلفان وقيل هما الموجودان اللذان يمكن ان يفارق احدهما الآخر بوجه فالتفان يقربان من المثليين وهما في التقارب على العكس من المختلفين وفيهما زيادة على أصح حد المتشابهين لانه قد يكون التفاوت بالوصف كما في المتشابهين لانه وقد يكون التفاوت بالزمان والمكان وليس ذلك في المتشابهين وقد يكون في الماتنين تفاضل من وجه مثل الحركتين تكون احدهما أشد من الاخرى ولذلك يتفاوت السوادان شدة وضعفا وكل علم ذلك معلوم عند أهل هذا الفن وعند المناطق (مستفيض) استفادة ظاهرة لا تخفى على احد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية

(تنبيه) قد يتعذر ارتفاع الخلافين لخصوص حقيقة كونهما خلافين كذات واجب الوجود تعالى وتقدس مع صفاته وقد يتعذر اقتراقهما والخسة مع الفردية والجوهر مع الالواز ونحو هذا وهو كثير لكن لا تنافي بين امكان الافتراق والارتفاع بالنسبة الى الذات وتعذر الارتفاع بالنسبة الى امر خارجي عنها وهذا الذي ذكرناه كله بالنسبة الى ممكن الوجود اما الله تعالى وصفاته فلا يقال بإمكان رفع شيء منها لتعذر رفعه بسبب وجوب وجوده وقد قدمنا في بحث الصفات ما يرشد لهذا

(وكل هذا) المذكور واضعافه مما لم يذكر (علمه) مشهور عند أرباب الفن (محقق) وحيث كان كذلك فلتقتصر على هذا المقدار الذي ذكرناه (فلم نطال به) أي بذكره (ولم نمتق) من التنسيق وهو التحسين والترتين قال في القاموس نمق الكتاب كتبه ونمقه تنمقا حسنه وزينه بالكتابة ويقال للشيء المروج فيه نمقه

محركة اذا المقصود انما هو ذكر امهات مسائل العقائد السلفية ونظم فرائد الاصول
الاثرية وقد ذكرنا منها ما لعله يكفي المبتدي ويشفي المتثني ويكفي المعتدي
وبالله التوفيق ثم حمدنا الله تعالى عودا على بدء قتلنا

﴿ والحمد لله على التوفيق لمنهج الحق على التحقيق ﴾
﴿ مسلما لمقتضى الحديث والنص في القديم والحديث ﴾
﴿ لا أعتني بنسب قول السلف موافقا أئمتي وسلفي ﴾

﴿ والحمد لله على التوفيق ﴾ وهذا حمد في مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل
والشرب الصافي من ينبوع التبريل من غير الحاد ولا تأويل ولا تشبيه ولا
تعطيل والتوفيق تسهيل مسيل الخير والطاعة قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه
شرح منازل السائرين قد اجمع العارفون بالله ان التوفيق ان لا يملك الله تعالى الى
نفسك والخذلان ضده وهوان بخلي دينك وبينها فالعبيد متقلبون بين توفيقه
وخذلانه بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فبطيع مولاه ويرضيه
ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه وبغفل عنه بخذلانه له فمؤثر
بين توفيقه وخذلانه فان وقته بفضله ورحمته وان خذله فبعدله وحكمته وهو سبحانه
المحمود في هذا وهذا له اتم حمد واكمل لم يمنع العبد شيئا هو له واما منه ما
هو مجرد فضله وعطائه وهو اعلم حيث يضمه واين يجعله قال فتى شهد العبد هذا
المشهد وأعطاه حقه علم ضرورته وفائقته الى التوفيق في كل نفس ولحظة وطرفة عين
وان توحيده وإيمانه بمسك بده غيره لو تخلى عنه طرفة عين لئل عرشه ونحرت سماه
إيمانه على الارض وان المسك له من يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه
فدا به قلبه ولسانه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف
قلبي على طاعتك ودعواه يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال
والاكرام لا اله الا انت برحمتك أستغيث اصلح لي شأني كله ولا تكلني الى
نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك ثم قال والتوفيق هو ارادة الله من نفسه
أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادرا على فعل ما يرضيه مريدا له

عجاً له مؤثراً له على غيره ويغض اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله تعالى والعبد محل له قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه في مواضعه وعند أهله ولا يمنعه أهله ولا يضعه عند غير أهله وذكر هذا عند عقيب قوله (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) ثم جاء بحرف الاستدراك فقال (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه) قال وقد فسرت الجبرية وغيرهم التوفيق بأنه خلق الطاعة واخذلان خلق المعصية وبنوا ذلك على أصولهم الفاسدة من انكار الاسباب والحكم وردوا الامر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة قال وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام والتمكن من الطاعة والاقتدار عليها ونهية أسبابها قال وهذا حاصل لكل كافر ومشرک بلفظه الحجة وتمكن من الايمان وقد قدمنا في الكلام على القدر ما لعله يكفي وبشني والله التوفيق وقوله ﴿ لمنهج الحق على التحقيق ﴾ متعلق بالتوفيق والمنهج الطريق الواضح كالمنهج والمتهاج والحق هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ويقابله الباطل وأما الصدق فشاع في الاقوال خاصة ويقابله الكذب وقد يفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيقته مطابقة الواقع اياه والتحقيق ايقاع الاشياء في محالها وردھا الى حقائقها يقال حقق الطريق ركب حاقه وحقق الامر بيقنه وقوله ﴿ مسلماً ﴾ حال من معمول التوفيق أي اخذ الله على توفيق لمنهج الحق حال كوني مسلماً ﴿ لمتنضي الحديث ﴾ أي لما يقتضيه الحديث الصحيح النبوي ﴿ والنص ﴾ الصريح القرآني وقدم الحديث لمراعاة القافية ولشدة الاعتناء بالتمسك بالسنة النبوية والاحاديث المرضية كالنص كما هو في نسخة وهي أولى وأخري وحينئذ فالنص هو المقدم وسواء أدركنا معناه بعقولنا أم لم ندركه وهذا هو الحق الواجب على كل مسلم بوضعه ان وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله

من صفاته وغيرها ليس مرقوقا على أن يقوم دليل عقلي على ذلك فإنه لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول عليه السلام اذا أخبره بشيء من صفات الله تعالى وحب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الدين قال الله تعالى عنهم (وقلوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متقياعه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يحبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يحبر به اذا كان الذي لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله وما لم يحبر به ان علمه بعقله آمن به ومن سلك هذا السبيل فوجود الرسول واخباره وعدمهما عنده سواء وما يذكر من القرآن والحديث والاحماع لا أثر له عنده هؤلاء وقد صرح بذلك جماعة من أئمة المتكلمة وتقديم هذا في الباب الاول بعد قولنا

فكل ما قد جاء في الدليل ثابت من غير تمثيل

وقوله (في التقديم والحديث) يحتمل معنيين كلاهما مراد (أحدهما راجع الى الناظم وهو أن هذا عقيدتي واعتمادي وبني عصمتي واعتقادي التسليم والالتقياد والمستول والاعتماد على مقتضى الصومس القرآنية والأحاديث النبوية سواء أدركنا معانيها بقولنا أو قصرت عن ادراك حقائقها ألبابا وآراؤنا وهذا في أول زمان وجود ادراك فهمي ولم يعك عن هذا عقد لي ودليل علمي فتقديم زماني وحديثه على ذلك وهو موجه القويم وان تابيت المسالك (الثاني) أن مبنى علمي وحقيقة حجتي وفهمي وعصمتي وسدي إنما هو الص التراقي والخبر الصحيح السوي وما أجمع عليه السلف سواء في ذلك الأحكام المتعلقة بالعبادات وبحوها من المعاملات والأحكام والحيايات والحدود والكفارات أو الأخبار عن البرزخ والمعاد وما للعالم من شقوة أو أسعاد هذا وهذا ونحوه مما يتعلق بالحدوث والحوادث أو كان مما يتعلق بالتقديم الديان من الذات والصفات والقرآن حسبما يرها على ذلك في شرحها هذا على قدر الإمكان مما يعلمه الناظر فيه بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة والأدلة النافعة والالزامات التمامة (لا أعني) في أصل نظم عقيدتي

هذه بقول قائل وان جل أمره وشاع ذكره ﴿ بغير قول السلف ﴾ أي لا أعول ولا ينهني ولا يعنني في نظم عقد توحيدى الا قول السلف الصالح والرعيلى الاول الفالج وفي نسخة « لا أعني الا بقول السلف » ولست في ذلك منفردا ولا ناهجا نهجا متقدما بل في نهجى المذكور وسيرى المشكور حال كوفى ﴿ موافقا أمتى ﴾ من أئمة أهل الاثر ﴿ وساني ﴾ في ذلك من كل همهم معتبر قد سبروا الاخبار ودونوا الآثار وعرفوا ما كان عليه النبي المختار وما اقتناه عليه أصحابه الأبرار وأصهاره الأخيار وأنصاره الأطنهار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار وقد قال « شتفترقى أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي » وتقدم ذلك في المقدمة

﴿ ولست في قولى بهذا مقلداً الا النبي المصطفى مبدى الهدى ﴾

﴿ صلى عليه الله ما قطر نزل وما تعانى ذكره من الازل ﴾

﴿ وما انجلى بهديه الديجور وراقت الاوقات والدهور ﴾

﴿ ولست في قولى بهذا ﴾ أي بما أشرت اليه من اقتناء الأئمة والسلف الصالح ﴿ مقلداً ﴾ لهم في اعتقادي ، وان الذى نحوه بمجرد عهدي واعتمادي ، من غير نظر في الدليل وبحث عن الكثير والقليل ، بل نظرت كما نظروا ، وسبرت كما سبروا ، وخضت في علوم النظر والكلام ، والحكمة والأحكام ، فرأيتها لا تشفى من سقام ، ولا تروى من أوام ، ولا تهدي من ضلال ، ولا تجدي من نوال ، هذا والاب عاكف على الآثار ، عارف بشعرات الاخبار ، كارف من نشرها ما يزيل ثن الاراء ، عارف من بجرها ما يطفى حرارات الاهواء ، مقتبسا من أنوارها ما يقشع ظلمات الافكار الفلسفية ، ملتسما من أسرارها ما يجمع شبهات الانظار الكلامية ، مقيداً منها بما يزيل الخيالات المعتزلية ، معتمدا منها على ما يغسل الزبالات الرافضة ، فليس لي في كل سيرى مقلداً ، ولا في اعتقادي قدوة ومعتمداً ﴿ الا النبي المصطفى ﴾ من سائر العالم المختار من سائر بني آدم ﴿ مبدى ﴾ أي مظهر ومبين وكاشف ﴿ الهدى ﴾ بالدلائل الواضحة ومرشد العالم الى سلوك المسالك الناجحة ، وتقدم

الكلام على الهداية ، بما فيه كفاية ، فقد بذلت وسبي في اقتناء آثاره ، واقتناء أخباره ، وسبر أحواله ، ونشر أقواله ، وتهذيب سيرته الشريفة ، وثبوت شريسته المحكمة المنيفة ، فكرعت منها عللاً بعدنل ، وشربت عذبا زلالا صافيا يربا من زالات الآراء والزلل ، فذاك متمدي مدى العمر ، لا زيد ولا بكر ، ولا خالد ولا عمرو ﴿ صلى عليه الله ﴾ تقدم الكلام على معنى الصلاة والسلام ﴿ ما قطر نزل ﴾ أي مدة دوام نزول الأمطار وتداول الأعصار ، والقطر هو الماء والنزول وكفه من العلو اذا هطل ﴿ و ﴾ صلى الله وسلم عليه ﴿ ما تعاني ﴾ المعنون ﴿ ذكره من الازل ﴾ في الأعصار الحالية والاطوار البالية والقرون الفانية والامم الماضية فانه لم يحل زمان من ذكره ولا أوان من التنويه بشرعه ومبعثه ونبيه وأمره الى أن جاء ابا ن رسالته رمان بته وظهور مقالته فظهرت شمس نبوته على سائر كواكب البوات فانخست وبهرت رسالته سائر المقالات فانطمست ﴿ و ﴾ صلى الله وسلم عليه ﴿ ما انجلي ﴾ أي تفرق وزال واسكشف ﴿ بهديه ﴾ الناصع ونور شرعه المشرق اللامع ﴿ الديبور ﴾ أي الطلام قالب في القاموس الديبور التراب والظلام والاعتر الصارب الى السواد أي مدة دوام انجلاء ظلام الشرك وسواد الافك وغبار الدع والانتكار بما رهديه ونور شرعه الذي أزال كل ظلام وأطاع كل بار ﴿ و ﴾ ما بهديه صلى الله عليه وسلم ﴿ راق ﴾ أي صنت قال في القاموس الترويق التصفية والراوق المصفاة والريق يردد الماء على وجه الارض من الصحصاح والرائق الخالص و ﴿ الاوقات ﴾ جمع وقت وهو المقدار من الدهر وأكبر ما يستعمل في الماضي والميقات يطلق على الزمان والمكان المضروب للعمل وفي نسخة ما راق الايام بدل الاوقات جمع يوم والمراد ما خلصت وصفت الاحوال جمع حال الواقعة في الاوقات والحاصلة في الايام والساعات والحال كه الانسان وما هو عليه كالحالة و يراد بالحال الهيئة ومنه تنبر من حال الى حال ﴿ و ﴾ ماراقت ﴿ الدهور ﴾ جمع دهر وهو الزمان الطويل والامد الممدود وقد بعد في الاسماء الحسنى والمراد على حذف مضاف والذي عده في الاسماء الحسنى نظر الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فان الله هو

الدهر الى ظاهر الحديث القدسي قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وقال الخطابي معناه انا صاحب الدهر ومدير الامور التي ينسبونها الى الدهر فمن سب الدهر من اجل انه هذه الامور عاد بسبه الى ربه الذي هو فاعلها وانما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور وكانت عادة الجاهلية أنهم اذا اصابهم مكروه اضافوه للدهر فقالوا يؤس للدهر وتبا للدهر قال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك وقد شن الفارة الحافظ ابن الجوزي على من نسب شيئا من ذلك الى الدهر ولو لم يعتقد ظاهره في عدة مواضع من كتبه منها صيد الخاطر وغلط القاضي عياض من زعم ان الدهر من أسماء الله تعالى فان الدهر مدة زمان الدنيا وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله في الدنيا أو فعله لما قبل الموت وقد تمسك الجبهة من الدهرية والمعتلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم لان الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شئ عندهم ولا صانع سواه وكفى في الرد عليهم قوله في بقية الحديث «أنا الدهر أقلب ليله ونهاره» فكيف يقلب الشئ نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقال محمد ابن أبي جرة لا يخفى ان من سب الصنعة فقد سب صانعها فمن سب نفس الليل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى وذكر نحو ما قدمنا من أن ليس للدهر ولا ليل والنهار فعل ولا تأثير فمن سب شيئا من ذلك يؤول من حيث المعنى أنه سب خالق ذلك انتهى ملخصا

﴿ وآله وصحبه أهل الوفا معادن التقوى وينبوع الصفا ﴾

﴿ وتابع وتابع للتابع خير الورى حقا بنص الشارع ﴾

﴿ ر ﴾ صلى الله على ﴿ آله ﴾ أي أبه على دينه وقيل أقاربه الادنون من بني هاشم وبني المطلب والاول اختيار الامام احمد في مقام الدعاء والثاني اختيار الامام الشافعي وقيل آله اهله والصواب جواز اضافته الى الصميم خلافا لمن انكر

ذلك نعم هو قليل ﴿وصحبه﴾ وهم كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
 مؤمنا ومات على الايمان وتقدم الكلام عليهم في اول الكتاب وفي قوله ﴿اهل
 الوفا﴾ اشارة الى انهم فعلوا ما امروا ووفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من بذل
 نفوسهم الفية وكل نفيس في نصرة الدين والقويم والتمسك بهديه المستقيم
 وقوله ﴿معادن التقوى﴾ يصح جره على التبعية لما قبله ونصبه بفعل محذوف تقديره
 أمدح ونحوه ورفع خبر لمبتدا محذوف تقديره هم والمعادن جمع معدن بكسر
 الدال قال الازهري سمي المعدن معدنا لعدم ما أنبته الله فيه أي لا قامت فيه يقال
 عدن بالمكان يعدن عدونا والمعدن المكان الذي عدن فيه الجوهر من جواهر
 الارض أي ذلك كان . وأخرى خلق الله تعالى وأجدر بإقامة التقوى فيهم وعدوهم
 لديهم بعد أنبياء الله تعالى ورسله أصحاب نبيه المصطفى رضوان الله تعالى عليهم
 والتقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفة وامتنال امره واجتناب نهيه وحقيقتهما
 ان يجعل المرء بينه وبين معاصي الله وقاية تمنعه من انتهاكها والوقوع فيها
 فلا بد أن يجعل بينها وبينه حاجرا وفي سنن الترمذي وابن ماجه من حديث
 عبد الله بن يزيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يبلغ العبد
 ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا بما به بأس » وقال ابو الدرداء
 رضي الله عنه التقوى تمام التقوى ان يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة
 وحتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما حجابا بينه وبين
 الحرام وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب ﴿وينبوع الصفا﴾ معطوف على
 معادن والينبوع بفتح التحتية وسكون الون وضم الموحدة وبعدها واو ساكنة فعين
 موهلة عين الماء أو الجدول الكثير الماء كما في القاموس والصفا ضد الكدر كالصفو
 والصفوة وصفوة الشيء مثلثة ماصفي منه ومنه صفا الجو اذا لم يكن فيه لطمة غيم
 فالصحابة الكرام ينبوع كل خالص من الكدر نقي من غبار البدع وقذى الفكر
 فمن ورد مورد هم كرم صافيا زلالا ومن زل عن نهجهم شرب أجاجا قدرا وبالا
 ﴿و﴾ على ﴿تابع﴾ لهم باحسان ﴿وتابع للتابع﴾ على نهج الاستقامة والاتقان
 وهو لاء القرون الثلاثة ﴿خير الزرى﴾ كفتي الخلق أي من هذه الامة وأفضلهم

أحق ذلك ﴿حقابنص الشارح﴾ للشرائع يعني النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قل عمران ابن حصين رضي الله عنهما فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة رواه البخاري ومسلم وغيرهما وكذا في حديث أبي هريرة عند مسلم ولفظ حديث أبي هريرة «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه» ولهذا المعنى قال

﴿ورحمة الله مع الرضوان والبر والتكريم والاحسان﴾
 ﴿تهدي مع التبجيل والانعام مني لمثوى عصمة الاسلام﴾
 ﴿أئمة الدين هداة الامة أهل التقى من سائر الائمة﴾
 ﴿لا سيما احمد والنعمان ومالك محمد الصنوان﴾

﴿ورحمة الله تعالى﴾ مع الرضوان ﴿من الله تعالى﴾ والبر ﴿بالكرام الاحسان والشفقة﴾ والتكريم ﴿لهم من فضله العميم وكرمه الكريم﴾ والاحسان ﴿اليهم من الله لانهم أحسنوا عملا واخلصوا قولا وفعلًا فيجازيهم بالاحسان لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان

﴿تهدي﴾ بضم المثناة الفوقية على صيغة مالم يسم فاعله أي هذه الامور التي هي الرحمة والرضوان والبر والتكريم والاحسان ﴿مع التبجيل﴾ أي التعظيم وفي حديث أنه عليه السلام أتى القبور فقال «السلام عليكم أصبتم خيرا بجيلا» أي واسما كثيرا من التبجيل يعني التعظيم كما في النهاية وقال في القاموس بجله بجيلاً عظمه ﴿والانعام﴾ من الملك المنعم الميم من السلام ﴿مني﴾ أي بأن أسأل الله تبارك وتعالى ان يفعل جميع ذلك بمنه وكرمه وطوله وحلمه ﴿لمثوى﴾ أي منزل ومقام قال في النهاية المثوى المنزل من ثوى بالمكان اذا اقام فيه وفي القاموس المثوى المنزل وجمعه مثاوى وهو مجاز لان المراد الثاوين فأطلق المحل واراد الحال ﴿عصمة﴾ أهل ﴿الاسلام﴾ من البدع المضلة والآراء الخلة وأهل الزبغ والاحاد والافك والعناد والعصمة المنعنة والعاصم المانع الحامي والاعتصام الامتناع بالشيء افتعال منه وفي شعر أبي طالب في حق النبي صلى الله عليه وسلم «ثمال اليتامى عصمة للارامل» أي بمنعهم

من الضياع والحاجة وعلى كل حال انما عصمة هذا الدين بقدا الصحابة والتابعين كان
 بهؤلاء الاثمة المجتهدين ومن ثم قال (أئمة) أهل هذا (الدين) المتين ونور الله المبين
 الذي جاء به النبي الامين من عند رب العالمين (هذه الامة) أي الدين الامين الامة على
 نهج الرسول والكاشفين لهم عن معاني الكتاب المنزل والاحاديث التي عليها المعول
 والداين ريع الزائفين وبدع المتبدعين وضلال المضلين والحاد الملحدون فقد
 شيدوا مبانيها وسددوا معانيها وأصلوا أصولها وفصلوا فصولها فأصبحت الشريعة بهذا
 الترتيب مضبوطة وأحكامها بهذا الوصف والتبويب مبرورة فن رام احتلاس
 حكم من أحكامها نكص على عقبيه وهو خائب ومن دنا من سماء أحكامها رمت
 كواكب حرسها ابشهاب ثاقب ولست أخص بهذا الوصف والدعاء أحدادون أحدل
 أسأل الله تعالى لهم حية الانهم هم (أهل التقى من سائر) أي جميع (الائمة) من
 المفتدى بأقوالهم وأفعالهم من كل عالم همام وحبر ففهم ومقدم مقدم كالائمة
 المتبوعة الآتي ذكرهم والسفيانين والحادين واسحاق بن راهويه وأبي ثور
 ويحيى بن معين وابن أبي ذئب والبحاري ومسلم وعبد الله بن المبارك والليث
 ابن سعد وريسة بن عبد الرحمن وعبد الملك بن جريج وداود وغيرهم فانهم
 وان تباينت أقوالهم واختلفت أراؤهم من حجة الفروع الفقهية فالجميع سلفية
 أثرية ولهم في السنة التصانيف النافعة والتأليف الناصعة كائن سعيد الدارمي
 وأبي بكر بن خزيمة وأشباههم ثم بعد أن عم جميع الاثمة بالدعاء والتناء خص
 الاثمة الارسة الذين مدار الشريعة الآن على ما أصلوه وأحكامها ضمن ما
 فصلوه فقال (لاسيا) هذه الكلمة منية على دخول ما بعدها في ما قبلها
 بالأولى فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء فن بعدها كذلك وأولى بذلك
 وبحوز في الاسم الذي بعدها الجر والرفع مطلقا وكذلك النصب أيضا اذا
 كان نكرة وقد روي بالأوجه الثلاثة قول امرئ القيس ه ولا سجا يوم بدارة
 جلجل ه وأرجحها الجر وهو على الاضافة وما زائدة بين المضاف والمضاف اليه
 مثلخاني أيما رجلين والرفع على أنه خبر لمضمر محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة
 إية والتقدير ولا مثل الذي هو يوم أو ولا مثل شيء هو يوم وعلى الوجهين فتحة

سي اعراب لأنه مضاف والنصب على التمييز كما يقع التمييز بعد مثل في مثل (ولو جئنا بمثله مددا) وما كافة عن الاضافة وفتحة سي فتحة بناء مثلها في لا رجل وأما انتصاب المعرفة نحو ولا سيما زيدا فمنعه الجمهور وتشديد سيما ودخول لا عليها ودخول الواو على لا واجب عند قوم حتى قال ثعلب من استعمل لا سيما على خلاف ما جاء في قوله : ولا سيما يوم : فهو مخطئ، وذكر غيره أنها قد تخفف وقد تحذف الواو كقوله

فه بالعقود وبالايمان لا سيما عقد وفاء به من أعظم القرب

وهي عند الفارسي منصوبة على الحال وعند غيره اسم للالتبرئة واختاره بعضهم الامام (أحمد) ابن محمد بن حنبل الشيباني سيدنا وامامنا وقدوتنا ومتبوعنا والواسطة بيننا وبين نبيتنا محمد صلى الله عليه وسلم الامام الشهير والامة العلم المنير صاحب المسند والتفسير والزهد وغيرها رضي الله عنه وتقدمت ترجمته في صدر الكتاب والله اعلم (و) الامام الاعظم والحبر المعظم أبي حنيفة (النعمان) بالجبر عطف على ما قبله على المختار الاكثر ويصح الرفع فيهما كما أشرنا أولا على الاشهر وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي امام أهل العراق وفقهم بالاتفاق وامام اصحاب الرأي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات الحفاظ قيل انه من أبناء فارس وهو من التابعين فانه رأى أنس ابن مالك وأبا الطفيل رضي الله عنهما وروى عن حماد بن ابي سليمان وعطاء وعاصم بن ابي النجود والزهري وقتادة وخلق وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وابو يوسف القاسمي ومحمد بن الحسن وهما الصحابان اذا أطلقا عند الحنفية قال الامام يحيى بن معين كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالاحفظ وقال الامام عبد الله بن المبارك ما رأيت في الفقه مثله وقال مكِّي بن ابراهيم كان أعلم أهل زمانه وما رأيت في الكوفيين أوسع منه وقال الامام الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وسئل يزيد بن هارون أيهما أفقه أبو حنيفة أو سفيان فقال سفيان أحفظ للحديث وابو حنيفة أفقه أكره أبو حنيفة رضي الله عنه على القضاء فأبى أن يكون قاضيا وكان يحبي الليل صلاة ودعاء ونفرا ولد رضي الله عنه سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وقيل سنة احدى وقيل ثلاث

وخمسین والاول اصح

(و) الامام ابي عبد الله (م) مالك (م) بالحر والتنوين هو الامام الكبير والحكم
المسير والعلم الشهير أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر
ابن عمرو بن الحارث الاصبحي الحسيري المدني شيخ الأئمة وامام دار الهجرة
روى عن جماعة من التابعين نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحيد الطويل
وعبرهم وعنه الامام الشافعي وخلق جمعهم الخطيب في مجلد قال الامام علي بن
المدني للملك نحو الف حديث وقال الامام ابن الامام عبد الله بن الامام أحمد
رضي الله عنه قات لأبي من أثنت اصحاب الزهري قال مالك أثبت في كل
شيء وقال الامام البخاري رضي الله عنه اصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن
عمر رضي الله عنهما وقال الامام الشافعي رضي الله عنه اذا جاء الأمر فمالك النجم
وعند الامام احمد سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اصح الاسانيد (١) قال
اس خلكان أخذ عن الامام مالك الاوراعي وبجي بن سعيد وغيرها ونودي في
المدينة ألا لا يفتي الناس الا مالك بن انس وابن ابي ذئب مات في المدينة سنة
تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة رضي الله عنه ودفن في البقيع وكان شديد
البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العذبة الجياد ويكره
حاق الشارب ويعيبه وبراء من المثلة رحمه الله ورضي عنه

والامام ابي عبد الله (م) محمد (م) معطوف على من قبله سقط حرف العطف لاقامة الوزن
فهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد
يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلب الشافعي رضي الله عنه مجتمع نسبه
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور وقوله (الصنوان) اي القرابة
للسبي صلى الله عليه وسلم يقال للشحنتين فما زاد في الاصل الواحد كل واحد منهما
صنو و يصم وركبتان صنوان متحاورتان او يبعمان من عين واحدة وفي حديث
العباس رضي الله عنه «أن عم الرجل صنوايه» وفي رواية «العباس صنوايي» وفي رواية
«صنويي» يريد صلى الله عليه وسلم ان اصل العباس واصلي واحد وفي نسخة بدل

(١) كذا في الاصل والمأثور عن أحمد : اصح الطرق الزهري عن سالم عن أبيه

الصنوان المتقن من الاتقان لا تقفانه للعلوم واحكامه للمنطوق منها والمفهوم فهو
امام الأئمة وقادة الامة ولد بغزة هاشم سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة المشرفة
وهو ابن ستين وقيل ولد بمسقلان وقيل باليمن سنة أربع وخمسين وقيل سنة
اثنتين كذا في طبقات الحفاظ للجلال السيوطي وشرح ألفية الحديث للمصنف
وفي طبقات الحفاظ أيضاً ولد ببلاد غزة سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو
ابن ستين فنشأ بها وكان رضي الله عنه جم المفاخر منقطع النظير اجتمعت فيه من
العلوم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم
واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية
والشعر حتى قرأ عليه الأصمعي مع اشتهاره بهذا الشأن اشعار الهذليين ما لم
يجتمع في غيره حتى قال الامام أحمد رضي الله عنه عرفنا ناسخ الحديث ومنسوخه
ما جالسنا الشافعي وقال عبد الله بن الامام أحمد قلت لأبي أييه رجل كان
الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له فقال يا بني كان الشافعي كالشمس
للدنيا وكالغاية للبدن هل لذين من خلف أو عنهما من عوض كذا في وفیات
الأعيان لابن خلكان قال السيوطي في طبقات الحفاظ روى الشافعي عن محمد
ابن علي وابن أسامة وسعيد بن سالم وسفيان بن عينة والامام مالك واسماعيل
بن علقمة وابن أبي فديك وخلق وعنه ابنه أبو عثمان محمد والامام أحمد وأبو ثور
وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو طاهر بن البرخ وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد
الزعفراني والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البويطي
ويونس بن عبد الأعلى وخلق كثير قال ابن عبد الحكم لما حملت أم الشافعي به
رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى اقتض بمصر ثم وقع في كل بلد منه
شظية فتأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر ثم ينتشر في
سائر البلدان وقال الامام أحمد ان الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة
من يعلمهم السنة وينفي عن رسول الله الكذب فظنرنا فاذا في رأس المائة عمر
ابن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله
عنه حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر وقال
(٢ شرح عقيدة السفاريني ٥٦)

الرميع ابن سليمان كان الشافعي يفتي وله خمسة عشر سنة وكان يعي القيل إلى أن مات وقل أبو ثور كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن ويجمع قبول للأخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمسنوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة قال ابن مهدي ما أصلي صلاة الا وأنا أدعو للشافعي فيها وقال هرون بن سميد الديلمي لو أن الشافعي فاطر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لعلب لاقداره على المطارة وكان الحميدي يقول حدثنا سيد الفقهاء الشافعي توفي رحمه الله ورضي عنه في شهر رجب سنة أربع ومائتين وقال ابن خلكان أنه توفي آخر يوم من رجب ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره مشهور بزار ويتبرك به وأجمع العلماء قاطبة على ثنّه وإمامته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضة وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه رضي الله عنه وكان الشافعي قد قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج إلى مصر وكان وصوله إليها سنة تسع وتسعين ومائة قاله ابن خلكان والله أعلم ثم أشار إلى أنه يجب على كل واحد من هذه الملة ممن له عمل وتقوى أن يقتل واحدا من هؤلاء الأربعة على الأصح الأقوى قتال من لا يرضى لكل أبواب العمل تقليد خبر منهم فاسمع تحلي

(من) أي الذين هم فهو مبتدا خبره فرض (لازم) لا انفكاك عنه ولا مدوحة منه (لكل) واحد مكلف من (أرباب) أصحاب (العمل) الصالح والكبد الناح من ليس فيه أهلية الاجتهاد المطلق (تقليد خبر منهم) أي من الائمة الارسة المملومة مذاهبهم المضبوطة أقوالهم المحفوظة رواياتهم المدونة مذاهبهم في كل مصر وعصر الواصلة بالتواتر بشروطها وأركانها وموانعها واتقانها بحيث لا يتأني لاحد أن ينسب لمذهب منها ما ليس منه بل آحاد طلبة العلم يرد عليه ويبيح ويقول هذا ليس في هذا المذهب حتى أنهم يعرفون المشهور من أقوال المذهب والمجور وإن كان الدليل المأثور مع القول المجهور والخبر يفتح الحاء المهملة وكسرها ويسكون الموحدة العالم المتن وكان يقال لابن عباس رضي الله

عنها الخبر والبحر لعلمه وسعته وتسمى سورة المائدة سورة الاحبار لقوله تعالى (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرابانيون والاحبار) والتقليد لغة وضع الشيء في العنق محيطا به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها قلاند وعرفا أخذ مذهب الغير مع اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا معرفة دليله فالرجوع الى قول النبي صلى الله عليه وسلم والى المفتي والى الاجماع ورجوع القاضي الى العدول ليس بتقليد ولو سمي ذلك تقليدا لساغ وفي المقنع المشهور أن أخذه بقول المفتي تقليد وهو أظهر وقدمه النجم بن حمدان في آداب المفتي وقال شيخ الاسلام في المسودة والتقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع تقليداً لأن الاجماع دليل ولذلك يقبل قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد بخلاف ثبنا الفقيه وذكر في ضمن مسألة التقليد أن الرجوع الى قول الصحابي ليس بتقليد لأنه حجة وقد قال الامام أحمد في رواية أبي الحارث من قلد الخبر رجوت أن يسلم ان شاء الله تعالى فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وان كان حجة في نفسه (تنبيه) انما قال لكل أرباب العمل ليحترز به عن التقليد في عقائد التوحيد من معرفة الله تعالى ونعوت ذاته وصفاته والرسالة وكذا في أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر ذكره علماءنا ونقل الاجماع في ذلك غير واحد منهم أبو الخطاب الكلوثاني وأبو الوفاء بن عقيل لتساوي الناس فيما لا يسوغ فيه اجتهاد وتقديم الكلام عليه في آخر الباب الاول مطولا والله أعلم قال الامام موفق الدين في الروضة وأما التقليد في الفروع فهو جائز اجماعاً قال وذهب بعض القدرية الى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل واستدل لجواز التقليد بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) وهو عام لتكرره بتكرار الشرط وعلة الامر بالسؤال الجهل وأيضا الاجماع فان العوام يقلدون العلماء من غير ابتداء مستند من غير تكبر وأيضا عدم القول بذلك يؤدي الى خراب الدنيا بترك المعاش والصنائع ولا يلزم مثله في التوحيد والرسالة ليسره وقلته ودليل العقل والنقل ولذا قال الامام مالك يجب على العوام تقليد المجتهدين في الاحكام كما يجب على المجتهدين الاجتهاد في أعيان الادلة خلافاً للامتنزلة البغدادية فانهم وأقربوا القدرية في إيجابهم على العوام الاجتهاد واحتجوا بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)

ومن الاستطاعة ترك التقليد ولأن العامي متمكن من كثير من وجوه البطر فوجب أن لا يجوز له تركها قياساً على المجتهد ولما أن الخطأ متعين وبلوغ الصواب متعسير بل متعذر في حق العوام إذا افتردوا بمعرفة الأحكام لأنهم لا يعرفون السامع والمنسوخ ولا المخصص ولا المفيد ولا كثيراً مما يتوقف عليه دلالة الألفاظ ولا يضبطونه ولا يسوغ لهم مخالفة لقرط الغرر فيه فهم لا يستطيعون الوصول إليه وقد توسط أبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة فقال شعائر الاسلام الطاهرة لا تحتاج لنصب الاجتهاد ولا حاجة الى التقليد فيها كالصلوات الخمس وصوم رمضان ونحو ذلك وأما الامور الخفية من المجتهد فيه فتعين التقليد فيها بالضرورة ولا نزاع في ذلك لان تحصيل الحاصل محال ولا سيما والتقليد انما يفيد الظن وهو دون الضرورة بكثير وما لم ينته الى حد الضرورة يتعين التقليد فيه لحاجة النظر الى آلات مفقودة في العامي

(تليبيات)

(أحدها) منع قوم وجوب لزوم مذهب معين قال تسيح الاسلام ابن ثيمية في الفتاوى المصرية تنازع المتأخرون من أصحاب الامام أحمد والامام الشافعي وغيرهما هل على العامي ان يلتزم مذهباً واحداً بين من مذاهب الاثمة المشهورين بحيث يأخذ بعزائمه ورحضه على قولين قال والمشهور انه لا يجب كما انه ليس له أن يقلد في كل مسألة من يوافق غرضه وليس له ان يقلد في المسألة الواحدة اذا كان الحق له من لا يقلد اذا كان الحق عليه بل عليه باتفاق الأئمة ان يعدل بين نفسه وبين غيره في الأقوال فاذا اعتقد وجوب شيء أو تحرجه اعتقد ذلك عليه وعلى من يماثله كشفعة الجوار فليس له ثبوت الشفعة اذا كان هو الطالب وانتاؤها اذا كان هو المطلوب كما يفعل عليه أهل الهوى متابعة للهوى لامرعاة للتقوى وقال في مواضع أخرى التمدد بمذهب بحيث يأخذ برخصه وعزائمه طاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمره ونهيه وهو خلاف الاجماع وتوقف أيضاً في جواز ذلك فضلاً عن وجوبه وقال ان خالفه لقوة الدليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح ذلك في عدالته بل انزاع وقال بل يجب في هذا الحال وأنه نص الامام وكذا قال القنطري الحنفى ما ظله أقوى قبله تقليده فيه وله الافناء به حاكياً مذهب من قلده وقال صدر الوزراء عون

الدين ابو المظفر ابن هبيرة انه من مكاييد الشيطان أن يقيم أو ثانا في المعنى تمبد من دون الله مثل أن يتبين له الحق فيقول هذا ليس بذهبنا تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق وقال ابو محمد بن حزم أجمعوا على أنه لا يحل للحاكم ولا المفتي تقليد رجل فلا يحكم ولا يقضي الا بقوله انتهى والاشهر الآن عليه أن يتمذهب بذهب قال ابن حنبل في الرعاية هذا الاشهر فلا يقلد غير أهله وقال في آداب المفتي يجتهد في أصح المذاهب فيتبعه وقطع الكبار بلزوم التمسك بذهب قال الامام النووي هذا كلام الاصحاب والذي يقتضيه الدليل أنه لا يلزمه انتهى

(الثاني) اذا قلنا يلزمه ان يتمذهب بذهب يجوز له الانتقال عن المذهب الذي تمذهب به وعمل به عند الاكثر فيتخير في الصورتين واختار الآمدي منع الانتقال فيما عمل به وتقدم كلام شيخ الاسلام أنه اذا خالفه لقوة دليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح في عدالته بالانزاع والحاصل أن العلماء في ذلك ثلاثة أقوال الاول امتناع الانتقال عنه مطلقا لالتزامه أياه الثاني له الانتقال عنه مطلقا والتزامه مالا يلزم غير لازم والثالث التفصيل وهو ان كان عمل بمقتضى ذلك المذهب الذي تمذهب به وصلى وصام وزكى ونحو ذلك على حسبه غير ملغى لغيره لزمه الوقوف عليه وامتنع عليه الانتقال عنه وصوب ذلك بعض العلماء وجزم به غير واحد

(الثالث) يحرم على العامي الذي ليس بمجتهد تتبع الرخص في التقليد ولو قلنا بجواز الانتقال وهو أنه كلما وجد رخصة في مذهب عمل بها ولا يعمل بغيرها في ذلك المذهب قال علماءنا وبفسق بذلك لأنه لا يقول باباحة جميع الرخص أحد من علماء المسلمين فان قال بالرخص في مذهب لا يقول بالرخصة الاخرى في غيره قال الامام ابن عبد البر لا يجوز للعامي تتبع الرخص اجماعا وقال الامام احمد رضي الله عنه لو ان رجلا عمل بكل رخصة يعمل بذهب أهل الكوفة في النبيذ وأهل المدينة في السماع وأهل مكة في المتعة لكان فاسقا وقال عمر لو ان رجلا أخذ يقول أهل المدينة في السماع يعني الفناء واتيان النساء في أدبا رهن أو يقول أهل مكة في المتعة والصرف و يقول أهل الكوفة في السكر كان أشر عباد الله تعالى وقال سليمان التيمي لو اخذت برخصة كل عالم

او قال زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله لكن قال القاضي ابو يعلى بن الفراء امام المذهب
بمذكور كلام الامام احمد رضي الله عنه المتقدم آنفا هذا معجول على أحد الوجهين اما ان
يكون من أهل الاجتهاد ولم يؤده اجتهاد الى الرخص فهذا فاسق لانه ترك ما هو الحق
عنده واتبع الباطل أو يكون عاميا فأقدم على الرخص من غير تقليد فهذا أيضا
فاسق لانه أدخل وهو التقليد قال واما ان كان عاميا وقلد في ذلك لم يفسق لانه
قلد من يسوغ اجتهاده ونظريه الجراحي في حواشيه على اصول ابن اللحام قلت وم
الحق وقد بطل جمع محققون أن ما يحوز تقليد في النورال ٧ والانتقال من مذهب
الى مذهب في بعض المسائل بثلاثة شروط (الاول) ان لا يجمع بين المذهبين مثلا
على صفة تخالف الاجماع كن تزوج بنير صداق ولاولي ولاشهود فان هذه الصورة
يقول بها احد قلت أي تزوج بلاولي مقلدا لابي حنيفة وبلاشهود مقلدا لمالك فهذا
لم يقل به احدهما ولاغيرهما وهو ذريعة لازنا فهذا لانزاع في رده (الثاني) ان يعتقد
قيمن يقلده الفضل ولو بوصول خبره اليه (الثالث) ان لا يتبع رخص المذاهب
(الرابع) للماقل ان يقلد المفضل مع وجود الفاضل من المجتهدين عندا كثر علمائنا
منهم القاضي وابوالخطاب والامام الموفق في روضته وقاله الحنفية والمالكية وأكثر
الشافعية وقيل يصح ان اعتقده فاضلا أو مساويا لا ان اعتقده مفضولا لانه
ليس من القواعد أن يعدل عن الراجح الى المرجوح وقال الامام ابن عقيل
وابن سريج والقفال والسيمان يلزمه الاجتهاد فيقدم الارجح (في) معناه قول
أبي القاسم الحرقى والامام الموفق في المقنع والامام أحمد رضي الله عنه وروايتان
واستدل للاول بأن المفضل من أصحابه صلى الله عليه وسلم ومن السلف كل
يقتي مع وجود الفاضل مع الاشتهار والتكرار ولم ينكر ذلك احد فكان اجماعا
على جوار استثنائه مع القدرة على استثناء الافاضل وظاهر قوله تعالى (فاسئلوا
أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) وأيضا العامي لا يمكنه الترجيح لقصوره ولو كلف
بذلك لكان تكليفه ضرب من الاجتهاد وان زيف ابن الحاجب ذلك زاعما أن
الترجيح يظهر بالتسامع ورجوع العلماء اليه وغيره لكثرة المستفتين وتقديم العلماء له انتهى
لكثرة جهات التفضيل كما سبق وإيجاد أشياء في المفضل بعضها ما يفضل الفاضل

يا والله أعلم قوله ﴿ فاسمع نخل ﴾ أي فاسمع نظامي وما أشرت اليه من لزوم مكلف لم يبلغ رتبة استخراج الاحكام من معادنها ولا استنباط الادلة من مكانها التقليد اقتداء بأحد أئمة الهدى ومصاييح الدجا وقوله نخل أي تظن وتعلم ذلك لان انسان قبل سماعه يكون خالي الذهن فاذا سمع الكلام وتأمل مافيه من الاحكام أو ظن لزوم ذلك على ذوي الافهام وأصله مثل يقوله الرجل اذا بلغه شيء رجل فاتمه وقيل معناه انه من يسمع أخبار الناس ومناقبهم ومثالبهم يقع في نفسه ذلك من خير أو شر ولفظ المثل « من يسمع نخل » أي من يسمع له خبر يحدث بان يخذف المفعولين اختصاراً لافادة تجديد الفعل أو حدوثه

﴿ ومن نحا لسبلهم من الورى مادارت الافلاك او نجم سرى ﴾

﴿ رحمة الله تعالى مع البر والاحسان والعفو والغفران تهدي لـ ﴾ من أي انسان الذي ﴿ نحا ﴾ أي قصده متبعاً ﴿ لسبلهم ﴾ ككتب جمع سبيل وهو الطريق الواضح انه خص الأئمة الاربعة بعد عموم الأئمة دعاً لمن اتبعهم أو اتبع واحداً منهم ن ﴿ سائر ﴾ الورى ﴿ كفتى الخلق ﴾ ما دارت ﴿ أي مدة دوران ﴾ الافلاك ﴿ مفلك بفتح الفاء واللام جدار النجوم وتجمع ايضاً على فلك بضمين ومن كل شيء تداره ومعظمه والمراد الاول ﴾ أو نجم سرى ﴿ أي وتهدي لهم ولتبعيهم الرحمة رضوان والبر والاحسان والانعام مدة دوام سرى النجوم على الدوام وسرى هدى سارعة الليل والنجم الكوكب وجمعه أنجم وأنجم ونجوم ونجم والنجم من النبات نجم على غير ساق والثريا والوقت المضروب والمراد الاول

﴿ هدية مني لأرباب السلف مجانباً للخوض من اهل الخلف ﴾

﴿ خذها هديت واقتني نظامي تفز بما أملت والسلام ﴾

يا كان نظم هذه العقيدة بسؤال بعض أصحابنا التجديدين وأنها على ما نحاها لف من الاثريين قال عند تمام انجاح السؤال هذه العقيدة الاثرية المفيدة لدية ﴿ مهداة وعطية مؤداة ﴾ مني ﴿ بعون الله وتوفيق من لا ينبغي الرشد من ﴾ لارباب ﴿ جمع رب بمعنى صاحب طريقة ﴾ السلف ﴿ وعقيدة أهل الاثر من

نرج على الحق وسلف خال كوفي (عجائبنا) في أصل تقليدنا التضميني أيها أقول الله
 وعقائد أهل الآثار (الغرض) في التأويل والتمحيق في صرف آيات التزييل
 متنفهاك بت ومماها الظاهر المؤيد بالسلفية والاحاديث النبوية والاخبار السا
 والآثار الاثرية الى غير عما لها من غير دليل نوي ولا اذن شرعي مما هو دأب المنته
 (من أهل) مذهب (الخلف) خذها أي هذه العقيدة (هديت) يضم الماء وكذا
 الدال المهملة على سبعة عالم بسم فاعله أي هداك الله أيها الأثري والمتبع في اعتنا
 أثري (واقني) أي اتبع (نظامي) في هذه العقيدة السلفية التي هي بأهوت
 عن السلف وفيه قالت ان قلت (تفر) أي تغفل (بما) أي بلذي (أملت)
 نيل الملامح وردك النجاش قال في القاموس الغور الجاح والنفر بالخير والامل الرجاء يقال
 أملأه أملأه لئلا يملأ الرجاء (و) نظراً أيضاً (السلام) أي الإمان من التخليط الجذلي والسلف
 الكلامي وما ينشأ عن ذلك من حزازات الصدور وسوايس الأفكار وتغصب الإ
 موعظي السلام لغة الإمان قل العلماء السلام من أسماء الله تعالى فمن السلام عليك
 الله عليك وسلم الله عليك وقل الملائمة أبو بكر من أبي داود في التمهيد في معنى اسمه
 السلام قبل معناه ذو السلامة من كل عيب وتقيصة فبكون من أسماء التنزيه وقيل
 تسليم العباد من المبالك فيرجع الى القدرة وقيل ذو السلام على المؤمنين في
 فيرجع الى الكلام القديم الأزلي قل تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) قل
 العبد من هذا الاسم أن يسلم من الغش والحقد والحسد ومن كل رذيلة
 وهذا آخر ما قصدت إirاده على منطوق المسألة بالنسبة المضية في عقد أهل
 المرضية وأنا أتوسل اليه تعالى بلسان الافتقار وأتذلل اليه بجان النذل والا
 وأنضرع بحوارح المعجز والانكسار وأتشفع بحرمه النبي المختار وآله الأطهار وآه
 الاخبار وأصهاره الأبرار وسائر المهاجرين والانصار وبجميع الالبياء والم
 وبالملائكة المقربين وبالعلماء العاملين وأهل المعرفة والمتقين أن يجعل هذا الشرح
 لوجه الكرم وسبباً للفوز لديه في جنات النعيم وأن ينظرالي والى من كتب
 وأقرأه بين العاية وأن يحفظني وأهل بيتي وإخواني من كل ضلالة وغواية وأ
 به من كتب وأقرأه وفهمه ووعاه انه جواد كريم رؤف رحيم وصلى الله على سب
 سيد المرسلين وآله وصحبه وأمتي الغر المحجلين وكافة من دعانا بخير يارب